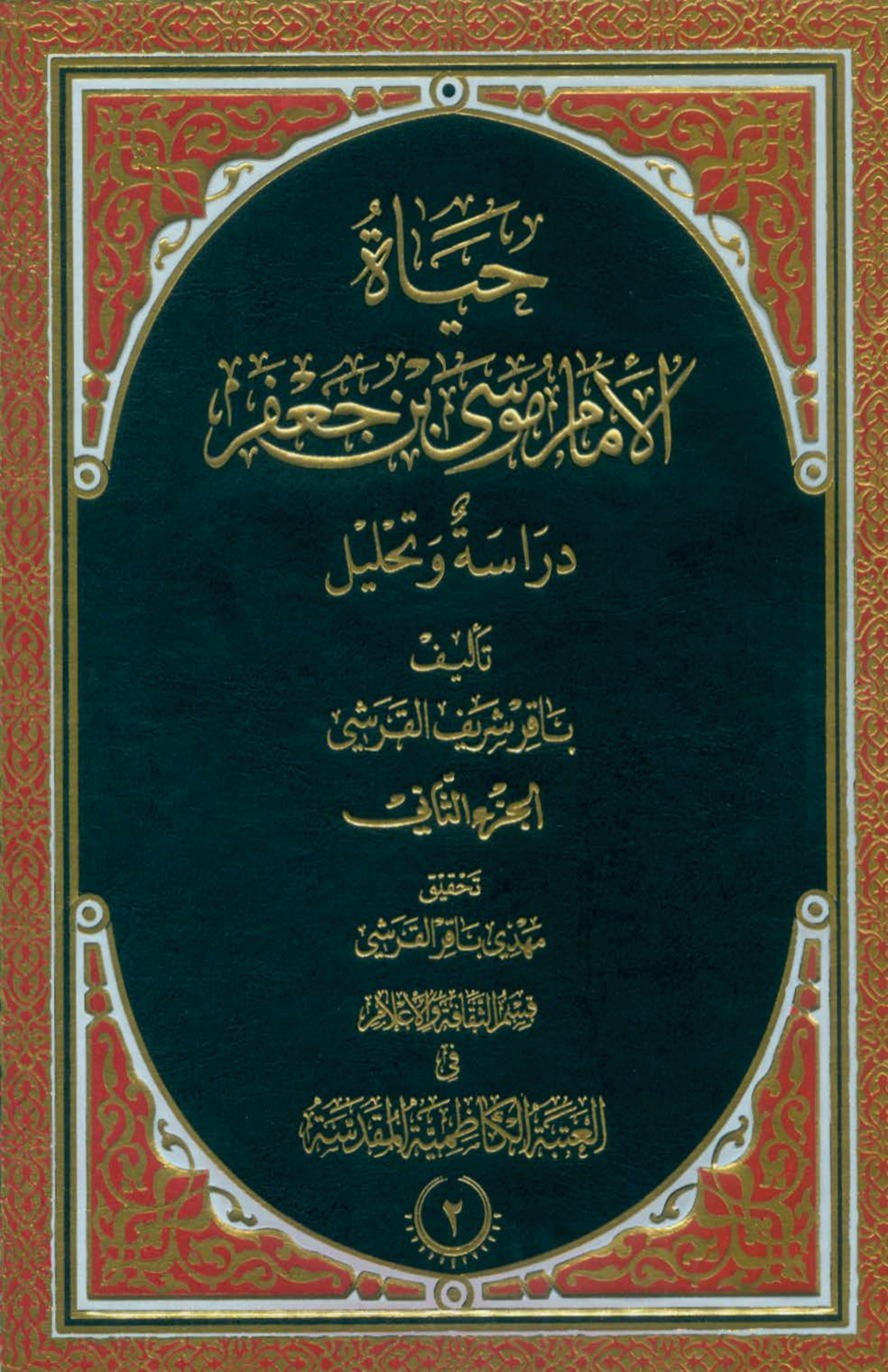

حياة
الامام موسى بن جعفر
دراسة وتحليل
تأليف
باقر شريف القرشي
الجزء الثاني
تحقيق
مهدي باقر القرشي
قسم الثقافة والإعلام
في
العتبة الكاظمية المقدسة
٢

حياة

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

دراسة وتحليل

الجزء الثاني

تأليف
باقر شريف القرشي

تحقيق
مهدي باقر القرشي

قسم الثقافة والإعلام
في
العتبة الكاظمية المقدسة


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة
الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الكاتب مهما أوتي من لباقة وبراعة واطّلاع وافر في علم النفس والاجتماع وغيرهما ممّا يستطيع به تحليل الواقع النفسي ، والكشف عن أبعاد الشخصيّة ، وإعطاء صورة حيّة عن عناصر تربيتها وسلوكها ، فإنّه مهما بلغ من التفوّق في هذا المجال ، فلا يستطيع بصورة جازمة أن يلمّ بواقع أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، ويكشف عن أبعاد حياتهم ، أو يحلّل نزعاتهم ، ويحيط بما لهم من ظواهر ذاتيّة .

لا نقول ذلك مدفوعين بدافع الغلوّ أو الافراط في الحبّ ، وإنّما الواقع يمليه علينا ، ويقرّنا عليه ما أثر عنهم من النزعات الفذّة المتميّزة في سلوكهم الشخصي والاجتماعي ، والذي بلغوا به أعلى مستويات الإنسانيّة .

فهذه ظاهرة من نزعات الإمام موسى عليه السلام ، وهي الصبر على المحن والخطوب ، فقد بلغ بها مبلغاً يستحيل على الكاتب أن يكشف واقعها ، أو يلمّ بحقيقتها . . فقد اعتقل هذا الإمام العظيم في ظلمات السجون حفنة من السنين ، وقد حجبته السلطة عن جميع الناس ، ولم تسمح لأحد بمقابلته ، فلم يؤثر عنه أنّه ضجر أو سأم أو حنّ إلى الأهل ، وإنّما حسب ذلك من ضروب النعم الكبرى التي تستحقّ الشكر لأنّه كان في سبيل الدفاع عن الدين ، وحماية مبادئه ، فعكف وهو في السجن على عبادة الله صائماً نهاره ، قائماً ليله ، وهو جذلان مسرور بهذه المناجاة ، وبهذا الاتّصال الروحي بالله تعالى .

بأي تعليل وثيق يعلّل به هذا الصبر ؟

إنّه لم يكن هناك تعليل منطقي له سوى الإيمان العميق بالله الذي بلغ به الإمام أسمى مراتبه.

وظاهرة أُخرى من نزعاته الكريمة ، وهي الصمود في وجه الظلم والطغيان ، وانطلاقه في ميادين الجهاد المقدّس ، وهو يحمل لواء المعارضة لحكّام عصره الذين استباحوا جميع ما حرّم الله ، واستبدّوا بأرزاق الأمّة وحقوقها واستهانوا بكرامة الإسلام.. فلم يؤثر عن الكثيرين منهم أنّهم قاموا بعمل إيجابي في صالح المجتمع الإسلامي ، أو ساهموا في بناء الحركة الفكريّة والاجتماعيّة ، أو ساروا في سياستهم على ضوء ما يهدف إليه الإسلام في بعث التطوّر الاقتصادي والثقافي والإداري لجميع شعوب الأرض.

إنّ فلسفة الحكم عند أُولئك الحكّام كانت تهدف إلى الإثرة والاستغلال ، وإشباع الرغبات ، أمّا مصلحة الأُمّة ورفع مستواها الفكري والاجتماعي فلم يكن يعنون به بقليل ولا بكثير ، قد بنوا حكمهم على الظلم والجور والاستبداد ، وإرغام الناس على ما يكرهون..

ومن ثمّ كانت محنة أهل البيت عليهم السلام محنة شاقّة وعسيرة ، فإنّهم بحكم دورهم القيادي للأُمّة مسؤولين عن رعايتها وصيانتها وإنقاذها ممّا ألمّ بها من المحن والخطوب ، فأعلنوا معارضتهم الإيجابيّة تارة ، والسلبيّة أُخرى لسياسة ملوك عصرهم ، واستهدفوا بذلك جميع ألوان الظلم والاضطهاد والقهر ، حتّى انتهت حياتهم الكريمة وهم ما بين مقتول ومسموم ، كلّ ذلك من أجل مصلحة المسلمين ، والانطلاق بهم إلى سياسة العدل الخالص والحقّ المحقّ المحض ، وتطبيق أحكام القرآن على واقع الحياة.

أمّا مظاهر ذلك الصمود الفذّ عند الإمام موسى عليه السلام فقد تمثّل بإصراره البالغ على

شجبه لسياسة هارون ، وعدم الاعتراف بشرعيّة خلافته ، وقد أصرّ على هذا الموقف المشرّف حتّى لفظ أنفاسه الأخيرة في السجن ، وقد حاول يحيى البرمكي رئيس حكومة هارون أن يتوسّط في أمر الإمام ، ويخرجه من السجن ، فعرض على الإمام أن يعتذر لهارون ويطلب منه العفو حتّى يخلي سبيله ، وينعم عليه ، فأصرّ ﷺ بالشدّة والصرامة مع هارون وغيره من ملوك عصره ، فلم يصانع أي أحد منهم ، ولو سايرهم لأغدقوا عليه الأموال والثراء العريض ، وما عانى تلك الأهوال الشديدة ، والمحن الشاقّة ، ولكنّه ﷺ آثر رضا الله وطاعته على كلّ شيء ، وأبى إلّا أن يساير موكب الحقّ ، ولا يشذّ عمّا جاء به الإسلام من مقارعة الظلم ، ومناهضة أئمّة الجور والطغيان .

وعلى أي حال ، فقد عرض هذا الكتاب بصورة موضوعيّة وشاملة لدراسة نزعات الإمام وسائر أحواله التي امتدّت على هامة التاريخ الإسلامي بالإشراق والوعي والبطولات . . راجياً أن أكون قد ساهمت بهذا الكتاب في خدمة هذه الأمّة ، وخدمة علم من أعلامها النابهين .

إنّه تعالى وليّ القصد والتوفيق

٢٩ ربيع الثاني ١٣٩٠هـ

مقدّمة
الطبعة الأولى

١ أطلّ الإسلام على عالم يرزح بالفتن والأضاليل ، فغيّر مجرى تاريخ الحياة ، وطوّر مفاهيمها ، وخلق وعياً أصيلاً في ربوع العالم انطلقت بسببه الإنسانيّة من عقال الجهل إلى ميادين الحضارة والرقيّ والابداع ، وبناء كيانها الاجتماعي .

لقد انطلق الإسلام كالمارد الجبّار ، فبنى في ربوع ذلك المجتمع المنهار صروحاً للفضيلة ، وأساساً للحياة الحرّة الكريمة يسود فيها الوعي الأصيل ، والمنطق السليم ، وفي نفس الوقت حطّم صروح الظالمين والمستبدّين ، وقبر الأفكار السحيقة ، وهدم معالم الجاهليّة الرعناء ، وألغى امتيازاتها ، وإلى ذلك البناء والهدم يشير الحديث الشريف : «إنَّ اللهَ بَنىٰ في الْإِسْلامِ بُيوتاً كانَتْ خَرِبَةً في الْجاهِلِيَّةِ ، وَهَدَمَ بُيوتاً كانَتْ عامِرَةً في الْجاهِلِيَّةِ»[1] .

إنّ البيوت التي أقامها الإسلام وأنشأ كيانها بعدما كانت خربة في الجاهليّة هي إعلان الحقوق الطبيعيّة للإنسان ، وتنوير العقول والأفكار ، وإيجاد التعاون والتضامن بين أفراد ذلك المجتمع المتفكّك ، ورفع مستوى الحياة من الناحية الاقتصاديّة والسياسيّة ، وتحقيق العدالة الاجتماعيّة في الأرض .

وأمّا البيوت التي حطّم كيانها الإسلام ، فهي بيوت الظلم والاستغلال والاستبداد ، كما هدم الإسلام جميع خرافات الجاهليّة وأوهامها ، كعبادة الأصنام ، ووأد البنات ،

---

(١) مجمع الزوائد : ٨ : ٨٦.

وغير ذلك من العادات الاجتماعيّة التي كانت مصدر شقائهم وتأخّرهم.

لقد كانت الأغلبيّة الساحقة من العرب تأكل القدّ، وتشرب الرنق، قال الله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾[1].

قال قتادة في تفسير هذه الآية: «كان هذا الحيّ من العرب أذلّ الناس ذلاً، وأشقاه عيشاً، وأبينه ضلالة، وأعراه جلوداً، وأجوعه بطوناً، مكعومين على رأس حجر بين الأسدين: فارس والروم».

إلى أن قال: «حتّى جاء الله بالإسلام فورّثكم به الكتاب، وأحلّكم به دار الجهاد، ووسّع لكم به من الرزق»[2].

إنّ الحياة العامّة في الجزيرة قبل فجر الدعوة الإسلاميّة كان يسودها الفقر والجهل والقلق والاضطراب، حتّى انطلقت حضارة الإسلام تشقّ طريقها في أجواء التاريخ، وتصنع للإنسانيّة جمعاء ما لم تصنعه أي حضارة أُخرى في العالم، فكانت تبني أساساً للحياة الكريمة قائمة على صرح شامخ من الحقّ والعدل.

إنّ الطاقات النديّة الضخمة التي فجّرها الرسول العظيم ﷺ كانت تلتقي مع الفطرة الأُصيلة للإنسان، وتواكب وعيه المتحرّر، واتّجاهه السليم، وكانت تحمل طابع التوازن بكلّ ما لهذا اللفظ من معنى، التوازن في قيادة الفرد لنفسه، والتوازن بين أفراد جميع المجتمع، ما بين جارٍ وقريب، وما بين حاكم ومحكوم، ولم يكن المدّ الإسلامي مجرّد دعوة تستهدف إيماناً دينياً وقيماً خُلقيّة، فقد كانت دعوته الخالدة تحمل في أعماقها وجوهرها نظاماً ثابتاً لإقرار الحقّ وتحطيم المنكر، والاعتراف بالحريّات، وترتيب التعامل بين الأفراد والجماعات في ظلّ نظام مستقرّ تؤمن به الجماهير، وتلتفّ حوله تحميه، لأنّه يصون مصالحها، ويحفظ مكاسبها بعد ما كانت

---

(١) آل عمران ٣: ١٠٣.

(٢) تفسير الطبري: ٤: ٢٣. جامع البيان: ٤: ٥٢.

تئنّ من استغلال الطغاة لها ، فجاء الإسلام ليقيم فيها حكماً عادلاً ، ويعطيها حقوقها المضاعة ، ويوفّر لها الحياة الحرّة الكريمة التي يسود فيها الخير والرفاهيّة .

وسارت الدعوة الإسلاميّة بسرعة الضوء نحو شعوب العالم وهي تنير لها معالم الحياة ، وتقودها نحو شاطئ الأمن والسلام والتحرّر ، وبادرت تلك الشعوب المغلوبة إلى اعتناق هذه الدعوة الأصيلة التي تحقّق أملها المنشود من التحرّر والراحة والحماية من الاستغلال والاستبداد ، وتمسّكت بالإسلام ، وانطبعت مبادئه في نفوسها ، واندفع المسلمون إلى نشر رسالة الإسلام ، والتبشير بأهدافه ، فكانوا كما قال الله تعالى في حقّهم : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[1] ، وذلك لتمسّكهم الوثيق بأهداف الإسلام ، وإصرارهم على تبليغ رسالته حتّى قام الإسلام بجهودهم وهو عبل الذراع ، شامخ الكيان ، يحفّه النصر والظفر .

٢ ولاقى الإسلام المزيد من الأهوال والمصاعب ، فقد نفر في وجهه منذ فجر تأريخه الطغاة المتجبّرون والنفعيّون الذين تحطّم كيانهم ، وضاعت مصالحهم ، فقاموا بعدوانهم المسلّح تحفّ بهم قوى الشرك والإلحاد لمحاربة الإسلام ، وزعزعة كيانه ، وردّ الدعوة الأصيلة لمصدرها ، ولكن لم تلبث أن تحطّمت تلك القوى الغادرة ، وفشلت جميع الاعتداءات والمؤامرات التي حيكت ضدّه ، وخرج الإسلام وهو ظافر منتصر قد باء أعداؤه وخصومه بالفشل والخسران .

وسرت موجة الفتح الإسلامي إلى أغلب أنحاء المعمورة ، وانحسرت روح الشرك ، وطويت معالم الجاهليّة ، وقبرت أفكارها ، ودخلت قهراً العناصر المعادية للإسلام في حظيرته ، ولكنّها أخذت تعمل جاهدة بكلّ قواها للاستيلاء على زمام الحكم ، فلمّا ظفرت به تنكّرت أشدّ التنكّر لهذا الدين ، فغيّرت أحكام الله ، وبدّلت سنّة نبيّه ﷺ ، ونهبت أموال المسلمين ، وسحقت جميع المثل العليا التي جاء بها الإسلام ، وإليها

---

(١) آل عمران ٣ : ١١٠ .

يشير الحديث الشريف الوارد عن النبيّ صلى الله عليه وآله : « إِنَّ هَلاكَ أُمَّتي عَلىٰ يَدِ أُغَيْلِمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ »(١) .

لقد ذبلت نضارة الإسلام ، وتغيّرت مفاهيمه حينما استولى هؤلاء الأدعياء من الأمويّين على دست الحكم ، وخيّم على المسلمين ظلام دامس لا بصيص فيه من النور ، قد سرت المطامع والأهواء الخاصّة في نفوس الكثيرين منهم ، واستولى عليهم الخمول والخنوع ، وصدّوا عن ذكر الله ، وانحرفوا عن الطريق القويم ، فلم يناهضوا منكراً ، ولم يأمروا بمعروف .

وثقل على أئمّة أهل البيت عليهم السلام ومن شايعهم من المؤمنين ورجال الفكر ما مُني به العالم الإسلامي من الذلّ والعبوديّة ، فانبروا إلى ميادين الجهاد المقدّس لإنقاذ الأمّة من واقعها المرير ، وقد قابلتهم الحكومات الأمويّة بما تملك من وسائل التنكيل والارهاب ، فأراقت دماءهم ، وطاردتهم ، وأشاعت الفزع والخوف فيهم .

ولم تخمد نار الثورة ، وإنّما بقيت ملتهبة حتّى أطاحت بالحكم الأموي ، وأزالت وجوده البغيض ، ولكن من المؤسف حقّاً أنّ زعماء الثورة لم يقرّروا مصير الأمّة ، ولم يحقّقوا لها أهدافها ، فقد حملوا الدعوة إلى بني العبّاس ظانّين أنّهم سيحقّقون للعالم الإسلامي ما يصبو إليه من نشر العدل والرفاهية والأمن والاستقرار .

وحينما صفا الملك لبني العبّاس ساسوا المسلمين بسياسة نكراء لا ظلّ فيها للعدل والحقّ ، فقد مثّلت سياستهم بجميع مخطّطاتها السياسة الأمويّة الحاملة لشارات الفقر والجهل والظلم .

وانطلق العلويّون مع شيعتهم يعملون جاهدين لمناجزة الحكم العبّاسي ، وهم يدعون إلى تأسيس دولة إسلاميّة تسود فيها أحكام القرآن ، وعدالة الإسلام ، واندفع العبّاسيّون إلى مقابلتهم بكلّ قسوة وضراوة ، فنكّلت بهم أفظع التنكيل وأمرّه .

---

(١) الغدير : ٨ : ٢٩٠ . شرح مسلم : ١٨ : ٤١ .

وكان الإمام موسى عليه السلام في طليعة من ناهض حكومة هارون ، وحرّم التعاون معها في جميع المجالات حتّى في الأمور المباحة ، وقد صبّ عليه الرشيد جام غضبه ، فأودعه في ظلمات السجون ، ومنع شيعته من الاتّصال به ، وقد ضيّق عليه غاية التضييق ، فقاسى عليه السلام جميع أنواع الخطوب والكوارث ، وقد أعطى عليه السلام بصبره وموقفه المشرّف درساً رائعاً عن صمود العقيدة الإسلاميّة وصلابتها وعدم خضوعها بأي حال من الأحوال لمنطق القوّة والسلطان.

٣ ومرّت على المسلمين فترات مظلمة ، وأدوار قاسية ألصقت بتاريخهم الناصع ألواناً دخيلة بعيدة كلّ البعد عن مفاهيم الإسلام واتّجاهاته ، وكان ذلك ناشئاً من دون شكّ من أولئك الأقزام الذين استولوا على زمام الحكم ، ففرضوا سلطانهم على المسلمين فرضاً ، وقام نفوذهم على السلاح ، وشراء الضمائر ، فهم كما قال الغزالي : « وأفضت الخلافة إلى قوم تولّوها بغير استحقاق »[1].

وكان الأولى بالمسلمين أو بمؤرّخيهم أن يجرّدوا هؤلاء الأدعياء من لقب (الخلافة) ، ولو فعلوا ذلك لصانوا الإسلام وحافظوا على مثاليّته من هؤلاء الذين لا يمتّون لهديه بصلة ، ولا يلتقون مع نواميسه بطريق.

ومن المؤسف أن تحسب هذه الجماعات على رصيد الإسلام فيحاسب من أجلهم ، وتكال له الطعون والتهم من جرّاء موبقاتهم مع العلم أنّ جرائمهم وآثامهم قد دلّت على انطباع الكفر والفسوق في مشاعرهم ونفوسهم ، فكيف يصحّ أن يضمّهم اطار الإسلام ؟ أو ينقد بأعمالهم ؟

إنّ المقياس والميزان هي المبادئ الإسلاميّة ، فما كان من أعمال المسؤولين والحكّام مرتبطاً بها فهم محسوبون على الإسلام ، وهو مسؤول عنهم ، وأمّا التصرّفات النابية التي لا علاقة لها بالإسلام ولا تمثّل هديه وواقعه فإنّه غير مؤاخذ بها ، ولا هو

---

(١) دائرة المعارف / فريد وجدي : ٣ : ٢٣١.

مسؤول عنها ، ولا هي تمثّل وجهة نظره ، وكثيرون من أعداء الإسلام قد آخذوه بأعمال بعض الحكّام ، كالوليد والمنصور والمتوكّل ونظرائهم ، من الذين أثبتوا في أعمالهم الإداريّة والسياسيّة أنّهم أعداء الإسلام وخصومه ، فكيف يحاسب الإسلام أو يؤاخذ على ما اقترفوه من عظيم الذنب والإثم ؟ !

إنّ على الباحثين في شؤون الشخصيّات الإسلاميّة أن ينظروا إلى التاريخ الإسلامي بإمعان وتدبّر ، فلا يضيفون إلى مراكزه العليا إلّا الأكفاء المتوفّرين بتربيتهم على مثاليّته وهديه ، وأمّا الأدعياء الذين حملوا معول الهدم على كيانه ، وحاولوا لفّ لوائه ، فيجب تجريدهم من اطار الشخصيّة الإسلاميّة ، وإبعادهم عن تاريخه الناصع .

إنّ على كلّ باحث منصف أن ينظر إلى التاريخ الإسلامي نظرة عميقة فيعرّيه من ألوان الدعاية والخيال ليكون فهمه له على أساس واقعي رصين ، فقد ابتلي المسلمون بكثير من المؤرّخين والرواة الذين كانوا يعيشون على موائد الملوك ، فافتعلوا لهم المآثر والفضائل ، وأضافوا إليهم أهمّ النعوت والأوصاف ، الأمر الذي أدّى إلى تشويه الواقع ، وإيقاع التناقض الفاحش في بحوث التاريخ .

٤ ـ يمرّ العالم الإسلامي في هذا العصر بمرحلة دقيقة حاسمة من تاريخه ، فقد تظافرت قوى الاستعمار العالمي للإجهاز عليه ، وسلبه طاقاته وإمكانيّاته ، وتجريده من شخصيّته وتراثه ، واستعباده استعباداً شاملاً يسلبه حرّيّاته ، ويفقده أمانيه ، والمسلمون غافلون عمّا أحدق بهم من البلاء والخطوب ، قد أخلدوا لمصالحهم الخاصّة الضيّقة ، وانشغل النابهون منهم بالاتّجاهات الحزبيّة التي لا تخدم بلادهم ، وإنّما تخدم الاستعمار وتحقّق أطماعه وألاعيبه .

لقد خرّب الاستعمار جميع ما أودعه الإسلام في قلوب المسلمين من المثل العليا والمبادئ الأصيلة والوعي السليم ، وشعّب أوطانهم ، وفرّق كلمتهم حتّى استحالت عقولهم إلى هياكل ميّتة ، فقد عمل جميع الوسائل لإفسادهم والنكاية بهم ، فدمّر أرضهم بالمغريات ، وملأها بالفساد والدعارة والمجون ، وحرّم على أبنائهم دراسة

الإسلام على حقيقته وواقعه ، والاطّلاع على التضحيات الضخمة التي قام بها المصلحون في العصور الأولى من نشر الثقافة ، وتنوير الأفكار ، والعمل من أجل الصالح العامّ ، وقد جهلت جميع ذلك الناشئة الإسلاميّة الحديثة ، فقد غذّاها الاستعمار بأنّ الدين يخالف منطق العقل ، وأنّ أحكامه تجافي الطبيعة ، فكانت قلوبهم موغرة على الإسلام ، نافرة من أهله ودعاته ، فكانوا عوناً للمستعمر على محاربة الكيان الإسلامي ، والهجوم على نظامه وعقيدته ، والأنكى من ذلك اندفاعهم الهائل مع دعاة الكفر والإلحاد ، وتأييدهم لتلك الأفكار الرجعيّه المنهارة التي تتنافى مع الفطرة الإنسانيّة ، وتدمير جميع المثل الرفيعة .

فعلى رجال الفكر والغيارى والمصلحين أن يقدّموا للمسلمين الطاقات التي فجّرها النبيّ العظيم ﷺ ، وأمدّها بالبقاء والحياة ، ويعرّفوا الجماهير بالتراث الإسلامي الذي يفي بحاجاتهم ، ويضمن لهم حرّيّاتهم وحقوقهم ، ويوفّر لهم الراحة والاستقرار .

على دعاة الإسلام أن يفهموا المسلمين أنّ الإسلام ليس ذلك الذي تلوكه الألسن من غير وعي ، وتفهّم لمبادئه وروحه ، بل هو الثورة الصاخبة على الظالمين والمستبدّين وأعداء الشعوب .

إنّه العدالة الكبرى التي تبني مجتمعاً رفيعاً لا تضيع فيه حقوق أفراده ، ولا تهدر فيه كرامتهم .

إنّه النظام الوحيد الذي يحطّم الاستغلال والاحتكار ، وينعم في ظلاله المحرومون والبائسون .. على دعاة الإصلاح أن يؤدّوا رسالة الإسلام على حقيقتها النازلة من ربّ العالمين ، ويعرّفوا الجماهير برجال الإسلام المخلصين الذين خدموا العالم الإسلامي ، وقاموا بأهمّ التضحيات في سبيل نشر العدالة ، وبسط القيم الإنسانيّة ، ورفع مستوى الحياة ، فإنّه من الضرورة الملحّة إفهام المسلمين بذلك ، وتغذية ناشئتهم بالآداب الإسلاميّة ليتربّى بذلك جيل واعٍ سبّاق لفعل الخيرات ، والانطلاق في خدمة بلاده ومجتمعه .

وممّا لا شبهة فيه ـ بإجماع المسلمين ـ أنّ أخصب رجال الإسلام علماً ، وأكثرهم تضحيةً وجهاداً في سبيل الله هم أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، فهم قدوة هذه الأمّة وأدلّتها على فعل الخير ، وقد ضمن النبيّ العظيم صلى الله عليه وآله لأمّته أن لا تزيغ عن طريق الحقّ والصواب لو تمسّكت بهم ، وأخذت بتعاليمهم. قال صلى الله عليه وآله : «إنّي تارِكٌ فيكُمُ الثَّقَلَيْنِ ما إنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِما لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي ، أحَدُهُما أعْظَمُ مِنَ الآخَرِ : كِتابَ اللهِ ، حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّماءِ إلَى الأرْضِ ؛ وَعِتْرَتِي أهْلَ بَيْتِي ، وَلَنْ يَفْتَرِقا حَتّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تُخْلِفُونِي فِيْهِمَا»[1].

وقد دلّت مآثرهم ومناقبهم وسيرتهم على تجرّدهم من مآثم هذه الحياة ، وإعراضهم عن زهوها وأباطيلها ، فكان لهم اتّجاه واحد هو خدمة الإسلام والعمل في سبيل الصالح العامّ ، وممّا لا ريب فيه أنّ نهضة هذه الأمّة وبلوغها إلى ذروة الزحف المقدّس يتوقّف على اقتدائها بسيرة أهل البيت عليهم السلام ، والأخذ بتعاليمهم واتّجاهاتهم.

والإمام موسى بن جعفر عليه السلام أحد شموع العترة الطاهرة ، ومن ركائز الإسلام العليا ، قد أدّى رسالة ربّه بأمانة وإخلاص ، وبالغ في إرشاد أمّة جدّه صلى الله عليه وآله ، وتحمّل في سبيل ذلك أقسى ألوان المحن والخطوب ، فأودعه الرشيد في ظلمات سجونه لأنّه لم يجاره أو يصانعه ، بل قاومه وازدرى بسلطانه وصارحه بجوره واختلاسه لمركز الخلافة الإسلاميّة ـ كما سنبيّن ذلك في بعض فصول هذا الكتاب ـ وبذلك كان عليه السلام من عمالقة المجاهدين في سبيل الله ، الناصحين لعباده.

لقد تشرّفت بالبحث عن سيرة هذا الإمام العظيم ، فذكرت في الحلقة الأُولى من هذا الكتاب الأدوار التي اجتازت عليه ، وبعض تراثه الرائع ، ونصائحه العليا ، وإرشاداته القيّمة ، ويتضمّن البحث في الحلقة الثانية ما حدث بينه وبين هارون ، كما احتوى على دراسة وافية عن سياسة هارون الرشيد ، وما أثر عنه من الأعمال

---

(١) صحيح الترمذي : ٢ : ٣٠٨.

المجافية لروح العدالة الإسلاميّة والمنافية للقيم الإنسانيّة.

وذكرت عصر الإمام ﷺ، وما حدث فيه من المشاكل، وظهور الفِرق والحركات الإلحاديّة التي كان الغرض منها إفساد عقائد المسلمين، ولفّ لواء الإسلام، الأمر الذي أوجب أن يتصدّى الإمام ﷺ وكبار تلاميذه إلى نقدها بالأدلّة العلميّة الرصينة وإنقاذ المسلمين منها.

وذكرنا عرضاً موجزاً لمبدأ التشيّع، وما ينشده من المثل العليا، وما قوبل به من الاضطهاد من قِبل السلطة، وما عاناه رجاله من التنكيل والارهاق، لأنّهم كانوا يعارضون الحكم القائم المبنيّ على الاستبداد السياسي، ونهب أموال الناس، والتحكّم في أُمورهم على غير وجه مشروع.

إنّه لم تقم ثورة إصلاحيّة في تلك العصور إلّا رفعت الشيعة علمها، أو ساهمت بمدّها بما تملك من وسائل القوّة.. فهم قادة الشعوب الإسلاميّة وروّادها في طريق الكفاح والنضال من أجل التحرّر من حكم العبوديّة والذلّ، ومن أجل إعادة الحياة الكريمة التي ينشدها الإسلام في ظلال حكمه.

لقد قدّمت الشيعة المزيد من التضحيات أيّام الحكم الأموي والعبّاسي، فصمدت في وجه الأعاصير، وعارضت بشدّة وعنف سياسة أُولئك الحاكمين الذين بنوا حكمهم على الظلم والجور، وعلى سلب مقدّرات الأُمّة وإنفاقها على شهواتهم وملذّاتهم وفجورهم، فنشروا التحلّل والميوعة والتسيّب في ربوع العالم العربي والإسلامي.

وقد عرض الكتاب بصورة موضوعيّة بعيدة عن التحيّز إلى بسط الكلام في ذلك كلّه، غرضنا أن نصوغ بعض فصول التاريخ الإسلامي على الواقع المشرق الذي ينشده الإسلام، وأن نبرز واقع أُولئك الملوك، فإنّه ليس من المنطق في شيء أن تحمل سياستهم على الصحّة ونقول إنّهم قد خدموا القضيّة الإسلاميّة، وساروا بين المسلمين بسياسة نيّرة قوامها العدل الخالص والحقّ المحض، فيما أثبت التاريخ من بوادر كثيرة أُثرت عنهم، سواء في ميادين سياستهم أو سلوكهم بوضوح أنّه لا واقع لتلك الأقاويل

وذلك الادّعاء.

وعرض هذا الكتاب إلى ترجمة كوكبة كبيرة من أصحاب الإمام ورواة حديثه الذين حملوا مشعل النهضة العلميّة والفكريّة في ذلك العصر، وألّفوا في مختلف العلوم والفنون، خصوصاً فيما يتعلّق بالفقه الإسلامي، فقد دوّنوا جميع أبوابه من العبادات والمعاملات، ولهم يرجع الفضل في حفظ التراث الفقهي المأثور عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

وبسطنا الكلام في هذا الجزء في تراجم أبناء الإمام عليه السلام، وما أثر من سيرتهم وسلوكهم وهديهم، وما قام به بعضهم من الثورات المتّسمة بالشدّة والعنف أيّام حكم بني العبّاس. وأنهيت المطاف بأخبار الإمام عليه السلام وما جرى عليه من الارهاق والاضطهاد في سجن هارون مع بيان أسباب سجنه، وتفصيل حال وفاته، والتحقيق في أمر ذلك الحادث العظيم.

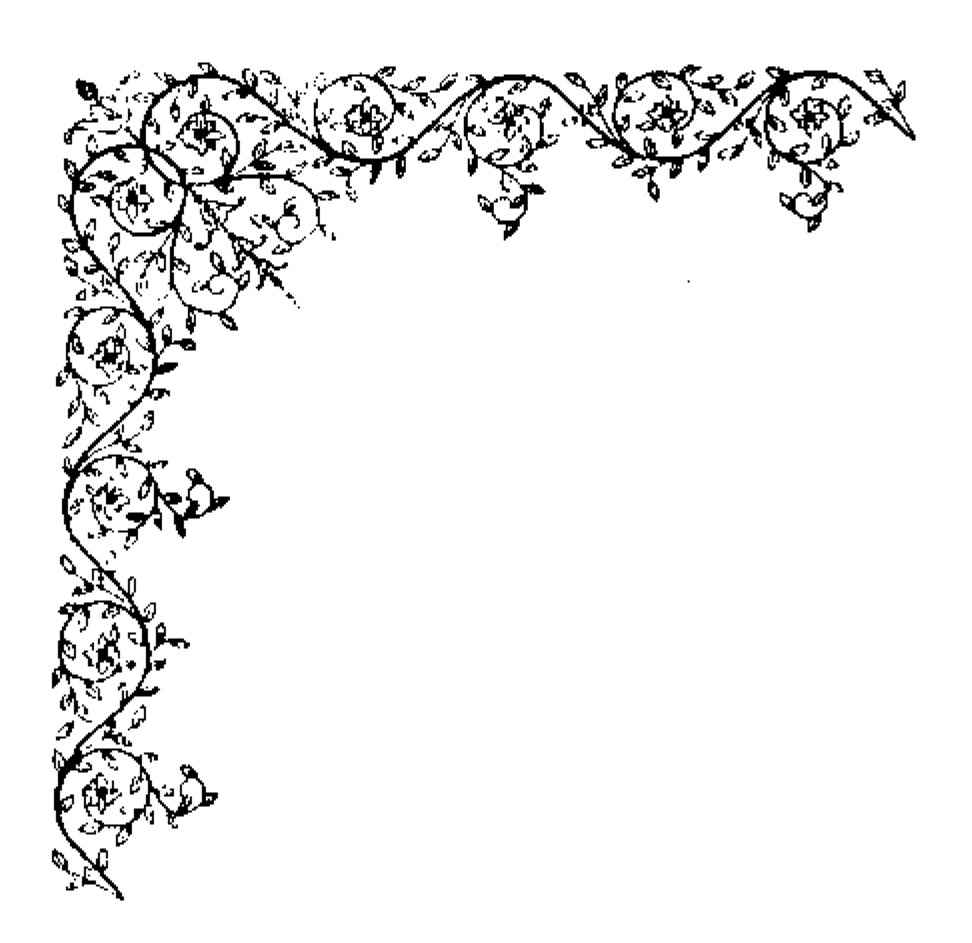
هذا بعض ما في هذا الكتاب من بحوث، ما أردت بها إلّا خدمة عَلم من أعلام العقيدة الإسلاميّة، والكشف عن بعض أبعاد حياته وسلوكه، راجياً من الله تعالى أن أكون قد وفّقت لذلك.

وقبل إنهاء هذا التقديم أرى من الحقّ علَيَّ أن أرفع آيات الشكر إلى حضرة المحسن الكبير الحاج محمّد رشاد عجينة لإنفاقه على طبع هذا المجهود وغيره ممّا ألّفته في أئمّة أهل البيت عليهم السلام، سائلاً من الله تعالى أن يوفّقه لإحياء مآثرهم، وأن يتولّى جزاءه عن ذلك.

كما أنّ من الحقّ أن أرفع جزيل الشكر والتقدير إلى سماحة العلّامة الجليل أخي الشيخ هادي القرشي، فإنّي في ظلّ مودّته، وفي ذرى عطفه كتبت هذه البحوث آملاً من الله أن يجزيه عنّي خير الجزاء، إنّه تعالى وليّ ذلك والقادر عليه.

المؤلّف

المؤلّف



عهد الرشيد



وأفضت الخلافة إلى هارون، وزهرت له الدنيا، واستوسقت له الأمور، ونال من دنياه كلّ ما اشتهى وأراد، قد عمّ نفوذه أغلب أنحاء هذه المعمورة، حتّى أُثر عنه خطابه للسحاب «اذهبي إلى حيث شئت يأتيني خراجك»[1].

وجبي له الخراج من جميع الأقاليم الإسلاميّة، وصارت عاصمته بغداد عروس الدنيا، ومستودع أضخم بيت للمال في العالم، وقصدها النوابغ والعباقرة والفنّانون من سائر الشعوب، وانتشر فيها الثراء الفاحش، والتضخّم النقدي عند التجّار والموظّفين والندماء والمطربين والمجّان، وتناثرت فيها القصور الرائعة التي شيّدت على طراز هندسي جميل مزيج من الذوقين العربي والفارسي، وصارت بغداد بما فيها من الحدائق الغنّاء زينة الشرق، وأعظم عاصمة لأهمّ امبراطوريّة شاهدها التاريخ، ففيها قصر الخلد الذي شبّه بجنّة الخلد التي وُعد بها المتّقون، وفيها قصر السلام الذي شبّه بقوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[2]، وهذه القصور تجري من تحتها الأنهار، وتموج بالحور العين كأمثال اللؤلؤ، وقد وصلت بغداد إلى منتهى المجد والفخار.

وجلس هارون على أريكة الخلافة الإسلاميّة العظمى، وهو السيّد المطلق،

---

(١) صبح الأعشى: ٣: ٢٧٠.

(٢) الأنعام ٦: ١٢٧.

والحاكم الروحي المطاع ، قد استولى على جميع إمكانيّات الدولة ، ومقدّرات المجتمع ، يهب لمن يشاء ، ويمنع من يشاء ، لا يسأل عمّا يفعل ولا يحاسب عمّا يبذّر ، فهو ظلّ الله في أرضه ، وخليفته على عباده ـ كما يقولون ـ .

تقمّص الخلافة وهو في شرخ الشباب وعنفوانه ، لم يذق من عنت الأيّام ومحنها ، ولم تصقله التجارب ، قد جاء إليه الملك عفواً بعد مؤامرة خطيرة اشتركت في تدبيرها أُمّه الخيزران ورئيس وزرائه يحيى البرمكي ، فدبّرا اغتيال الهادي ، وقد نجحا في وضع ذلك المخطّط والقضاء عليه بسرعة هائلة لم يطّلع عليها أي أحد من أعضاء البلاط ، حتّى هارون لم يعلم بذلك ، فقد كان معتقلاً قد خفيت عليه جميع الأُمور ، وبعد تنفيذ المؤامرة والقضاء على الهادي وتركه جثّة هامدة في قصره أسرع يحيى إلى السجن فأقبل نحو الرشيد وكان نائماً ، فأيقظه فاستفاق مرعوباً ، فقال له يحيى : قم يا أمير المؤمنين .

فنهره الرشيد وعليه آثار الغضب قائلاً له : كم تروّعني إعجاباً منك بخلافتي وأنت تعلم حالي عند هذا الرجل ، فإن بلغه هذا فما يكون أمري عنده ؟

فابتسم له يحيى وقال له : لقد مات الهادي ، وهذا خاتمه ، وبالباب وزيره الحراني .

فنهض الرشيد وقد استولى عليه السرور ، فاتّجه من فوره إلى القصر الذي سجّيت فيه جثّة أخيه ، فاطّلع على الأمر وأقام ليلته هناك ، وكانت ليلة تاريخيّة حفلت بأحداث خطيرة ، فقد خرج الرشيد فيها من سجنه ، وبويع له بالخلافة ، وبُشّر بغلام من جاريته الفارسيّة ـ مراجل ـ فسمّاه عبدالله ، وهو الذي عُرف بالمأمون ، وقالوا في تلك الليلة : « إنّها ليلة الخلفاء » ، مات فيها خليفة ، وبويع خليفة ، وولد خليفة .

وعند انبلاج الصبح قام الرشيد فصلّى على جثمان أخيه ودفنه في بستان قصره .

وتوافدت وجوه بغداد وشخصيّاتها إلى المحلّ المقيم فيه هارون ليبايعوه ،

وبعد أن غصّ القصر الأبيض بجماهير الناس على اختلاف طبقاتهم انبرى إلى منصّة الخطابة يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب ، فألقى خطاباً جاء فيه : « إنّ الله عزّ وجلّ استأثر بخليفته موسى الهادي ، وولّى بعده رشيداً مرضيّاً أمير المؤمنين .. وهو يعدكم من نفسه الرأفة بالناس ، والعدل ، وإحقاق الحقّ بينهم ، ويذود عن أرواحهم وأعراضهم من العصاة المارقين »(١).

ثمّ التفت إلى الجماهير فطلب منهم المبادرة إلى البيعة قائلاً : « قوموا إلى بيعتكم ، وأعطوا صفقة أيمانكم » ، فبادر الناس إلى مبايعته ، وإعلان الرضا به ، وتمّ كلّ شيء في القصر الأبيض ، وعزم هارون على مغادرة « عياباذ » والنزوح إلى بغداد ، فأشار عليه يحيى بالتأخير حتّى يهيّئ لاستقباله المهرجانات الشعبيّة ، فلم يذعن لذلك ، وتوجّه فوراً إلى عاصمته وأقبل بموكبه ، فلمّا قرب من بغداد استقبلته الجماهير بالهتافات ، وعلت زغاريد النساء من شرفات القصور ، فكان احتفالاً شعبيّاً رائعاً .

وحان موعد الصلاة ، فخرج إلى الجامع في موكب رهيب ، فصلّى بالناس وبايعه مَن لم يكن حاضراً في القصر الأبيض ، ولمّا انتهى من الصلاة ومراسيم البيعة توجّه لبلاطه ، وفي الغد عقد اجتماعاً حضرته الساسة وكبار الشخصيّات ، فاستدعى يحيى البرمكي ، فلمّا مثل أمامه قلّده منصب رئاسة الوزراء ، وأعطاه الخاتم ، وقال له : « يا أبتي ، أنت أجلستني هذا المجلس ببركة رأيك ، وحسن تدبيرك ، وقد قلّدتك أمر الرعيّة ، وأخرجته من عنقي إليك ، فاحكم بما ترى ، واستعمل من شئت ، واعزل من رأيت ، فإنّي غير ناظر معك في شيء »(٢).

وانبرى بعض الشعراء فأنشد بين يديه قصيدة قال فيها :

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ٤٤٢ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ٤٤٤ .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمسَ كانَتْ مَرِيضَةً | فَلَمّا وَلِيَ هارونُ أَشْرَقَ نورُها
وَأُلبِسَتِ الدُّنْيا جَمالاً بِوَجْهِهِ | فَهارونُ والِيها وَيَحْيىٰ وَزيرُها [١]

وتناول يحيى خاتم الوزارة ، وأُسندت إليه جميع السلطات التنفيذيّة والإداريّة ، وفوّضت إليه مقدّرات الدولة من دون أن يستشير أو يراجع أحداً فيما يعمله ، واعتمد عليه الرشيد وهو في مقتبل عمره ، فكان سنداً له يغنيه عن السهر والمتاعب الفكريّة ، وانصرف الرشيد إلى التلذّذ بجميع متع الحياة من العزف والغناء والتندّر بمجالسة الظرفاء.

وأقبل يحيى على تطهير جهاز الدولة من العناصر المعادية له ، أو الموالية للعهد المباد ، كما توجّه إلى تطوير البلاد وعمرانها ، فصرف بعض ميزانيّة الدولة في إصلاح الزراعة ، وتوسيع نطاقها ، وبناء الجسور والقناطر ، وتشجيع الصناعات وغيرها من الأعمال العمرانيّة التي أوجبت اتّساع الحضارة والمدنيّة في بغداد حتّى زهت الدنيا ، وافتتن الناس بها ، فقد تناثرت بها الحدائق الممتعة والأزهار المونقة من ورد وبهار وياسمين وجلنار وغيرها ، كما تناثرت بها قصور العبّاسيّين والبرامكة التي تسيطر عليها روح الترف ، ويطلّ عليها قصر الخلد وغيره من قصور هارون.

وقد وصف أحدها علي بن الجهم بقصيدة رائعة جاء فيها :

صُحونٌ تُسافِرُ فيها العُيونُ | وَتَحسرُ عَنْ بُعْدِ أَقْطارِها
وَقُبَّةُ مُلْكٍ كَأَنَّ النُّجو | مَ تَصْغي إِلَيها بِأَسْرارِها
فَوّارَةٌ ثَأْرُها في السَّماءِ | فَلَيْسَتْ تُقَصِّرُ عَنْ ثَأرِها
إِذا أُوقِدَتْ نارُها بِالعِراقِ | أَضاءَ الحِجازَ سَنا نورِها
تَرُدُّ عَلى المُزْنِ ما أَنزَلَتْ | عَلى الأَرْضِ مِنْ صَوبِ مِدرارِها

---

(١) الأغاني : ٥ : ٢٥٣.

لَـــها شُـــرُفاتٍ كَـــأَنَّ الرَّبـيعَ كَســاها الرِّيــاضَ بِــأَنْوارِها[١]

لقد كان ذلك التقدّم الحضاري يستند إلى البرامكة ، فهم الذين وضعوا حياة الترف والبذخ في بغداد ، وطوّروا الحياة الفكريّة والعمرانيّة فيها .

والمهمّ الذي يعنينا البحث عنه هو أنّ كثيراً من المؤرّخين قد أفاضوا على هارون لقب خليفة المسلمين ، وأمير المؤمنين ، ووصفوه بأنّه من أكثر الخلفاء عناية بالشؤون الإسلاميّة ، فقالوا : إنّه طبق أحكام القرآن ودستوره على واقع الحياة العامّة ، كما نعتوه بالزهد والإعراض عن المحرّمات .

قال ابن خلدون : « إنّه كان يصلّي في اليوم مائة ركعة »[٢].

وبالغ بعض المؤرّخين فألحقه في مصاف الأخيار والمتحرّجين في دينهم من الخلفاء الراشدين ، إلّا أنّ البوادر التي أُثرت عنه في سياسته الماليّة وغيرها من شؤون سياسته العامّة تثبت بوضوح عكس ما ذكره الموالون له من اتّصافه بالتقوى والتحرّج في الدين .

فقد كان طابع سياسته الماليّة الاستغلال والنهب لثروات المسلمين ، وإنفاق القسم الكبير من الخزينة العامّة على العابثين والماجنين ، وكانت لياليه حافلة بجميع ألوان الطرب واللهو ، وهو ينفق أضخم الأموال على الجواري والمطربين في حين أنّ الأُمّة لم تنعم بتلك الواردات الضخمة التي كانت ترد إلى بيت المال كأنّها السيل ، فلم تخصّص الحكومة من ميزانية الدولة مقداراً يعنى به على إشاعة المعارف والعلوم ، وإقصاء الجهل عن الشعوب الإسلاميّة ، كما لم تنفق شيئاً يذكر على التطوّر الاقتصادي والصناعي في البلاد .

---

(١) معجم البلدان : ٣ : ١٧٦ . ضحى الإسلام : ١ : ١٢٧ . الأغاني : ٩ : ١١٤ .

(٢) تاريخ ابن خلدون : ١ : ١٧ .

وإذا أمعنّا النظر في سياسته الأخرى فنجد أنّه قابل العلويّين وشيعتهم بكلّ قسوة وصرامة ، فقد ساسهم كما ساسهم جدّه المنصور بسياسة العنف والجور والاضطهاد ، ويضاف إلى ذلك عدم تورّعه عمّا حرّمه الله ، فقد أسرف في الإثم والموبقات ، كما سنتحدّث عنه .

وعلى أي حال ، فما نسب إليه من التقوى والصلاح لا يلتقي بصلة مع واقع سيرته وسياسته . نعم ، لا شكّ في أنّه ألمع شخصيّة سياسيّة عرفها التاريخ في العالم الإسلامي وغيره ، فقد استطاع بمهارته ومقدرته أن يسيطر على أغلب بقاع العالم حتّى لمع اسمه في الشرق والغرب ، وحظي بصيت عريض قلّ أن سجّله التاريخ لغيره من الملوك والسلاطين ، ولكنّ هذا لا يعنينا أمره ، وإنّما يعنينا بُعد سياسته بجميع مخطّطاتها عن المبادئ الإسلاميّة التي هي المعيار في الحقيقة للحكم الإسلامي ، فمن طبّقها من الحكّام على واقع سياسته فهو من الخلفاء الراشدين الذي يجب أن نكنّ له في أعماق نفوسنا أعظم الولاء والتقدير ، ومن شذّ عنها فإنّه ليس محسوباً على رصيد الخلافة الإسلاميّة ، ولا يصحّ أن يكون ممثّلاً لهذا المركز الإسلامي العظيم .

ونعرض فيما يلي لدراسة موجزة لما أثر عن هارون ، سواء في ميادين السياسة أم في عالم السلوك والأخلاق ، وهي جميعاً تتنافى مع المبادئ الإسلاميّة ، ولا تلتقي بأي منهج وثيق منها .

سياسته الماليّة

وقبل الحديث عن السياسة الماليّة التي انتهجها هارون نعرض إلى السياسة الماليّة في الإسلام .

لقد احتاط فيها الإسلام أشدّ الاحتياط ، فحرّم على الدولة أن تنفق أي شيء منها

في غير صالح المسلمين ، وتطوير اقتصادهم ، ولم يجز بأي حال لرئيس الدولة أن يصطفي لنفسه وذويه أي شيء منها .

وقد دلّتنا على ذلك سيرة رسول الله ﷺ ، فقد جاءت إليه حبيبته ووحيدته سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام تبغي منه أن يمنحها وصيفاً يخدمها ، ويعينها على شؤون بيتها ، فإنّ يديها قد مجلتا من الرحى ، فردّها ﷺ ردّاً حفيّاً ، وعهد إليها بتهليل الله وحمده وتكبيره ، وقد أعطى ﷺ بذلك درساً لمن يتولّى شؤون المسلمين أن يحتاط في أموالهم ، ولا ينفق أي شيء منها في غير صالحهم .

وسار على وفق هذه السياسة النيّرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، ووصيّ رسول الله ﷺ ، وباب مدينة علمه ، فقد قصده أخوه عقيل وقد ألمّت به الحاجة والفقر وهو يحمل معه صبيته وهم شعث الشعور ، غبر الألوان من البؤس ، كأنّما سوّدت وجوههم بالعظلم ـ على حدّ تعبير الإمام عليه السلام ـ فردّه الإمام وعذله ، فلم ينفع معه ، وألحّ عليه بالسؤال ، فكان منطق العدالة الإسلاميّة أنّه أحمى له حديدة وأدناها منه ، فضجّ من ألمها ضجيج ذي دنف ، وكاد أن يحترق من ميسمها ، وانصرف عنه عقيل وهو مروّع حزين .. كلّ ذلك ليري العالم أنّ أموال الخزينة العامّة ملك للمسلمين وليس لزعيم الدولة أن يتصرّف فيها حسب رغباته وأهوائه .

ولمّا وجد أصحاب الإمام عليه السلام أثر المال في استمالة قسم كبير من الناس طلبوا منه أن يغيّر سياسته في توزيع المال ، وأن يخصّ الأشراف والوجوه بقسم منها قائلين : يا أمير المؤمنين ، اعط هذه الأموال ، وفضّل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي ، واشتمل مَن تخاف خلافه من الناس .

فأجابهم الإمام عليه السلام بمنطق العدل والحقّ : « **أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ ! واللهِ لَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ ، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً ! لَوْ كَانَ الْمالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ فِي الْعَطاءِ ، فَكَيْفَ وَإِنَّما الْمالُ مالُ اللهِ !**

أَلَا وَإِنَّ إِعْطاءَ الْمالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ ، وَهُوَ يَرْفَعُ صاحِبَهُ فِي الدُّنْيا

وَيَضَعُهُ فِي الآخِرَةِ ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللهِ »[١].

هذا هو حكم الإسلام في أموال المسلمين فهي لمجموعهم ، ولا يجوز لرئيس الدولة أن يبذخ بها ، أو ينفقها على رغباته وأهوائه ، وتدعيم سلطانه ، وقد خصّ الإسلام صرفها بما يلي :

١ ـ الإنفاق على المحرومين والأيتام والأرامل والعجزة ، فيجب على الدولة أن تخصّص لهم من الميزانية العامّة ما يوفّر لهم العيش الرغيد ، وتغنيهم عمّا في أيدي الناس .

٢ ـ القيام بتسديد النفقة على من يقصر عمله عن إعاشته وإعاشة من يعول به ، فهي مسؤولة بتسديد إعوازهم من بيت المال .

٣ ـ تسديد ديون المغرمين الذين لا يجدون مجالاً لوفاء ديونهم شريطة أن لا يكون قد أنفقوها بغير وجه مشروع .

٤ ـ الإنفاق على من لا يتمكّن من الزواج لقلّة ما في يده .

٥ ـ القيام بالمشاريع العامّة التي توجب التطوّر الاقتصادي والصناعي في البلاد ، وزيادة الدخل الفردي .

٦ ـ القضاء على البطالة ، وتوفير العمل للمواطنين ، وتحسين أحوال معيشتهم ، فقد اعتبر الإسلام الفقر كارثة اجتماعيّة يجب القضاء عليه وإزالة شبحه .

٧ ـ الإنفاق على التعليم ، ومحو الأميّة ، وإشاعة العلم والمعرفة بين الناس ، فإنّه لا يمكن تطوّر الأمّة وبلوغها إلى أهدافها إلّا إذا ساد العلم وانتشرت المعارف في جميع أوساطها .

هذه بعض الأمور التي تعنى بها السياسة الماليّة في الإسلام ، ولكنّ هارون وغيره

---

(١) نهج البلاغة : ٢ : ٧. بحار الأنوار : ٣٢ : ٤٨، الحديث ٣٢.

من ملوك الأمويّين والعبّاسيّين لم يحقّقوا أي شيء من ذلك على مسرح الحياة ، وإنّما قاموا يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع ، فصرفوا أموال المسلمين بسخاء على المجون والدعارة ، وعلى محاربة أهل البيت ﷺ دعاة الحقّ والعدل في الإسلام .

وعلى أي حال ، فإنّ هارون في سياسته الماليّة قد شذّ عمّا أثر عن الإسلام في ذلك ، فقد أمعن في السرف والتبذير هو وأهل بيته ووزرائه وحاشيته بينما تعيش الأمّة في جهد وعناء وضيق .

ميزانيّته العامّة

وأضخم ميزانيّة للدولة الإسلاميّة كانت في عهد هارون ، فقد توفّر له من المال ما لم يتوفّر لأحد من ملوك المسلمين ، فقد روى ابن خلدون أنّ المحمول إلى بيت المال في أيّام الرشيد بلغ ٧٥٠٠ قنطاراً في كلّ سنة[١] .

وقدّر الجهشياري مجموع الواردات بما يقرب من خمسمائة مليون درهم ومائتين وأربعين ألف درهم[٢] .

هذا مع العلم أنّ الدينار في ذلك الوقت كانت له أهميّة بالغة لا تقاس بما نحن عليه اليوم ، فقد كان الكبش يباع بدرهم ، والجمل بأربعة دنانير ، والتمر ستّون رطلاً بدرهم ، والزيت ستّة عشر رطلاً بدرهم ، والسمن ثمانية أرطال بدرهم ، وأُجرة البنّاء الأُستاذ بخمس حبّات .

ومن المعلوم في أيّامهم أنّ الحبّة كانت ثلث الدرهم ، والدانق سدس الدرهم[٣] .

---

(١) المقدّمة : ١١٧ و ١١٨ .

(٢) الوزراء والكتّاب : ٢٨٨ .

(٣) هارون الرشيد / أحمد أمين : ٨٨ .

وعلى هذا ، فميزانيّة دولة هارون السنويّة كانت بحسب سعر الدينار العراقي الحالي « مليارين ومائتين وعشرين مليون ديناراً وتسعمائة وستّين ألف دينار »[١].

وهي ميزانيّة ضخمة لم تستورد مثلها أي حكومة في العالم قبل حكومة الرشيد ، وكانت هذه الواردات الهائلة تجبى ممّا يلي :

أوّلاً : إنّها تجبى من الخراج ، وهو مقدار من المال أو الحاصلات قد فرضت على الأراضي التي كان يملكها المشركون قبل الفتح .

ثانياً : إنّها تجبى من الجزية ، وهي ما يدفعه الذمّيّون إلى الدولة الإسلاميّة لقيامها بحمايتهم ، كما أنّها في نفس الوقت تكون بدلاً من الضرائب التي تؤخذ من المسلمين ، ولم يكن في أخذها أي ضرر على الذمّي ـ كما يقول بذلك أعداء الإسلام ـ فإنّها عوض لما تقوم به الدولة من الخدمات والمصالح الاجتماعيّة لهم ولغيرهم .

وكان ما يدفعه الذمّي من الجزية في عهد الرشيد يختلف بحسب ثرائه ، ويتراوح ما يؤخذ منه ما بين أربعة عشر درهم إلى ثمانية دراهم ، ولا يؤخذ شيء من المرأة والمعدم والطفل[٢].

ثالثاً : إنّها تجبى من الزكاة ، وهي ذات وارد خطير ، وهي تجب فيما يلي :

١ ـ تجب في النقدين الذهب والفضّة ، فنصاب الذهب عشرون ديناراً[٣].

فمن ملكها وجب عليه دفع نصف دينار ، وما زاد عليها يؤخذ من كلّ أربعة قيراطان ونصاب الفضّة مائتا درهم ، وزكاتها خمسة دراهم ، وكلّ ما زاد إذا بلغ الأربعين كان فيه درهم بالغاً ما بلغ ، وذكر فقهاء الإسلام شروطاً في زكاة النقدين

---

(١) هارون الرشيد / جومرد : ٢ : ٣٦٢ .

(٢) الأحكام السلطانيّة : ١٧٥ .

(٣) الدينار يساوي مثقالاً ، وهو يساوي عشرين قيراطاً .

لا تجب الزكاة إلّا مع توفّرها .

٣- تجب في الأنعام الثلاثة الإبل والبقر والغنم بأنواعها من عراب[١] وبخاتي[٢] وبقر وجاموس ومعز وضأن ، ويجب أن تتوفّر فيها الشروط من بلوغ النصاب والسوم وغيرهما حسب ما ذكره الفقهاء .

٤- تجب في الغلات الأربع ، وهي الحنطة والشعير والتمر والزبيب ، ويشترط فيها بلوغ النصاب وغيره من الشروط التي ذكرها الفقهاء .

والزكاة فريضة إسلاميّة تقاتل عليها الدولة ، وتحكم بردّة من لم يدفعها ، وهي ذات وارد ضخم تفي بكثير من شؤون الدولة ، وحاجات الفقراء ، وكان لها ديوان خاصّ في بغداد ، وله فروع في أنحاء البلاد .

هذه بعض واردات الدولة التي أسّسها الإسلام لسدّ شؤونها الاقتصاديّة ، وهي واردات ضخمة لو طبّقتها الدولة الإسلاميّة لما أصابها أي عجز مالي ، وما احتاجت إلى القرض من الدول الأجنبيّة التي جعلتها تحت مناطق نفوذها ، كما أنّ الدولة الإسلاميّة لو أنفقت خزينتها على مصالح المسلمين ، وسارت في سياستها الماليّة على وفق ما أُثر عن الإسلام في ذلك لما انتشر الفقر والحرمان في ربوع المجتمع ، وما غزتهم الأفكار الإلحاديّة والمبادئ الهزيلة التي تهدّد كيانهم ، وتنذرهم بالويل والدمار .

على مَن ينفق بيت المال ؟

إنّ الأموال التي جبيت لخزينة هارون قد ضربت الرقم القياسي في ضخامتها ـ كما ذكرنا ـ ومن المؤسف أنّه لم يصرف الكثير منها على صالح المسلمين ، وإنّما أُنفقت على التفنّن في الملذّات والشهوات ، وتشييد القصور التي كانت تعجّ

---

(١) العراب : النوع الأصيل من الإبل .

(٢) البخاتي : الإبل الخراسانيّة .

بالمغنّيات والماجنين ، كما بذلت للشعراء الذين أوقفوا نشاطهم الفكري على المدح والثناء ، وإضفاء النعوت الكريمة على هارون ، وإلحاقه بمصاف الخلفاء الذين احتاطوا في أمور المسلمين .

وعلى أي حال ، فإنّ هارون قد أنفق الكثير من خزينة بيت المال على ما يلي من شهواته :

الهبات للمغنّين

وأسرف هارون أي إسراف في هباته للمغنّين ، فمنحهم الثراء العريض ، وأغدق عليهم الأموال الطائلة التي كان الواجب أن تصرف على صالح المسلمين لا على ما يفسد الأخلاق ، ويثير الشهوات ، وقد ذكر المؤرّخون بوادر كثيرة من هباته لهم ما لو جمعت لكانت كتاباً ضخماً ، ونذكر بعضها للتدليل على تبديده لثروات الأمّة ، وهي :

١ ـ أنشده أبو العتاهية هذه الأبيات :

بِأَبي مَنْ كانَ في قَلبي لَهُ ... مَـرَّةً حُبٌ قَليلٌ فَسُرِقْ
يا بَني العَبّاسِ فيكُمْ مَلِكٌ ... شُعَبُ الإِحسانِ مِنهُ تَفْتَرِقْ
إِنَّما هارونُ خَيرٌ كُلُّهُ ... ماتَ كُلُّ الشَّرِّ مُذْ يَومَ خُلِقْ

وغنّاه إبراهيم الموصلي بها ، فأعطى كلّ واحد منهما مائة ألف درهم ومائة ثوب[1] .

٢ ـ وحدّث مغنّيه إسحاق الموصلي ، قال : « خرجت مع الرشيد إلى الحيرة فساعة نزل بها دعا بالغداء فتغدّى ، ثمّ نام ، فاغتنمت قائلته ، فذهبت فركبت أدور

---

(١) الأغاني : ٤ : ٧٤ ، ط . دار الكتب المصريّة .

في ظهر الحيرة ، فنظرت إلى بستان فقصدته ، فإذا على بابه شابّ حسن الوجه ، فاستأذنته في الدخول ، فأذن لي ، فدخلت فإذاجنّة من الجنان في أحسن تربة ، وأغزرها ماءاً ، فخرجت فقلت له : لمن هذا البستان ؟

فقال لبعض الأشاعثة .

فقلت أيباع ؟

فقال : نعم ، وهو على سوم .

فقلت : كم بلغ ؟

فقال أربعة عشر ألف دينار .

قلت : وما يسمّى هذا الموضع ؟

قال : شماري .

فقلت :

جِنانُ شماری لَيسَ مِثلَكِ مَنظَرٌ ... لَدى رَمِدٍ أَعْيا عَلَيهِ طَبيبُ
تُرابُكِ كافورٌ وَنورُكِ زُهرَةٌ ... لَها أَرَجٌ بَعدَ الهُدوءِ يَطيبُ

ولمّا جلس الرشيد ، وأمر بالغناء غنّيته إيّاه ، فقال : ويلك ! وأين شماری ؟ فأخبرته القصّة ، فأمر لي بأربعة عشر ألف دينار فاشتريتها »[١].

٣ـ غنّاه يحيى المكّي فأطربه ، فقال هارون : قم يا يحيى فخذ ما في ذلك البيت ، فظنّ يحيى أنّ فيه فرشاً وثياباً ، فإذا فيه أكياس فيها عين وورق ، فحملت بين يديه فكانت خمسين ألف درهم مع قيمة العين[٢].

٤ـ غنّاه يحيى بهذا البيت :

---

(١) الأغاني : ٥ : ١٧٤ و ١٧٥ .

(٢) الأغاني : ٦ : ١٨٧ .

مَتىٰ تَلتَقي الآلافُ وَالعِيسُ كُلُّها   تَصَعَّدنَ مِنْ وادٍ هَبَطْنَ إلىٰ وادِ

وأخذ هارون يتناول أقداح المسكر إلى أن أمسى، وأمر له بعشرة آلاف درهم[١].

٥ ـ غضب الرشيد على إبراهيم الموصلي فحبسه، وجلس يوماً فتذكّر حسن غنائه، فقال: لو كان الموصلي حاضراً لتمّ أمرنا وسرورنا.

فقال له بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين، نجيء به، فما له كبير ذنب فبعث خلفه، ولمّا مثل بين يديه أمره بالغناء، فغنّاه بهذا البيت:

تَضَوَّعُ مِسْكاً بَطْنُ نُعمانَ إنْ مَشَتْ   بِهِ زَينَبٌ في نِسْوَةٍ خَفِراتِ

فاهتزّ الرشيد وأمر بأن تحلّ عنه القيود، ويغطى بالخلع، وأمر له بثلاثين ألف درهم[٢].

٦ ـ غنّاه إبراهيم الموصلي صوتاً من مختارات صوته، فطرب طرباً ما عليه من مزيد، واستعاده عامّة ليلته، وقال: ما رأيت صوتاً يجمع السخاء والطرب وجودة الصنعة مثل هذا الصوت؟

فقال له إبراهيم: لو وهب لك إنسان مائتي ألف درهم أكنت أسرّ بها أو بهذا الصوت؟

فقال الرشيد: والله لأنا أسرّ بهذا الصوت منّي بألفي ألف.

قال إبراهيم: لِمَ لا تهب لي مائتي ألف؟

فأمر له الرشيد بالوقت بمائتي ألف درهم[٣].

٧ ـ غنّاه دحمان الأشقر بهذه الأبيات:

---

(١) الأغاني: ٦: ١٨٥.

(٢) الأغاني: ٦: ٢٠٥.

(٣) التاج: ٤١.

إذا نَــحنُ أولَــجْنا وَأَنتَ أمــامَنا كَــفىٰ لِـمَطايانا بِـرُؤياكَ هـادِيا

ذكــرتك بــالدير يَــوماً فَـأَشرَقَتْ بَناتُ الهَـوىٰ حَـتّىٰ بَـلَغْنَ التَّـراقِـيا

إذا مــا طَـواكِ الدَّهـرُ يـا أُمَّ مـالِكٍ فَشَــأْنُ المَـنايا القـاضِياتِ وَشـأنِيا

فطرب واستعاد الصوت منه مرّات ، ثمّ قال له : تمنّ عليّ .

قال دحمان : أتمنّى أن تهبني الهنيء والمريء ، وهما قريتان غلّتهما أربعون ألف دينار ، فأعطاه إيّاهما ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، إنّ هاتين الضيعتين من جلالتهما يجب أن لا يسمح بمثلهما .

قال : لا سبيل لاسترداد ما أعطيت ، ولكن احتالوا في شرائهما منه ، فاشتروهما بثمن كثير[1] .

٨ـ وجلس ليلة يتسامر مع ندمائه ، فغنّاه أحدهم بقول جرير :

إنَّ الّذينَ غَـدوا بِـلُبِّكَ غـادَروا وَشَــلاً بِــعَينِكَ لَا يَـزالُ مُـعينا

فطرب وأعجب بالأبيات ، وقال لجلسائه : من أجاز منكم هذه الأبيات بمثلها فله عندي هذه البدرة ، فحاولوا ذلك فلم يصنعوا شيئاً ، فقال له خادم على رأسه : أنا بها لك يا أمير المؤمنين .

قال له : شأنك ، فذهب إلى (الناطفي) وأخبره بالقصّة ، فـدخل عـلى (عـنان) فأجازته :

هَيَّجتَ بِالقَولِ الّذي قَدْ قُلتَهُ داءاً بِـقَلْبي مـا يَـزالُ كَـمينا

قَدْ أَيْنَعَتْ ثَمراتُهُ في طَـيِّها وَسُقِينَ مِنْ ماءِ الهَوىٰ فَرَوِينا

كَذِبَ الّذين تَقوَّلوا يا سَيِّدي إنَّ القُلوبَ إذا هَوِينَ هَـوِينا

---

(١) تاريخ الخلفاء : ١١٦ .

وجاء بها إلى الرشيد ، فسأله عمّن قالها ، فأخبره بالأمر ، فاشترى الجارية بثلاثين ألف درهم ، ولم يبقها عنده سوى بضعة أيّام ثمّ وهبها لأحد خاصّته[١].

هذه بعض البوادر التي ذكرها المؤرّخون عن صلات هارون ومنحه للمغنّين الذين كانوا يمثّلون العبث والمجون في عصرهم ، وهي تخالف ما أُثر عن الإسلام من حرمة الانفاق على جميع الوسائل التي حرّمها الله ، كما أنّها تجافي الاقتصاد الإسلامي الذي ألزم ولاة المسلمين وحكّامهم بإنفاق بيت المال في صالح المسلمين ، وتطوّرهم الاقتصادي والعلمي ، وتأسيس المشاريع الحيويّة التي توجب ازدهار البلاد .

إنّ هذا الإسراف الفاحش كان تبديداً لثروات الأُمّة ، وشللاً لحركتها الاقتصاديّة ، وهو ممّا حرّمه الإسلام .

ومن بذخه وإسرافه بأموال المسلمين ما رواه أبو الفرج ، قال : « أُهديت إلى الرشيد جارية في غاية الجمال والكمال ، فخلا معها يوماً وأخرج كلّ قينة في داره ، واصطبح فكان جميع من حضره من جواريه المغنّيات والخدمةفي الشراب زهاء ألفي جارية في أحسن زي من كلّ نوع من أنواع الثياب والجوهر ، واتّصل الخبر بأمّ جعفر فغلظ عليها ذلك ، فأرسلت إلى عليّة تشكو إليها ، فأرسلت إليها عليّة : لا يهولنك هذا ، فوالله لأردّنه إليك ، قد عزمت أن أصنع شعراً ، وأصوغ فيه لحناً ، وأطرحه على جواريي ، فلا تبقى عندك جارية إلّا بعثت بها إليّ ، وألبسيهنّ ألوان الثياب ليأخذن الصوت مع جواريي .

ففعلت أُمّ جعفر ما أمرتها به عليّة ، فلمّا جاء وقت صلاة العصر لم يشعر الرشيد إلّا وعليّة قد خرجت من حجرتها ، وأُمّ جعفر من حجرتها معها زهاء ألفي جارية من جواريها وسائر جواري القصر عليهنّ غرائب اللباس ، وكلّهنّ في لحن واحد هزج

---

(١) العقد الفريد : ٧: ٣٠ ، ٥٢ و ٥٣.

صنعته عليّة، وهو:

مُـنفَصِلٌ عَنّي وَما قَـلبِيَ عَنهُ مُنْفَصِلْ
يا قاطِعي اليَومَ لِمَنْ نَوَيتَ بَعْدي أنْ تَصِلْ

فطرب الرشيد وقام على رجليه حتّى استقبل أُمّ جعفر وعليّة وهو على غاية السرور، وقال: لم أرَ كاليوم قطّ. يا مسرور لا تبقين في بيت المال درهماً إلّا نثرته، فكان مبلغ ما نثره يومئذٍ ستّة آلاف ألف درهم، وما سمع بمثل ذلك اليوم قطّ»[1].

إنّ هذا هو الاستهتار الفاحش بأموال المسلمين، والخروج على إرادة الإسلام وأحكامه التي حرّمت ذلك.

هباته للشعراء

وأسرف هارون في الإنفاق على الشعراء، فبذل لهم بسخاء الأموال الوفيرة، ومنحهم الثراء العريض لأنّهم قد بالغوا في الثناء عليه، فأفاضوا عليه صفات المتّقين، وحماية الدين والحفاظ عليه، وأنّه ظلّ الله في أرضه لا تقبل الأعمال عند الله إلّا برضاه وطاعته، فإذا سخط هارون على أحد فلا تنفعه صلاته وعبادته، وجاء هذا المعنى صريحاً فيما نظمه منصور النمري بقوله:

أيُّ امْرِئٍ باتَ مِنْ هارونَ في سَخَطٍ فَلَيسَ بِالصَّلواتِ الخَمسِ يَنْتَفِعُ
إنَّ المَكارِمَ وَالمَعروفَ أوديَةٌ أحَلَّكَ اللهُ مِنْها حَيثُ تَتَّسِعُ
إذا رَفَعتَ امْرَءاً فَاللهُ يَرفَعُهُ وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الأقْوامِ مُتَّضِعُ

وقد اتّخذ هارون هؤلاء الشعراء بوقاً للدعاية والتهريج، فأشاعوا بين الناس فيما ينظمونه أنّ هارون حامي الإسلام، وممثّل العدالة الإسلاميّة في الأرض، وأنّه قد

---

(١) الأغاني: ١٠: ١٧٢ و ١٧٣.

بسط الحقّ في جميع أنحاء البلاد .

ومن هؤلاء الذين نعتوه بالعدالة وحماية الدين داود بن رزين بقوله :

بِـهارونَ لاحَ النّـورُ فـي كُـلِّ بَـلدَةٍ وَقامَ بـها فـي عَـدلِ سِـيرَتِهِ النَّـهْجُ
إمـامٌ بِـذاتِ اللهِ أَصْـبَحَ شُـغلُهُ وَأكثرُ ما يُـعنى بِـهِ الغَـزْوُ وَالْـحَجُّ
تَضيقُ عُيونُ النّاسِ عَنْ نورِ وَجـهِهِ إذا ما بَـدا لِلـنّاسِ مَـنظَرُهُ البَـلْجُ[١]

ومدحه بعض الأمويّين بقصيدة جاء فيها :

يـا أمـينَ اللهِ إنّـي قـائِلٌ قَولَ ذي لُبٍّ وَصِدقٍ وَحَسَبْ
لَكُـمُ الفَـضلُ عَـلَينا وَلَـنا بِكُمُ الفَضلُ عَلىٰ كُلِّ العَـرَبْ
عَبدُ شَمْسٍ كانَ يَتْلو هـاشِماً وَهُـما بَـعدُ لأُمٍّ وَلأَبْ
فَـصِلِ الأَرْحـامَ مِـنّا إنّـما عَبدُ شَمْسٍ عَمُّ عَبدِالمُـطَّلِبْ

فأمر له بكلّ بيت ألف دينار ، وقال : لو زدتنا لزدناك[٢] .

وقد غالى الشعراء في مدحه ، وأطنبوا في الثناء عليه ، وبالغ هو في إكرامهم والإنعام عليهم حتّى أغناهم .

ومن جملة صلاته لهم ما رواه الطبري ، قال : « دخل سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي على الرشيد في مجلس شعره ، والشعراء يلقون أمامه قصائدهم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، بالباب أعرابي من باهلة ، ما رأيت قطّ أشعر منه ، فأذن للأعرابي ، فدخل وعليه جبّة خزّ ورداء يماني ، وقد شدّ وسطه ثمّ ثناه على عاتقه ، وعمامة قد عصبها على خدّيه ، وأرخى لها عذبة وأنشده من غرر الشعر الجيّد في مدحه ، وكان في مجلسه الكسائي وابن سلم والفضل بن الربيع ، فلمّا انتهى قال الرشيد :

---

(١) العقد الفريد : ٣ : ٢٥٨ . تاريخ الخلفاء : ٢٧٣ .

(٢) مروج الذهب : ٣ : ٣٨٢ .

اسمعك مستحسناً ، وأنكرك متّهماً عليك ، فإن كان هذا الشعر أنت قلته من نفسك فقل لنا بيتين في هذين ، وأشار إلى الأمين والمأمون وكانا حاضرين ، فقال :

هُما طَنَباها بارَكَ اللهُ فيهِما ... وَأنتَ أميرَ المُؤمِنينَ عَمودُها

بُنِيَتْ بِعَبدِ اللهِ بَعدَ مُحَمَّدٍ ... ذُرىٰ قُبَّةِ الإِسْلامِ فَاهْتَزَّ عودُها

فأعطاه الرشيد مائة ألف درهم(١).

ودخل عليه أشجع السلمي وكان ثقيلاً عليه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن رأيت أن تأذن لي في إنشادك فإنّي إن لم أظفر منك ببغيتي في هذا اليوم فلن أظفر بها .

قال له الرشيد : وكيف ذاك ؟

قال أشجع : لأنّي مدحتك بشعر لا أطمع من نفسي ولا من غيري في أجود منه ، فإن أنا لم أهزّك في هذا اليوم فقد حرمت منك ذلك إلى آخر الدهر .

فقال الرشيد : هات إذن نسمع ، فأنشده قصيدته إلى أن بلغ إلى قوله :

وَعَلىٰ عَدُوِّكَ يابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ ... رَصَدانِ ضَوءُ الصُّبْحِ وَالإِظْلامُ

فَـإِذا تَـنَبَّهَ رُعْـتَهُ وَإِذا هَـدىٰ ... سَلَّتْ عَلَيهِ سُيوفَكَ الأَحْلامُ

فقال الرشيد : هذا والله المدح الجيّد والمعنى الصحيح ، لا ما علّلت به مسامعي هذا اليوم ـ وكان قد أنشده في ذلك اليوم جماعة من الشعراء ـ ثمّ أنشده قصيدته التي يقول فيها :

مَلِكٌ أَبوهُ وَأُمُّهُ مِنْ نَبْعَةٍ ... مِنْها سِراجُ الأُمَّةِ الوَهّاجُ

شَرِبا بِمَكَّةَ في ذُرا بَطْحائِها ... ماءَ النُّبُوَّةِ لَيسَ فيهِ مِزاجُ

فلمّا سمع هذين البيتين كاد يطير فرحاً ، ثمّ قال له : يا أشجع ، لقد دخلت إليَّ

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ٥٤٣ .

وأنت أثقل الناس على قلبي ، وإنّك لتخرج من عندي وأنت أحبّ الناس إليّ .

فقال أشجع : ما الذي أكسبتني هذه المنزلة ؟

قال الرشيد : الغنى ، فاسأل ما بدا لك .

قال : ألف ألف درهم .

قال : ادفعوا إليه[١] .

ويقول الأصفهاني : « إنّ مجموع ما أخذ إبراهيم الموصلي من الرشيد كان أكثر من مائتي ألف دينار »[٢] .

وقد حفلت كتب التاريخ بعطائه الوفير للشعراء ونوادر قصصهم معه ، ونحن لا نشكّ في أنّ السخاء من أطيب الصفات وأرفعها ، ولكن إذا كانت الأموال التي ينفقها الشخص من أمواله الخاصّة ، وأمّا بذل أموال المسلمين والإسراف في عطائها ، فإنّ ذلك خيانة لله وللمسلمين .

الإسراف في الموائد

وأسرف هارون إسرافاً كثيراً على موائد الطعام ، فكان ينفق في كلّ يوم عشرة آلاف درهم ، وربّما اتّخذ له الطبّاخون ثلاثين لوناً من الطعام[٣] .

وحدّث الأصمعي ، قال : « دخلت على الرشيد يوماً وهو يأكل (الفالوذج) فقال : إيه يا أصمعي ، ماذا قال العرب في هذا ؟

قلت : يا أمير المؤمنين ، وأين للعرب فالوذج ؟ ولكن شيئاً يشبه هذا ، قال فيه مُزرّد أخو الشماخ :

---

(١) طبقات الشعراء : ٢٥٢.

(٢) الأغاني : ٥ : ٢٠.

(٣) المستطرف : ٣٤١.

وَلَـمّا مَـضَتْ أُمّـي تَـزورُ عِـيالَها أغَرْتُ عَلى العِكْمِ الّذي كانَ يُمْنَعُ
خَلَطتُ بِصاعَيْ حِنطَةٍ صاعَ عَجْوَةٍ إلىٰ صـاعِ سَـمْنٍ فَـوْقَهُ يَـتَرَيَّعُ
وَدَبَّـلْتُ أمْـثال الأثـافي كَـأنَّها رُؤوسُ رِخـالٍ قُـطِّعَتْ لا تُـجَمَّعُ
فَـإنْ كُـنْتَ مَـصْفوراً فَـهٰذا دَواؤُهُ وَإنْ كُـنْتَ غَـرْثاناً فَـذا يَـومَ تَشْـبَعُ

فضحك هارون ودفع إليه الصحن الذي كان بين يديه »[1].

ودعا يوماً طبّاخه فلمّا مثل بين يديه قال له : أعندك من الطعام لحم جزور ؟

قال : نعم ، ألوان منه .

قال الرشيد : احضره مع الطعام .

فأحضرت المائدة فأخذ الرشيد شيئاً من لحم الجزور فضحك جعفر البرمكي ، فقال له هارون : ممّ تضحك ؟

قال جعفر : لا شيء يا أمير المؤمنين ، تذكّرت كلاماً بيني وبين جاريتي البارحة .

فقال له الرشيد : بحقّي عليك لما أخبرتني به .

قال جعفر : حتّى تأكل هذه اللقمة ، فألقاها الرشيد من فيه .

فقال له جعفر : بكم يتقوّم عليك هذا الطعام من لحم الجزور ؟

قال الرشيد : بثلاثة دراهم .

قال جعفر : لا والله ، يا أمير المؤمنين ، بل بأربعمائة ألف درهم .

قال الرشيد : وكيف ذلك يا جعفر ؟

قال جعفر : إنّك طلبت من طبّاخك لحم جزور قبل اليوم بمدّة طويلة فلم يوجد عنده ، فقلت له : لا يخلونّ المطبخ من لحم الجزور ، فصرنا ننحر كلّ يوم جزوراً لأجل مطبخك لأنّا لا نشتري من السوق لحم جزور ، فصرف من لحم الجزور

---

(١) العقد الفريد : ٨ : ١٢ .

من ذلك اليوم إلى هذا اليوم أربعمائة ألف درهم ، ولم يطلب أمير المؤمنين لحم الجزور إلّا هذا اليوم ، فضحكت لأنّ أمير المؤمنين لم ينله من كلّ ذلك غير هذه اللقمة فحسب ، فهي على أمير المؤمنين بأربعمائة ألف درهم[١].

وقدّمت له مائدة كانت فيها قطع صغيرة من السمك وضعت في أوان من الذهب ، فاستدعى رئيس الطبّاخين ، فلمّا مثل بين يديه قال له : ألم أعهد إليك أن لا تكون قطع السمك صغيرة ؟

فقال له : يا أمير المؤمنين ، هذه السنة السمك وضعتها لتكون زينة للمائدة .

فسأله عن ثمنها ، فقال : إنّها كلّفت أربعة آلاف درهم ، وكانت أطيب الفواكه تحمل إليه من الأقاليم الإسلاميّة ، وقد أسرف العبّاسيّون من بعده في الطعام حتّى كانوا يطلبون ألوان اللحوم والطيور من الأماكن النائية ، وينفقون على جلبها الأموال الطائلة[٢].

إنّ كلّ ذلك يعتبر خروجاً عن نظام الإسلام وقواعده التي ألزمت رئيس الدولة بالاقتصاد وعدم الاسراف في أموال المسلمين .

الإسراف في الجواري

كان هارون مولعاً بالجواري ، حريصاً كلّ الحرص على الاستمتاع والتلذّذ بهنّ ، حتّى أفرط في ذلك ، وخرج عن جادّة العدل والشرع ، وقد روى المؤرّخون كثيراً من نهمه في ذلك ، فقد رووا قصّته مع (غادر) جارية أخيه الهادي ، وقد حدّث بها جعفر بن قدامة[٣] ، قال : «كانت غادر من أحسن الناس وجهاً وغناءاً ، وكان الهادي

---

(١) البداية والنهاية : ١٠ : ٢٦.

(٢) ثمار القلوب : ٤٢٨.

(٣) **جعفر بن قدامة :**

⇦

يحبّها حبّاً شديداً، فبينما هي تغنّيه يوماً إذ عرضت له فكرة فسأله من حضر من خواصّه عن ذلك.

فقال: قد وقع في فكري أنّي أموت وأنّ أخي هارون يتزوّج جاريتي بعد أن يلي الخلافة.

فقيل له: نعيذك بالله، ويقدم الكلّ قبلك، فأمر بإحضار هارون وعرّفه ما خطر له، فأجابه بما يجب من ذلك.

فقال: لا أرضى حتّى تحلف أنّي متى متّ لا تتزوّجها، فحلف واستوفى عليه الأيمان من الحجّ راجلاً، وطلاق الزوجات وعتق المماليك، وتسبيل ما يملكه، ثمّ أحلفها بمثل ذلك فحلفت.

فلم يمض على ذلك إلّا شهر فمات الهادي وبويع الرشيد، فبعث إلى غادر وخطبها، فقالت: كيف تصنع بالأيمان؟

فقال: أُكفّر عن الكلّ وأحجّ راجلاً، فأجابت وتزوّجها وزاد شغفه بها حتّى إنّه صار يضع رأسها في حجره، فتنام فلا يتحرّك حتّى تنتبه، فبينما هي نائمة ذات يوم إذ انتبهت فزعة تبكي، فسألها عن حالها، فقالت: رأيت أخاك الساعة في النوم وهو يقول لي:

أَخلَفْتِ وَعْدي بَعدَما ... جاوَرْتُ سُكّانَ المَقابِرْ
وَنَسِيتِني وَحَنَفْتِ في ... أَيْمانِكِ الكَذِبِ الفَواجِرْ
وَنَكَحْتِ غادِرَةَ أَخي ... صَدَقَ الّذي سَمّاكِ غادِرْ

⇦ قال فيه الخطيب البغدادي: «أحد مشايخ الكتّاب وعلمائهم، وافر الأدب، حسن المعرفة، وله مصنّفات في صنعة الكتابة وغيرها». تاريخ بغداد: ٧: ٢٠٧.
توفّي سنة ٣١٩ كما في معجم الأدباء.

أَمْسَـــيتُ فـــي أَهـــلِ البِـــلا وَغَدَوتِ في الحورِ العَوائِـرْ[١]
لا يُـهنِئكِ الإِلْـفُ الجَديدُ وَلا تَـــدُرْ عَـــنكِ الدَّوائِـــرْ
وَلَـــحِقتِ بـــي قَـــبلَ الصَّـــبا حِ وَصِرتِ حَيثُ غَدَوْتُ صائِرْ

والله يا أمير المؤمنين ، وكأنّي أسمعها ، وكأنّما كتبتها في قلبي ، فما نسيت منها كلمة .

فقال لها الرشيد : أضغاث أحلام .

فقالت : كلا ، ثمّ لا تزال تضطرب وترتعد حتّى ماتت بين يديه[٢] .

ودلّت هذه البادرة على مدى شرهه ومخالفته للشرع الإسلامي بحنثه الأيمان التي أعطاها لأخيه على عدم زواجه بها ، كما خالف الشرع بزواجه بها وهي في عدّتها ، وقد حرّم الإسلام ذلك ، وحكم بحرمة المرأة مؤبّداً على الزوج .

وبلغ من ولعه بالجواري أنّه هجر جاريته (ماردة) وندم على ذلك حتّى كاد أن يموت من شغفه بها فتكبر أن يبدأها بالصلح وتكبّرت هي أيضاً ، فصبرا على مضض ، وكاد أن يتلف ، ففهم ذلك وزيره الفضل بن الربيع فدعا العبّاس بن الأحنف وعرّفه الأمر ، وقال : قل في ذلك شيئاً .

فقال :

العـــاشِقانِ كِـــلاهُما مُـــتَجَنِّبُ وَكِـــلاهُما مُـــتَعَتِّبٌ مُتَغَضِّبُ
صَدَّتْ مُهاجِرَةً وَصَدَّ مُـهاجِراً وَكِلاهُما مِمّا يُعالِجُ مُتْعَبُ
إِنَّ التَّجارِبَ إِنْ تَطاوَلَ مِـنْهُما دَبَّ السُّـلُوُّ لَـهُ فَـعَزَّ المَـطْلَبُ

فبعث إليه الفضل بالأبيات فسرّ بها سروراً بالغاً ، ولم يتمّ الرشيد قراءتها حتّى

---

(١) العوائر : جمع عائرة من عارت وتعير أي ذهبت وجاءت .

(٢) نساء الخلفاء : ٤٦ . البداية والنهاية : ١٠ : ٧٦ .

قال العبّاس أيضاً بيتين في ذلك، وهما:

لَابُدَّ لِلعاشِقِ مِنْ وَقْفَةٍ تَكونُ بَينَ الوَصْلِ وَالصَّرمِ
حَتّى إذا الهَجْرُ تَمادىٰ بِهِ راجَعَ مَنْ يَهْوىٰ عَلى الرَّغْمِ

فاستحسن الرشيد ذلك، وقال: لأصالحنّها، ثمّ انطلق إليها فصالحها وعرفت ماردة السبب من الشعر ولم تدر من قاله، فأرسلت إلى الفضل تسأله عنه فأعلمها، فأمرت له بألف دينار، وأمر له الرشيد بألفي دينار[1].

وتعلّق هواه بجارية فأمر وزيره يحيى أن يدفع ثمنها، وكان مائة ألف دينار، فاستكثر يحيى المال، واعتذر عن دفعه، فغضب الرشيد، فأراد يحيى أن يبيّن له مقدار ما يتحمّله بيت المال من هذا الإسراف الذي لا مصلحة فيه ولا منفعة للدولة، فجعل ذلك المال دراهم، فبلغت نحو مليون ونصف مليون درهم، فوضعها في الرواق الذي يمرّ به الرشيد إذا أراد الوضوء، فلمّا رأى ذلك الرشيد استكثره وأدرك إسرافه، ولكنّه في نفس الوقت شعر بالجرأة عليه[2].

وكان يهب الأموال الجزيلة لجواريه، ويجزل لهنّ في العطاء، فقد روى المؤرّخون أنّه أوفد الحرشي إلى ناحية الموصل، فجبى له منها مالاً عظيماً من بقايا الخراج، فوافاه به، فأمر بصرفه أجمع إلى بعض جواريه، فاستعظم الناس ذلك، وتحدّثوا به، وأصاب أبو العتاهية من ذلك شبه الجنون، فقال له خالد بن أبي الأزهر: ما لك يا أبا العتاهية؟

- سبحان الله! أيدفع هذا المال الجليل إلى امرأة!![3]

---

(١) طبقات الشعراء / ابن المعتزّ: ٣٥٦ و ٣٥٧.
(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٣: ٢٣٢.
(٣) الأغاني: ٤: ٦٧.

إنّ هذه الهبات الضخمة إلى جواريه قد أثارت عليه سخط الأخيار ونقمة المتحرّجين في دينهم ، فقد خالف بها عمّا ألزم به الإسلام من الاحتياط الشديد في أموال المسلمين ، وحرمة صرفها في غير صالحهم .

وعلى أي حال ، فقد كان شغوفاً بالجواري ، وهام بهنّ ، وكان لا يتحرّج في سبيل شهواته الجنسيّة من الإقدام على ما حرّمه الله ، فقد شغف بجارية لأبيه المهدي كان قد دخل بها ، فامتنعت عليه ، وقالت له : لا أصلح لك ، إنّ أباك قد طاف بي .

وزاد غرامه بها ، فأرسل خلف الفقيه أبي يوسف فقال له : أعندك شيء في هذا ؟

فأفتى أبو يوسف بما خالف كتاب الله وسنّة نبيّه قائلاً : يا أمير المؤمنين ، أوَ كلّما ادّعت أمة شيئاً ينبغي أن تصدّق ، لا تصدّقها فإنّها ليست بمأمونة .

وقد أفتى أبو يوسف بما يوافق هوى هارون ، وأعرض عمّا حكم به الإسلام من تصديق النساء على فروجهنّ ، وقد علّق ابن المبارك على هذه البادرة بقوله : « لم أدر ممّن أعجب : من هذا الذي قد وضع يده في دماء المسلمين وأموالهم يتحرّج عن حرمة أبيه ، أو من هذه الأمة التي رغبت بنفسها عن أمير المؤمنين ، أو من هذا فقيه الأرض وقاضيها ! قال اهتك حرمة أبيك ، واقض شهوتك ، وصيّره في رقبتي »[(١)].

وهناك فتاوى كثيرة أفتى بها أبو يوسف على وفق رغبات هارون ، وهي تخالف ما أثر عن الإسلام ، وكان الرشيد يجزل له العطاء على ذلك ، فقد أفتاه بما يتّفق مع ميوله ، فأمر له بمائة ألف درهم[(٢)].

وعلى أي حال ، فإنّ الرشيد قد أسرف في الجواري ، وكانت له جارية تدعى هيلانة ، أقامت معه ثلاث سنين ثمّ ماتت ، فوجد عليها وجداً شديداً ، ثمّ قال يرثيها :

---

(١) و (٢) تاريخ الخلفاء : ٢٩١ .

قَدْ قُلْتُ لَمّا ضَمَّنوكِ الثَّرىٰ وَجالَتْ الحَسْرَةُ في صَدْري

اذْهَبْ فَلا وَاللهِ ما سَرَّني بَعدَكِ شَيْءٌ آخِرَ الدَّهْرِ

ورثاها العبّاس بن الأحنف بأربعين بيتاً ، فأمر له الرشيد بأربعين ألف درهم[1].

ونظراً لولعه الشديد بالجواري فقد بالغ في اقتنائهنّ حتّى بلغ عددهنّ ألفي جارية على اختلاف أجناسهنّ ، منهنّ الروميّات والسنديّات والفارسيّات[2].

وقد اشترى جارية من الموصلي بستّة وثلاثين ألف دينار[3].

وتحدّث أهل بغداد عن جارية تسمّى (خنث) وتلقّب بذات الخال ، افتتن بها الشعراء والمغنّون ، فاشتراها بسبعين ألف دينار ، وأدخلها في قصره[4].

وكان لا يترك جارية حسناء تعرض للبيع إلّا اشتراها ، ولم يحتو قصره على جارية قيمتها أقلّ من عشرات الآلاف من الدراهم أو الدنانير[5].

وهذه الجواري تحتاج إلى النفقات الكثيرة من الحليّ والألبسة والزينة ، ومن المعلوم أنّ تلك النفقات الضخمة لم تكن من أمواله الخاصّة ، فقد كانت من بيت مال المسلمين الذي حرّم الإسلام إنفاق أي شيء منه على مثل هذه الأُمور.

ولعه بالجواهر

وشغف هارون بالجواهر والأحجار الثمينة شغفاً كبيراً ، فبذل الأموال الطائلة

---

(١) نساء الخلفاء : ٥٤ و ٥٥.

(٢) هارون الرشيد : ٨٥.

(٣) الأغاني : ٥ : ٧.

(٤) الأغاني : ١٥ : ٨٥.

(٥) هارون الرشيد : ١ : ٢٦٤.

لشرائها ، فاشترى خاتماً بمائة ألف دينار[١].

وكان عنده قضيب زمرد أطول من ذراع ، وعلى رأسه تمثال طائر من ياقوت أحمر لا تقدير لثمنه نظراً لنفاسته ، وقد قوم الطائر وحده بمائة ألف دينار[٢].

ومن ولعه بها أنّه بعث الجوهري جدّ الكندي إلى صاحب سرنديب لابتياع جواهر من ناحيته[٣].

وكان ينثر الجواهر على جواريه بغير حساب ، وكانت من جملة حظاياه جارية لم ترزق امرأة من الجمال مثل ما رزقته . وكان إذا أتحفهنّ بشيء ردّت حصّتها ، فكان يغتاظ من ذلك ، فاتّفق يوماً أنّه نثر عليهنّ جواهر لها قيم عظام ، فالتقطنها ، ولم تمدّ تلك الجارية إليها يداً ، ثمّ أحضر جواهر غيرها وخيّرهنّ ، فاخترن ، وقال لتلك : لِمَ لا تختارين أُسوة بصويحباتك ؟

قالت : إن كان لي ما اختاره ، فسأفعل ، وأخذت بيده ، وقالت له : هذا اختياري من جميع جواهر العالم ، فأُعجب بها وسمّاها خالصة[٤].

وذكر البيهقي أنّه اشتري للرشيد جواهر بمائتي ألف دينار ، فوهبه لدنانير البرمكيّة[٥].

واقتدى به أبناؤه في اقتناء الجواهر وهبتها لمن يخلصون له ، فالمأمون أعطى زوجه (بوران) ليلة زفافها ألف حصاة من الياقوت ، وبسط لها فراشاً كان الحصير منه منسوجاً بالذهب ، مكلّلاً بالدرّ والياقوت ، فكان بياض الدرّ يشرق على

---

(١) الكامل في التاريخ : ٦ : ٤٤ .

(٢) مطالع البدور : ٢ : ١٣٨ .

(٣) و (٤) بين الخلفاء والخلعاء : ٥٤ .

(٥) المحاسن والمساوئ : ٥٤٤ .

صفرة الذهب[١].

وكان الأمين يشرب بأقداح من بلّور كلّلت جوانبها بالجوهر الثمين[٢].

وقوّم الجوهر الذي سلم من النهب عندما قتل المأمون أخاه الأمين بألف ألف ومائة ألف وستّة عشر ألف درهم[٣].

هذا بالإضافة إلى ما يوجد عند الحاشية والجواري من تلك الأحجار الثمينة، وقد اشتريت بالأموال الطائلة التي نهبت من بيت المال، إذ لا سائل ولا محاسب لهم عن تبذيرها وصرفها في غير وجهها المشروع.

إسراف زبيدة

وحشدت الأميرة زبيدة الأموال الطائلة لنفسها، وأطلقت العنان لملاذّها في صرف أموال المسلمين والبذخ بها، فقد اشترت غلاماً لعبدالله بن موسى الهادي ضرّاباً على العود مجيداً بثلاثمائة ألف درهم[٤].

وأمرت أن يتّخذ لوصائفها من الدرّ المثقوب بالتصليب، ثمّ ازداد شغفها بالدرّ حتّى إنّها اتّخذت الخفاف المرصّعة بالجوهر تلبسها في قصرها[٥].

واتّخذت سبحة من يواقيت رمّانيّة كالبنادق اشترتها بخمسين ألف دينار[٦].

وأرسلت يوماً خلف زوجها الرشيد تريد أن تراه، فلمّا جاء إليها غنّى لهما ابن

---

(١) بين الخلفاء والخلعاء: ٥٧، نقلاً عن عيون التواريخ.

(٢) المحاسن والمساوئ: ٣٦٢.

(٣) مطالع البدور: ٢: ١٣٨.

(٤) سيّدات البلاط العبّاسي: ٤٨.

(٥) بين الخلفاء والخلعاء: ٥٥.

(٦) المصدر المتقدّم: ٥٤.

جامع المغنّي من وراء ستار فقال :

مَا رَعَدَتْ رَعْدَةٌ وَلَا بَرَقَتْ   لكِنَّها أنشَأَتْ لَنا خَلَقَه

الْماءُ يَجْري عَلىٰ نِظامٍ لَهُ   لَوْ يَجِدُ الماءُ مَخْرَقاً خَرَقَه

بِتْنا وَباتَتْ عَلىٰ نَمارِقِها   حَتّىٰ بَدا الصُّبحُ عَينُهُ أرِقَه

فأمرت زبيدة خادمها أن يدفع لابن جامع عن كلّ بيت مائة ألف درهم .

فقال الرشيد : غلبتنا بنت أبي الفضل ، وسبقتنا إلى كرم ضيفنا وجليسنا ، ثمّ بعث لها مقابل ما أعطت بعدد دراهمها دنانير[1] .

ودخل أشجع بن عمرو السلمي على محمّد الأمين ، وقد أجلس للتعليم ، وكان عمره أربع سنين ، فقال فيه أشجع :

مَلِكٌ أبوهُ وَأُمُّهُ مِنْ نَبْعَةٍ   مِنْها سِراجُ الأُمَّةِ الوَهّاجُ

شَرِبا بِمَكَّةَ في ذُرا بَطْحائِها   ماءَ النُّبُوَّةِ لَيسَ فيهِ مِزاجُ

فأمرت له زبيدة بمائة ألف درهم .

إنّ هذه الأموال التي وهبت لهذا الشاعر وغيره تمثّل جانباً من الإسراف والبذخ بأموال المسلمين .

هذا ، وكان البؤس آخذاً بخناق المواطنين ، وهي وزوجها يبذلان الأموال الجزيلة على مثل هذه الأمور المحرّمة في الشريعة الإسلاميّة .

ومن إسرافها أنّ الرشيد كان يستطيب المكث في الرقّة ، فقالت زبيدة للشعراء : مَن وصف مدينة السلام بأبيات يشوّق إليها أمير المؤمنين أغنيته ، فقال في ذلك جماعة منهم النمري ، قال :

ماذا بِبَغدادَ مِنْ طيبِ أفانينِ   وَمِنْ عَجائِبَ للدُّنْيا وَللدّينِ

---

(١) الأغاني : ٦ : ٧٧.

إذا الصَّبا نَفَحَتْ وَاللَّيلُ مُعْتَكِرٌ   فَحَرَّشَتْ بَيْنَ أَغْصانِ الرَّياحينِ

فاستحسنها الرشيد وقفل راجعاً إلى بغداد ، فوهبت زبيدة للنمري جوهرة ثمّ دسّت إليه من اشتراها منه بثلاثمائة ألف درهم[١].

وصنعت لها بساطاً من الديباج جمع صورة كلّ حيوان من جميع الأجناس ، وصورة كلّ طائر من الذهب ، وأعينها من يواقيت وجواهر ، يقال إنّها أنفقت عليها نحواً من ألف ألف دينار[٢].

واتّخذت آلة من الذهب المرصّع بالجوهر ، والثوب من الوشي الرفيع يزيد على خمسين ألف دينار[٣].

وقد مرضت ثلاث مرّات ، فعالجها الطبيب بختيشوع ، فأعطته في كلّ مرّة مائة ألف دينار[٤].

وقد ذكر المؤرّخون ألواناً كثيرة من سرفها وبذخها في أموال المسلمين ، وقد جعلها الإسلام لتصرف على الفقير والمحروم.

بذخ البرامكة

وأبهرت البرامكة الناس ببذخها وصلاتها الضخمة للشعراء والأدباء ، فكانوا لا يعرفون للمال قيمة وأهمّية ، فبيوت الأموال بأيديهم ، وإمكانيّات الدولة تحت تصرّفهم ، لا رقيب عليهم ولا حسيب ، فأسرفوا في الملذّات والشهوات ، فكانت مجالس الطرب في قصورهم أكثر منها في قصور الرشيد ، وأجمع لمعدّات اللهو ،

---

(١) طبقات الشعراء : ٢٤٦.

(٢) المستطرف : ١ : ٩٨.

(٣) الأغاني : ٦ : ٧٨.

(٤) مطالع البدور : ٢ : ١٣٨.

فعندهم المغنّيات اللاتي ليس مثلهنّ في البلاد ، لا سيّما (فوز وفريدة).

وكان الرشيد نفسه إذا حضر مجالس البرامكة وقد زيّنت بالآنية المرصّعة ، والخزائن المجزعة ، والمطارح من الوشي والديباج ، والجواري يرفلن بالحرير والجوهر ، ويستقبلنه بالروائح التي لا يدري ما هي لطيبها خيّل إليه أنّه في الجنّة[١].

وكانت لأمّ جعفر مائة وصيفة ، لباس كلّ واحدة وحليّها خلاف لباس الأخرى وحليّها[٢].

وبنى جعفر قصراً غرم عليه عشرين مليون درهم[٣].

وذكر الدميري : « أنّ جعفر حاز ضياع الدنيا لنفسه ، فكان الرشيد لا يمرّ بضيعة ولا بستان إلّا قيل له هذا لجعفر »[٤].

وأنفق البرامكة الكثير من الأموال على اصطناع المكارم ، وكسب القلوب لهم ، فكانوا يهبون الأموال بغير حساب ، فقد طلب شخص من الفضل بن يحيى أربعة آلاف درهم ، فوهبه ستّة عشر ألف درهم[٥].

ووهب لصاحب شرطته أربعة ملايين درهم[٦].

وقد بالغوا في العطاء ، فقد ذكر الخطيب البغدادي أنّ صلات يحيى لمن تعرّض له في الطريق إذا ركب مائتا درهم ، فعرض له شاعر فأنشد أمامه :

يا سَـمِيَّ الحَـصورِ أُتـيحَتْ لَكَ مِنْ فَـضْلِ رَبِّـنا جَـنَّتانِ

---

(١) حضارة الإسلام في دار السلام : ١١٢.

(٢) الوزراء والكتّاب : ١٨.

(٣) تاريخ الأمم والملوك : ١٠ : ٨٢.

(٤) حياة الحيوان : ٢ : ١٧٢ و ١٧٣.

(٥) الوزراء والكتّاب : ١٢٥.

(٦) الوزراء والكتّاب : ١٢٥.

كُلُّ مَنْ مَرَّ فِي الطَّرِيقِ عَلَيْكُمْ فَـلَهُ مِـنْ نَـوالِكُمْ مِـائَتانِ
مـائَتا دِرهَـمٍ لِمِثْلِي قَـلِيلٌ هِيَ مِنْكُمْ لِلْقابِسِ العَجْلانِ

فاستحسن يحيى شعره ، وأمر له بعشرين ألف درهم[١] .

ومدح أبو ثمامة الخطيب الفضل بن يحيى بقوله :

لِـلْفَضْلِ يَـومَ الطّـالَقانِ وَقَـبلَهُ يَـومٌ أَنـاخَ بِـهِ عَـلى خـاقانِ
مـا مِـثلَ يَـومَيهِ اللَّذَيْنِ تَـوالَـيا فـي غَـزْوَتَيْنِ تَـوالَـتا يَـوْمانِ
سَـدَّ الثُّـغورَ وَرَدَّ إِلْـفَةَ هـاشِمٍ بَـعدَ الشَّـتاتِ فَشَـعبُها مُـتَدانِ
عَصَمَتْ حُكومَتُهُ جَماعَةَ هاشِمٍ مِـنْ أَنْ يُـجَرَّدَ بَـيْنَها سَـيْفانِ[٢]
تِلْكَ الحُكومَةُ لا الَّتي عَنْ لَبْسِها عَـظُمَ النَّـبا وَتَـفَرَّقَ الحَكَـمانِ

فأعطاه الفضل مائة ألف درهم وخلع عليه[٣] . وطلب رجاء بن عبدالعزيز إعانة ماليّة من يحيى ، فأعطاه سبعمائة ألف درهم[٤] .

وذكر القالي : « أنّ أحد الشعراء دخل على الفضل بن يحيى ، فخرج أحد الخدم فأخبر الفضل بمولود جديد له ، فقال الشاعر :

وَيَـفرَحُ بِـالمَوْلودِ مِـنْ آلِ بَـرْمَكٍ بُغاةِ النَّدىٰ وَالرُّمْحِ وَالسَّيْفِ وَالنَّصْلِ
وَتَـنْبَسِطُ الآمـالُ فـيهِ لِـفَضْلِهِ وَلا سِيَّما إِنْ كـانَ مِـنْ وَلَـدِ الفَـضْلِ

---

(١) تاريخ بغداد : ١٤ : ١٢٩ ـ ١٣٠ . وفيات الأعيان : ٢ : ٤٤ .

(٢) يشير بذلك إلى قصّة العلوي يحيى بن عبدالله حينما خرج على حكومة هارون في الديلم ، فندب لحربه الفضل بن يحيى ، فأعطاه الصلح ولم تقع الحرب بينهما ، وسنبيّن فصول القصّة في غضون هذا الكتاب .

(٣) عصر المأمون : ١ : ١٤١ .

(٤) المستطرف : ١ : ٢٢٨ .

فأمر له بمائة ألف درهم ، ثمّ صنع له لحناً ، فأمر له بمائة ألف درهم أُخرى[١].

وغصب بعض أُمراء بني العبّاس قرية تدعى (الرغاب) فتحاكم أصحابها معه ، فحكم للأمير العبّاسي ، ومضى الأمير يهدّدهم وينذرهم بتخليتها ، فاستغاثوا بجعفر ، فأغاثهم ، فاشترى القرية بعشرين ألف ألف درهم وأهداها لأصحابها ، فانبرى بعض الشعراء مادحاً له على هذا الصنيع قائلاً :

رَدَّ (الرُّغاب) نَدىٰ يَدَيهِ وَأهلُها ... مِنْها بِمَنزِلَةِ السَّماكِ الأَعْزَلِ
قَدْ أيْقَنوا بِذهابِها وَهَلاكِهِمْ ... وَالدَّهرُ يوعِدُهُمْ بِيَوْمٍ أَعْضَلِ
فَافْتَكَّها لَهُمْ وَهُمْ مِنْ دَهْرِهِمْ ... بَينَ الجِرانِ وَبَينَ حَدِّ الكَلْكَلِ
ما كانَ يُرْجىٰ غَيرُهُ لِفِكاكِها ... يُرْجى الكَريمُ لِكُلِّ أَمْرٍ مُعْضِلِ

وتحدّث القاصي والداني بتلك المكرمة البرمكيّة[٢].

وضرب جعفر لنفسه دنانير ذهبيّة كبيرة ليهبها للناس ، وقد كتب على وجهها هذين البيتين :

وَأَصْفَرُ مِنْ ضَربِ دارِ المُلوكِ ... يَلوحُ عَلىٰ وَجْهِهِ جَعفَرُ
يَزيدُ عَلىٰ مائَةٍ واحِداً ... إذا نالَهُ مُعْسِرٌ يوسِرُ[٣]

وأغدقوا الأموال ووهبوها بلا حساب للشعراء والأُدباء ، وقد مدحهم الشعراء بأفضل النعوت ، وكالوا لهم المديح والثناء ، فقد مدح أشجع السلمي جعفراً بقوله :

ذَهَبَتْ مَكارِمُ جَعْفَرٍ وَفِعالُهُ ... في النّاسِ مِثلَ مَذاهِبِ الشَّمسِ
مَلِكٌ تَسوسُ لَهُ المَعالي نَفْسُهُ ... وَالعَقلُ خَيرُ سِياسَةِ النَّفْسِ

---

(١) القالي ـ ذيل الأمالي : ٩٩.

(٢) الأغاني : ١٧ : ٣٣.

(٣) الوزراء والكتّاب : ٢٤١. تاريخ بغداد : ٧ : ١٥٦.

وَإِذا تَـراءَتْـهُ المُـلوكُ تَـراجَـعوا ... جَهْرَ الكَلامِ بِمَنْطِقٍ هَـمْسِ[1]

وقال يزيد بن خالد المعروف بابن حسيات يمدح الفضل بن يحيى :

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ الجُـودَ مِنْ صُلْبِ آدَمٍ ... تـحدر حَتَّىٰ صارَ فـي راحَـةِ الفَضْلِ
إِذا مـا أَبـو العَبّاسِ جـادَتْ سَـماؤُهُ ... فَـيا لَكَ مِنْ ظِـلٍّ وَيـا لَكَ مَنْ وَبْـلِ

وقال مسلم بن الوليد في مدح جعفر :

تَداعَتْ خُطوبُ الدَّهْرِ عَنْ جارِ جَعْفَرٍ ... وَأَمْسَكَ أَنْـفاسَ الرَّغـائِبِ سـائِلُهْ
هُوَ البَحرُ يَـغْشىٰ سُـرَّةَ الأَرْضِ سَـيْبُهُ ... وَتُـدرِكُ أَطْـرافَ البِـلادِ سَـواحِـلُهْ
وَلَـوْ لَـمْ يَكُـنْ فـي كَـفِّهِ غَـيرُ روحِـهِ ... لَـجادَ بِـها فَـلْيَتَّقِ اللهَ سـائِلُهْ
وَللهِ سَـيْفٌ مـا عَـلى الأَرْضِ مِـثْلُهُ ... مُـضارِبُهُ يَـحْيىٰ وَأَنْتَ مُـقاتِلُهْ

وبالغ الشعراء في مدحهم وتعظيمهم ، وذلك لما استفادوه منهم من الأموال الجزيلة والهبات الوفيرة ، حتّى راج سوق الشعر والأدب في ذلك العصر ، وإلى ذلك يشير بعض الشعراء بقوله :

ما لَقِينا مِنْ جُودِ فَضْلِ بْنِ يَحْيىٰ ... تَـرَكَ النّـاسَ كُـلَّهُمْ شُـعَراءُ

وعلى أي حال ، فإنّ تلك الأموال الضخمة التي وهبها البرامكة للشعراء وغيرهم لم تكن إلّا من بيت مال المسلمين ، فإنّهم قبل أن تسند إليهم الوزارة لم تكن لهم أي ثروة أو مال .

فقد روى المؤرّخون أنّ خالد بن برمك كان والياً على طبرستان والريّ ودنباوند ، فحاسبه المنصور وأدانه بثلاثة آلاف درهم ، وهدّده بالقتل ، فلم يستطع خالد أن يدفعها من ماله الخاصّ ، فاستعان بأصحابه فأمدّوه ببعضها ، وأمدّته الخيزران بقسم

---

(١) هارون الرشيد : ٢ : ٢٤٢.

كبير منها ، ثمّ توسّط له المهدي عند أبيه فعفاه عن الباقي[١].

ولكن لمّا أُسندت له ولأبنائه السلطة صارت ثروة الدولة العبّاسيّة بأيديهم ، فملكوا من القرى والبساتين والمستغلّات ما لا يحصى له عدّ ، ولا يعرف له ثمن ، وأصبح لهم في كلّ زاوية قرية عامرة ، وعلى كلّ جدول بستان مثمر ، وفي كلّ مدينة أو قصبة ملك ثمين . وبلغ ريعهم السنوي الملايين من الدنانير[٢].

ومن الطبيعي أنّ هذا الثراء الفاحش الذي تولّد عندهم في هذه الفترة القصيرة كان ناشئاً من دون شكّ من استئثارهم بأموال المسلمين ، ونهبهم لإمكانيّات الدولة ، مستغلّين نفوذهم السياسي في التلاعب ببيوت الأموال التي تجبى إليها الأموال من جميع الأقاليم الإسلاميّة .

وهذه البوادر التي سقناها على سرف هارون وتبذير أُسرته ووزرائه قد دلّت على خيانته العظمى للمسلمين ، واستبداده في ثرواتهم ، وانتهاكه لحرمة الإسلام .

رسالته لسفيان

ونظراً لخروج هارون عن جادّة العدل ، وإسرافه في أموال المسلمين ، فقد نقم عليه رجال الاصلاح وابتعدوا عنه ، وقد حاول أن يجتمع بسفيان الثوري ، فكتب إليه رسالة ملأها بالتملّق والتودّد إليه لعلّه يجيبه إلى مقصوده فيتّخذ من ذلك وسيلة لإغراء العامّة ، وقد جاء فيها :

« من عبدالله هارون أمير المؤمنين إلى أخيه في الله سفيان بن سعيد الثوري :

أمّا بعد ، يا أخي فقد علمت أنّ الله قد آخى بين المؤمنين ، وقد آخيتك في الله مؤاخاة لم أصرم فيها حبلك ، ولم أقطع منها ودّك ، وإنّي منطو لك على أفضل

---

(١) الكامل في التاريخ : ٦ : ٨.

(٢) الإمامة والسياسة : ٢ : ٣٢١.

المحبّة ، وأتمّ الإرادة ، ولولا هذه القلادة التي قلّدنيها الله تعالى لأتيتك ـ ولو حبواً ـ لما أجد لك في قلبي من المحبة ، وأنّه لم يبق أحد من إخواني وإخوانك إلّا زارني ، وهنّأني بما صرت إليه ، وقد فتحت بيوت الأموال ، وأعطيتهم من المواهب السنيّة ما فرحت به نفسي ، وقرّت به عيني ، وقد استبطأتك ، وقد كتبت كتاباً منّي إليك أُعلمك بالشوق الشديد إليك ، وقد علمت يا أبا عبدالله ما جاء في فضل زيارة المؤمن ومواصلته ، فإذا ورد عليك كتابي هذا فالعجل العجل » .

جواب سفيان

ولمّا وصلت رسالته إلى سفيان رمى الكتاب ، وقال لإخوانه الصالحين ليقرأه بعضكم ، فإنّي أستغفر الله أن أمسّ شيئاً مسّه ظالم ، فلمّا قرأوه أمرهم بأن يكتبوا له الجواب ، وهذا نصّه :

« من العبد الميّت سفيان ، إلى العبد المغرور بالآمال هارون ، الذي سُلب حلاوة الإيمان ، ولذّة قراءة القرآن .

أمّا بعد : فإنّي كتبت إليك أُعلمك أنّي قد صرمت حبلك ، وقطعت ودّك ، وأنّك جعلتني شاهداً عليك بإقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت على بيت مال المسلمين ، فأنفقته في غير حقّه ، وأنفذته بغير حكمه ، ولم ترض بما فعلته ، وأنت ناءٍ عنّي حين كتبت إلي تشهدني على نفسك .

فأمّا أنا فإنّي قد شهدت عليك أنا وإخواني الذين حضروا قراءة كتابك ، وسنؤدّي الشهادة غداً بين يدي الله الحكم العدل .

يا هارون ، هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم ، هل رضي بفعلك المؤلّفة قلوبهم ؟ والعاملون عليها في أرض الله ، والمجاهدون في سبيل الله ، وابن السبيل ؟ أم رضي بذلك حملة القرآن ؟ وأهل العلم ـ يعني العاملين ـ ؟ أم رضي بفعلك الأيتام والأرامل ؟ أم رضي بذلك خلق من رعيّتك ؟

فشد يا هارون مئزرك ، وأعدّ للمسألة جواباً ، وللبلاء جلباباً ، واعلم أنّك ستقف بين يدي الله الحكم العدل ، فاتّق الله في نفسك إذا سلبت حلاوة العلم والزهد ولذّة قراءة القرآن ، ومجالسة الأخيار ، ورضيت لنفسك أن تكون ظالماً ، وللظالمين إماماً.

يا هارون ، قعدت على السرير ، ولبست الحرير ، وأسبلت ستوراً دون بابك ، وتشبّهت بالحجّة بربّ العالمين ، ثمّ أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك ، يظلمون الناس ولا ينصفون ، ويشربون الخمر ويحدّون الشارب ، ويزنون ويحدّون الزاني ، ويسرقون ويقطعون السارق ، ويقتلون ويقتلون القاتل ، أفلاكانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن يحكموا بها على الناس ، فكيف بك يا هارون غداً إذا نادى المنادي من قِبل الله احشروا الظلمة وأعوانهم ، فتقدّمت بين يدي الله ويداك مغلولتان إلى عنقك ، لا يفكّهما إلّا عدلك وإنصافك والظالمون حولك ، وأنت لهم إمام أو سائق إلى النار.

وكأنّي بك يا هارون وقد أُخذت بضيق الخناق ، ووردت المساق ، وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك ، وسيّئات غيرك في ميزانك على سيّئاتك ، بلاء على بلاء ، وظلمة فوق ظلمة.

فاتّق الله يا هارون في رعيّتك ، واحفظ محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم في أُمّته ، واعلم أنّ هذا الأمر لم يصر إليك إلّا وهو صائر إلى غيرك ، وكذلك الدنيا تفعل بأهلها واحداً بعد واحد ، فمنهم من تزوّد زاداً نفعه ، ومنهم من خسر دنياه وآخرته ، وإيّاك ثمّ إيّاك أن تكتب إليّ بعد هذا ، فإنّي لا أُجيبك ، والسلام ».

ثمّ بعث بالكتاب منشوراً من غير طيّ ولا ختم[1].

وقد دلّت هذه الرسالة الخالدة على مدى إيمان سفيان وجرأته وإقدامه ، وأنّه يحمل رصيداً من الإيمان والعقيدة ونكران الذات ، فقد عرض على هارون تصرّفاته

---

(١) حياة الحيوان / الدميري : ٢ : ١٨٨ و ١٨٩.

الكيفيّة في أموال المسلمين، واستبداده بثرواتهم، وأنّه مسؤول عن تصرّفاته ومحاسب عليها بين يدي الله تعالى، كما ذكر له فساد الجهاز الرسمي لحكومته، وأنّه مجموعة من الخونة والمختلسين لأموال الشعب، وأنّ الحدود التي يقيمونها على السارقين والمجرمين أَوْلى أن تقام عليه، وعلى أعضاء حكومته، فإنّهم منبع الفساد ومصدر الجريمة في البلاد.

إنّ هارون لا يصحّ بأي حال أن يعدّ من خلفاء المسلمين المحافظين على كيان الإسلام وتعاليمه نظراً لأعماله المجافية لروح الإسلام.

كلمة ابن خلدون

وأفرط ابن خلدون في تقديسه لهارون، فنحّى عنه الإسراف والخيانة، قال ما نصّه:

«لم يكن الرجل بحيث يوقع محرماً من أكبر الكبائر عند أهل الملّة، ولقد كان أُولئك القوم كلّهم بمنجاة من ارتكاب السرف والترف في ملابسهم وزينتهم، وسائر متناولاتهم لما كانوا عليه من خشونة البداوة، وسذاجة الدين التي لم يفارقوها»[(١)].

وابن خلدون من أُولئك المؤرّخين الذين لم يكتبوا للتاريخ وخدمة الأُمّة، وإنّما كتبوا لجهة خاصّة بعيدة كلّ البعد عن روح الواقع، وقد ألقى الستار في كثير من بحوثه على الحقيقة، وراح يخدم الدولة أو المحيط، وجنى بذلك على التاريخ الإسلامي جناية لا تعدلها جناية.

إنّ الحكم ببراءة هارون من السرف والتبذير لا يتّفق بأي حال مع الحوادث التي أجمع عليها المؤرّخون الدالّة على تبذيره بأموال المسلمين ونهبه لثرواتهم.

ولم يوافقه على هذا القول أحد من الكتّاب حتّى أحمد أمين الذي عرف

---

(١) تاريخ ابن خلدون: ١: ١٤.

بالانحراف والتحيّز في كثير من بحوثه ، قال : « فلسنا نتّفق معه على ما يستخلص من قوله إنّه كان بمنحاة من السرف والترف ، وأنّه كان يعيش عيشة ساذجة ، وأنّه لم يوقع محرماً ، فهذا أيضاً إفراط في التقديس ، لا تدلّ عليه سيرة الرشيد ، خصوصاً وأنّ أدلّته خطابيّة ، فقرب عهده من المنصور لا يستوجب أن يعيش عيشته ، وقد صرّح هو مراراً بأنّ الترف والنعيم في عصر الرشيد كان أكثر منه في عصر المنصور ، ولو كان قرب العهد يكفي في الاستدلال لما رأينا الأمين وهو قريب عهد من الرشيد يسير سيرته .

والعجب أنّه عقد فصولاً طويلة يتعرّض فيها لوصف الحضارة والنعيم والترف في أيّام الرشيد والأمين والمأمون ، وتفنّنهم في المطعم والمشرب ، وهو الذي وافق (المسعودي) و (الطبري) على ما حكياه في أعراس المأمون ببوران بنت الحسن ، وأنّ المأمون أعطاها في مهرها ليلة زفافها ألف حصاة من الياقوت ، وأوقد شموع العنبر في كلّ واحدة مائة منّ ، وبسط لها فرشاً كان الحصير منها منسوجاً بالذهب ، مكلّلاً بالدرّ والياقوت ..الخ[1] .

هل هذا ليس سرفاً في الترف ؟ وهل قرب عهد المأمون من الرشيد كقرب عهد الرشيد من المنصور جعلت الناس يعيشون عيشة السذاجة كما يقول ؟

الحقّ أنّ ابن خلدون مخطئ في وصفه عصر الرشيد بالسذاجة ، وأنّه وقومه كانوا بمنحاة من السرف والترف »[2] .

دفاع الجومرد

ولم ينفرد ابن خلدون بهذا المنطق الهزيل في دفاعه عن هارون ، فقد شاركه

---

(١) تاريخ ابن خلدون : ١ : ١٤٥ .

(٢) ضحى الإسلام : ٢ : ١١٨ و ١١٩ .

في ذلك الدكتور عبدالجبّار الجومرد ، فإنّه لمّا لم يجد مجالاً للطعن في تلك الروايات التي دلّت على المزيد من إسراف هارون ، أخذ يلتمس له المعاذير والمبرّرات ، قال ما نصّه : « غير أنّنا لو درسنا الوضع الاجتماعي السائد يومئذٍ ، وتذكّرنا ـ ما قلناه سابقاً ـ عن مقدار ما كانت تدرّ ضرائب الدولة على الخزينة العامّة من الأموال ـ وهي تعادل اليوم ميزانيّات أكثر من عشرة دول ـ وما بلغه الترف والبذخ عند الطبقات الخاصّة ، وما وصل إليه ذلك التسابق في اكتساب الحمد واستمالة الرأي العامّ عن طريق الشعراء والأدباء والرواة ، وكلّ ذي لسان ورأي ، وهم أشبه بالصحف السيّارة في هذا العهد .

لو علمنا كلّ ذلك وأدركنا حقائقه ، إذاً لأعطينا هذا السخي الجواد بعض الحقّ إن لم يكن كلّه »(١) .

وقال أيضاً : « إنّ الرشيد أحقّ من غيره بالعطاء ، وأحوج إلى المديح والذكر الحسن من هؤلاء ـ أي البرامكة ـ جميعاً ، بحكم كونه خليفة فوق سائر الناس ، وهو مع ذلك سخي اليد بالفطرة ، وجد المحيط الذي حوله في سورة من جنون البذخ والإنفاق ، فجاراه ليحفظ توازن سمعته ولم يجد في ذلك تصنّعاً أو كلفة ، ما دام خراج الدولة في تضخّم عظيم »(٢) .

والأُستاذ الجومرد مدفوع بعاطفة جيّاشة تجاه هارون ، فقد أبى أن يدينه بانحرافه عن الطريق ، أو يسجّل عليه أي مأخذ ممّا أجمع عليه المؤرّخون ، وأخذ يتطلّب الوجوه البعيدة لتصحيح أخطائه وتوجيهها بوجوه عليلة بعيدة عن واقع المنطق .

أمّا قوله : إنّ ميزانيّة الدولة قد بلغت القمّة من التضخّم ، وإنّ الإسراف عند الطبقات الخاصّة قد بلغ الذروة ، وإنّها قد أخذت في اكتساب الحمد والثناء عن

---

(١) هارون الرشيد : ١ : ٢٧٢ .

(٢) هارون الرشيد : ١ : ٢٧٤ .

طريق الشعراء والأدباء ، فإنّ هذا ليس مبرّراً له في صرف أموال المسلمين على ملاذه وأغراضه التي لم يقرّها الإسلام ، فقد ألزم بإنفاق أموال الدولة على تطوير الحالة الاقتصاديّة وتوفير الحياة الحرّة الكريمة للمواطنين .

إنّ تبذير الأموال الراجعة لنفس الإنسان محرّم في الشريعة الإسلاميّة ، فضلاً عن أموال الناس ، فإنّه ضامن لها ومسؤول عن صرفها في غير الوجه المشروع ، وأمّا حاجته إلى المدح والذكر الحسن فلا يقرّه الشرع الإسلامي الذي أمر بالاحتياط في أموال المسلمين ، وحرمة صرفها على أي لون من ألوان الدعاية الشخصيّة التي لا تعود على المجتمع الإسلامي بأيّة ثمرة أو فائدة .

وأمّا كون المحيط الذي كان حول هارون في سورة من جنون البذخ والإنفاق ، فاضطرّ لمجاراته ليحفظ توازن سمعته ، فإنّ ذلك غير مبرّر له ، ولا ينفي عنه المسؤوليّة أمام الله . إنّه بحكم الشرع مسؤول عن استبداده بأموال المسلمين ، ومسؤول عن تصرّفات شعبه باعتباره خليفة المسلمين ، ووليّ أمرهم ، فكان الواجب عليه أن يثيبهم إلى الرشاد ، ويهديهم إلى سواء السبيل .

إنّ هذه التعليلات التي ذكرت لتصحيح أخطاء هارون في سياسته الماليّة إنّما هي لون من ألوان الطائفيّة التي هي مصيبة العالم الإسلامي في ماضيه وحاضره ، فقد أوجبت خفاء الحقّ ، وتضليل الرأي العامّ في كثير من جوانب حياته العقائديّة ، وجعلت المسلمين في ذيل القافلة .

يجب على كلّ من يبحث عن التاريخ الإسلامي ، ويعالج قضاياه على ضوء ما أثر عن الإسلام أن يتجرّد من نزعاته التقليديّة ، وأن يخلص للحقّ ليخدم بذلك أمّته ومجتمعه .

إنّ الواجب يحتّم علينا أن نبرز للمجتمع الذوات المثالية الفذّة من رجال الإسلام الذين نفروا من الجور والظلم ، ورفعوا شعار العدالة ، ونادوا بتطبيق المبادئ العليا

التي جاء بها الإسلام، فلاقوا في سبيل ذلك أعنف المشاكل وأشدّها عناءً ومحنة.. هؤلاء الذين يجب أن يعتزّ بهم، ويشاد بذكرهم، وتتغذّى الناشئة بمآثرهم..

وأمّا الذين نهبوا وفسقوا، واستباحوا كلّ حرام من عرض ودم ومال، وأشاعوا المنكر والتحلّل بين المسلمين، فإنّه يجب إبعادهم عن المراكز العليا في الإسلام، والتدليل على ما اقترفوه من عظيم الإثم في حقّ أمّتهم وبلادهم.

ولنعد بعد هذا العرض الموجز للسياسة الماليّة التي سار عليها هارون إلى عرض بعض أعماله الأُخرى التي دلّت على عدم تحرّجه في الدين وانطلاقه في ميدان الشهوات التي حرّمها الله.

ولعه بالغناء

وكان هارون مولعاً بالغناء منذ حداثة سنّه، فقد نشأ بين أحضان المغنّيات والمطربات، ولشدّة رغبته في ذلك فقد اجتمع في قصره عدد كبير من المغنّيات والعازفات، واشتمل قصره على مختلف الآلات الموسيقيّة[١]، وهو الذي جعل المغنّين طبقات ومراتب، فكان إبراهيم الموصلي وابن جامع وزلزل الضارب في الطبقة الأُولى، وكان زلزل يضرب ويغنّي الموصلي وابن جامع، والطبقة الثانية: إسحاق وسليم بن سلام، وعمرو الغزّال، والطبقة الثالثة أصحاب المعازف والطنابر، وكان يطرب للغناء[٢].

وقد أمر المغنّين أن يختاروا له مائة صوت، فاختاروها، ثمّ أمرهم باختيار عشرة منها، فاختاروها، ثمّ أمر باختيار ثلاثة منها، ففعلوا[٣].

---

(١) التمدّن الإسلامي: ٥: ١١٨، وجاء فيه: «إنّه قيل: إنّ في قصره ثلاثمائة جارية من الحسان يغنّين ويعزفن».

(٢) التاج: ٤٠ ـ ٤٢.

(٣) الأغاني: ١: ٧.

وعاهد إبراهيم الموصلي الهادي بأن لا يغنّي لأحد من بعده، فلمّا توفّي انقطع إبراهيم عن الغناء وفاءاً بالوعد، ولكنّ الرشيد أمره بأن يغنّي له، فامتنع فرماه بالسجن ولم يطلق سراحه حتّى غنّى في مجلسه[1].

ومن ولعه بالغناء أنّه هام بحبّ ثلاث مغنّيات من جواريه هنّ: سحر وضياء وخنث، وقال فيهنّ الشعر، فممّا قاله فيهنّ:

مَلَكَ الثَّلاثُ الآنِساتُ عِناني — وَحَلَلْنَ مِنْ قَلْبي بِكُلِّ مَكانِ
ما لي تُطاوِعُني البَرِيَّةُ كُلُّها — وَأُطيعُهُنَّ وَهُنَّ في عِصْياني
ما ذاكَ إلّا أَنَّ سُلطانَ الهَوىٰ — وَبِهِ قَوِينَ أَعَزُّ مِنْ سُلطاني[2]

وقدم إلى بغداد إبراهيم بن سعد الزهري، وهو من وعّاظ السلاطين وعلمائهم، فأكرمه الرشيد وسأله عن الغناء، فأفتى على وفق البلاط ورغبته بحلّيته، وقصد إبراهيم بعض أصحاب الحديث ليسمع منه أحاديث الزهري، فسمعه يغنّي فقال له: لقد كنت حريصاً على أن أسمع منك، أمّا الآن فلا سمعت منك حديثاً واحداً.

فقال له الزهري: إذاً لا أفقد شخصك، وعليّ إن حدّثت حديثاً في بغداد لأُغنّي قبله، وشاعت القصّة في بغداد، فسمع بها الرشيد، فدعا به فسأله عن حديث المخزوميّة التي قطعها النبيّ ﷺ في سرقة الحلي، فدعا إبراهيم بعود.

فقال الرشيد: أعود المجمر؟

قال: لا، ولكن عود الطرب، فتبسّم الرشيد، ففهم إبراهيم بن سعد سرّ تبسّمه، فقال له: يا أمير المؤمنين، لعلّه بلغك حديث السفيه الذي آذاني بالأمس وألجأني إلى أن أحلف.

---

(١) الأغاني: ٥: ١٦٢.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٣: ٢٦٥.

قال الرشيد : نعم ، ودعا له بعود فغنّاه إبراهيم :

يا أُمَّ طَلحَةَ إِنَّ البَيْنَ قَدْ أفِدا قَلَّ الثَّواءُ لَئِنْ كانَ الرَّحيلُ غَدا

فقال له الرشيد : مَن كان من فقهائكم يكره السماع ؟

قال إبراهيم : مَن ربطه الله .

قال الرشيد : هل بلغك عن مالك بن أنس في هذا شيء ؟

قال إبراهيم : لا والله ، إلّا أنّ أبي أخبرني أنّهم اجتمعوا في مدعاة كانت في بني يربوع ، وهم يومئذٍ جلّة ومالك يومئذٍ أقلّهم في فقهه وقدره ومعهم دفوف ومعازف وعيدان يغنّون ويلعبون ومع مالك دفّ مربّع ، وهو يغنّيهم :

سُلَيْمى أَجمَعَتْ بَيْنا فَأَيْنَ لِقاؤُها أَيْنا

وَقَدْ قالَتْ لأَتْرابٍ لَها زُهْرٍ تَلاقَيْنا

تَعالَيْنا فَقَدْ طابَ لَنا العَيْشُ تَعالَيْنا (١)

وهذه البادرة تكشف لنا مدى الاستهتار بأحكام الإسلام ، حتّى من حملة الحديث ، فقد عمد هذا الفقيه إلى الفتيا بما خالف الشرع ليتوصّل إلى هارون وينال من دنياه .

ويلغ من ولع هارون وشغفه بالغناء أنّه طلب من شقيقته عليّة أن تغنّيه ، فقالت له : وحياتك لأعملن فيك شعراً ، ولأصنعنّ فيك لحناً ، وقالت من وقتها :

تَفْديكَ أُخْتُكَ قَدْ حَبَوْتَ بِنِعْمَةٍ لَسْنا نَعُدُّ لَها الزَّمانَ عَديلا

إلّا الخُلودُ وَذاكَ قُرْبُكَ سَيِّدي لا زالَ قُرْبُكَ وَالبَقاءُ طَويلا

وَحَمِدْتُ رَبّي في إجابَةِ دَعْوَتي فَرَأَيْتُ حَمْدِيَ عِنْدَ ذاكَ قَليلا

---

(١) تاريخ بغداد : ٦ : ٨٤ .

وصنعت فيه لحناً من وقتها في مقام خفيف الرمل ، فطرب الرشيد عليه(١).

وكانت عليّة في طليعة المغنّيات في ذلك العصر ، وقد شجّعها على ذلك إقبال أسرتها على الملاهي والمجون والدعارة ، فانجرفت معهم وهي تسحب ذيول الخيانة والخزي ، وقد عيّر بها الأسرة العبّاسيّة أبو فراس الحمداني بقوله :

مِنْكُمْ عُلَيَّةُ أَمْ مِنهُمْ وَكانَ لَكُمْ   شَيخُ المُغَنِّينَ إبراهيمُ أَمْ لَهُمُ

وعلى أي حال ، فقد انتشر الغناء في عصر هارون انتشاراً هائلاً حتّى عُدّ حاجة من حاجات الإنسان الضروريّة ، فكان المغنّون والمغنّيات في الأماكن العامّة وفي الشوارع وفي بيوت الأغنياء والفقراء ، وشغف الناس به حتّى بلغ من رواجه وإقبال الناس عليه أنّه إذا غنّى مغن على الجسر اجتمع عليه جمهور حاشد من الناس حتّى يخاف من سقوط الجسر بهم(٢) ، وحتى كان بعضهم ينطح العمود برأسه من حسن الغناء(٣).

وارتفعت الأسعار الجواري التي تجيد الغناء ، فكلّما كانت الجارية تحسن هذه الصناعة ازداد سومها ، وكان إبراهيم الموصلي هو الذي يتولّى تعليمهنّ ، فإذا أتقنت واحدة منهنّ الغناء ارتفع ثمنها .

وفي ذلك يقول أبو عيينة المهلبي في جارية يقال لها (أمان) ، وكان يهواها فأغلى مولاها السوم ، فقال :

قُلتُ لَمّا رَأَيتُ مَولىٰ أَمانٍ   قَدْ طَغىٰ سَوْمُهُ بِها طُغْيانا
لَا جَزى اللهُ المَوْصِلِيَّ أَبا إِسْـ   ـحاقِ عَنّا خَيْراً وَلَا إِحْسانا

---

(١) سيّدات البلاط العبّاسي : ٢٨ .

(٢) الأغاني : ١٨ : ١٢٧ .

(٣) ضحى الإسلام : ١ : ٩١ .

جاءَنا مُرْسَلاً بِوَحْيٍ مِنَ الشَّيْـ طانِ أَغْلى بِهِ عَلَيْنا الْقِيانا
مِنْ غِناءٍ كَأَنَّهُ سَكَراتُ الـ حُبِّ يُصْبي القُلوبَ وَالآذانا [١]

وسادت الميوعة في ذلك العصر، وأسرف الناس في الخلاعة والمجون والغناء حتّى بلغ به الحال أنّه كان يستدعي أخاه إبراهيم بن المهدي فيغنّي له [٢].

ونظراً لإقباله على الغناء فقد كانت له الدراية التامّة بجميع فنونه، فقد قال إبراهيم الموصلي لابن جامع المغنّي: والله لا أعلم أنّ أحداً بقي في الأرض يعرف هذا الغناء معرفة أمير المؤمنين هارون الرشيد.

فقال له ابن جامع: حقّ والله، إنسان يسمع الغناء منذ عشرين سنة مع هذا الذكاء الذي فيه» [٣].

وقد انطبعت هذه الروح في نفس ولده الأمين، فكان مغرماً بالغناء حتّى في أعسر ساعاته عندما أُحيط به، فقد كان يستمع إلى الغناء، فحينما كانت حجارة المنجنيق تصل بساطه كانت إحدى الجواري تغنّيه [٤].

وقد ألحق انتشار الغناء أضراراً جسيمة بالمجتمع الإسلامي، فقد أدّى إلى فساد الأخلاق، وميوعة المجتمع وابتعاده عن تعاليم الإسلام التي تنشد الجدّ وتنهى عن العبث والمجون، وقد بلغ من تسيّب الأخلاق في ذلك العصر أنّه لمّا توفّي المطرب إبراهيم الموصلي أحدث حزناً عميقاً وأسى مريراً في جميع الأوساط البغداديّة ورثاه بعض الشعراء وبكاه أمرّ البكاء لفقدانه الطرب واللهو، فقال:

أَصْبَحَ اللَّهْوُ تَحْتَ عَفْرِ التُّرابِ ثاوِياً في مَحَلَّةِ الأَحْبابِ

---

(١) الأغاني: ٥: ٨ و ٩.

(٢) التاج: ٣٧.

(٣) الأغاني: ٦: ١٧٤.

(٤) التاج: ١٥٣.

إذْ ثوى المَوْصِليُّ فانْقرَضَ اللَّهْـ وُ بِـخَيرِ الإخْـوانِ وَالأَصْـحابِ
بَكَتِ المُسْـمِعاتُ حُـزْناً عَـلَيْهِ وَبَكـاهُ الهَـوىٰ وَصَـفْوُ الشَّـرابِ
وَبَكَتْ آلَةُ الْـمَجالِسِ حَـتَّى رَحِمَ العودُ ضَربَةَ المِضْرابِ[١]

ورثاه شاعر آخر فقال:

تَوَلَّى المَوْصِليُّ فَقَدْ تَـوَلَّتْ بِشاشاتُ المَزاهِـرِ وَالقِـيانِ
وَأَيُّ بَشـاشَةٍ بَـقِيَتْ فَـتَبْقىٰ حياةُ الْمَوْصِلِيِّ عَلى الزَّمانِ
سَتَبْكيهِ المَزاهِرُ وَالمَـلاهي وَتُسْـعِدُهُنَّ عـاتِقَةُ الدِّنـانِ

وكان الميّت قبل هذا العصر يرثى ببكاء الخيل والسيوف وفقدان الجفان والأضياف، أمّا في عصر هارون فقد أصبح يبكيه الهوى والشراب والعود وكان ذلك ناشئاً من دون شكّ من اضطراب الدين وفساد العقيدة في نفوس الناس حتّى نشأ فيهم هذا التسيّب الفظيع.

شربه للخمر

واندفع هارون إلى شرب الخمر والادمان عليها، وكان يدعو خواصّ جواريه إذا أراد الشراب[٢]، وربّما كان يتولّى سقاية الشراب بنفسه لندمائه، فقد حدث حمّاد بن إسحاق عن أبيه، قال: «أرسل إليَّ الرشيد ذات ليلة، فدخلت عليه، فإذا هو جالس وبين يديه جارية عليها قميص مورّد وسراويل مورّدة وقناع مورّد كأنّها ياقوتة، فلمّا رآني قال لي: اجلس، فجلست ثمّ قال لي: غن، فغنّيت:

تَشَكّى الكُمَيتُ الجَرْيَ لَما جَهِدْتَهُ وَبَـيَّنَ لَـوْ يَسْـطيعُ أَنْ يَـتَكَلَّما

(١) الأغاني: ٥: ٤٧.
(٢) التاج: ٣٧.

فقال : لمن هذا اللحن ؟

فقلت : لي يا أمير المؤمنين .

فقال : هات لحن ابن سريج ، فغنّيته إيّاه فطرب وشرب رطلاً وسقى الجارية رطلاً ، وسقاني رطلاً ، ثمّ قال : غن ، فغنّيته :

هــاجَ شَــوْقي بَـعدَما شَيَّبَ أَصْداغي بِرَوق
موهِناً وَالبَـرقُ مِـنْ مـا ذا الهَوى قِدْماً يَشـوق

فقال : لمن هذا الصوت ؟

فقلت : لي .

فقال : قد كنت سمعت فيه لحناً آخر .

فقلت : نعم ، لحن ابن محرز .

فقال : هاته ، فغنّيته فطرب ، وشرب رطلاً ، ثمّ سقى الجارية رطلاً ، وسقاني رطلاً ، ثمّ قال : غن ، فغنّيته :

أَفـاطِمُ مَـهلاً بَـعضَ هـٰذا التَّـدَلُّلِ وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمي فَأَجْمِلي

فقال لي : ليس هذا اللحن أُريد ، غن رمل ابن سريج فغنّيته ، وشرب رطلاً وسقى الجارية رطلاً ، ثمّ طلب من إسحاق أن يحدّثه فحدّثه عن أيّام العرب وأخبارها [1] .

وكان يهدي لبعض أصحابه كؤوس الخمر مملوءة ، ويهدى إليه كذلك ، فقد روى ريق ، قال : «كنت بين يدي الرشيد وعنده أخوه منصور وهما يشربان ، فدخلت عليه (خلوب) جارية عليّة ومعها كأسان مملوءتان وتحيتان ومعها غلام يحمل عوداً ، فغنّتهما الجارية والكأسان في أيديهما ، وكان غناؤها :

---

(١) الأغاني : ٥ : ١٢٦ و ١٢٧ .

حَـيّاكُـما اللهُ خَـليلَيّا إنْ مَـيِّتاً كُـنتُ وَإنْ حَـيّا
إنْ قُلتُ خَيْراً فَخَيرٌ لَكُمْ أوْ قُـلتُ غَـيّاً فَـغَيّا

فشربا الخمرة وفضّا الرقعة فإذا فيها: « صنعت يا سيّدي أُختكما هذا اللحن اليوم، وألقته على الجواري، واصطبحت فبعثت لكما به، وبعثت من شرابي إليكما ومن تحيّاتي وأحذق جواري لتغنّيكما »[1].

وسار أولاده على ذلك، فكان الأمين لا ينقطع عن الشراب، وقد وصفه وزيره الفضل بن الربيع فقال: قد ألهاه كأسه، وشغله قدحه، فهو يجري في لهوه والأيّام تسرع في هلاكه، وكان يشرب بأقداح من بلور مرصّعة بالجوهر »[2].

وكان المأمون يشرب في أوّل أيّام الثلاثاء والجمعة، ثمّ إنّه أدمن على الشراب عند خروجه إلى الشام إلى أن توفّي[3].

ولمّا رأى الناس مليكهم هارون مدمناً على شرب الخمر أدمنوا كذلك، وانتشرت الخمرة عند أغلب الأوساط حتّى في بيوت الفقراء، فكانت لا تخلو منها، وتناولها الشعراء بالوصف الرائع بما لم توصف به من قبل حتّى قدّسها أبو نوّاس بشعره، فقال:

اثْنِ عَلى الخَمْرِ بِـآلآئِها وَسَمِّها أَحْسَنَ أَسْمائِها

وعلّق على هذا البيت الدكتور طه حسين بقوله: « أليس الشطر الأوّل منه تسبيحاً للخمر ؟! أليس الشطر الثاني منه تقديساً للخمر ؟ أليس في هذا البيت على سهولته وبراءته من ألفاظ المجون أشدّ ألوان المجون ؟ أليس فيه الاستهزاء بالدين والسخرية

(١) الأغاني: ٩: ١٧٠ و ١٧١.
(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٧: ٢٧.
(٣) التاج: ١٥٣.

منه ، أليس القرآن يذكرك ، أليس يذكرك قول الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[١]»[٢].

وقد جاهر أبو نؤاس بشربها مع إقراره بحرمتها ، فقال :

فَإِنْ قالوا حَرامٌ قُلْ حَرامٌ ... وَلكِنَّ اللَّذاذَةَ في الحَرامِ

وقال :

أَلا فَاسْقِني خَمْراً وَقُلْ لي هِيَ الخَمْرُ ... وَلا تَسْقِني سِرّاً إِذا أَمْكَنَ الجَهْرُ

ولم يندفع أبو نؤاس إلى الجهر بشربها ، وإعلان وصفها ، إلاّ أنّه رأى السلطة الحاكمة قد تهتكت ، وتخلّت عن المبادئ الإسلاميّة التي حرمتها ، فقد جاء تحريمها صريحاً في القرآن الكريم .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾[٣].

ولكنّ هارون وغيره من ملوك العبّاسيّين لم يعنون بتحريم الإسلام له ، فعمدوا إلى شربها في وضح النهار وفي غلس الليل .

ومن المؤسف أن يعدّ هؤلاء الخلفاء الماجنون من أئمّة المسلمين ، ومن كبار قادتهم ، ثمّ يلتمس المعاذير لما اقترفوه من عظيم الإثم والمنكر ، وقد بالغ الجومرد في دفاعه عن هارون ، فنفى عنه شرب الخمر ، وقال إنّه ما شرب إلاّ النبيذ وليس

---

(١) الأعراف ٧: ١٨٠.

(٢) حديث الأربعاء : ٢: ١٠٩.

(٣) المائدة ٥: ٩٠ و ٩١.

ذلك محرّماً في الإسلام[١].

إنّ هذه التعاليل لا تدلّ إلّا على روح العصبيّة التي لا تمثّل أي واقع علمي ، فقد أجمع المؤرّخون على شربه للخمر وإدمانه عليها.

لعبه بالنرد

ولم يترك هارون أي لون من المحرّمات في الإسلام إلّا ارتكبه ، فمن ذلك لعبه بالنرد[٢]، وهو من أنواع القمار الذي حرّمه الإسلام ، فقد حدّث إسحاق الموصلي عن أبيه أنّه لعب يوماً مع الرشيد بالنرد في الخلعة التي كانت مع الرشيد ، والخلعة التي كانت عليه ، فتقامر الرشيد ، فلمّا قمره قام إبراهيم فنزع ثيابه ثمّ قال للرشيد : حكم النرد الوفاء به ، وقد قمرت ووفيت لك ، فالبس ما كان علَيّ .

فقال له الرشيد : ويلك ! أنا ألبس ثيابك .

فقال : إي والله إذا أنصفت ، وإذا لم تنصف قدرت وأمكنك .

قال : ويلك ! أو افتدي منك ؟

قال : نعم .

قال : وما الفداء ؟

قال : قل أنت يا أمير المؤمنين ، فإنّك أوْلى بالقول .

فقال أعطيك كلّ ما علَيّ .

قال : فمر به يا أمير المؤمنين ، فدعا بغير ما عليه فلبسه ونزع ما كان عليه فدفعه إلى إبراهيم[٣].

---

(١) هارون الرشيد : ١ : ٢٦٧.

(٢) النرد : لعبة وضعها أحد ملوك الفرس ، وتُعرف عند العامّة بلعبة الطاولة.

(٣) الأغاني : ٥ : ٦٩ و ٧٠.

وكان يلعب الشطرنج إذا سافر في دجلة[١].

وقد سار على ذلك أولاده ، فكان ابنه الأمين يلعب بالنرد مع وزيره الفضل بن الربيع[٢].

وروى المؤرّخون أنّه كان يلعب بالصولجان[٣] في الميدان ، ويلعب بالنشاب في البرجاس ، ويلعب بالأكرة والطبطاب[٤].

وأخذ عنه ذلك ولداه ، فكان المأمون ينزل إلى حلبة اللعب في كلّ يوم[٥].

وأمر الأمين بعد بيعته ببناء ميدان حول قصر لأبي جعفر للصوالجة واللعب[٦].

لقد ساد اللهو ، وعمّت الدعارة ، وانتشر المجون ، وتدهورت الأخلاق ، وأُقبرت الفضائل في عهد هارون ، ولو قُدّر أن يبقى على أريكة الخلافة أكثر ممّا بقي لانحطّت الدولة الإسلاميّة إلى مستوى سحيق أقبح الانحطاط ـ كما قال الدكتور مصطفى جواد ـ[٧].

إنّ الأعمال التي أُثرت عن هارون قد دلّت على تحلّله ، وعدم تمسّكه بأي رابطة دينيّة ، فقد أسرف في الشهوات حتّى صار بلاطه ملهى يضمّ جميع ألوان الدعارة والمجون ، فلا يكاد يخلو من حفلات الرقص والغناء ، وشرب الخمور ، كما كان

---

(١) الأغاني : ٩ : ٦٤.

(٢) الفخري : ٥٥.

(٣) الصولجان : كلمة فارسيّة معربة . قال في التهذيب : الصولجان : عصاً يعطف طرفها يضرب بها الكرة » تاج العروس : ٢ : ٦٦.

(٤) بين الخلفاء والخلعاء : ١٠١.

(٥) تاريخ بغداد : ١٠٧.

(٦) تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ٥٥١ ، أحداث سنة ١٩٣هـ.

(٧) سيّدات البلاط العبّاسي : ٤٨.

مسرحاً للظلم والجور والاستبداد.

ولم يعد حكم هارون يمثّل أي جانب من جوانب الحكم الإسلامي، وقد أدرك الرشيد هذه الظاهرة، فراح يتظاهر ببعض المظاهر الإسلاميّة، فكان يحضر بعض الوعّاظ فيلقون عليه المواعظ، فيظهر البكاء من خشية الله، كما كان يحجّ بيت الله الحرام، والغرض من ذلك التمويه على البسطاء والسذّج، وإغرائهم بأنّه متحرّج في دينه، ومهتمّ بشؤون الإسلام، وأنّه على عكس بني أُميّة الذين أهملوا شؤون الدين في حكمهم.

وقد ألمح إلى ذلك الأُستاذ عمرو أبو نصر بقوله: «إنّ العبّاسيّين كانوا يتّهمون الخلفاء الأمويّين بضعف الدين، فكان من الحقّ والحالة هذه أن يظهروا للناس بمظهر جديد فيه احترام للدين، وتعزيز للعقائد الإسلاميّة»[1].

إنّ بعض الطقوس الدينيّة التي أعلنها هارون وغيره من ملوك العبّاسيّين لم يكن الغرض منها إلّا تضليل الرأي العامّ وخدعته بأنّ حكمهم يقوم بحماية الإسلام، والذبّ عن مبادئه وأهدافه.

نعم، إنّ قيامهم بالفتوحات العظيمة يدل بحسب ظاهره على اهتمامهم بشؤون الإسلام، ولكنّ التأمّل يقضي بأنّ قيامهم بذلك ما كان الغرض منه إلّا اتّساع رقعة ملكهم، وبسط سلطانهم، واستعباد الشعوب، والاستيلاء على مقدّراتها الاقتصاديّة، ولو كانوا حريصين على مصلحة الإسلام - كما يقال - لساروا بين المسلمين بسياسة الحقّ والعدل، وطبّقوا أحكام القرآن على واقع الحياة، ولكن لم نر شيئاً من ذلك، فقد حفلت كتب التاريخ بصور مخزية من لهوهم ومجونهم، وازدرائهم بالقيم الإنسانيّة، واستبدادهم بشؤون المسلمين، وإرغامهم على الذلّ والعبوديّة، ولم يكن هناك أي ظلّ للحكم الإسلامي الهادف إلى تطوّر الحياة،

---

(١) هارون الرشيد: ٧٥.

ورفع مستوى الفكر.

موقف الإمام عليه السلام

وتميّز موقف الإمام موسى عليه السلام مع حكومة هارون بالشدّة والصرامة ، فقد حرم التعاون معها في جميع المجالات ، وقد ظهر هذا الموقف جليّاً في حديثه مع صفوان ، فقد قال له الإمام : **يا صَفْوانُ ، كُلُّ شَيْءٍ مِنْكَ حَسَنٌ جَميلٌ ، ما خَلا شَيْئاً واحِداً.**

فالتاع صفوان ، وذابت نفسه لعلمه بأنّه لم يخلد إلى أي معصية ، فانبرى للإمام قائلاً : جعلت فداك ، أي شيء ؟!

- **كِراؤُكَ جِمالَكَ مِنْ هٰذا الطّاغِيَةِ** - يعني هارون -.

- والله ما أكريته أشراً ولا بطراً ، ولا للصيد ولا للهو ، ولكن أكريته لهذا الطريق - يعني طريق مكّة - ولا أتولّاه بنفسي ، ولكن أبعث معه غلماني.

فقال له الإمام : **يا صَفْوانُ ، أَيَقَعُ كِراكَ عَلَيْهِمْ ؟**

- نعم ، جعلت فداك.

- **أَتُحِبُّ بَقاءَهُمْ حَتّىٰ يَخْرُجَ كِراكَ ؟**

- نعم.

فقال عليه السلام : **مَنْ أَحَبَّ بَقاءَهُمْ فَهُوَ مِنْهُمْ ، وَمَنْ كانَ مِنْهُمْ كانَ وارِداً لِلنّارِ.**

وأعرب عليه السلام في حديثه عن نقمته البالغة ، وسخطه الشديد على حكومة هارون ، وهو موقف صارم منبعث من صميم العقيدة الإسلاميّة التي أعلنت الحرب بغير هوادة على الظالمين والمستبدّين ، وحرمت التعاون معهم بأي لون كان ، ومنعت من الركون إليهم بأي وجه من الوجوه.

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ (١) ، كما كشف عليه السلام بحكمه هذا عن مدى مقاومة الإسلام للظالمين ، فقد حرّم على المسلمين الميل إليهم ، والرغبة في بقائهم ، حتّى لو كان ذلك مستنداً إلى بعض المصالح الشخصيّة التي ترتبط بظلمهم وجورهم ، فإنّ من أحبّ بقاء الظالمين كان معهم ، وحشر في زمرتهم في نار جهنّم .

وحذّر عليه السلام في بعض أحاديثه شيعته من الدخول في سلك حكومة هارون ، والتلبّس بأي وظيفة من وظائف دولته ، فقال عليه السلام لزياد بن أبي سلمة : **يا زِيادُ ، لَئِنْ أَسْقطَ مِنْ شاهِقٍ فَأَتَقَطِعَ قِطْعَةً قِطْعَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتولّى لَهُمْ عَمَلاً ، أَوْ أَطأَ بِساطَ رَجُلٍ مِنْهُمْ** (٢) .

وإنّما قاوم عليه السلام حكومة هارون بهذه المقاومة الشديدة لأنّ في ولايته درساً للعدل وتبديلاً لسنّة الله ، ومحواً للحقّ وإحياءً للباطل ، وقتلاً للإسلام ، فلذا حرّم على شيعته التعاون معه ، واستثنى عليه السلام من ذلك ما إذا كانت الوظيفة لإنقاذ المسلمين من الظلم والجور ، وقضاء حوائج المؤمنين ، فقد أباحها عليه السلام كما في حديثه مع عليّ بن يقطين ، وهو مستثنى من ولاية الجائر كما سنبيّنه في بعض فصول هذا الكتاب .

إنّ موقف الإمام من حكومة هارون موقف صريح واضح يقضي بوجوب تحطيم حكمه وإزالة ملكه ، أمّا الوسائل المحقّقة لذلك فسنبيّن أنّه كان يرى ضرورة المقاومة السلبيّة فقط ، وأمّا غيرها فليست من رأيه لعلمه بفشلها وعدم نجاحها ، وسنذكر ذلك عند التعرّض لمحنة العلويّين في دوره .

---

(١) هود ١١ : ١١٣ .

(٢) تهذيب التهذيب : ٦ : ٢٨٣ ، رقم ٩٢٤ . المكاسب / الشيخ الأنصاري : ٢ : ٧٣ و ٧٤ ، باب الولاية من قِبل الجائر .

التنكيل بالعلويّين

وورث هارون من جدّه المنصور البغض العارم والعداء الشديد للعلويّين ، فقابلهم منذ بداية حكمه بكلّ قسوة وجفاء ، وصبّ عليهم جام غضبه ، وقد أقسم على استئصالهم وقتلهم ، فقال : « والله لأقتلنّهم ـ أي العلويّون ـ ولأقتلن شيعتهم »[١].

وأرسل طائفة كبيرة منهم إلى ساحات الإعدام ، ودفن قسماً منهم وهم أحياء ، وأودع الكثيرين منهم في ظلمات السجون ، إلى غير ذلك من المآسي الموجعة التي صبّها عليهم ، وفيما يلي عرض لبعضها :

نفيهم من بغداد

وحينما استولى الرشيد على دست الحكم أصدر مرسوماً ملكيّاً يقضي بإخراج العلويّين فوراً من بغداد إلى يثرب ، فقامت السلطات بنفيهم عنها[٢].

لقد كان الرشيد شديد الوطأة على عترة النبيّ ﷺ ، وكانوا على علم بمقته وبغضه لهم ، فحينما علموا بخلافته هاموا على وجوههم في القرى والأرياف متنكّرين لئلّا يعرفهم أحد ، قد أحاط بهم الرعب والفزع ، واستولى عليهم الخوف والارهاب ، وقد أمعنت الشرطة في متابعتهم ومطاردتهم ، وانتشرت الاستخبارات والأمن للتفتيش عنهم ، فمن ألقوا القبض عليه أرسل إلى القبور أو السجون أو إلى بعض وزراء هارون ليرسل رأسه هديّة إليه في أيّام أعياده .

ففي ذمّة الله ما عانته ذرّيّة النبيّ ﷺ من الارهاق والتنكيل في عهد هذا الطاغية الجبّار الذي لم يرع فيهم حرمة جدّهم الرسول ﷺ .

---

(١) الأغاني : ٥ : ٢٢٥.

(٢) التمدّن الإسلامي : ٤ : ٤٧.

انتقاصهم

وبذل هارون جميع جهوده وإمكانياته لتحطيم العلويّين وتشويه سمعتهم، وأعطى المزيد من الأموال للشعراء الذين يهجونهم، وكان مفتاح الوصول إليه والاتّصال به، والنيل من دنياه منحصراً في هذا الطريق، فقد عاتب أبان بن عبدالحميد البرامكة على تركهم إيصاله للرشيد فقالوا له: وما تريد من ذلك؟

فقال أبان: أُريد أن أحظى منه بمثل ما يحظى به مروان بن أبي حفصة.

قال له الفضل: إنّ لذلك مذهباً، وهو هجاء آل أبي طالب وذمّهم به يحظى وعليه يعطى، فاسلكه حتّى نفعل.

فتوقّف أبان وقال: لا أستحلّ ذلك.

فقالوا له: فما تصنع؟ لا يجيء طلب الدنيا إلّا بما لا يحلّ.

وأخيراً باع دينه وتخلّى عن عقيدته، ونظم قصيدة ذمّهم فيها، وقد جاء فيها:

نَشَدتُ بِحَقِّ اللهِ مَنْ كانَ مُسْلِماً ... أَعـمُّ بِما قَدْ قُلتُهُ العُجْمَ وَالعَرَبْ
أَعَمُّ رَسولِ اللهِ أَقْرَبُ زُلْفَةً ... لَدَيْهِ أَمِ ابْنُ العَمِّ فِي رُتْبَةِ النَّسَبْ
وَأَيُّهُما أَوْلىٰ بِهِ وَبِعَهْدِهِ ... وَمَنْ ذا لَهُ حَقُّ التُّراثِ بِما وَجَبْ
فَإِنْ كانَ عَبّاسٌ أَحَقَّ بِتِلْكُمْ ... وَكانَ عَلِيٌّ بَعْدَ ذاكَ عَلىٰ سَبَبْ
فَأَبْناءُ عَبّاسٍ هُمُ يَرِثونَهُ ... كَما العَمُّ لابْنِ العَمِّ فِي الإِرْثِ قَدْ حَجَبْ

وعرض قصيدته على الفضل، فقال له: ما يرد على أمير المؤمنين أعجب من أبياتك، ثمّ مضى إلى الرشيد فتلاها عليه، فأعطاه وقرّبه إليه[1]

لقد منح هارون الثراء العريض، ووهب الأموال الطائلة لكلّ من انتقص العلويّين

---

(١) الأغاني: ٢٠: ٧٥ و ٧٦.

من الشعراء ، فقد أنشده مروان بن أبي حفصة قصيدته التي جاء فيها :

وَأَبْنـاءُ عَـبّاسٍ نُـجومٌ مُـضيئَةٌ   إذا غـابَ نَـجمٌ لاحَ آخَـرُ زاهِـرُ
حُصونُ بَني العَبّاسِ في كُلِّ مَأْزَقٍ   صُدورُ العَوالي وَالسُّيوفُ البَواتِرُ
لِيَهْنِكُمُ المُلْكُ الَّذي أَصْبَحَتْ بِكُمْ   اسِـرَّتُهُ مُـخْتالَةً وَالْـمَنابِرُ
أَبوكَ وَلِيُّ المُصْطَفى دونَ هاشِمٍ   وَإِنْ رَغَمَتْ مِنْ حاسِديكَ المَناخِرُ

فأعطاه خمسة آلاف دينار ، وكساه خلعة ، وأمر له بعشرة من رقيق الروم الذين أسرهم ، وأركبه على برذون من خاصّ مراكبه[١].

لقد منحه هذه الأموال الضخمة لهجائه آل البيت عليهم السلام ، ومدحه للعبّاسيّين ، وأنّهم أوْلى بالنبيّ صلى الله عليه وآله من العلويّين .

ودخل عليه منصور النمري ، فأنشده قصيدته التي هجا فيها آل عليّ وهي :

بَني حَسَنٍ وَقُلْ لِبَني حُسَيْنٍ   عَلَيْكُمْ بِالسَّدادِ مِنَ الأُمورِ
أَميطوا عَنْكُمُ كَذِبَ الأَماني   وَأَحْلاماً يَعِدْنَ عِداتِ زورِ
مَنَنتَ عَلى ابْنِ عَبدِاللهِ يَحْيى   وَكانَ مِنَ الحُتوفِ عَلىٰ شَفيرِ
وَلَوْ جازَيْتَ ما اقْتَرَفَتْ يَداهُ   دَلَفْتَ لَهُ بِقاصِمَةِ الظُّهورِ
يَدٌ لَكَ في رِقابِ بَني عَلِيٍّ   وَمَنْ لَيسَ بِالمَنِّ الصَّغيرِ
وَإِنَّكَ حينَ تَبْلُغُهُمْ أَذاةً   وَإِنْ ظَلَموا لَمُحْتَرِقُ الضَّميرِ
أَلا للهِ دَرُّ بَني عَلِيٍّ   وَزور مِنْ مَقالَتِهِمْ كَبيرِ
يُسَمّونَ النَّبيَّ أَباً وَيَأْبىٰ   مِنَ الأَحْزابِ سَطْرٌ مِنْ سُطورِ[٢]

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ٥٣٠ و ٥٣١ .

(٢) أشار بذلك إلى الآية الكريمة : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ ﴾ ⇦

ولمّا فرغ من إنشاده قال له : ويحك ! ما هذا شيء كان في نفسي منذ عشرين سنة لم أقدر على إظهاره فأظهرته بهذا البيت وإنّك حين تبلغهم أذاة .

ثمّ قال للفضل بن الربيع : خذ بيد النمري فأدخله بيت المال ودعه يأخذ ما شاء ، فأدخله الربيع بيت المال ولم يكن فيه سوى عشرين بدرة فاحتملها(١) .

وكان منصور النمري يتظاهر بالميل لهارون والعداء للعلويّين ، ولكنّه كان يبطن الولاء لهم ، فوشى به بعض خصومه إلى الرشيد ، وأخبره بأنّه يبطن التشيع ، وأنشده قصيدته التي يتفجّع فيها لمقتل سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام ، وهي :

شاءِ مِنَ النّاسِ راتِعٍ هامِلِ ... يُعَلّلونَ النّفُوسَ بِالْباطِلِ
تَقْتُلُ ذُرّيَّةَ النّبِيِّ وَيَرْ ... جونَ جِنانَ الخُلودِ لِلقاتِلِ
وَيْلَكَ يا قاتِلَ الحُسَيْنِ لَقَدْ ... نُؤْتَ بِحَمْلٍ يَنوءُ بِالحامِلِ
أَيَّ حَباءٍ حَبَوْتَ أَحْمَدَ في ... حُفْرَتِهِ مِنْ حَرارَةِ الثّاكِلِ
بِأَيِّ وَجْهٍ تَلْقى النَّبِيَّ وَقَدْ ... دَخَلْتَ في قَتْلِهِ مَعَ الدّاخِلِ
هَلُمَّ فَاطْلُبْ غَداً شَفاعَتَهُ ... أَوْ لا فَرِدْ حَوْضَهُ مَعَ النّاهِلِ
ما الشَّكُّ عِنْدي في حالِ قاتِلِهِ ... وَإِنَّما الشَّكُّ في الخاذِلِ(٢)
وَعاذِلي أَنّي أُحِبُّ بَني ... أَحمَدَ فَالتُّربُ في فَمِ العاذِلِ
قَدْ دِنْتُ ما دينُكُمْ عَلَيْهِ فَما ... وَصَلتُ مِنْ دينِكُمْ إِلى طائِلِ
دينُكُمْ جَفوَةُ النَّبِيِّ وَما الـ ... جافي لآلِ النَّبِيِّ كَالواصِلِ

⇐ الأحزاب ٣٣ : ٤٠ .

(١) طبقات الشعراء : ٢٤٦ .

(٢) هكذا ذكره ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء : ٢٨٥ ، ورواه الشريف المرتضى في أماليه هكذا :

ما الشَّكُّ عِنْدي في كُفْرِ قاتِلِهِ ... لكِنَّني قَدْ أَشُكُّ في الخاذِلِ

وعرض في قصيدته لظلامة سيّدة النساء فاطمة عليها السلام، وطالب بمن يثأر لظلامتها بقول:

مَــظْلومَةٌ وَالنَّــبِيُّ والِـدُها ... تُـديرُ أَرجـاءَ مُـقلَةٍ حـافِلِ
أَلا مَســاعيرَ يَـغضبَونَ لَـها ... بِسِلَّةِ البِيضِ وَالقَنا الذّابِلِ[1]

وتلا على هارون قوله:

آلُ الرَّسـولِ وَمَـنْ يُـحِبُّهُمُ ... يَـتَطامَنونَ مَـخافَةَ القَـتْلِ
أَمِنَ النَّصارىٰ وَاليَهودُ وَهُمْ ... مِنْ أُمَّةِ التَّوحيدِ في أَزْلِ[2]

فتحرّق الرشيد غيظاً وغضباً، وأمر بإحضاره فوراً، فتوجّه الجند إليه ولكنّهم وصلوه ليلة مات ودفن[3]، وقال الرشيد: لقد هممت أن أنبشه ثمّ أحرقه[4].

وخاف المسلمون في ذلك الدور المظلم من ذكر مناقب أهل البيت عليهم السلام، فلم يجرأ أحد من الشعراء على مدحهم ورثائهم، فإن فاه بذلك تعرّض للنقمة والعذاب، فهذا ابن هرمة[5] لمّا مدحهم بقوله:

---

(١) المساعير: جمع مسعار، وهو موقد الحرب، البيض: السيوف. الذابل: الرقيق الحادّ.

(٢) أزل: الضيق والشدّة.

(٣) الأغاني: ١٢: ٢٠.

(٤) الشعر والشعراء: ٢٥٨. تاريخ بغداد: ١٣: ٦٨ و ٦٩، وفيه البيت الأوّل والأخير من القصيدة الأولى: «ألا مساعير».

(٥) ابن هرمة:

هو أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ القرشي الفهري المدني، شاعر مفلق من الشعراء المخضرمين.

قال الأصمعي: ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة، وهو آخر الحجج، وكان ممّن اشتهر بالانقطاع للطالبيّين، وقد أكثر من مدائحهم ورثائهم، كان جواداً كريماً، وهو القائل: ⇐

وَمَـهْما أُلامُ عَـلىٰ حُـبِّهِمْ   فَـإِنِّي أُحِبُّ بَـني فـاطِمَة
بَني بِنْتِ مَنْ جاءَ بِالمُحْكَما   تِ وَالدِّينِ وَالسُّـنَّةِ القـائِمَة

فسئل عن قائلها ، فأنكر أنّه قالها ، وشتم قائلها ، وقد أنكر عليه ابنه لأنه سبّ نفسه ، وكان يعلم أنّه نظم البيتين ، فقال له : يا بنيّ ، إنّ ذلك خير للمرء من أن يأخذه ابن قحطبة[1].

وأعرض الناس عن ذكر أهل البيت عليهم السلام خوفاً من نقمة هارون ،كما اندفع بعض المارقين عن الإسلام والمنحرفين عنه إلى إعلان سبّهم وطعنهم تقرّباً للرشيد ، فهذا مروان بن أبي حفصة تعرّض لكرامة سيّدة النساء فاطمة عليها السلام ، فوصفها بأنّها كانت تطحن بالرحى ، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله زوّجها من أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو بائس فقير ، وقد ردّه ابن الحجّاج[2] بقوله :

⇦ وَيُدَلُّ ضَيْفي فـي الظَّـلامِ عـلى   إِشْـراقِ نـاري أَوْ نُـبيحِ كِـلابي

الكنى والألقاب : ١ : ٤٣٥ ـ ٤٣٦

(١) الأغاني : ٤ : ١٠٩ و ١١٠.

(٢) ابن الحجّاج :

هو أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن الحجّاج النيلي البغدادي ، الكاتب الموهوب في طليعة شعراء الشيعة ، يقال : إنّه في درجة امرئ القيس في شعره ، كان معاصراً للسيّدين الرضي والمرتضى. له ديوان شعر كبير يقع في عدّة مجلّدات ، جمع الشريف الرضي المختار من شعره وسمّاه «الحسن من شعر الحسين» ، ومن شعره القصيدة الفائيّة المعروفة في مدح مولانا أمير المؤمنين عليه السلام :

يـا صاحِبَ القُبَّةِ الْبَيْضاءِ بِـالنَّجَفِ   مَنْ زارَ قَبرَكَ وَاسْتَشْفى لَـدَيكَ شُـفِي
زوروا أَبـا الحَسَـنِ الهـادي فَـإِنَّكُمْ   تَـحْظَونَ بِـالأَجْرِ وَالإِقْبالِ وَالزُّلَـفِ
زوروا لِمَنْ يَسْمَعِ النَّجْوىٰ لَدَيْهِ فَـمَنْ   يَـزُرْهُ بِـالْقَبْرِ مَـلْهوفاً لَـدَيهِ كُـفي
وَقُـلْ سَـلامٌ مِـنَ اللهِ السَّـلامِ عَـلىٰ   أَهْـلِ السَّـلامِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ وَالشَّـرَفِ ⇦

أكانَ قَولُكَ في الزَّهراءِ فاطِمَةٍ قَولَ امْرِئٍ لَهِجٍ بِالنَّصبِ مَفْتونِ
عَيَّرْتَها بِالرَّحىٰ وَالحَبِّ تَطْحَنُهُ لَا زالَ زادُكَ حَبّاً غَيرَ مَطْحونِ
وَقُلتَ إِنَّ رَسولَ اللهِ زَوَّجَها مِسكينَةً بِنْتِ مِسكينٍ لِمِسْكينِ (١)

لقد سحق مروان بن أبي حفصة جميع المقدّسات والقيم الإسلاميّة للتوصّل إلى هارون ، فهاجم أعزّ الناس عند النبيّ ﷺ ، وأحبّهم إليه ، وهي بضعته الطاهرة سيّدة النساء عليها السلام لينال بذلك من نعيم هارون ودنياه .

أمّا الصفات التي حاول بها الطعن على سيّدة النساء فإنّها كانت من أميز صفاتها ، إذ ليس عليها نقص أو حزازة في طحنها الطعام لأطفالها وزوجها من دون أن تستعين

⇨ إنّي أتَيْتُكَ يا مَولايَ تَشْفَعُ لي وَتَسْقِيني مِنْ رَحيقٍ شافِيَ اللَّهَفِ
لأنَّكَ العُروَةُ الوُثقىٰ فَمَنْ عَلِقَتْ بِها يَداهُ فَلَنْ يَشْقىٰ وَلَمْ يَخَفِ

والقصيدة طويلة ذكر فيها سيلاً من الأدلّة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وختمها بقوله :

بِحُبِّ حَيْدَرَةَ الكَرّارِ مُفْتَخَري بِهِ شَرُفْتُ وَهٰذا مُنْتَهى شَرَفي

توفّي سنة ٣٩١هـ في شهر جمادى الثانية في اليوم السابع والعشرين ، ودفن بجوار مولانا الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، وأوصى أن يكتب على لوح قبره : ﴿ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ الكهف ١٨ : ١٨

ورثاه السيّد الرضي بقوله :

نَعَوهُ عَلىٰ حُسْنِ ظَنّي بِهِ فَلِلّهِ ماذا نَعى النّاعِيانِ
رَضيعُ وَلاءٍ لَهُ شُعْبَةٌ مِنَ القَلبِ مِثْلُ رَضيعِ اللِّبانِ
وَما كُنتُ أَحْسَبُ أَنَّ الزَّمانَ يَفُلُّ مَضارِبَ ذاكَ اللِّسانِ

الكنى والألقاب : ١ : ٢٤٥ ـ ٢٤٧ .

يوجد ديوان شعره بمكتبة الإمام كاشف الغطاء العامّة ، وقد أخذ بالصورة الفتوغرافيّة على النسخة الأصليّة القديمة .

(١) مناقب آل أبي طالب : ٢ : ٩٧ .

بأحد ، فإنّ أباها الرسول ﷺ لم يشتر لها خادماً يعينها على شؤونها البيتيّة ، وهي أعزّ أبنائه وبناته عنده ، وقد أعطى ﷺ بذلك درساً خلافاً لحكّام المسلمين وولاتهم في لزوم الاحتياط بأموال المسلمين وحرمة اصطفاء أي شيء منها .

وأمّا زواجها من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو بائس فقير ، فلأنّه لم يكن لها كفء سواه ، وليس الإسلام ينظر في موضوع الزواج إلى المادّة والثراء ، وإنّما ينظر إلى العفّة والفضيلة ، وليست متع الحياة عنده ملحوظة مطلقاً في هذا الموضوع ما دام الإنسان على سلامة من دينه ، ولم يكن في العالم الإسلامي منذ فجر تاريخه من يملك رصيداً من المواهب والكمالات والعبقريّات وصلابة العقيدة وقوّة الإيمان كما ملكه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فهل هناك أحد ضمّته سماء الأمّة الإسلاميّة أسمى منه ، وأرفع حتّى يزوّجه النبيّ ﷺ من بضعته العزيزة عليه .

ولكنّ النفوس التي لم تع هدي الإسلام وتعاليمه ، أخذت تنظر إلى سموّ الشخص من زاوية واحدة وهي الثراء والمال ، فراحت تحاول الطعن والانتقاص من سيّدة النساء عديلة مريم بنت عمران في قداستها وعفافها ، لأنّها تزوّجت من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو فقير لا مال عنده .

معجزة رهيبة

وسلبت الرحمة وانعدمت الرأفة من نفس الطاغية هارون تجاه العلويّين ، فقد ارتكب أبشع جريمة سجّلها التاريخ تجاههم ، وهي إعدامه لجماعة منهم في ليلة واحدة بصورة محزنة تذهب النفس لهولها أسىً وحسرات ، وقد حدّث بفصول تلك المأساة الرهيبة الجلّاد حميد بن قحطبة .

فقد روى عبيدالله النيسابوري ، قال : « دخلت على حميد بن قحطبة في شهر رمضان وقت الزوال ، فأحضرت المائدة ، فدعاني حميد إلى تناول الطعام ، فقلت له : أيّها الأمير ، هذا شهر رمضان ، ولست بمريض ، ولا بي علّة توجب الافطار ،

ولعلّ الأمير له عذر في ذلك.

فقال لي: ما بي علّة توجب الافطار، ثمّ دمعت عينه وبكى، وبعد فراغه من الطعام التفت إليه عبيدالله مستفهماً عن سرّ بكائه فأجابه: أنفذ إليّ هارون حينما كنت بطوس في غلس الليل، فلمّا مثلت عنده قال لي: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟

- أفديه بالنفس والمال.

فأطرق هارون برأسه ثمّ أذن لي بالانصراف، وبعد فترة قصيرة بعث خلفي، فلمّا حضرت عنده قال لي: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟

- أفديه بالنفس والأهل والمال.

فتبسّم هارون، ثمّ أذن لي بالانصراف، فلمّا دخلت منزلي عاودني الرسول مرّة ثالثة قائلاً: أجب أمير المؤمنين، فلمّا حضرت عنده قال لي: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟

- أفديه بالنفس والأهل والمال والدين.

فتبسّم، وقال: خذ هذا السيف وامتثل ما يأمرك به الخادم، فأخذت السيف وقدم الخادم أمامي حتّى جاء بي إلى بيت مغلق، فإذا فيه بئر في وسطه، وثلاثة بيوت مغلقة، ففتح بيتاً منها فإذا فيه عشرون شخصاً بين شيخ وكهل وشابّ، فقال لي: إنّ أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء، وكلّهم من ولد عليّ وفاطمة.

فجعل يخرج لي واحداً بعد واحد وأنا أضرب عنقه حتّى أتيت على آخرهم، فرمى بأجسادهم ورؤوسهم في تلك البئر.

ثمّ فتح البيت الثاني، وإذا فيه عشرون شخصاً، فقال لي: إنّ أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء جميعاً، وكلّهم من ولد عليّ وفاطمة.

وأخذ يخرج لي واحداً بعد واحد حتّى أتيت على آخرهم قتلاً، فرمى بأجسادهم

ورؤوسهم في تلك البئر.

ثمّ فتح الباب الثالث وإذا فيه عشرون علويّاً، وأمرني بقتلهم، فجعل يخرج إليّ واحداً بعد واحد حتّى أعدمت منهم تسعة عشر شخصاً وبقي شيخ كبير، فقال لي: تبّاً لك، أي عذر لك يوم القيامة إذا قدمت على جدّي رسول الله ﷺ وقد قتلت من أولاده ستّين شخصاً، فارتعدت فرائصي، وأصابتني هزّة عنيفة، فنظر إليّ الخادم شزراً ونهرني، فأتيت على ذلك الشيخ فقتلته، ورميت به في ذلك البئر.

والتفت إلى عبيدالله فقال له: إذا كان فعلي هذا، وقد قتلت ستّين شخصاً من ولد رسول الله ﷺ فما ينفعني صومي وصلاتي؟ وأنا لا أشكّ أنّي مخلّد في النار»[١].

وهذه المجزرة إن صحّت نسبتها إليه[٢]، فإنّها تدلّ على أنّه لا عهد له بالله ولا باليوم الآخر، فقد أقدم على هتك حرمات الله، وأراق دماء آل النبيّ ﷺ بغير حقّ.

هدم مرقد الحسين عليه السلام

وضاق الرشيد ذرعاً، واستشاط غضباً وغيظاً حينما رأى جماهير المسلمين تتهافت على زيارة مرقد ريحانة النبيّ ﷺ وسيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين عليه السلام، فأمر بإحضار سادن المرقد المطهّر ابن أبي داود ليصبّ عليه جام عقابه وعذابه، ولمّا مثل عنده قال له بنبرات تقطر غضباً: ما الذي صيّرك في الحير[٣]؟

(١) بحار الأنوار: ٤٨: ١٧٨. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢: ١٠١.

(٢) جاء في كلّ من تاريخ الأمم والملوك والنجوم الزاهرة أنّ حميد بن قحطبة توفّي سنة ١٥٨هـ وولاية الرشيد كانت سنة ١٧٠هـ وهو مناف لوقوع هذه الحادثة في أيّام الرشيد، والأقرب أنّ هذه المجزرة وقعت أيّام المنصور.

(٣) الحير: اسم لمدينة كربلاء المقدّسة، كما في معجم البلدان والصحاح.

فقال له ابن أبي داود: إنّ الحسن بن راشد[١] هو الذي وضعني في ذلك الموضع، فهزّ الرشيد رأسه، وأمر بإحضاره بالفور، وهو يقول: ما أخلق أن يكون هذا من تخليط الحسن.

ولمّا حضر عنده قال له: ما حملك على أن صيّرت هذا الرجل في الحير؟

فقال له الحسن مستعطفاً: رحم الله من صيّره في الحير،أمرتني أمّ موسى[٢] أن أصيّره وأن أجري عليه في كلّ شهر ثلاثين درهماً.

فهدأ روع الرشيد، وقال: ردّوه إلى الحير، وأجروا عليه ما أجرته أمّ موسى[٣].

وما لبث الرشيد أن عاد إلى غيّه وطغيانه، فأمر بهدم المرقد العظيم، وهدم الدور المجاورة له، واقتلاع السدرة التي كانت إلى جانب القبر الشريف[٤].

كما أمر بحرث أرض كربلاء ليمحو بذلك كلّ أثر للقبر المطهّر، وقد انتقم الله منه، فإنّه لم يدر عليه الحول حتّى هلك في خراسان[٥].

لقد خاب سعي الرشيد، وضلّ كيده، فإنّه وسائر ملوك الأمويّين والعبّاسيّين

---

(١) الحسن بن راشد من رواة الإمام الصادق عليه السلام، ومن أعلام الشيعة.

(٢) أمّ موسى: هي أمّ المهدي، وهي ابنة يزيد بن منصور الحميري من ملوك اليمن.

(٣) تاريخ الأمم والملوك: ٦: ٥٣٧.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ٢: ١٩. الأمالي: ٢٠٦.

وجاء فيهما أنّ يحيى بن المغيرة الرازي قال: «كنت عند جرير بن عبدالحميد إذ جاءه رجل من أهل العراق، فسأله جرير عن خبر الناس.

فقال: تركت الرشيد وقد كرب قبر الحسين عليه السلام، وأمر أن تقطع السدرة فقطعت.

فرفع جرير يديه وقال: الله أكبر، جاءنا فيه حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: لَعَنَ اللهُ قاطِعَ السِّدْرَةِ ثلاثاً، فلم نقف على معناه حتّى الآن، لأنّ القصد بقطعه تغيير مصرع الحسين حتّى لا يقف الناس على قبره.

(٥) تاريخ كربلاء: ١٩٨.

وغيرهم ممّن نصبوا العداوة والبغضاء لسيّد الشهداء عليه السلام قد خبا ذكرهم ، وأفل مجدهم ، وبقي الإمام الحسين عليه السلام رمزاً للخلود قد استوعب ذكره جميع لغات الأرض ، تتهافت الملايين من المسلمين على زيارة مرقده وإقامة عزائه .

وستبقى تلك المراقد الزكيّة في كربلاء رمزاً خالداً للإنسانيّة تزداد شأناً وعظمة على جميع مراحل التاريخ . وسيبقى الحسين عليه السلام وحده على هامة الشرف والمجد حتّى يرث الله الأرض ومن عليها .

إعدام العلويّين واغتيالهم

وأعدم الطاغية هارون واغتال طائفة كبيرة من أعلام العلويّين هم من خيرة المسلمين علماً وورعاً وتحرّجاً في الدين ، ونعرض فيما يلي لبعضهم مع بيان ما جرى عليهم من القتل والتنكيل .

١ ـ عبدالله بن الحسن

ابن عليّ بن الإمام زين العابدين عليه السلام ، يكنّى أبا محمّد ، أُمّه بنت سعيد بن محمّد بن جبير ، عهد إليه بالأمر من بعده الشهيد الحسن بن عليّ قتيل فخّ .

قال الرشيد للفضل بن يحيى : هل سمعت بخراسان ذكراً لأحد منهم ـ أي من العلويّين ـ ؟

قال الفضل : لا والله لقد جهدت فما ذكر أحد لي منهم إلّا أنّي سمعت رجلاً ذكر موضعاً ينزل فيه عبدالله بن الحسن ، فلمّا سمع الرشيد بذلك بعث خلفه فجيء به إليه ، فلمّا حضر عنده قال له : بلغني أنّك تجمع الزيديّة ، وتدعوهم إلى الخروج معك .

فتوسّل إليه عبدالله وأنكر ذلك قائلاً : يا أمير المؤمنين ، ناشدتك الله في دمي ، فوالله ما أنا من هذه الطبقة ، ولا لي فيهم ذكر ، وأنّ أصحاب هذا الشأن بخلافي ،

أنا غلام نشأت بالمدينة وفي صحاريها ، أسعى على قدمي ، وأتصيّد بالبواشيق ، ما هممت بغير ذلك .

فلم يلن قلب الرشيد لاستعطافه ، وأمر باعتقاله في بعض سجونه ، ولم يزل العلويّ محبوساً حتّى ضاق صدره ، فبعث برسالة إلى هارون ملأها بالشتم والسباب ، فلمّا قرأها هارون تحرّق من الغيظ ونقله من الحبس ودعا جعفر بن يحيى فأمره بأن يجعله عنده .

وفي اليوم الثاني وقد صادف عيد النيروز قدّمه جعفر فضرب عنقه ، وغسل رأسه ، وجعله في منديل ، وأهداه إلى الرشيد مع جملة من الهدايا [١] .

وإنّما أقدم جعفر على ارتكاب هذه الجريمة لعلمه أنّ أثمن هديّة تقدّم للرشيد قتل ذرّيّة رسول الله ﷺ ، فإنّها توجب سروره والمزيد من الثقة به .

٢ ـ العبّاس بن محمّد

ابن عبدالله ابن الإمام زين العابدين عليه السلام ، يكنّى أبا الفضل ، وأمّه أمّ سلمة بنت محمّد بن عليّ بن الحسين ، دخل على هارون فكلّمه كلاماً طويلاً فقال هارون له : يابن الفاعلة ، فثار العبّاس وردّ عليه بأغلظ القول وأقساه قائلاً له : تلك أمّك التي تواردها النخّاسون .

وكان هذا هو منطق الأحرار الذين لا يخضعون لمنطق القوّة والسلطان ، ولمّا سمع الرشيد ذلك ثار من الغضب ، وأمر أن يُدنى منه ، وقام فضربه بالجرز [٢] حتّى قتله [٣] .

---

(١) مقاتل الطالبيّين : ٤٩٣ و ٤٩٤ .

(٢) الجرز : عمود من حديد .

(٣) مقاتل الطالبيّين : ٤٩٨ .

٣ـ إدريس بن عبدالله

ابن الحسن بن الحسن ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، أمّه عاتكة بنت عبدالملك ابن الحرث الشاعر المعروف ، حضر إدريس واقعة فخّ ، وأفلت منها مع مولى له يقال له : راشد ، فخرج حتّى وصل إلى مصر فنزلها ليلاً وجلس على باب رجل من موالي بني العبّاس ، فسمع كلامه فخرج فعرّفه بنفسه بعد أن أخذ منه العهود والمواثيق أن لا يعرّف شخصيّته لأحد ، ولا يخبر السلطة المحلّيّة به .

فاستجاب لقوله ، وآواه تلك الليلة ، وقام في تكريمه على أحسن ما يرام ، وتهيّأت قافلة إلى أفريقيا فبعث معها راشداً وتخلّف الرجل مع إدريس ، فسلك به طريقاً آخر خوفاً عليه من أن يؤخذ ، ومضيا يجدّان في الطريق حتّى انتهيا إلى طنجة وفاس ، وأخذ إدريس يبثّ دعوته وينشر أهدافه حتّى استجابت له البربر وبايعته ، فبلغ الرشيد ذلك ، فاهتمّ لأمره ، وشكا أمره إلى رئيس وزرائه يحيى البرمكي ، فقال له : أنا أكفيك أمره ، ودعا سليمان بن جرير الجزري ، وكان من متكلّمي الزيديّة فأوعده بالأموال الطائلة ، وأرشاه إذا اغتال إدريس ، ودفع إليه سمّاً فاتكاً ، فاستجابت نفسه الخبيثة إلى الشرّ ، ومضى يقطع البلاد حتّى انتهى إلى إدريس ، فأسرّ إليه مذهبه ، وأخبره أنّه انهزم من السلطة نظراً لأنّه من متكلّمي الزيديّة ، فأنس به إدريس وقرّبه إليه .

وكانت الزيديّة تجتمع به فيلقي عليها المحاضرات والدروس من مذهبهم ، ولمّا تيقّن إدريس بإخلاصه أخرج إليه سليمان قارورة طيب وقال له : إنّه لا يوجد في هذا البلد مثلها ، فأخذها إدريس وشمّها فتسمّم بها ، وأقام نهاراً وقد أثّر فيه السمّ حتّى لحق بالرفيق الأعلى .

وقيل : إنّه أهدى إليه سمكة مشويّة مسمومة ، فلمّا تناولها توفّي على الأثر .

وقال بعض شيعة بني العبّاس يفخر في قتله :

أَتَـظُنُّ يـا إدريسُ أَنَّكَ مُفلِتٌ   كَيدَ الخَليفَةِ أَوْ يَقيكَ فِرارُ(١)
فَـلَيُدْرِكَنَّكَ أَوْ تَـحُلَّ بِـبَلدَةٍ   لَا يَـهتَدي فـيها إِلَـيْكَ نَـهارُ
إِنَّ السُّيوفَ إِذا انْتَضاها سَخْطُهُ   طالَتْ وَتَقْصُرُ دونَها الأَعْمارُ(٢)
مَلِكٌ كَأَنَّ المَوتَ يَتْبَعُ أَمْرَهُ   حَتّىٰ يُقالَ تُطيعُهُ الأَقْدارُ

ودفن هناك وكانت له امرأة حامل ، فولدت له ولداً سمّي بإدريس ، فانتظروه إلى أن كبر فبايعوه وبذلك تشكّلت دولة لبني الحسن في المغرب ، وعُرفت دولتهم بدولة الأدارسة(٣).

٤ - يحيى بن عبدالله

ابن الحسن بن الحسن ابن أمير المؤمنين ﷺ ، يكنّى أبا الحسن ،كان جليل القدر ، رفيع الشأن ، له منزلة مرموقة عند المسلمين ، ونعرض فيما يلي إلى بعض شؤونه وأحواله :

صفته

كان قصيراً ، حسن الوجه والجسم ، تعرف سلالة الأنبياء في وجهه ، ووصفه بعض عيون هارون له فقال : إنّه مربوع ، أسمر ، حلو السمرة ، حسن العينين ، عظيم البطن .

---

(١) في رواية الطبري : « أو يفيد فرار ».
(٢) في رواية الطبري : « قصر دونها ».
(٣) تراجع سيرة إدريس وأخباره في : تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ٤١٦ . مقاتل الطالبيّين : ٣٢٦ . نفح الطيب / المقري : ١ : ٢٢٤ - ٢٢٧ . الاستقصاء لدولة المغرب الأقصى / السلاوي : ١ : ٦٧ .

منزلته العلميّة

كان من عيون أهل العلم والفضل . روى الحديث وأكثر الرواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، وروى عن أبيه ، وعن أخيه محمّد ، وعن أبان بن تغلب . روى عنه مخول بن إبراهيم ، وبكّار بن زياد ، ويحيى بن مساور ، وعمرو بن حمّاد ، وكان مالك بن أنس إذا رآه قام عن مجلسه وأجلسه إلى جنبه .

نشأته

نشأ في بيت الإمام الصادق عليه السلام ، وأفاض الإمام عليه الكثير من علومه ، وجعله أحد أوصيائه ، وكان إذا حدّث عن الإمام الصادق عليه السلام يقول : حدّثني حبيبي جعفر بن محمّد عليه السلام ، وقد شاهد النكبات القاسية ، والخطوب السود التي مرّت على اُسرته وأهل بيته من الظالمين وحكّام الجور .

اشتراكه في ثورة الحسين

كان يحيى من أبطال ثورة الشهيد صاحب واقعة فخّ ، فقد ساهم فيها مساهمة فعّالة ، وناضل مع بقيّة إخوانه نضالاً كثيراً ، وجاهد جهاداً طويلاً في سبيل تحقيق العدالة والمساواة في ربوع المجتمع الإسلامي ، وإزالة حكم الظالمين من بني العبّاس .

ولمّا تمكّنت جيوش العبّاسيّين من إخماد ثورة الحسين وقتلوه بتلك القتلة المروّعة الموجعة ، اختفى يحيى وهرب مع زمرة من إخوانه الأُباة يجول في البلدان ويطلب موضعاً يلجأ إليه .

هربه إلى الديلم

وخاف يحيى على نفسه وعلى أصحابه من هارون ، فمضى متخفّياً ومتنكّراً

مع سبعين رجلاً من أصحابه إلى الديلم ، فلمّا وصل إليها استقبل باستقبال حاشد ، وظهر أمره ، ودعا الناس إلى نفسه ، فاستجابوا له ، ونزع إليه الناس من سائر الأمصار والأقطار ، ففزع الرشيد من ذلك فزعاً شديداً ، فترك شرب الخمر ، واشتغل بالتفكير في أمره ، وبينما هو مشغول في أمره إذ دخل عليه رجل فقال له : يا أمير المؤمنين ، نصيحة .

فقال الرشيد لهرثمة : اسمع ما يقول ، فأبى الرجل أن يخبر بأي شيء ، وقال : إنّها من أسرار الخلافة ، فأمره أن لا يبرح من مكانه حتّى يفرغ من بعض شؤونه ، فلمّا فرغ استدعاه ، فطلب منه إخلاء المجلس من كلّ إنسان ، فأمر الرشيد بانصراف مَن كان معه وقال له : هات ما عندك .

- على أن تؤمنني من الأسود والأحمر ؟

- نعم ، وأحسن إليك .

- كنت في خان من خانات حلوان ، فإذا أنا بيحيى بن عبدالله في درّاعة صوف غليظة ، وكساء صوف أحمر غليظ ، ومعه جماعة ينزلون إذا نزل ، ويرتحلون إذا رحل ، ويكونون معه ناحية فيوهمون من رآهم أنّهم لا يعرفونه وهم أعوانه .

قال الرشيد : أوَ تعرف يحيى ؟

قال : قديماً ، وذاك الذي حقّق معرفتي بالأمس له .

قال : صفه لي ؟

فوصفه بجميع صفاته .

قال الرشيد : هو ذاك ، فما سمعته يقول ؟

قال : ما سمعته يقول شيئاً ، غير أنّي رأيته ورأيت غلاماً له أعرفه لمّا حضر وقت الصلاة أتاه بثوب غسيل فألقاه في عنقه ، ونزع جبّة من الصوف ليغسلها ، فلمّا كان بعد الزوال صلّى صلاة ظننتها العصر ، أطال في الأولتين وحذف الأخيرتين .

قال الرشيد : لله أبوك ! لجاد ما حفظت ، تلك صلاة العصر ، وذلك وقتها عند القوم ، أحسن الله جزاءك ، وشكر سعيك ، فما أنت وما أصلك ؟

قال : أنا رجل من أبناء هذه الدولة ، وأصلي مرو ، ومنزلي بمدينة السلام .

واغتمّ الرشيد ، وطافت به أفكار مبرحة ، وهواجس مريرة ، وأخذ يطيل التفكير في ذلك ، فرأى أن لا وسيلة له إلّا الحرب .

خروج الفضل لحربه

وندب هارون لحرب يحيى الفضل بن يحيى ، وزوّده بجيش بلغ خمسين ألف رجل ، ومعهم كبار القوّاد وصناديد الجيش ، وولّاه كور الجبال والريّ وجرجان وطبرستان وقومس ودنباوند والرويان ، وأخذ معه أموالاً طائلة فرّقها على زعماء الجيش وعلى الشعراء ، وتحرّك الفضل تحفّ به جيوشه ومعه الأموال يشتري بها الضمائر ، وانتهى في مسيره إلى طالقان ، فأقام فيها ، وأخذ يراسل صاحب الديلم ، وجعل له ألف ألف درهم على أن يسهّل له خروج يحيى .

تفرّق أصحاب يحيى

ولمّا سمع أصحاب يحيى بقدوم الفضل لحربه تفرّقوا عنه وخذلوه ، وكثر خلافهم وانشقاقهم عليه ، فجعل يحيى يناجي ربّه ويدعوه قائلاً : اللّهمّ اشكر لي إخافتي قلوب الظالمين ، اللّهمّ إن تقض لنا النصر عليهم فإنّما نريد إعزاز دينك ، وإن تقض لهم النصر فيما تختار لأوليائك وأبناء أوليائك من كريم المآب ، وحسن الثواب .

ودعاه الفضل إلى الصلح وعدم إراقة الدماء ، فلم يجد يحيى بدّاً من إجابته إذ لم تكن له فئة ينصرونه ولم يكن يأوي إلى ركن شديد .

عقد الصلح

ووقع الصلح بن يحيى والفضل على شروط شرطها الفضل ، فكتبت الشروط ، وبعثت إلى هارون فوقّع عليها ، وأشهد الجماعة التي طلب يحيى شهادتهم ، وجاء إليه عبدالله ابن الإمام موسى عليه السلام بعد إبرام الصلح ، فقال له : يا عمّ ، اخبرني بما لقيت ؟

فقال : ما كنت إلّا كما قال حيّ بن أخطب :

لَعَمرُكَ ما لامَ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ ... وَلكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلِ اللهَ يُخْذَلِ

فَجاهَدَ حَتّىٰ أَبْلَغَ النَّفْسَ عُذْرَها ... وَقَلْقَلَ يَبْغي العِزَّ كُلَّ مُقَلْقَلِ

لقد اضطرّ يحيى إلى الصلح ، وإلى الاتّفاق مع خصمه لأنّ جيشه قد تفرّق عنه وخذله الناس ، ولم يبق معه إلّا قلّة خيّرة من أصحابه لا تتمكّن من حمايته والدفاع عنه حتّى اضطرّ إلى المسالمة على ما فيها من قذى في العين ، وشجا في الحلق .

قدومه لبغداد

قدم يحيى إلى بغداد ونفسه مترعة بالألم والحزن لعلمه أنّ هارون لا يفي بعهده ووعده ، وجاء إلى الرشيد تحفّ به زمرة من أصحابه ، فقام إليه وعانقه ، وأظهر له الودّ الكاذب ، وأمر له بالوقت بمائتي ألف دينار ، فأخذها وأوفى بها ديناً كان للحسين صاحب واقعة فخّ ، ولم يتصرّف بها ، ومكث في بغداد ، وقد وضع عليه الرشيد العيون والجواسيس يراقبونه ويتعرّفون على من يفد إليه من أصحابه وشيعته .

وفي نفس الوقت كان يدبّر الحيلة في اغتياله وقتله ، فشعر بذلك يحيى ، فطلب من الفضل أن يسمح له بالوفادة لبيت الله الحرام ، فامتنع من إجابته أوّلاً ، ولكنّه توسّل إليه والتمس منه ذلك ، فأذن له ، وعلم الرشيد بذلك ، فدعا الفضل ، فلمّا مثل

عنده قال له : ما خبر يحيى بن عبدالله ؟

- في موضعه عندي مقيم .

- وحياتي .

فأحسّ الفضل بذلك ، فقال له : وحياتك إنّي أطلقته سألني برحمة من رسول الله فرققت له .

قال الرشيد : أحسنت قد كان عزمي أن أخلي سبيله .

وخرج الفضل وهارون يتميّز من الغضب والغيظ ، وألحقه بنظرة مريبة قائلاً : قتلني الله إن لم أقتلك .

ولمّا انتهى يحيى من حجّه قدم قافلاً إلى بغداد والرشيد مهتمّ في أمره يتبحّن الفرص لنقض عهده وقتله ، فبعث خلفه ، فلمّا حضر عنده قال له : يا يحيى ، أيّنا أحسن وجهاً أنا أو أنت ؟

- بل أنت يا أمير المؤمنين ، إنّك لأنصع لوناً ، وأحسن وجهاً .

- فأينا أكرم وأسخى أنا أو أنت ؟

ولم تكن هذ الأسئلة إلّا دليلاً على غروره ، وقلّة حيائه ، وصفاقة وجهه ، وتماديه في الإثم والطيش .

وانبرى يحيى إلى جوابه قائلاً له : وما هذا يا أمير المؤمنين ؟ ! وما تسألني عنه ، أنت تجبى إليك خزائن الأرض وكنوزها ، وأنا أتمحّل من سنة إلى سنة .

فخجل هارون من سؤاله ، وقال له : أيّنا أقرب إلى رسول الله ﷺ أنا أو أنت ؟

قال يحيى : قد أجبتك عن خطّتين فاعفني عن هذه .

وإنّما تنصّل من الجواب لعلمه بأنّه يسبّب له مشكلة لا يتمكّن من الخلاص منها ، فأصر هارون على أن يجيبه ، ولم يجد يحيى بدّاً من ذلك ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، لو عاش رسول الله ﷺ وخطب إليك ابنتك أكنت تزوّجه ؟ !

قال هارون : إي والله .

قال يحيى : فلو عاش فخطب مني ابنتي أكان يحلّ لي أن أزوّجه ؟

قال الرشيد : لا .

قال يحيى : هذا جواب ما سألت .

فغضب الرشيد ، ولم يملك جواباً لردّه ، وأمر بإعادته إلى السجن ، وأخذ يطيل التفكير في أمره ، فعنّ له أن يجمع بينه وبين عبدالله بن مصعب بن الزبير ـ وكان من أعدى الناس للعلويّين ـ لعلّه يجد في ذلك مجالاً لرميه بالخروج من الطاعة ليتّخذ من ذلك مبرّراً في نقض عهده وقتله ، فجمع بينهما .

فانبرى عبدالله قائلاً : يا أمير المؤمنين ، هذا دعاني إلى بيعته .

قال يحيى : أتصدق هذا وتستنصحه ؟ وهو ابن عبدالله بن الزبير الذي أدخل أباك وولده الشعب ، وأضرم عليهم النار حتّى خلّصهم أبو عبدالله الجدلي صاحب عليّ بن أبي طالب عليه السلام عنوة ، وهو الذي بقي أربعين جمعة لا يصلّي على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في خطبته حتّى التاث عليه الناس .

فقال : إنّ له أهل بيت سوء إذا صلّيت عليه أو ذكرته أتلعوا أعناقهم ، واشرأبّوا لذكره ، وفرحوا بذلك ، فلا أحبّ أن أقرّ أعينهم بذكره ، وهو الذي فعل بعبدالله بن عبّاس ما لا خفاء به عليك ، حتّى ذُبحت يوماً عنده بقرة فوجدت كبدها قد نقبت ، فقال له ابنه : يا أبة ، أما ترى كبد هذه البقرة ؟

فقال : يا بنيّ هكذا ترك ابن الزبير كبد أبيك ، ثمّ نفاه إلى الطائف ، فلمّا حضرته الوفاة قال لعليّ ابنه : يا بنيّ ، إلحق بقومك من بني عبد مناف بالشام ، ولا تقم في بلد لابن الزبير فيه إمرة ، فاختار له صحبة يزيد بن معاوية على صحبة عبدالله بن الزبير ، ووالله إنّ عداوة هذا لنا جميعاً بمنزلة سواء ، ولكنّه قوى عليّ بك وضعفت عنك ، فتقرّب بي إليك ليظفر منك بما يريد إذ لم يقدر على مثله منك ، وما ينبغي

لك أن تسوّغه ذلك فيَّ.

وأخذ يحيى يدلي بمنطقه الفيّاض على بغض آل الزبير لبني العبّاس، فقال عبدالله: ما تدعون بغيكم علينا، وتوثّبكم في سلطاننا.

فأعرض يحيى عن جوابه، وقال يخاطب هارون: أتوثّبنا في سلطانكم؟ ومن أنتم ـ أصلحك الله ـ عرّفني فلست أعرفكم.

فرفع الرشيد رأسه إلى السقف لئلّا يبدو عليه الضحك، وخجل ابن الزبير ولم يطق جواباً، والتفت يحيى إلى الرشيد قائلاً: فهو الخارج مع أخي على أبيك، والقائل له:

إنَّ الحَمامَةَ يومَ الشِّعبِ مِنْ دَثَنٍ[1] هاجَتْ فُؤادَ مُحِبٍّ دائِمِ الحَزَنِ
إنّـا لَنَأمُلُ أنْ تَرتَدَّ أُلفَتُنا بَعدَ التَّدابُرِ وَالبَغْضاءِ وَالإحَنِ
حَتّىٰ يُثابَ عَلى الإحْسانِ مُحْسِنُنا وَيَأمَنُ الخائِفُ المَأخوذُ بِالدِّمَنِ
وَتَنقَضي دَولَةٌ أحْكامُ قادَتِها فينا كَأحْكامِ قَوْمٍ عابِدي وَثَنِ
فَطالَما قَد بَرَوا بِالجَورِ أعْظُمَنا بَرْيَ الصَّناعِ قِداحَ النَّبْعِ بِالسَّفَنِ
قوموا بِبَيْعَتِكُمْ نَنهَضْ بِطاعَتِنا إنَّ الخِلافَةَ فيكُمْ يا بَني الحَسَنِ

وأخذ يحيى يتلو بقيّة ما قاله عبدالله، فتغيّر وجه الرشيد، وأخذ عبدالله يحلف له بالأيمان المغلّظة أنّها ليست له، فطلب منه يحيى أن يقسم بيمين خاصّ وهو ـ يمين البراءة من حول الله وقوّته ـ فامتنع عبدالله من ذلك، فغضب الرشيد منه ورفسه الفضل بن يحيى برجله وصاح به: احلف، فحلف باليمين المذكور، فما برح من موضعه حتّى أصابه الجذام فتقطّع ومات في اليوم الثالث.

---

(١) دثن الطائر تدثيناً: طار وأسرع في السقوط في مواضع متقاربة، وفي الشجرة اتّخذ فيها عشّاً.

ودلّت هذه القصّة على مدى انتقام الرشيد من العلويّين ومحاولته بكلّ صورة الفتك بهم ، غير معتنٍ بقرابتهم من رسول الله ﷺ ، وما لهم من الكرامة والفضل عند الله .

مع الإمام موسى عليه السلام

ذكر الشيخ الكليني رحمه الله أنّ يحيى رفع إلى الإمام موسى عليه السلام رسالة شجب فيها موقف الإمام السلبي تجاهه ، كما ندّد فيها بالإمام وأبيه الإمام الصادق عليهما السلام ، وهذا نصّها :

« أمّا بعد : فإنّي أُوصي نفسي بتقوى الله ، وبها أُوصيك ، فإنّها وصيّة الله في الأوّلين ووصيّته في الآخرين .

خبّرني من ورد عليّ من أعوان الله على دينه ، ونشر طاعته ، بما كان من تحنّنك مع خذلانك ، وقد شاورت في الدعوة للرضا من آل محمّد ﷺ ، وقد احتجبتها واحتجبها أبوك من قبلك وقديماً ادّعيتم ما ليس لكم ، وبسطتم آمالكم إلى ما لم يعطكم الله ، فاستهويتم وأضللتم ، وأنا محذّرك ما حذّرك الله من نفسه » .

فكتب إليه الإمام جواباً جاء فيه :

مِنْ مُوسىٰ عَبْدِاللهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ مُشْتَرِكِينَ فِي التَّذَلُّلِ لِلّٰهِ وَطاعَتِهِ إلىٰ يَحْيىٰ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ الْحَسَنِ .

أَمّا بَعْدُ : فَإِنّي أُحَذِّرُكَ اللهَ وَنَفْسي ، وَأُعْلِمُكَ أَليمَ عَذابِهِ ، وَشَديدَ عِقابِهِ ، وَتَكامُلَ نَقِماتِهِ ، وَأُوصيكَ وَنَفْسي بِتَقْوىٰ اللهِ ، فَإِنَّها زَيْنُ الْكَلامِ ، وَتَثْبيتُ النِّعَمِ .

أَتاني كِتابُكَ تَذْكُرُ فيهِ أَنّي مُدَّعٍ وَأَبي مِنْ قَبْلُ ، وَما سَمِعْتَ ذٰلِكَ مِنّي ،

وَ ﴿ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾(١)، وَلَمْ يَدَعْ حِرْصُ الدُّنيا وَمَطالِبُها لأَهْلِها مَطْلَباً لآخِرَتِهِمْ، حَتّىٰ يُفْسِدَ عَلَيْهِمْ مَطْلَبَ آخِرَتِهِمْ في دُنْياهُمْ.

وَذَكَرْتَ أَنّي ثَبَّطْتُ النّاسَ عَنْكَ لِرَغْبَتي فيما في يَدَيْكَ، وَما مَنَعَني مِنْ مَدْخَلِكَ الَّذي أَنْتَ فيهِ لَوْ كُنْتُ راغِباً ضَعْفٌ عَنْ سِنَةٍ، وَلا قِلَّةُ بَصيرَةٍ بِحُجَّةٍ، وَلكِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى خَلَقَ النّاسَ أَمْشاجاً، وَغَرائِبَ وَغَرائِزَ، فَأَخْبِرْني عَنْ حَرْفَيْنِ أَسْأَلُكَ عَنْهُما ما الْعِتْرِفُ في بَدَنِكَ؟ وَما الصَّهْلِجُ في الْإِنْسانِ(٢)؟

ثُمَّ اكْتُبْ إِلَيَّ بِخَبَرِ ذلِكَ، وَأَنا مُتَقَدِّمٌ إِلَيْكَ أُحَذِّرُكَ مَعْصِيَةَ الْخَليفَةِ ـ يعني هارون ـ وَأَحُثُّكَ عَلىٰ بِرِّهِ وَطاعَتِهِ، وَأَنْ تَطْلُبَ لِنَفْسِكَ أَماناً قَبْلَ أَنْ تَأْخُذَكَ الْأَظْفارُ، وَيَلْزَمُكَ الْخِناقُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ، فَتَروحَ إِلَى النَّفَسِ مِنْ كُلِّ مَكانٍ، وَلا تَجِدُهُ حَتّىٰ يَمُنَّ اللهُ عَلَيْكَ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ، وَرِقَّةِ الْخَليفَةِ أَبْقاهُ اللهُ، فَيُؤْمِنُكَ وَيَرْحَمُكَ وَيَحْفَظُ فيكَ أَرْحامَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

وَالسَّلامُ عَلىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدىٰ

﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾(٣)

---

(١) الزخرف ٤٣ : ١٩.

(٢) العترف والصهلج : عضوان ، وهما غير معروفين عند الأطباء ، ولعلّ السؤال عنهما من باب التعجيز.

(٣) طه ٢٠ : ٤٨. أُصول الكافي : ١ : ٣٦٦.

والرواية لا يمكن الاعتماد عليها لأنها مرسلة أوّلاً ، فقد جاء في سندها : روى بعض أصحابنا ، بالإضافة إلى أنّ الكثيرين من رجال السند مجهولون ، فإنّ منهم محمّد بن رنجويه ، وعبدالله بن الحكم الأرمني ، ولم نعثر لهما على ذكر في كتب الرجال التي بأيدينا ، وبعد هذا فلا مجال للاعتماد على الرواية والتشكيك في حال يحيى .

ومهما يكن من أمر ، فإنّ من المتيقّن أنّ الإمام الكاظم عليه السلام كان يرى ضرورة المقاومة السلبيّة لهارون ، ولم ير بأي حال المقاومة الايجابيّة لعلمه بعدم نجاحها ، فإنّه كان يرى الأفضل لأبناء عمومته الثائرين عدم فتح باب الحرب مع هذا الطاغية ومع أسلافه البغاة ، وأنّ الأنسب كان هو التبشير بمبدأ أهل البيت عليهم السلام ، وذكر مثالب الظالمين من أعدائهم ، فإنّ ذلك أنجح في القضاء على خصومهم وأعدائهم .

نقض الأمان

وثقل يحيى على هارون ، فاستدعى فقهاء العصر وعرض عليهم الأمان الذي أعطاه له ، فأجمعوا أن لا طريق لنقضه سوى أبي البختري[١] الذي باع دينه على

---

(١) **وهب بن وهب بن كثير بن الأسود القاضي :**

أبو البختري القرشي المدني : سكن بغداد ، وولي قضاء عسكر المهدي ، ثمّ قضاء المدينة ، ثمّ ولي حريمها وصلاتها ، كان متّهماً في الحديث .

قال يحيى بن معين : كان يكذب عدوّ الله ، وقال عثمان بن أبي شيبة : أرى أنّه يبعث يوم القيامة دجّالاً ، وقال أحمد : كان يضع الحديث وضعاً ، وأمر البخاري بالسكوت عنه . هلك سنة مائتين من الهجرة . ميزان الاعتدال : ٣ : ٢٧٨ .

وذكر الكشّي أنّ أبا محمّد الفضل بن شاذان ، قال : «كان أبو البختري من أكذب البريّة ، ولم نعلم لماذا أمر البخاري بالسكوت عن هذا الكذّاب ، وعدم الخوض في حديثه ، مع أنّ الواجب تنزيه الرواة عن مثل هؤلاء المنحرفين عن الإسلام الذين فرّقوا كلمة ⇦

هارون ، وباء بالخزي والخسران ، فإنّه نظر إلى الأمان وقال : هذا باطل منتقض قد شقّ يحيى عصا الطاعة ، وسفك الدماء ، فاقتله ودمه في عنقي .

فقال له : خرّقه إن كان باطلاً بيدك ، فأخذه الأثيم وبصق فيه ومزّقه قطعة قطعة ، فوهب له الرشيد عوض فعله ألف ألف وستّمائة ألف ، وولّاه القضاء ، وأجمع أمره على إعدام يحيى .

شهادته

واختلف المؤرّخون في كيفيّة شهادته ، فقيل : إنّه أمر بإخراجه من المطبق في غلس الليل البهيم ، فلمّا مثل عنده قال لجلاوزته : خذوه واضربوه مائة عصا ، فضربوه ، وقد اشتدّ به الألم والوجع ، فأخذ يتوسّل لهارون ويناشده الله والرحم الماسّة من رسول الله ﷺ ، وقرابته منه أن يعفو عنه ، وهارون يقول له بعنف : ما بيني وبينك قرابة ، ثمّ أمر بردّه إلى المطبق وقال لشرطته : كم أجريتم عليه ـ أي من الرزق ـ ؟

قالوا : أربعة أرغفة وثمانية أرطال من الماء .

قال : اجعلوه على النصف .

ثمّ أخرجه في الليلة الثانية ، وأمر بجلده مائة عصا ، فجلد ، ثمّ قال لجلاوزته : كم أجريتم عليه ؟

قالوا : رغيفين وأربعة أرطال من الماء .

قال : اجعلوه على النصف .

وأخرجوه في الليلة الثالثة ، وقد ثقل حاله ، وألمّ به المرض ، فقالوا له : هو عليل

⇦ المسلمين ، ومزّقوا شملهم » .

مدنف ، فلم يكتف بذلك ، وانطلق يقول لهم : كم أجريتم له ؟

قالوا : رغيفين ورطلين من الماء .

قال : فاجعلوه على النصف .

ثمّ أمر بإخراجه فلم يبق إلّا قليلاً حتّى انتقل إلى جوار ربّه .

وقيل : إنّه بنى عليه اسطوانة وهو حيّ .

وقيل : إنّه سقاه السمّ ، وأمر بإخراجه إلى بلاطه ، فجعل يكلّمه وهو لا يجيبه ، فقال الرشيد لجلسائه : ألا ترون أنّه لا يجيبني ؟

فأخرج إليهم يحيى لسانه وقد صار أسوداً مثل الفحمة نظراً لتأثير السمّ فيه ، فتغيّر الرشيد ، وقال : إنّه يريكم أنّي قد سقيته السمّ ، ثمّ أمر بإخراجه فأُخرج من عنده ، فما وصل إلى وسط الدار حتّى توفّي .

وفي رواية أنّه لمّا تردّت حالته أمر هارون بأن تبنى عليه اسطوانة بالرافقة ، وكانت وفاته سنة **١٧٧**هـ .

لقد لاقى ربّه شهيداً سعيداً قد فاز برضا الله وباء خصمه بغضب الله وسخطه ، وقد أحدث قتله ضجّة أسى في الأوساط الإسلاميّة ، ورثته الشعراء ، وقد رثاه عليّ بن إبراهيم العلوي بقوله :

يـا بُـقْعَةً مـاتَ بِـها سَـيِّدٌ ... ما مِثْلُهُ في الأَرضِ مِنْ سَـيِّدِ
ماتَ الهُدىٰ مِنْ بَعدِهِ وَالنَّدىٰ ... وَسَمى إِلَى المَوتِ بِهِ مُعْتَدي
فَكَمْ حَـيّاً حُـزْتَ مِـنْ وَجْـهِهِ ... وَكَمْ نَدىً يَحْيى بِهِ المُجْتَدي
لا زلتَ غَـيثَ اللهِ يـا قَـبرَهُ ... عَـلَيكَ مِـنْهُ رائِـحٌ مُـغْتَدي
كـانَ لنـا غَـيْثاً بِـهِ نَـرتَوي ... وَكـانَ كَـالنَّجمِ بِـهِ نَـهْتَدي
فَإِنْ رَمـانا الدَّهـرُ عَـنْ قَـوسِهِ ... وَخـانَنا فـي مُـنْتَهى السُّـؤْدَدِ

فَــعَنْ قَــريبٍ نَــبْتَغي ثــارَهُ ... بِــالحَسَنِيِّ الثــائِرِ المُــهْتَدي
إنَّ ابْــنَ عَــبدِاللهِ يَـحْيىٰ ثَـوى ... وَالمَجْدَ وَالسُّؤْدَدَ في مَـلْحَدِ

إنّ هارون لم يراقب الله تعالى في إراقته لدماء ذرّيّة رسول الله ﷺ والتنكيل بهم ، وقد دلّ ذلك على هتكه لحرمات الله ، وانحرافه عن الطريق القويم [١].

٥ ـ محمّد بن يحيى

ابن عبدالله بن الحسن بن الحسن ابن أمير المؤمنين عليه السلام ، اُمّه خديجة بنت إبراهيم التيمي ، سجنه بكّار بن عبدالله الزبيري والي يثرب من قِبل هارون وضيّق عليه ، وأثقله بالحديد ، فقال محمّد :

إنّي مِنَ القَوْمِ الَّذينَ تَـزيدُهُمْ ... قَسْواً وَصَبْراً شِـدَّةُ الحَـدَثانِ

ولم يزل محبوساً مضيّقاً عليه حتّى أمر بإخراجه من السجن ، فلمّا حضر عنده طلب منه أن يكفله أحد ، فلم يحصل له ذلك ، فوثب وأنشأ يقول :

وَمـا العـودُ إلّا نـابِتٌ فـي أرومَـةٍ ... أَبى صـالحُ العِـيدانِ أنْ يَـتَقَطَّرا [٢]
بنو الصّالِحينَ الصّالِحونَ وَمَنْ يَكُنْ ... لآباءِ صِدْقٍ تَلْقَهُمْ حَـيثُ سَـيَّرا [٣]

فردّه إلى السجن ، فلم يزل فيه حتّى انتقل إلى جوار ربّه [٤].

---

(١) تجد أخبار يحيى في الكامل في التاريخ : ٦ : ٥. وفيات الأعيان : ١ : ١٥٨. الوزراء والكتّاب : ١٨٩. تاريخ الأمم والملوك : ١٠ : ٨٩. مقاتل الطالبيّين : ٤٦٣ ـ ٤٨٦ ، وقد اقتبسنا أكثر هذه البحوث منه .

(٢) في رواية : « تتفطّرا ».

(٣) روي : « لآباء سوء تلقهم حيث سيّرا ».

(٤) مقاتل الطالبيّين : ٤٩٥ و ٤٩٦.

٦ـ الحسين بن عبدالله

ابن إسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ﷺ ، أمّه حمادة بنت معاوية بن عبدالله بن جعفر ، قبض عليه بكّار الزبيري والي هارون على المدينة ، فضربه بالسوط ضرباً مبرحاً ، فتوفّي من أثر ذلك الضرب[١].

٧ـ إسحاق بن الحسن

ابن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ﷺ ، أمّه أمّ ولد ، حبسه هارون فمات في سجنه[٢].

ونظراً لما لاقاه العلويّون من الجور والاضطهاد ، فقد هرب الكثيرون منهم ، فمن جملة الهاربين أحمد بن عيسى بن زيد ابن الإمام زين العابدين ﷺ ، هرب إلى البصرة ، وكان يدعو الناس لنفسه سرّاً ، فاغتمّ هارون من أمره ، وجعل لمن جاء به أموالاً طائلة فطلبته العيون والجواسيس فلم تعثر عليه ، فعثروا على صاحبه (حاضر) فحملوه إلى الرشيد ، فلمّا صار بباب الكرخ رفع صوته قائلاً : أيّها الناس ، أنا حاضر صاحب أحمد بن عيسى بن زيد العلوي ، وقد أخذني السلطان .

فمنعته الشرطة من الكلام ، وجيء به مخفوراً إلى الرشيد ، فلمّا وقع نظره عليه سأله عن المكان الذي يقيم فيه أحمد وعن أعوانه وأنصاره ، فأبى أن يخبر بأي شيء ، فتهدّده الرشيد وتوعّده بالعذاب الأليم .

فانبرى إليه وهو غير مكترث بتهديده ، ولا معتن بسلطانه قائلاً له : « والله ، لو كان تحت قدمي هذه ما رفعتها عنه ، وأنا شيخ قد جاوزت التّسعين ، أفأختم عملي بأن أدلّ على ابن رسول الله حتّى يُقتل ؟ » .

---

(١) مقاتل الطالبيّين : ٤٩٧ .

(٢) مقاتل الطالبيّين : ٣٣٧ .

وثار الرشيد ، وفقد صوابه واختياره ، فأمر بضربه ، فضرب ضرباً مؤلماً ، فمات تحت السياط ، وأمر بصلبه فصلب في بغداد ، وخفي أمر أحمد ولم يعلم له خبر بعد ذلك(١).

هذا بعض ما صبّه هارون على العلويّين من المآسي والكوارث ، فلا يكاد يجفّ دم علوي منهم حتّى يسفك دم علوي آخر.

والخلاصة أنّه أشاع فيهم القتل والتنكيل ، ونشر الحزن والحِداد في بيوتهم حتّى هرب الكثيرون منهم فزعين تطاردهم الشرطة والعيون ، قد شاهدوا من الارهاب والأذى ما لا نظير له في فظاعته ومرارته ، وأمّا ما لاقاه الإمام موسى عليه السلام من هذا الطاغية فقد عقدنا له فصلاً خاصّاً تحدّثنا فيه عمّا جرى عليه من التعذيب والارهاق.

إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن دور هارون ، وقد وقفنا بما ذكرناه على جانب كبير من خلاعته ومجونه ، واستهتاره بالقيم الإسلاميّة ، فقد كان لا يبارح العود والشراب ومنادمة المغنّين ، وقد عاش عيشة طرب ولهو ، غارقاً في اللذّة والعبث والمجون.

وقد أجمع فقهاء المسلمين على أنّ مَن يتولّى منصب الخلافة الإسلاميّة لا بدّ أن تتوفّر فيه جميع النزعات الخيّرة من العلم ، والتقوى ، والحريجة في الدين ،

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ٣ : ١٥٤.

وفي عمدة الطالب : ٢٥٩ : « إنّ أحمد كان عالماً ، فقهياً ، كبيراً ، زاهداً ، أُمّه عاتكة بنت الفضل بن عبدالرحمن بن العبّاس بن الحارث الهاشميّة ، مولده سنة ١٥٨هـ ، ووفاته سنة ٢٤٠هـ ، وعمي في آخر عمره.

وروى أبو الفرج الأصفهاني أنّ إسحاق بن إبراهيم الموصلي لمّا نعي إلى المتوكّل اغتمّ وحزن عليه ، وقال : ذهب صدر عظيم من جمال الملك وبهائه وزينته ، ونعي إليه بعد ذلك أحمد بن عيسى ، فقال : تكافأت الحالتان ».

وبهذا نقف على مدى تسيّب الأخلاق في تلك الأدوار المظلمة التي كان يعدّ فيها الماجنون من جمال الملك وبهائه وزينته.

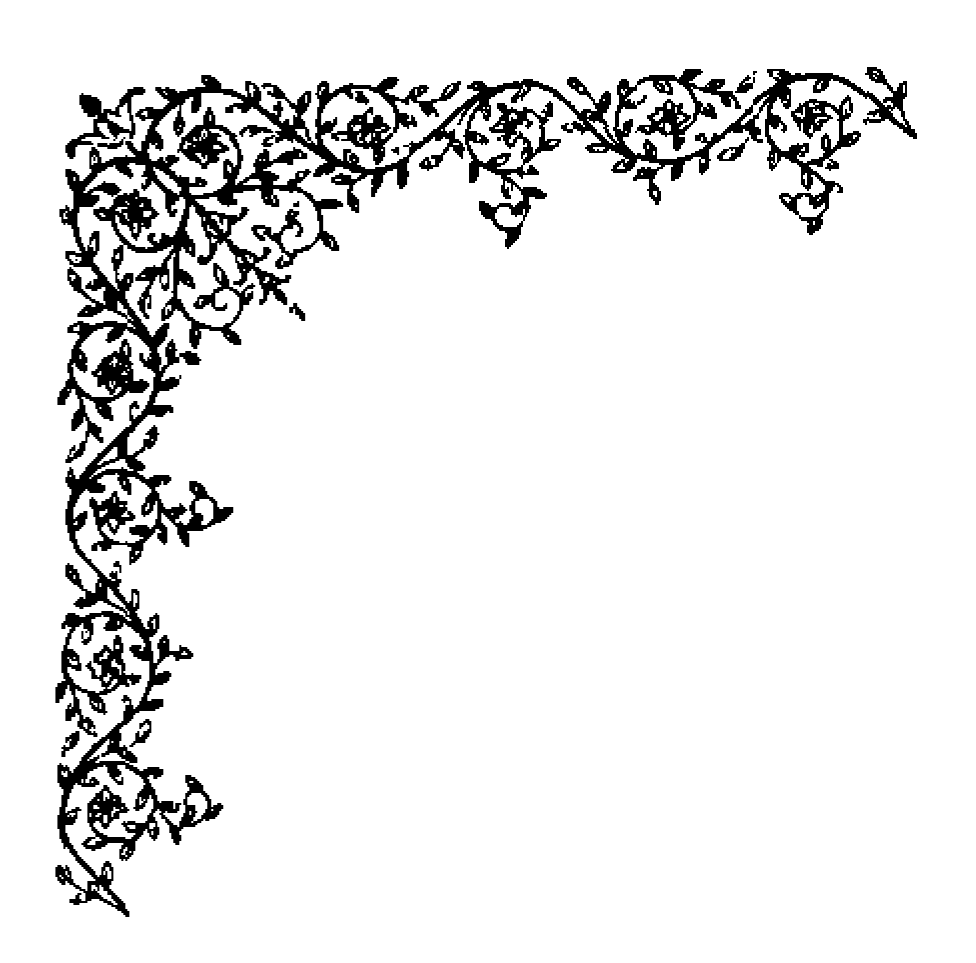
والاحتياط الشديد بأموال المسلمين، وأن يكون بلاطه قاعدة إسلاميّة، ومركزاً للحقّ والعدل، ومصدراً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع أنحاء البلاد، وأن تعمل الهيئة الحاكمة بجدّ ونشاط لصالح المجتمع، وتطوير البلاد في مجالاتها الثقافيّة والاقتصاديّة، فتزيل جميع عوامل التأخّر والانحطاط، وتنشر الأمن والدعة والاستقرار، وتراقب الحياة الاقتصاديّة فلا تدع ظلاً للبؤس والحرمان.

هذا واجب السلطة التي تضفي على نفسها النيابة عن النبيّ ﷺ، وتدّعي أنّها تمثّل الواقع الإسلامي والديني، ولكنّا مع الأسف الشديد لم نر أي جانب من الحكم الإسلامي المشرق في ظلّ الدولة الأمويّة والعبّاسيّة، ولم تطبّق على واقع الحياة الأهداف العريضة التي ينشدها الإسلام.

فلم نرَ إلّا الظلم الفاحش، والاستهانة البالغة بحقّ الأمّة، والاستبداد بثرواتها، وبذلها بسخاء على ما حرّم الله، ومطاردة القوى الواعية التي تأمر بالعدل الاجتماعي والسياسي، فقد لاقت تلك القوى الخيّرة التي يمثّلها العلويّون جميع صنوف الارهاب والتنكيل والآلام.

وبعد هذا هل يصحّ أن يقال: إنّ ملوك بني أُميّة وبني العبّاس حماة الإسلام وخلفاء النبيّ ﷺ على أمّته؟

وعلى أي حال، فإنّ الأعمال التي أُثرت عن هارون قد جافى بها الحقّ والعدل، وكان من الضروري فيما نحسب الوقوف على ذلك، فإنّه من الأسباب التمهيديّة لمعرفة محنة الإمام وبلائه في ذلك الدور الرهيب الذي انعدمت فيه جميع الحريّات، وقد عانى الإمام وغيره من قادة الفكر أقسى ألوان المحن والخطوب.



عصر الإمام عليه السلام



واتّسم عصر الإمام عليه السلام بموجات رهيبة من النزعات الشعوبيّة والعنصريّة والنحل الدينيّة، والاتّجاهات العقائديّة التي لا تمتّ إلى الإسلام بصلة، ولا تلتقي معه بطريق، وقد تصارعت تلك الحركات الفكريّة تصارعاً لا هدوء فيه ولا استقرار، حتّى امتدّ ذلك الصراع إلى أكثر العصور.

ويعود السبب في ذلك إلى أنّ الفتح الإسلامي قد نقل ثقافات الأمم وسائر علومهم إلى العالم العربي والإسلامي، بالإضافة إلى أنّ الإسلام قد جاء بموجة عارمة من العلوم والأفكار، ودعا المسلمين في نفس الوقت إلى الانطلاق والتخصّص في جميع ألوان المعارف، وقد أحدث ذلك انقلاباً فكريّاً في المجتمع الإسلامي، وتبلورت الأفكار بألوان من الثقافة لم يعهد لها المجتمع نظيراً في العصور السالفة.

وقد اتّجهت تلك الطاقات العلميّة التي تفجّرت في ذلك العصر إلى الجانب العقائدي من واقع الحياة، فحدثت المذاهب الإسلاميّة والفِرق الدينيّة، وتشعّبت الأمّة إلى طوائف وقع فيما بينها من النزاع والمخاصمات والجدال الشيء الكثير، فكانت النوادي تعجّ بالمعارك الدامية والصراع العنيف، خصوصاً فيما يتعلّق بإثبات الخالق وصفاته الإيجابيّة والسلبيّة، والقضاء والقدر، ومسألة خلق القرآن، وكان من أبرز المتصارعين في هذه الساحة هم علماء الكلام والمتكلّمون.

وقد أُلّفت كثير من الكتب في هذا الموضوع، وهي حافلة بصور كثيرة من تلك

المشاجرات والخصومات.

وكانت من أخطر الدعوات المحمومة التي اندلعت في ذلك العصر هي الدعوة الإلحاديّة ، فقد بشّر بها الدخلاء الذين يحملون في قرارة نفوسهم الحقد على الإسلام والمسلمين ، وقد ثقل عليهم امتداد حكم الإسلام ، وانتشار سلطانه في الأرض ، فرأوا أن لا طول لهم إلى مقابلته من طريق الحرب والقوّة ، فأخذوا يبثّون سمومهم في نفوس الناشئة الإسلاميّة ، ويلقون الشبه والأوهام في نفوس المسلمين ، حتّى استجاب لهم جمع من المخدوعين والمغرورين.

وكان موقف الإمام موسى عليه السلام وكبار القادة ، ورجال الفكر من أصحابه ، هو التصدّي لنقد تلك الأفكار الوافدة بالأدلّة العلميّة الرصينة ، وبيان فسادها ، وبعدها عن منطق الواقع ، وكانت احتجاجاتهم تحمل طابع الإخلاص للحقّ ، والحرص على صالح المسلمين ، وقد اعترف قسم كبير من حملة تلك المبادئ بخطئهم ، وفساد اتّجاههم ، فرجعوا إلى حضيرة الحقّ والصواب ، وقد لمعت بسبب ذلك حركة التشيّع ، وذاعت المقدرة العلميّة لقادتها ، حتّى دان بها قسم كبير من المسلمين ، وقد ثقل ذلك الأمر على المسؤولين ، فتصدّوا لهم بالاضطهاد والتنكيل ، ومنعوهم من الكلام في مجالات العقيدة حتّى اضطرّ الإمام موسى عليه السلام في أيّام المهدي أن بعث إلى هشام أن يكفّ عن الكلام نظراً لخطورة الموقف ، فكفّ هشام عن ذلك حتّى مات المهدي[1].

ولا بدّ لنا من التحدّث أوّلاً عن هذه الجهات ، كما أنّ من الضرورة عرض بعض الأحداث الجسام التي وقعت في ذلك العصر ، ومعرفة سياسة الحكم القائم آنذاك ، فإنّ الإحاطة بهذه الأمور ممّا تتوقّف عليه دراسة حياة الإمام عليه السلام ، كما أنّها تكشف لنا جانباً كبيراً عن المشاكل السياسيّة والاجتماعيّة السائدة في ذلك العصر ،

---

(١) رجال الكشّي: ٤٧٩/٢٦٥.

وفيما نحسب أنّه لا غنى للباحث من الإحاطة بذلك.

الشعوبيّة

وذهب المستشرق روايت مرونلدس إلى أنّ أهمّ الأحداث التي جرت في عصر الإمام موسى عليه السلام انبثاق الحركة الشعوبيّة، واشتداد التنافر بين العرب وبقيّة القوميّات الأُخرى[١].

وهذا الرأي سطحي للغاية، قد دلّ على عدم عمق صاحبه في التاريخ الإسلامي، وعدم وقوفه على نشأة الأحداث وتطوّرها في التاريخ، فإنّ الشعوبيّة لم تكن وليدة ذلك العصر، وإنّما نشأت قبله بكثير من الوقت، كما سندلّل عليه.

ولا بدّ لنا من وقفة قصيرة للبحث عن هذا الحادث الخطير الذي هو من أعظم ما مني به العالم الإسلامي من الرزايا والخطوب، وفيما يلي ذلك:

تعريف الشعوبيّة

واختلف اللغويّون في تحديدهم لهذه الكلمة.

ففي اللسان: «الشعوبي الذي يصغر شأن العرب، ولا يرى لهم فضلاً على غيرهم».

وفي الصحاح: «الشعوبيّة فرقة لا تفضّل العرب على العجم».

ففي التحديد الأوّل: أنّ الشعوبي هو الذي يحطّ من قيمة العرب وكرامتهم، ولا يرى لهم فضلاً على غيرهم.

أمّا التحديد الثاني: فيرى أنّ الشعوبي من يساوي بين العرب وغيرهم، وقد ذهب إلى هذا ابن عبدربّه في العقد الفريد، فقال: «إنّ الشعوبيّة هم أهل التسوية».

---

(١) عقيدة الشيعة: ١٦٣.

واختلف الكتّاب المحدثون في تحديدها ، فذهب العدوي إلى أنّ الشعوبيّة مأخوذة من الشعوب ، وهو العودة إلى ماضي الشعوب ، والتفاخر فيما بينها بالعصبيّات الجغرافيّة والتاريخيّة ، ونبذ رسالة العرب الهادفة إلى خلق مجتمع جديد قوامه تقدير قيمة الشخص بعمله وخدماته[(١)].

وذهب الدوري إلى أنّ مفهوم الشعوبيّة معقّد ، وأنّ الحركات السرّيّة التي تتظاهر بالإسلام ، وتعمل على هدم السلطان العربي الإسلامي ، أو على هدم الإسلام ، أو الاتّجاهات التي تحاول نسف الإسلام والعرب من الداخل هي التي يمكن أن يُطلق عليها اسم الشعوبيّة[(٢)].

ويرى كرد عليّ « أنّ الشعوبيّة قوم متعصّبون على العرب ، يفضّلون عليهم العجم »[(٣)].

هذا هو مفهوم الشعوبيّة في اللغة ، وعند المحدثين من الكتّاب ، وهم جميعاً لم يتّفقوا على مفهوم معيّن لهذا اللفظ .

نشأتها

ونشأت هذه الحركة الهدّامة حسب التحقيق التاريخي في عهد الخليفة الثاني ، حتّى ذهب ضحيّتها ، فقد اغتاله أبو لؤلؤة نتيجة للتآمر بين تلك القوى الحاقدة عليه .

أمّا عوامل نشأتها فترجع إلى عدم قيام السلطة بمساواة الموالي مع بقيّة المسلمين في الحقوق والواجبات ، فقد عمد الخليفة الثاني إلى الفتوى بعدم إرث

---

(١) المجتمع العربي ومناهضة الشعوبيّة : ١٢ .

(٢) الجذور التاريخيّة للشعوبيّة : ١١ .

(٣) الإسلام والحضارة العربيّة : ١ : ٣٥ .

أحد من الأعاجم إلّا من ولد في بلاد العرب(١).

وكذلك شدّد عليهم في وضع الضرائب ،كما عمد في سياسته الماليّة إلى خلق الطبقيّة في الإسلام ، ففضّل البدريّين في العطاء على غيرهم ، والمهاجرين على الأنصار.

وقد استدعى ذلك إلى تصنيف الناس بحسب قبائلهم وأصولهم ، فنشط النسّابون لتدوين الأنساب ، وتصنيف القبائل بحسب أصولها ، وقد أدّى ذلك بطبيعة الحال إلى حنق الموالي ، وكراهيّتهم للعرب ، والامعان في التفتيش عن مثالبهم.

وانتهج عثمان هذه السياسة ، فكتب إلى ولاته بالعراق أن يفضّلوا العرب على الموالي(٢).

وقد أدّت هذه السياسة التي لا تحمل أي طابع من التوازن إلى خلق كثير من المصاعب والفتن بين المسلمين ، فقد فرّقت بين صفوفهم ، وأدّت إلى شيوع البغضاء والكراهية بين كثير منهم.

تطوّرها

وتطوّرت الحركة الشعوبيّة تطوّراً هائلاً أيّام الحكم الأموي والعبّاسي ، فقد حدثت النعرات البغيضة بين المسلمين ، وأخذ العرب يفخرون على بقيّة القوميّات الأخرى ، ويشيدون بذكر مآثرهم ، فكانوا يقولون : إنّ لهم صفات خلقيّة امتازوا بها ، فهم أكرم الناس للضيف ، وأنجدهم للملهوف ، وأكثرهم عوناً للمستغيث ، يعقر أحدهم ناقته التي لا يملك سواها للطارق الذي ينزل بساحته ، ولهم في نفس الوقت حسن البديهة ، وقول الأمثال السائرة ، والإبداع في الكلام ، وهم أحفظ الناس

(١) الموطأ : ٢ : ١٢.

(٢) تاريخ الأمم والملوك : ٥ : ٦٣.

لأنسابهم ، فليس أحد منهم إلّا يعرف نسبه ويسمّي آباءه .

مضافاً إلى ذلك نشأة الإسلام فيهم ، وانتشاره على أيديهم ، فهم الناشرون له ، والحاملون لدعوته ، وهذه أهمّ الأدلّة التي اعتمد عليها العرب في امتيازهم وتقدّمهم على غيرهم .

وثقلت هذه العصبيّة المتطرّفة من قِبل العرب على بقيّة شعوب الامبراطوريّة الإسلاميّة ، فغالوا مثل مغالاة العرب ، وراحوا يحطّون من شأنهم ، ويذكرون مساوئهم ، ويعدّون مثالبهم من وأدهم البنات خشية إملاق ، واعتماد حالتهم الاقتصاديّة على الغزو والسلب ، ويزرون عليهم جدب الأرض وبساطة العيش ، كما راحوا في الوقت نفسه يذكرون عظمة السلطان عند الرومان ، وحكمة الهند ، ومنطق اليونان وفلسفتهم ، وصناعة الصين وفنونها ، وترف فارس وحضارتها ، والعرب أقلّ الأُمم شأناً في ذلك ، فليس لهم فخر يذكر ، ولا مجد يباهى به .

وأمّا تمشدقهم وفخرهم بالإسلام فليس هو دين العرب وحدهم ، بل هو دين الناس جميعاً ، والإسلام نفسه قد حارب النزعات الجاهليّة ، وقبر أفكارها ، وحطّم امتيازاتها ، واعتبر المسلمين جميعاً صفّاً واحداً ، لا امتياز لأحد منهم على أحد ، وجعل المقياس في التفوّق والفضل والتقوى والعمل الصالح . قال تعالى : ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾[(١)].

وقد أُلّفت كتب كثيرة في ذكر مثالبهم والازدراء بهم ، فقد كتب في ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنّى عدّة كتب منها : لصوص العرب ، وأدعياء العرب ، وفضائل الفرس ، وكتب الهيثم بن عدي جملة كتب في هذا الموضوع ، منها كتاب « المثالب الكبير » ، وكتاب « مثالب ربيعة » ، وأسماء بغايا قريش في الجاهليّة ، وأسماء من ولدن ، وألّف سعيد بن حميد بن البختكان كتاب « انتصاف العجم من العرب » ، وكتاب « فضل

---

(١) الحجرات ٤٩ : ١٣ .

العجم على العرب وافتخارها »[1].

لقد شاعت الحزازات ، وانتشر التنافر بين المسلمين في ذلك العصر ، فكان شعراء الموالي الذين أصلهم من فارس يعتزّون بقوميّتهم ، ويبالغون في الحطّ من كرامة العرب ، فهذا أبو نؤاس الذي كان فارسيّاً من ناحية اُمّه راح يهجو العرب ويقول فيهم :

عاجَ الشَّقِيُّ عَلى رَسْمٍ يُسائِلُهُ ... وَعجْتُ أَسأَلُ عَنْ خَمّارةِ البَلَدِ
يَبْكي عَلى طَلَلِ الماضِينَ مِنْ أَسَدٍ ... لَا دَرَّ دَرُّكَ ! قُلْ لي مَنْ بَنو أَسَدٍ ؟
وَمَنْ تَميمٌ ؟ وَمَنْ قَيسٌ وَلَفُّهُما ؟ ... لَيسَ الأَعاريبُ عِندَ اللهِ مِنْ أَحَدٍ

وتحدّث مرّة اُخرى في شعره عن ظاهرة من ظواهر العرب وهي شيوع التفاخر والتنافر بين أفراد قبائلهم ، فلا يكاد يجتمع عربيّان من قبيلتين إلّا حدث بينهما التشاجر والتفاخر ، فكلّ واحد منهما يعتزّ بقبيلته واُسرته ، ولا يوجد ذلك مطلقاً عند أبناء فارس .

يقول أبو نؤاس :

نادَمْتُهُمْ أَرْتاضُ في آدابِهِمْ ... فَالفُرْسُ عادي شُكْرِهِمْ مَحْسومُ
مُتَوَقِّرينَ كَلامُهُمْ ما بَيْنَهُمْ ... وَمُزَمِّرينَ خَفاؤُهُمْ مَفْهومُ
وَلِفارِسِ الأَحْرارُ أَنْفَسُ أَنْفُسٍ ... وَفَخارُهُمْ في عَشْرَةٍ مَعدومُ
وَإِذا اُنادِمُ عُصْبَةً عَرَبِيَّةً ... بَدَرَتْ إِلى ذِكْرِ الفَخارِ تَميمُ
وَعَدَتْ إِلىٰ قَيسٍ وَعَدَّتْ قَوسَها ... سُبِيَتْ تَميمُ وَجَمْعُهُمْ مَهزومُ
وَبَنو الأَعاجِمِ لا اُحاذِرُ مِنْهُمْ ... شَرّاً فَمَنطِقُ شُرْبِهِمْ مَزْمومُ

---

(١) فهرست ابن النديم : ١٣٧ .

لَا يَبْذَخونَ عَلى النَّديمِ إذا انْتَشَوا وَلَهُمْ إذا العُرْبُ اعْتَدَتْ تَسْليمُ
وَجَميعُهُمْ لي حينَ أَقْعُدُ بَينَهُمْ بِتَذَلُّلٍ وَتَهَيُّبٍ مَوْسومُ

لقد أوجب ذلك شيوع التنافر بين العرب وبقيّة القوميّات الأخرى، وتعصّب كلّ فريق لقوميّته، وكان في طليعة الشعوبيّين الذين يواصلون هجاء العرب بشّار بن برد، فقد كان لا يفتأ عن ذكر انتقاصهم والحطّ من كرامتهم فقد دخل أعرابي على مجزأة ابن ثور السدوسي بالبصرة، وبشّار كان حاضراً في مجلسه، وعليه بزّة الشعراء، فقال الأعرابي يسأل عن بشّار: مَن الرجل؟

- شاعر.
- أمولى هو أم أعرابي؟
- بل مولى.
- ما للموالي والشعر!
- فغضب بشّار وسكت برهة والتفت إلى مجزأة قائلاً له: أتأذن لي يا أباثور أن أقول؟
- قل ما شئت يا أبا معاذ.

فاندفع بشّار قائلاً:

خَليلي لا أَنامُ عَلى اقْتِسارِ وَلَا آبى عَلىٰ مَوْلىً وَجارِ
سَأُخبِرُ فاخِرَ الأَعْرابِ عَنّي وَعَنهُ حينَ تَأْذَنُ بِالفَخارِ
أَحينَ كُسيتَ بَعدَ العُرْيِ خَزّاً وَنادَيتَ الكِرامَ عَلى العُقارِ
تُفاخِرُ يابْنَ راعِيَةٍ وَراعٍ بَني الأَحْرارِ حَسبُكَ مِنْ خَسارِ
وَكُنتَ إذا ظَمِئْتَ إلىٰ قِراحٍ شَرِكْتَ الكَلْبَ في وَلْغِ الإِطارِ
تُريدُ بِخُطَّةٍ كَسْرَ المَوالي وَيُنْسيكَ المَكارِمَ صَيدَ فارِ

وَتَــغْدو لِـلقَنافِذِ تَـدَّريها   وَلَـمْ تَـعْقِلْ بِـدرّاجِ الدِّيـارِ
وَتَـتَّشِحُ الشَّـمالَ لِـلابِسيها   وَتَرْعى الضَّأْنَ بِالبَلَدِ القِفارِ[1]

وبلغت الحركة الشعوبيّة أوجها في أيّام المهدي ، وبلغت الذروة في عهد هارون ، وذلك لنفوذ البرامكة وقبضهم على أزمّة الدولة .

ومهما يكن من أمر ، فإنّ هذه النزعة قد أولدت العداء بين المسلمين وفرّقت صفوفهم ، وانطلق شعراء ذلك العصر والأُدباء من العرب أو من الموالي يهجو بعضهم بعضاً ، ويسبّ كلّ فريق منهم الفريق الآخر .

فهذا الخزيمي كان يقول :

أبِالصُّغْدِ بَأْسٌ إذْ تُعَيِّرُني جُمْلٌ[2]   سَفاهاً وَمِنْ أَخْلاقِ جارَتِيَ الجَهْلُ
فَإِنْ تَفْخَري يا جُمْلُ ، أَوْ تَتَجَمَّلي   فَلا فَخْرَ إلّا فَوقَهُ الدِّينُ وَالعَقْلُ
أَرى النّاسَ شَرْعاً في الحَياةِ وَلا أرىٰ   لِقَبْرٍ عَلىٰ قَبْرٍ عَلاءً وَلا فَضْلُ
وَما ضَرَّني إنْ لَمْ تَلِدْني يُحابِرٌ   وَلَمْ تَشْتَمِلْ جَرْمٌ عَلَيَّ وَلا عَكْلُ[3]
إذا أَنْتَ لَمْ تَحْمِ القَديمَ بِحادِثٍ   مِنَ المَجْدِ لَمْ يَنْفَعْكَ ماكانَ مِنْ قَبْلُ[4]

والحديث عن الشعوبيّة حديث مؤلم ، فإنّ هذه النزعة وغيرها من النزعات الفاسدة تدعو إلى تفريق الصفوف ، وتصديع الشمل ، وإشاعة العداء والبغضاء بين المسلمين .

---

(١) بشّار بن برد.. شعره وأخباره / أحمد حسنين القرني : ٥٦.

(٢) يكنى بجمل عن العرب .

(٣) يحابر ، وجرم ، وعكل : أسماء قبائل عربيّة .

(٤) ضحى الإسلام : ١ : ٦٦.

موقف الإسلام منها

وتميّز موقف الإسلام بالشدّة والصرامة لكلّ نزعة فاسدة توجب تصديع شمل المسلمين ، وإشاعة التنافر فيما بينهم ، فقد أعلن الإسلام منذ بزوغ نوره أنّ المسلمين يد واحدة ، وأنّ رابطة الدين أقوى من رابطة النسب .

وقد شجب النبيّ ﷺ جميع النعرات الشعوبيّة والقومية ، فقد هزأ بعض المنافقين من أذان بلال الحبشي لأنّه لم يكن يستطيع النطق بالشين ، فكان يبدلها سيناً ، وكان يقول : أسهد أن لا إلٰه إلّا الله ، فانطلق بلال إلى رسول الله ﷺ فأخبره بسخرية القوم واستهزائهم به ، فساء ذلك رسول الله ﷺ وانبرى يقول : **إنَّ سِينَ بِلالٍ شِينٌ عِنْدَ اللهِ** .

وقال ﷺ مندّداً بهؤلاء المنافقين : **إنَّ سِينَ بِلالٍ خَيْرٌ مِنْ شِينِكُمْ** .

وكان النبيّ ﷺ جالساً مع سلمان الفارسي ، وبلال الحبشي ، وصهيب الرومي ، وعمّار ، وخباب ، وغيرهم من ضعفاء المؤمنين ، فأقبل عليه الأقرع بن حابس التميمي ، وعيينة بن حصن الفزاري ، وغيرهم من مشايخ العرب ، فالتفتوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا له : يا رسول الله ، لو نحّيت هؤلاء عنك حتّى نخلوا بك ، فإنّ وفود العرب تأتيك فنستحي أن يرونا مع هؤلاء الأعبد ، فإذا انصرفنا فعد إلى مجالستهم .

فأنزل الله تعالى على نبيّه هذه الآية الكريمة : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [١] .

فدنا رسول الله ﷺ منهم ، وأقبل عليهم يحادثهم ، ولم يعن بأولئك المنافقين [٢] .

وأخذ بعض المؤلّفة قلوبهم يفخرون بأنسابهم ، ويذكرون أيّام آبائهم في الجاهليّة

---

(١) الحجرات ٤٩ : ١٣ .

(٢) مجمع البيان : ٧ : ٣٠٥ .

أمام سليمان الفارسي ، وقد تكرر ذلك منهم في غير مجلس ، فقام سلمان وأخبر النبيّ ﷺ بذلك ، فانبرى ﷺ إلى مسجده وهو فزع قد علاه الأسى والذهول ، فأعلن أمام الناس قوله الشهير : « **سلمان منّا أهل البيت** » .

وقال ﷺ : « **الصدقة حرام على سلمان** » .

وقد شجب ﷺ جميع ألوان التفرقة بين المسلمين ، فقال ﷺ : « **لا فضل لعربيّ على أعجميّ إلّا بالتقوى** » .

وقال الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾[1] .

وطبّق هذه السياسة النيّرة وصيّ النبيّ ﷺ ، وباب مدينة علمه ، الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فإنّه حينما تسلّم زمام السلطة ساوى بين جميع المسلمين في العطاء وغيره ، فعاملهم معاملة واحدة ، من دون تمييز فيما بينهم ، فهم جميعاً عنده بمنزلة سواء .

وقد أدلى عليه السلام بهذه المساواة في دستوره الدولي الذي أعلن فيه حقوق الإنسان ، قال عليه السلام لمالك : « **فَإِنَّهُمْ** ـ أي الناس ـ **صِنْفَانِ : إِمّا أَخٌ لَكَ في الدِّينِ ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ في الْخَلْقِ** »[2] .

ووفدت عليه سيّدة قرشيّة تطلب منه زيادة مرتّبها ، فرأت على باب الجامع امرأة عجوز ، فسألتها عن معاشها فأجابتها بأنّها تتقاضى من بيت المال ، وكان ما تتقاضاه بقدر ما تأخذه تلك السيّدة ، فساءها ذلك ، وتمسّكت بالعجوز ، وجعلت تصيح : هل من العدل والانصاف أن يساوي عليّ بيني وبين هذه الفارسيّة ؟

ودخلت الجامع وهي ترفع عقيرتها بذلك ، فلمّا انتهت إلى أمير المؤمنين قالت له

---

(١) الحجرات ٤٩ : ١٣ .

(٢) نهج البلاغة : ٤٢٧ .

بعنف: كيف تساوي بيني وبين هذه الأمَة ؟

فرمقها الإمام عليه السلام بطرفه، وأخذ قبضة من التراب، وجعل يقلّبها بيده وهو يقول: **لَمْ يَكُنْ بَعْضُ هـٰذَا التُّرابِ أَفْضَلَ مِنْ بَعْضٍ.**

وتلا قوله تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾**.

وقد أثارت عليه هذه السياسة أحقاد العرب وأضغان قريش، فانبرى إليه بعض أصحابه فطلبوا منه أن يغيّر سياسته قائلين: يا أمير المؤمنين، اعط هذه الأموال، وفضّل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم.

فلذعه هذا المنطق الرخيص وقال لهم: **أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ ؟!**

إنّ تفضيل العرب على العجم جور واعتداء على حقوق المسلمين في نظر ابن أبي طالب، رائد المساواة والعدالة في الأرض.

وقد أدّت هذه السياسة العادلة إلى تكتّل القوى الباغية، وتظافرها على مناجزته، وقد نصّ على ذلك المدائني بقوله: «إنّ من أهمّ الأسباب في تخاذل العرب عن عليّ بن أبي طالب كان اتّباعه لمبدأ المساواة بين الناس حيث كان لا يفضّل شريفاً على مشروف، ولا عربيّاً على عجمي، ولا يصانع الرؤساء والقبائل»[1].

وكانت هذه السياسة النيّرة امتداداً لرسالة النبيّ صلى الله عليه وآله، واتّباعاً لمنهجه. وقد رأى العجم والموالي هذا العدل المشرق الذي سار عليه أمير المؤمنين عليه السلام، فتمسّكوا به، واتّخذوه قدوة فذّة، وطالبوا حكّام المسلمين بالاقتداء به، وتطبيق منهجه، وقد لاقوا صنوف الارهاق والتنكيل من أولئك الحكّام الطغاة الذين ساسوا الأمّة بسياسة نكراء لا ظلّ فيها للعدل والحقّ.

---

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ٢: ١٧٩.

مخاريق أحمد أمين

وأحمد أمين من أولئك الحاقدين على الشيعة ، فقد قال : إنّ التشيّع كان مأوى للشعوبيّة وستاراً لهم[١] .

حفنة من التراب على أحمد أمين وغيره من الذين لا يكتبون للحقّ ، ولا للتاريخ ، ولا لصالح الأمّة ، وإنّما يكتبون وفق أهداف معيّنة يمليها عليهم الاستعمار ليفرّق بذلك صفوف المسلمين ، ويستبدّ بثرواتهم ، ويجعلهم تحت مناطق نفوذه .

إنّ الشيعة تستمدّ تعاليمها من أئمّة أهل البيت عليهم السلام الذين ناهضوا جميع الحركات الهدّامة ، ووقفوا من الشعوبيّة وغيرها موقفاً حاسماً يتّسم بالشدّة والصلابة ، فقد دعا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يعلى بالسيوف وجه كلّ من يدعو إلى عنصريّة تشتّت جمع المسلمين .

هل يستطيع أحمد أمين وغيره من الذين يقولون بمقالته أن يدلّلوا على أنّ الشيعة كانت مأوى للشعوبيّة وغيرها من النزعات الهدّامة ؟

إنّ الشيعة بكلّ اعتزاز وفخر قد رفعت منار العدالة الإسلاميّة ، وأنارت التاريخ الإسلامي بكفاحها المشرق البطولي ، ولولا تضحياتها الجبّارة ومواقفها الكريمة أمام الطغاة والظالمين لما بقي للإسلام اسم ولا رسم .

فهي مأوى للإسلام والحقّ والعدل ، ومأوى لكلّ حركة اجتماعيّة تهدف إلى بسط العدل والقضاء على الظلم .

وعلى أيّ حال ، فإنّ الشعوبيّة وسائر الشعارات الأخرى لا تتّفق مع الواقع الشيعي المستمدّ من صميم الإسلام وجوهره .

إنّ هذه الاتّهامات التي ألصقت بالشيعة لم يكن القصد منها إلّا خلق ثغرة بين

---

(١) ضحى الإسلام : ١ : ٦٣ .

صفوف المسلمين تستهدف إذلالهم وإضعافهم وإبعادهم عن واقع دينهم الذي ينشد لهم العزّة والكرامة والاستقلال.

إنّ المسلمين في أمسّ الحاجة في هذا العصر إلى جمع الكلمة، وتوحيد الصفوف، ونبذ الخلافات والنعرات، فأمامهم الاستعمار الأمريكي، وحليفته إسرائيل التي تكيد للعرب والمسلمين في وضح النهار وغلس الليل، وتعمل جاهدة على محاربة الإسلام، والاستيلاء على الوطن العربي، وإجلاء أهله عنه، وإقامة وطن إسرائيلي مكانه. ومن المؤسف غفلة المسلمين عن الخطر العظيم والبلاء المحدق بهم.

إنّ إسرائيل تمدّها أمريكا وسائر دول الغرب بجميع الأسلحة الفتّاكة، وتزوّدها بجميع المعونات الاقتصاديّة والعسكريّة لإبادة العرب واستئصال شأفتهم حتّى تستولي على البترول العربي وسائر المعادن الأُخرى.

فيجب على كلّ كاتب أن يوجّه جهده الفكري إلى إيقاظ المسلمين وتحذيرهم من هذا البلاء العظيم.

وعلى أي حال، فقد خرجنا عن قصد الجادة، ولكنّ الظروف المؤلمة وما تعانيه هذه الأُمّة من الويلات والنكبات، قد دفعتنا إلى الخروج عن هذا الموضوع، ولنعد بعد هذا إلى عرض بعض مشاكل عصر الإمام عليه السلام، وهي:

الإلحاد و الزنادقة

وظهرت الحركة الإلحاديّة في العصر العبّاسي الأوّل ، وانتشرت فيه المبادئ الشاذّة الداعية إلى الفوضى والتفسّخ ، وقد اعتنقها جمع من البسطاء الذين تلوّنهم الدعاية كيفما شاءت ، فانطلقوا بغير وعي ولا هدى معهم ، ولكنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام مع أعلام تلاميذهم من قادة الفكر الإسلامي قد تصدّوا إلى مناهضة ذلك الغزو العقائدي ، وتزييف الأفكار الوافدة ، وردّ شبهات الملحدين ، وإنقاذ المسلمين منها .

لقد بذل الإمام الصادق عليه السلام جميع جهوده في إنقاذ الوطن الإسلامي من الملحدين والمضلّلين ، وعمل معه في ميدان هذا الجهاد المقدّس ولده الإمام موسى عليه السلام ،كما قام معهما جماعة من تلامذتهما ممّن تسلّحوا بالمناهج العقليّة ، وعُرفوا بقوّة البيان ، وحسن الرأي ، ونفاذ البصيرة ، وقوّة الحجّة ، فعقدوا المجالس والمناظرات في الأماكن العامّة ، وفي بيوت الوزراء والملوك ، وخاضوا مع الملحدين في المباحث الكلاميّة .

وقد أثبتوا بقوّة البرهان والدليل زيف تلك العقائد حتّى أنّ جماعة من أعلام الدهريّين قد رجعوا عن أفكارهم ، وثابوا إلى طريق الحقّ والصواب . كما أنّ الحكومات المحلّيّة قد قامت بدورها باضطهاد الملحدين وتنكيلهم ، ولكن بمزيد الأسف كانت الحملة على الأبرياء أكثر منها على الزنادقة ، وقد اتّخذت تهمة الإلحاد وسيلة إلى زجّ الأبرياء في السجون ، ولا بدّ لنا من الحديث ولو إجمالاً عن هذا الموضوع الخطير الذي هو من أهمّ الأحداث التي جرت في العصر العبّاسي .

منشأ الإلحاد

الإلحاد ظاهرة نفسيّة من أخطر الأمراض الاجتماعيّة ، وأشدّها فتكاً بحضارة الإنسان وتقدّمه ، وهو يدعو إلى إنكار الخالق العظيم ، وجحود البعث ، وتكذيب الرسل ، والاعتقاد بأنّ الإنسان لا يخضع لقوّة أُخرى ، وأنّ حياته وجميع شؤونه إنّما هي من تدبيره وصنعه .

وينشأ هذا الداء من ثورة عنيفة في النفس تفصل يقظة الإحساس عن العقيدة والإيمان بالله ، وهي إمّا أن تكون منبعثة من شهوات النفس أو من مرض الحرمان العالق بها (١) .

إنّ الإنسان إذا أُصيب بهذا الداء الخطير ، فإنّ الحواجز النفسيّة التي تصدّه عن ارتكاب الإثم والمنكر تنهار انهياراً كلّيّاً ، وتنمحي عن النفس جميع النزعات الخيّرة ، ويسدر الإنسان في تيّارات قاتمة من الظلمة والتمرّد ، وإلى ذلك يشير الذكر الحكيم بقوله : ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ** ﴾ (٢) .

إنّ النفس إذا تمادت في الإثم فإنّها تنطلق بغير هوادة في ميادين سحيقة من الرذائل ، لا يعوقها عنها أي قانون في العالم ، ومن ثمّ كانت التربية الدينيّة ضرورة اجتماعيّة لأنّها تعني بتهذيب الضمير ، وتوجيه الإنسان الوجهة الصالحة ، وتغرس في أعماق النفس جميع النزعات الفذّة التي تبعثه على الإيمان بالله واليوم الآخر ، وتصدّه عن ارتكاب الجرائم والموبقات .

ولمّا انعدمت هذه التربية واجهت الإنسانيّة سيلاً من المشاكل في ميادين السلوك والأخلاق ، وانعدام الروابط الاجتماعيّة وغيرها من القيم الإنسانيّة .

---

(١) حقيقة النفس وأمراضها .

(٢) البقرة ٢ : ٢٥٧ .

وعلى أي حال ، فإنّ الإلحاد وسائر النزعات الشريرة تشكّل خطراً هائلاً على المجتمع الإنساني ، وتنذر بالدمار الشامل لجميع مقوّمات الحياة .

أنواع الإلحاد

للإلحاد ضروب متنوّعة كإنكار الخالق تعالى ، وجحود إحدى صفاته الثبوتيّة أو السلبيّة ، وعدم الإيمان بالأنبياء والرسل ، وإنكار البعث والنشور ، والعنوان الجامع لها هو إنكار إحدى ضروريّات الدين .

وأخطر أنواع الإلحاد جحود الله تعالى ، وهذا هو الإلحاد الغربي الذي عبّر عنه (نيتشه) بقوله : « لقد مات الله »[١] .

وعليه ترتكز الفكرة الماركسيّة كما أوضحناه في بعض مؤلّفاتنا[٢] .

أمّا الإلحاد في العصور الإسلاميّة الأُولى ، فإنّه كان متّجهاً إلى التشكيك في إحدى صفات الله وجحود الإسلام كما سنبيّنه .

في العصر الأموي

وظهرت بوادر الزندقة في العصر الأموي ، فقد أعلن بعض ملوك الأمويّين كلمة الكفر والمروق من الدين ، فهذا يزيد بن معاوية حينما قتل سبط الرسول ﷺ وريحانته سيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين عليه السلام جعل يتمثّل بقول ابن الزبعرى :

لَعِبَتْ هَاشِمٌ بِالمُلْكِ فَلاَ ... خَبَرٌ جَاءَ وَلاَ وَحيٌ نَزَلْ

وقد ورث هذه النزعة الإلحاديّة من أبيه وجده أبي سفيان ، فجدّه قال أمام

---

(١) انظر تاريخ الإلحاد في الإسلام .

(٢) عرضنا ذلك بصورة موضوعيّة في كتابنا (العمل وحقوق العامل في الإسلام) وفي (نظام الحكم والإدارة في الإسلام) .

عثمان بن عفّان مخاطباً لفتيان بني أُميّة : « تلاقفوها يا بني أُميّة تلاقف الكرة بأيدي الصبيان ، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من جنّة ولا نار » ، ولم يوجّه له عثمان عتاباً ، ولم ينزل به عقاباً .

وكانت هذه الظاهرة ماثلة عند أغلب ملوكهم ، فهذا الوليد حينما استفتح بكتاب الله العزيز ، وخرجت الآية : ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾[(١)] غضب وعمد إلى جعل الكتاب العظيم غرضاً لسهامه حتّى مزّقه ، وهو يقول :

تُهَدِّدُني بِجَبّارٍ عَنيدٍ ... فَها أنا ذاكَ جَبّارٌ عَنيدُ
إذا ما جِئْتَ رَبَّكَ يومَ حَشْرٍ ... فَقُلْ يا رَبِّ مَزَّقَني الوَليدُ

وهذا يدلّ بوضوح على كفره وارتداده عن الدين ، وقد تغذّى أكثرهم بهذه النزعة الإلحاديّة ، فقد عمدوا إلى جعل المربّين لأبنائهم من الزنادقة ، فكان عبدالصمد بن عبدالأعلى مربّي الوليد ومؤدّبه زنديقاً[(٢)].

وكان الجعد بن درهم[(٣)] زنديقاً .

وهو مربّي آخر ملوك الأمويّين ، مروان بن محمّد[(٤)].

ويرى ابن النديم : « أنّ الجعد قد أدخل مروان وولده في الزندقة »[(٥)].

ونصّ الدوري أنّ الجعد كان في طليعة من بشّر في المانويّة في عصره[(٦)].

ومن أبرز الزنادقة في العصر الأموي يونس بن أبي فروة ، وعمارة بن حمزة ،

---

(١) إبراهيم ١٤ : ١٥ .

(٢) تاريخ الأُمم والملوك : ٥ : ٥٢٠ . الأغاني : ٧ : ٨ و ٩ .

(٣) نسب مروان إلى مربّيه فقيل له : « مروان الجعدي » .

(٤) صبح الأعشى : ١٣ : ٢٥٥ .

(٥) فهرست ابن النديم : ٤٧٢ .

(٦) الجذور التاريخيّة للشعوبيّة : ٢٦ .

والمطيع بن أياس، ومخضرمو الدولتين الأمويّة والعبّاسيّة، وهم الحمّادون الثلاث: حمّاد عجرد، وحمّاد الزبرقان، وحمّاد الراوية[١].

لقد تكوّنت جذور الفكرة الإلحاديّة أيّام الحكم الأموي الذي كان مصدراً لجميع الحركات الهدّامة في الإسلام.

في العصر العبّاسي

وظهرت الدعوة الإلحاديّة سافرة في العصر العبّاسي الأوّل، ونشطت جميع المبادئ الهدّامة، ويرى (فلهوزن) أنّ هناك صلة وثيقة بين الدعوة العبّاسيّة والزنادقة، ويقول: «إنّ العبّاسيّين في ذلك الوقت جمعوا الزنادقة حولهم، ولم ينبذوهم إلّا فيما بعد»[٢].

وقد انطلقت الدعوة إلى المانويّة، والمزدكيّة، والخرميّة، والزرادشتيّة، وقد حملت الخرميّة راية الثورة المسلّحة، وانتشرت دعوتها في فارس، وكانت تدعو إلى شيوعيّة مزدك[٣].

ونعرض فيما يلي إلى بعض تلك المبادئ الوافدة:

المانوية

وأكثر المبادئ الإلحاديّة انتشاراً في ذلك العصر الفكرة «المانويّة»، وهي فكرة قديمة أسّسها ماني بن فاتك الفارسي الحكيم، وقد ولد سنة ٢١٥ أو ٢١٦م، وقد ظهر في زمن شابور، وقتله بهرام، وكان يقول بنبوّة المسيح، وينكر نبوّة موسى، وزعم أنّ

---

(١) الأمالي: ١: ١٣٤.

(٢) الدولة العربيّة: ٤٨٩.

(٣) الجذور التاريخيّة للشعوبيّة: ٤١.

العالم مصنوع مركّب من أصلين قديمين : النور والظلمة ، وأنّهما أزليّان ، وأنكر وجود شيء إلّا من أصل قديم[١].

وقد ذهبت المانويّة إلى التناسخ استناداً إلى ما ذكره ماني في بعض كتبه حيث قال : « إنّ الأرواح التي تفارق الأجسام نوعان : أرواح الصدّيقين وأهل الضلالة ، أمّا أرواح الصدّيقين إذا فارقت الأجساد أسرت في عمود الصبح إلى النور الذي فوق الفلك ، فبقيت في ذلك العالم على السرور الدائم ، وأمّا أرواح أهل الضلال إذا فارقت الأجساد ، وأرادت اللحوق بالنور الأعلى ردّت منعكسة إلى السفل ، فتتناسخ في أجسام الحيوانات إلى أن تصفو من شوائب الظلمة ثمّ تلتحق بالنور العالي »[٢].

وقد فرض ماني على أصحابه العشر في الأموال كلّها ، والصلوات الأربع في اليوم والليلة والدعاء إلى الحقّ ، وترك الكذب والقتل والسرقة والزنا والسحر وعبادة الأوثان ، وأن يأتي على ذي روح ، كما أنّه عدّ وجود الإنسان جناية جناها أهله ويجب انقراضه[٣].

كما أنّه يرى أنّ ما يصدر عن الإنسان من خير فمصدره إله الخير ، وما يصدر منه من شرّ فمصدره إله الشرّ ، وقد صوّر بعض أفكاره أبو نؤاس في هجائه لأبان ، أحد أقطاب هذه الفكرة بقوله :

جالَسْتُ يَوْماً (أَباناً) ... لَا دَرَّ دَرُّ (أَبانِ)
وَنَحنُ حُضْرُ رَواقِ الـ ... أمـيرِ بِالنَّهْرَوانِ
حَتّى إذا ما صَلاةُ[٤] الأُ ... ولىٰ دُنِّيَتْ لأذانِ

(١) الملل والنحل : ١ : ٢٢٤.
(٢) الفرق بين الفِرق : ٢٧١.
(٣) الملل والنحل : ١ : ٢٢٨.
(٤) أراد بالصلاة الأُولى صلاة الصبح.

فَقامَ ثَمَّ بِهِ ذو فَصاحَةٍ وَبَيانِ
وَكُلَّما قالَ قُلْنا[١] إلى انْقِضاءِ الأَذانِ
فَقالَ[٢]: كَيفَ شَهِدْتُمْ بِذا بِغَيرِ عِيانِ؟
لا أَشْهَدُ ـ الدَّهرَ ـ حَتّىٰ تُعايِنَ العَيْنانِ
فَقُلْتُ: «سُبْحانَ رَبّي!» فَقالَ: (سُبْحانَ ماني)
فَقُلْتُ: «عِيسَى رَسولُ اللهِ» فَقالَ: مِنْ شَيْطانِ
فَقُلْتُ: مُوسىٰ نَجِيُّ الـ مُهَيْمِنِ المَنّانِ
فَقالَ: رَبُّكَ ذو مُقْـ لَةٍ إذاً وَلِسانِ؟
أَنَفْسُهُ خَلَقَتْهُ أَمْ مَنْ؟ فَقُمْتُ مَكاني
عَنْ كافِرٍ يَتَمَرّىٰ[٣] بِالكُفْرِ بِالرَّحْمٰنِ[٤]

وقامت المانويّة ببثّ الحركات الإلحاديّة في العصر العبّاسي، وكان من أعلامها ابن المقفّع، فقد قام بترجمة كتب ماني، وابن ديصان، ومرقيون من الفارسيّة إلى العربيّة[٥].

كما وضع كتاباً يبشّر بالمانويّة، ويحمل فيه على المبادئ الإسلاميّة، وقد افتتحه باسم النور الرحمن الرحيم.

---

(١) المراد أنّه كلّما قال المؤذّن قولاً ردّدناه بعده.
(٢) أي قال أبان: كيف شهدتم بقول المؤذّن أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله ولستم شهود عيان.
(٣) يتمرّى بالكفر: أي يتزيّن به.
(٤) أبو نؤاس قصّة حياته / عبدالرحمن صدقي: ٦٣.
(٥) الأغاني: ١٢: ٨٧.

وقال المهدي : ما وجدت كتاب زندقة قطّ إلّا وأصله ابن المقفّع [١] ، واجتاز على بيت نار للمجوس فتمثّل :

يـا بَـيتَ عـاتِكَةَ الَّـذي أَتَـعَزَّلُ حَذَرَ العِدىٰ وَبِكَ الفُؤادُ مُوَكَّـلُ
إِنّــي لَأَمْـنَحُكَ الصُّـدودَ وَإِنَّـني قَسَماً إِلَيْكَ مَعَ الصُّدودِ لَأَمْيَلُ [٢]

ونسب إليه قلّة الاحترام للقرآن ومحاولته لمعارضته [٣].

وشكّك فرنشيكو جبريبلي في نسبة ذلك إليه [٤] ، وأنّ قتله لم يكن سببه الاتّهام بالزندقة ، وإنّما كان من أجل كتابته للأمان لعبدالله بن عليّ على المنصور ، والذي لم يجد فيه المنصور ثغرة ينفذ منها لنقض ذلك العهد ممّا أثار غضب المنصور فأمر بقتله [٥].

وعلى أي حال ، فإنّ المانويّة كانت من أكثر المبادئ التي دهمت المسلمين في ذلك العصر.

المزدكيّة

من المبادئ التي انتشرت في العصر العبّاسي الأوّل « المزدكيّة » ، وهي نوع من أنواع الشيوعيّة تدعو إلى التحلّل من جميع القيم الاجتماعيّة ، وقد نصّ الشهرستاني على بعض مبادئها ، فقال : « إنّ مزدك أحلّ النساء ، وأباح الأموال ، وجعل الناس

---

(١) معجم الأدباء : ١٥. الأمالي : ١ : ٩٣ و ٩٤.

(٢) الأمالي : ١ : ٩٤.

(٣) تاريخ الإلحاد في الإسلام : ٤٣.

(٤) مجلّة الدراسات الشرقيّة : ١٣ : ١٩٣٢ ، وترجمه الدكتور عبدالرحمن بدوي ، ونشره في كتابه الإلحاد في الإسلام : ٤٠ ـ ٦٤.

(٥) الوزراء والكتّاب : ١١٠.

شركة فيها كاشتراكهم في الماء والنار والكلاء »[١].

وقال الطبري : « قال مزدك وأصحابه إنّ الله جعل الأرزاق في الأرض ليقسّمها العباد بينهم بالتآسي ، ولكنّ الناس تظالموا فيها ، وزعموا أنّهم يأخذون للفقراء من الأغنياء ، ويردّون من المكثرين على المقلّين ، وإنّ من كان عنده فضل من الأموال والنساء والأمتعة فليس هو بأولى من غيره ، فافترس السفلة ذلك واغتنموه »[٢].

واعتنق هذه المبادئ الحاقدون على القيم الإسلاميّة ، فراحوا ينشرونها بين المسلمين ، واعتنقها خلق من الناس إرضاءاً لشهواتهم وفجورهم ، فكانت نتيجة ذلك إن شاع الفسق والمنكر بين أوساط الناس كما سنذكره .

الزرادشتيّة

من المبادئ الإلحاديّة التي ظهرت في العصر العبّاسي « الزرادشتيّة » ، وهي تقول بوجود إلهين : إله للخير ، وإله للشرّ ، وقد تحدّث عن بعض مبادئهم الخربوطلي يقول : « وجوهر مبادئ زرداشت أنّ في العالم حوادث كثيرة متنوّعة ، فمنها الخير ومنها الشرّ ، وهذه الحوادث لا توجد نفسها بل لا بدّ لها من أصل تستند عليه .

ويرى زرادشت استحالة نسبة الخير والشرّ إلى أصل واحد . ولهذا كان من الضروري عنده لتفسير ما يجري في العالم الإيمان بوجود قوّتين متضادتين مختلفتين ، فواحدة طاهرة ومقدّسة ، تفيض عنها الحياة والعناصر الطيّبة ، والأُخرى خبيثة دنسة ، تصدر عنها الآفات والهلاك والتدمير ، وكلّ ما ينزل بالإنسان من شرّ وبلاء .

فالأُولى تسمّى (اهريمان) ومعناه إله الشرّ أو الشيطان ، الثانية (يزدان) ومعناه

---

(١) الملل والنحل : ١ : ٢٢٩ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك : ١ : ٥٢٠ .

إله الخير والنور»[١].

ويرى زرادشت أنّ الروح لا تفنى ، وأنّها تنعم أو تشقى بلذائذ الحياة ، وأنّ محنتها ثلاثة أيّام بعد الموت ، وبعد ذلك تحملها الرياح حتّى تصل إلى الصراط وتحاكم هناك ثلاثة أيّام ، والأرواح الخيّرة تمضي إلى الجنّة والأرواح الشريرة تساق إلى النار .

وقد راجت الزرادشتيّة في العصر العبّاسي الأوّل ، واعتنقها خلق من البسطاء المغرّر بهم ، وقد عملت على محاربة القيم الإسلاميّة ، وتفكيك الروابط الاجتماعيّة ، وتحلّل المسلمين من الخلق والآداب الإسلاميّة .

وعلى أي حال ، فإنّ هذه المبادئ التي انتشرت في العصر العبّاسي تكشف لنا بوضوح عن الفراغ العقائدي ، وضحالة التفكير ، وسيادة الجهل ، وعدم إحاطة المسلمين بواقع دينهم الذي يدعو إلى اليقظة الفكريّة ، والتحرّر من جميع رواسب الجهل والجمود .

وقد ظهرت البدع والأضاليل في ذلك العصر بصورة تدعو إلى الدهشة والاستغراب ، فقد حدثت الراونديّة التي زعمت أنّ المنصور الدوانيقي ربّهم الذي يطعمهم ويسقيهم[٢] .

كما ظهرت بدعة المقنع الخراساني الذي نادى بتناسخ الأرواح وادّعى الألوهيّة ، فزعم أنّ الله خلق آدم فتحوّل في صورته ، ومن بعده إلى صورة نوح ، ثمّ إلى إبراهيم ، ومنه إلى صورة الأنبياء ، ثمّ في صورة النبيّ صلى الله عليه وآله ، ثمّ تحوّل إلى صورة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، ومن بعده إلى أولاده ، ثمّ إلى صورة أبي مسلم الخراساني ، وانتقل من بعده إليه ، وطلب من أنصاره أن يعبدوه ويسجدوا له[٣] ، وقد أسقط عن أتباعه

---

(١) المجوس والمجوسيّة : ١٤٩ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ١٤٧ .

(٣) الكامل في التاريخ : ٦ : ٣٩ . تاريخ ابن خلدون : ٣ : ٢٠٦ .

الصلاة والصوم والزكاة ، وأباح لهم النساء[١] .

وكان المقنع ماهراً في الهندسة ، فقد أظهر للناس قمراً يطلع ويراه الناس على مسيرة شهر ، ثمّ يأفل ، وقد أغرى الناس بذلك ، ويقول أبو العلاء المعرّي عن زيف ذلك القمر :

أَفِقْ إِنَّما البَدرُ المُقَنَّعُ رَأْسُهُ ... ضَلالٌ وَغَيٌّ مِثْلُ بَدرِ المُقَنَّعِ

وعلى أي حال ، فإنّ هذه الحركات الهدّامة قد أدّت إلى تفكّك المجتمع الإسلامي ، واضطراب الحركة الفكريّة فيه .

دعاة الإلحاد

واستندت الدعوة إلى الإلحاد وسائر المبادئ الهدّامة ـ في ذلك العصر ـ إلى جماعة كانوا مغمورين في أنسابهم ، ومصابين بعاهات نفسيّة ، وكان من أشهرهم يزدان بن باذان الذي عرف بالكفر والزندقة ، سافر إلى بيت الله الحرام أيّام موسم الحجّ ، فنظر إلى الناس يهرولون في الطواف ، فقال : « ما أشبههم ببقر تدوس في البيدر » ، وأثار ذلك موجات من الغضب والاستياء في نفوس الأخيار والمتحرّجين في دينهم .

فقد اندفع العلاء بن الحدّاد يخاطب الخليفة موسى الهادي ويحفّزه على قتله ، يقول له :

أَيا أَمينَ اللهِ في خَلْقِهِ ... وَوارِثَ الكَعْبَةِ وَالمِنْبَرِ
ماذا تَرىٰ في رَجُلٍ كافِرٍ ... يُشَبِّهُ الكَعْبَةَ بِالبَيْدَرِ
وَيَجْعَلُ النّاسَ إذا ما سَعَوا ... حُمْراً تَدوسُ البُرَّ وَالدَّوسَرِ

---

(١) وفيات الأعيان : ١ : ٤٥٣ .

فأمر موسى الهادي بقتله وصلبه[١].

ومنهم بشّار بن برد، فقد تمادى في الدعوة إلى الكفر، وكان يدعو إلى عبادة النار، وقد أعلن ذلك بقوله:

إبْليسُ أفْضَلُ مِنْ أبيكُمْ آدَمِ فَتَبَيَّنوا يا مَعْشَرَ الأشْرارِ
النّارُ عُنْصُرُهُ وَآدَمُ طينَةٌ وَالطّينُ لا يَسْمو سُمُوَّ النّارِ
وَالأرْضُ مُظْلِمَةٌ وَالنّارُ مُشْرِقَةٌ وَالنّارُ مَعْبودَةٌ مُذْ كانَتِ النّارُ[٢]

وبقي مصرّاً على عقيدته وقتل من أجلها[٣].

ومنهم صالح بن عبدالقدوس، وكان من كبار الزنادقة، وحكم عليه المهدي بالإعدام، فأعلن توبته، وكاد المهدي أن يُطلق سراحه، إلّا أنّه سمعه ينشد:

ما يَبْلُغُ الأعْداءُ مِنْ جاهِلٍ ما يَبْلُغُ الجاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ
وَالشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ أخْلاقَهُ حَتّىٰ يُوارىٰ في ثَرىٰ رَمْسِهِ

فلمّا سمع المهدي البيت الأخير أمر بقتله، وقال له: أنت لا تدع أخلاقك حتّى تموت[٤].

ومن أعلامهم الحمّادون الثلاثة: حمّاد عجرد، وحمّاد الراوية، وحمّاد الزبرقان، ومنهم ابن المقفّع، ويونس بن أبي فروة، ومطيع بن أياس، وعبدالكريم بن أبي العوجاء، وعليّ بن الخليل، ويحيى بن زياد الحارثي.

وقد أثبت المترجمون لهم بوادر كثيرة من بدعهم وأضاليلهم دلّت على كفرهم

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ١٠: ١٥.
(٢) الأغاني: ٣: ٢٤.
(٣) البداية والنهاية ـ حوادث سنة ١٦٦هـ
(٤) تاريخ الخلفاء: ٢٧٥.

ومروقهم من الدين[١].

وعلى أي حال، فقد عمد هؤلاء الملحدون إلى إفساد المجتمع الإسلامي، وإشاعة الفوضى والتحلّل بين المسلمين، كما عمدوا إلى تشويه الإسلام، وذلك بافتعال الأخبار الكاذبة التي تحطّ من كرامة الإسلام، وقد اعترف عبدالكريم بن أبي العوجاء بذلك، فقد صرّح قبل أن ينفّذ فيه حكم الإعدام، فقال: «لئن قتلتموني فلقد وضعت في أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوب».

وعملوا على إفساد الأدب العربي وتشويهه، وقد قام بذلك خلف الأحمر وحمّاد الراوية.

ويقول عنه السيّد المرتضى: «إنّ حمّاد مشهور بالكذب في الرواية، وعمل الشعر وإضافته إلى الشعراء المتقدّمين ودسّه في أشعارهم، حتّى أنّ كثيراً من الرواة قالوا: قد أفسد حمّاد الشعر لأنّه كان رجلاً يقدر على صنعته، فيدسّ في شعر كلّ رجل منهم ما يشاكل طريقته، فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم»[٢].

وهكذا استهدفوا إفساد الدين واللغة وسائر مقوّمات الأمّة العربيّة والإسلاميّة، ووقف المدّ الإسلامي من الانتشار في ربوع العالم.

اضطهاد الملحدين

وقامت السلطات الحاكمة في العصر العبّاسي باضطهاد الزنادقة اضطهاداً رسميّاً في السنوات الأخيرة من خلافة المهدي، وإبّان خلافة الهادي القصيرة الأجل، ففي سنة **١٦٣هـ** بدأت حملة المهدي على الزنادقة بأن أمر عبدالجبّار المحتسب الذي لقّبه صاحب الأغاني بلقب (صاحب الزنادقة) بالقبض على كلّ الزنادقة الموجودين

---

(١) أمالي المرتضى: ١: ٨٩. الأغاني: ١٨: ١٠٦.

(٢) أمالي المرتضى: ١: ٩١.

داخل البلاد، فقبض على مَن استطاع القبض عليه، وجيء بهم مخفورين إلى الخليفة الذي كان مقيماً آنذاك في (دابق)، فأمر بقتل بعضهم والتنكيل بالبعض الآخر، حتّى بلغ غايته ما بين سنة ١٦٦هـ إلى سنة ١٧٠هـ.

وكان يقوم بتعذيبهم قضاة مخصوصون أشهرهم عبدالجبّار الذي ذكرناه آنفاً، وعمر الكلوزي الذي عيّن في هذه الوظيفة سنة ١٦٧هـ، ثمّ محمّد بن عيسى الذي خلف عمر.

لقد قام المهدي بحملة واسعة النطاق ضدّ الزنادقة، فأنشأ ديواناً خاصّاً بهم، وقد اجتهدت سلطات الأمن والمباحث في التفتيش عنهم، فمن ظفروا به نفّذوا فيه حكم الإعدام، إلّا أن يعلن التوبة ويثوب إلى الرشاد، ولم يكتف المهدي بذلك، وإنّما قام يجوب في الأقطار للتفتيش عنهم، فرحل إلى بلاد الشام، وأقام بها يبحث عنهم، فعلم أنّ جماعة منهم قد هربوا من العراق إلى حلب، فأمر بإلقاء القبض عليهم، وسوقهم إلى المحاكم، وبعد إلقاء القبض عليهم ثبت اتّهامهم بالزندقة، فأمر بإعدامهم جميعاً (١).

لقد أمعن المهدي في تتبّع الزنادقة وقتلهم. يقول السيوطي: «وجدّ المهدي في تتبّع الزنادقة وإبادتهم، والبحث عنهم في الآفاق، والقتل على التّهمة» (٢).

ولمّا حضرته الوفاة عهد إلى ولده الهادي في قتلهم، وقد أوصاه بهذه الوصيّة:

«يا بنيّ، إن صار لك هذا الأمر فتجرّد لهذه العصابة -أي الزنادقة- فإنّها فرقة تدعو الناس إلى ظاهر حسن، كاجتناب الفواحش، والزهد في الدنيا، والعمل للآخرة، ثمّ تخرجها إلى تحريم اللحم، ومسّ الماء الطهور، وترك قتل الهوام تحرّجاً وتحوّباً، ثمّ تخرجها من هذا إلى عبادة اثنين: أحدهما النور، والآخر الظلمة، ثمّ تبيح بعد

---

(١) الأغاني: ٦: ٦٧.

(٢) تاريخ الخلفاء: ٢٧٣.

هذا نكاح الأخوات والبنات ، والاغتسال بالبول ، وسرقة الأطفال من الطريق ، لتنقذهم من ضلال الظلمة إلى هداية النور ، فارفع فيها الخشب ، وجرّد فيها السيف ، وتقرّب بأمرها إلى الله الذي لا شريك له ، فإنّي رأيت جدّك العبّاس في المنام قلّدني سيفين ، وأمرني بقتل أصحاب الاثنين »(١).

وقد نفّذ الهادي وصيّة أبيه ، فأشاع القتل والإعدام في الزنادقة ، وسار من بعده الرشيد وسائر ملوك بني العبّاس ، فلم يتركوا مجالاً للأوكار التخريبيّة أن تعمل في إفساد المسلمين ، وقضوا على جميع دعاة الإلحاد والزندقة .

لقد كان الخلفاء يستخدمون جميع الوسائل لمحاربة الزندقة والقضاء على هذه الروح الخبيثة ، فإذا قبضوا على الزنديق طلبوا منه أن يبصق على صورة ماني أو يذبح طائراً اسمه (التذرج) .

أمّا البصق على صورة ماني فالمقصود منه تحقير مبتدع الفكرة المانويّة ، وهو دليل في نفس الوقت على رجوع الزنديق عن فكرته ، والمقصود من ذبح الطائر أنّ ذبح الحيوان الحيّ كان محرّماً عند المانويّة ، أمّا الحكمة في ذبح الطائر (تذرج) فلا تكشف عنها المصادر التي بأيدينا ، كما يقول الأستاذ جورج فيدا (٢).

ومهما يكن من أمر ، فإنّ الحملة التي شنّها الخلفاء على الزنادقة كانت شديدة للغاية ، ولكن بمزيد الأسف أنّ العقاب الصارم كان على الأبرياء أكثر منه على الزنادقة الحقيقيّين كما سنبيّنه .

الإسراف في الاتّهام

ولم يكن كلّ هؤلاء الذين اتّهموا بالإلحاد والمروق عن الدين زنادقة حقيقيّين ،

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٦ : ٤٣٤ .

(٢) الإلحاد في الإسلام : ٢٨ و ٢٩ ، نقلاً عن مجلّة الدراسات الشرقيّة : ١٤ : ١٧٣ ـ ٢٢٩ .

بل كان بعضهم يتّهم بالزندقة لأسباب سياسيّة، فقد اتّخذ الخلفاء من هذا الاتّهام وسيلة للقضاء على خصومهم من الهاشميّين، وعلى هذا النحو اتّهم أحد أبناء داود بن عليّ، ويعقوب بن الفضل، وأُتي بهما إلى المهدي.

ولمّا كان الخليفة المهدي قد ارتبط من قبل بعهد ألّا يقتلهما، فلم يستطع ذلك وإنّما حبسهما، وأشار إلى ابنه الهادي أن يقتلهما حينما يتولّى الخلافة.

وتعدّى الاتّهام بالزندقة إلى جميع من لا يرضى بحكم الخلفاء، أو لا يرى جواز الصلاة خلفهم، فهذا شريك بن عبدالله القاضي كان لا يرى الصلاة خلف المهدي، فأمر به فأُحضر عنده، فقال له ـ في جملة كلامه ـ: يابن الزانية.

فقال شريك: مه يا أمير المؤمنين، فلقد كانت صوّامة قوّامة.

فقال له المهدي: يا زنديق، لأقتلنّك.

فضحك شريك، وقال: يا أمير المؤمنين، إنّ للزنادقة علامات يعرفون بها: شربهم القهوات، واتّخاذهم القينات، فأطرق المهدي ولم يطق جواباً[١].

ودلّت هذه البادرة على مدى إسرافهم بإطلاق الزندقة على كلّ من يكرهونه ولا يرضون عنه، كما دلّ جواب شريك على أنّ المدار في الزندقة هو شرب الخمر واتّخاذ القينات.

فعلى هذا يطلق الزنديق على كلّ ماجن خليع، وبهذا الاعتبار أُلقي القبض على آدم حفيد عمر بن عبدالعزيز، فقد اتّهم بالزندقة لأنّه كان خليعاً ماجناً مسرفاً في الشراب، وجرت على لسانه أبيات ـ وهو سكران ـ فيها مساس للدين. قال فيها:

اسْقِني وَاسْقِ خَليلي ... في مَدى اللَّيلِ الطَّويلِ
لَونُها أَصْفَرُ صافٍ ... وَهْيَ كَالمِسْكِ الفَتيلِ

(١) البداية والنهاية: ١٠: ٥٣.

فـي لِسانِ المَرْءِ مِنْها مِـثْلُ طَـعْمِ الزَّنْـجَبيلِ
ريــحُها يَــنفَحُ مِـنْها سـاطِعاً مِنْ رَأْسِ مـيلِ
مَـنْ يَـنَلْ مِـنْها ثَـلاثاً يَـنْسَ مِـنهاجَ السَّـبيلِ
فَـمَتى مـا نـالَ خَمْساً تَـرَكَـتْهُ كَـالقَتيلِ
لَيسَ يَدْري حينَ ذاكُمْ مـا دَبـيرٌ مِـنْ قَـبيلِ
إنَّ سَـمْعي عَـنْ كَـلامِ اللائِـمي فـيها ثَـقيلِ
لَشَـديدُ الوَقْـرِ إنّـي غَـيرُ مِـطْواعٍ ذَليـلِ
قُـلْ لِمَنْ يَلْحاكَ فيها مِـنْ فَـقيهٍ أَوْ نَـبيلِ
أَنتَ دَعْها وَارْجُ أُخْرىٰ مِـنْ رَحـيقِ السَّلْسَبيلِ
تَـعْطَشُ اليَومَ وَتُسْقىٰ فـي غَـدٍ نَعْتَ الطُّلولِ

من أجل ذلك أخذه المهدي ورماه بالزندقة ، وضربه ثلاثمائة سوط على أن يقرّ بذلك ، وهو ينفي عنه التهمة ، ويقول : والله ، ما أشركت بالله طرفة عين ، ومتى رأيت قرشياً تزندق ؟ ولكنّه طرب غلبني وشعر طفح على قلبي ، وأنا فتى من فتيان قريش أشرب النبيذ ، وأقول ما قلت على سبيل المجون ، ثمّ هجر الشراب بعد ذلك وكره أن يرى الخمر ويقول :

شَـرِبْتُ فَـلَمّا قـيلَ لَـيسَ بِـنازِعٍ نَزَعْتُ وَثَوبي مِنْ أَذى اللُّؤْمِ طاهِرُ[1]

لقد اتّهم آدم بالزندقة وهو لم يكن زنديقاً ، وإنّما غلبه الشعر بقول فيه هجر ، ولم يقتصر الخلفاء على ذلك ، فقد أطلقوا لفظ الزنديق على كلّ من يناقش أحاديث الصحابة أو يردّها[2].

---

(١) الأغاني : ١ : ٦٠ و ٦١.

(٢) تاريخ بغداد : ١٤ : ٧.

والغرض من ذلك الحكم على الشيعة بالمروق عن الإسلام ليستحلّوا بذلك إراقة دمائهم.

يقول عبدالرحمن بدوي: «إنّ الاتّهام بالزندقة في ذلك العصر كان يسير جنباً إلى جنب مع الانتساب إلى مذهب الرافضة، كما لاحظ ذلك الأُستاذ (فيدا)»[١].

لقد كان الانتساب لمذهب التشيّع في تلك الفترات المظلمة من أهمّ الجرائم، فإنّ هذه التهمة في نظر المسؤولين فوق جريمة الإلحاد، فإنّ المتّهم بالكفر والإلحاد تقبل توبته ويعفى عنه، أمّا المتّهم بالولاء لأهل البيت عليهم السلام، فإنّه يحكم عليه بالكفر والمروق عن الدين مع إيمانه بالله ورسوله وإقامته لفرائض الإسلام.

ومهما يكن من أمر فقد اتّخذ خلفاء بني العبّاس الاتّهام بالزندقة في كثير من الأحيان وسيلة للحكم بالإعدام على الشيعة وزجّهم في غياهب السجون، وإنّما تعسّفوا في ذلك لأنّ الشيعة قد أعلنت الحرب بغير هوادة على كلّ ظالم جائر، وقدّمت المزيد من التضحيات للقضاء على الظالمين، واعتبرت أُولئك الحاكمين من أئمّة الظلم والضلال، فانبرت إلى مناجزتهم وبذلت جميع القوى لتحطيم عروشهم، وسنذكر ذلك مشفوعاً بالتفصيل عمّا قريب.

احتجاجات الأئمّة عليهم السلام معهم

وتميّز ردّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام على الملحدين بالمنطق العلمي والأدلّة الحاسمة التي تثبت أصالة العقيدة الإسلاميّة بجميع مناحي تشريعاتها، وزيف أضاليل الملحدين، وبطلان معتقداتهم، وكان تأثير تلك الاحتجاجات في نفوسهم أقوى من جميع الوسائل التي استخدمتها الحكومات المحليّة لقمعهم، فقد التجأت بعد أن أعوزها المنطق إلى قوّة الحديد والنار، والزجّ في السجون إلى قهرهم وإبادتهم،

---

(١) تاريخ الإلحاد في الإسلام: ٣٧.

ولكن هذا سلاح العاجزين ، فإنّ المبادئ لا يمكن أن تردّ أو تقهر إلّا بالوسائل العلميّة ويستحيل أن تغلب بغير ذلك .

وقد اعتمد أئمّة أهل البيت عليهم السلام في احتجاجاتهم على الوسائل العلميّة الحافلة بجميع أساليب الاقناع ، والتي لم تدع مجالاً للشكّ أو الريبة في بطلان معتقدات خصومهم ، وقد اعترف كثيرون منهم بضلال ما هم فيه ، وثابوا إلى طريق الحقّ والصواب ، كما أدلى بعضهم بأنّ الأئمّة سادة البشر ، وأنّ الإنسانيّة الكاملة لا يصحّ إطلاقها إلّا عليهم ، وقد اعترف بذلك ابن المقفّع وعبدالكريم بن أبي العوجاء حينما كانا يلاحظان طواف المسلمين حول الكعبة ، فقال ابن المقفّع لأصحابه : ليس واحد من هؤلاء ـ وأشار إلى من في البيت الحرام ـ يستحقّ اسم الإنسانيّة إلّا هذا ـ وأشار إلى الإمام جعفر بن محمّد عليه السلام ـ أمّا الباقي فرعاع وبهائم .

وبادر ابن أبي العوجاء إلى الإمام الصادق عليه السلام فقال له : رحمك الله أيّها الشيخ : أيّ شيء نقول ؟ وأيّ شيء نقوله نحن ؟ وأيّ شيء يقولونه هم ؟ وما نؤمن به ، وما به يؤمنون واحد .

فأجابه الإمام عليه السلام : **إنّي لِما تَقولُ أنْ يَكونَ كَما يَقولونَ هُمْ يَقولونَ بِالْمَعادِ وَالوَعيدِ ، وَإنَّ لِلسَّماءِ إلٰهاً وَبِها عُمْراناً ، بَيْنَما تَزْعُمونَ أنَّ السَّماءَ خَرابٌ ، وَلَيْسَ بِها أحَدٌ .**

قال عبدالكريم : لو كان الأمر كما تقول ، فما منع الله من الظهور لجميع خلقه ، ودعاهم إلى عبادته حتّى لا يصبح اثنان منهم على خلاف ؟ لماذا اختفى عنهم ومع ذلك أرسل إليهم رسلاً ؟ لو كان قد ظهر بذاته لكان ذلك أسهل إلى الاعتقاد به .

فأجابه الإمام : **كَيْفَ اخْتَفىٰ مَنْ أظْهَرَ قُدْرَتَهُ في نَفْسِكَ أنْتَ وَفي نمائِكَ ؟**

وأخذ الإمام عليه السلام يدلي عليه بالحجج والبراهين على وجود الله ، وانهزم ابن أبي العوجاء مهرولاً إلى أصحابه ، وهو يقول لهم : ما هذا ببشر ! وإن كان في الدنيا روحاني يتجسّد إذا شاء ظاهراً ، ويتروّح إذا شاء باطناً ، فهو هذا ـ وأشار

إلى الإمام عليه السلام ـ[١].

ولا بدّ لنا من وقفة قصيرة إلى ذكر بعض الاحتجاجات التي اُثرت عنهم ، وفيما يلي ذلك :

احتجاجات الإمام الصادق عليه السلام

وحفلت كتب الكلام والحديث بالشيء الكثير ممّا اُثر عن الإمام الصادق عليه السلام في هذا المجال ، وهو مدعم بأوثق الأدلّة على صحّة العقيدة الإسلاميّة وزيف معتقدات خصومها ، ونشير فيما يلي بعضها :

١ ـ دخل ابن أبي العوجاء على الإمام الصادق عليه السلام ، فقال له الإمام : **يابْنَ أبي الْعَوْجاءِ ، أمَصْنوعٌ أنْتَ أوْ غَيْرُ مَصْنوعٍ ؟**

ـ لست بمصنوع .

ـ **لَوْ كُنْتَ مَصْنوعاً كَيْفَ كُنْتَ ؟**

فتحيّر ابن أبي العوجاء ، ولم يطق جواباً ، وخرج منهزماً يتعثّر في خطاه[٢].

٢ ـ دخل أبو شاكر الديصاني ، وكان زنديقاً ، على الإمام الصادق عليه السلام فقال له : يا جعفر بن محمّد ، دلّني على معبودي ؟

فقال أبو عبدالله : **اجْلِسْ** ، وأقبل غلام في كفّه بيضة ، فأمر عليه السلام الغلام أن يناوله البيضة ، فناولها إيّاه .

فقال عليه السلام : **يا دَيْصاني ، هٰذا حِصْنٌ مَكْنونٌ لَهُ جِلْدٌ غَليظٌ ، وَتَحْتَ الْجِلْدِ الْغَليظِ جِلْدٌ رَقيقٌ ، وَتَحْتَ الْجِلْدِ الرَّقيقِ ذَهَبَةٌ مائِعَةٌ ، وَفِضَّةٌ ذائِبَةٌ ، فَلا الذَّهَبَةُ الْمائِعَةُ تَخْتَلِطُ**

---

(١) تاريخ الإلحاد في الإسلام : ٦٨ و ٦٩.

(٢) الاحتجاج : ٢ : ٧١. بحار الأنوار : ٣ : ٣١ ، الحديث ٤.

بِالْفِضَّةِ الذّائِبَةِ ، وَلَا الْفِضَّةُ الذّائِبَةُ تَخْتَلِطُ بِالذَّهَبَةِ المائِعَةِ ، فَهِيَ عَلَىٰ حالِها لَا يَخْرُجُ مِنْها خارِجٌ مُصْلِحٌ فَيُخْبِرُ عَنْ صَلاحِها ، وَلَا يَدْخُلُ إِلَيْها داخِلٌ مُفْسِدٌ فَيُخْبِرُ عَنْ فَسادِها ، لَا يُدْرىٰ لِلذَّكَرِ خُلِقَتْ أَمْ لِلْأُنْثىٰ ، تَنْفَلِقُ عَنْ مِثْلِ أَلْوانِ الطَّواوِيسِ ، أَتَرىٰ لَها مُدَبِّراً ؟

وأطرق الديصاني برأسه للأرض يفكّر في قول الإمام ، ولم يلبث أن رفع رأسه وهو يقول : أشهد أن لا إلٰه إلّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله ، وأنّك إمام وحجّة الله على خلقه ، وأنا تائب ممّا كنت فيه[1] .

٣ـ وحدّث هشام بن الحكم ، قال : «كان زنديق بمصر يبلغه عن أبي عبدالله عليه السلام علم ، فخرج إلى المدينة ليناظره ، فلم يصادفه بها ، وقيل هو بمكّة فخرج إلى مكّة ، ونحن مع أبي عبدالله عليه السلام ، فانتهى إليه ـ وهو في الطواف ـ فدنا وسلّم .

فقال له أبو عبدالله : **ما اسْمُكَ ؟**

ـ عبدالملك .

ـ **ما كُنْيَتُكَ ؟**

ـ أبو عبدالله .

مَنْ ذَا الْمَلِكُ الَّذي أَنْتَ عَبْدُهُ ؟ أَمِنْ مُلوكِ الْأَرْضِ ، أَمْ مِنْ مُلوكِ السَّماءِ ؟ وَأَخْبِرْني عَنِ ابْنِكَ أَعَبْدُ إِلٰهِ السَّماءِ أَمْ عَبْدُ إِلٰهِ الْأَرْضِ ؟

فسكت الزنديق ولم يطق جواباً .

فقال له أبو عبدالله : **قُلْ .**

فتحيّر الزنديق ولم يدر ما يقول ، فرمقه الإمام عليه السلام بطرفه وقال له : **إذا فَرَغْتَ مِنَ الطَّوافِ فَأْتِنا .**

---

(١) الاحتجاج : ٢ : ٢٠١ و ٢٠٢ . أصول الكافي : ١ : ٨٠ .

ولمّا فرغ عليه السلام من الطواف أقبل الزنديق فقال عليه السلام له : **أَتَعْلَمُ أَنَّ لِلأَرْضِ تَحْتاً وَفَوْقاً ؟**

- نعم .

- **دَخَلْتَ تَحْتَها ؟**

- لا .

- **هل تَدْري ما تَحْتَها ؟**

- لا أدري ، إلّا أنّي أظنّ أن ليس تحتها شيء .

- **الظَّنُّ عَجْزٌ ما لَمْ تَسْتَيْقِنْ .**

ثمّ قال عليه السلام له : **صَعَدْتَ إِلَى السَّماءِ ؟**

- لا .

- **أَفَتَدْري ما فيها ؟**

- لا .

- **أَتَيْتَ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ فَنَظَرْتَ ما خَلْفَهُما ؟**

- لا .

- **عَجَباً لَكَ لَمْ تَبْلُغِ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ ، وَلَمْ تَنْزِلْ تَحْتَ الأَرْضِ ، وَلَمْ تَصْعَدْ إِلَى السَّماءِ ، وَلَمْ تُخْبَرْ ما هُناكَ فَتَعْرِفَ ما خَلْفَهُنَّ ، وَأَنْتَ جاحِدٌ بِما فيهِنَّ ، وَهَلْ يَجْحَدُ الْعاقِلُ ما لا يَعْرِفُ ؟**

ما كلّمني بهذا غيرك .

- **فَأَنْتَ مِنْ ذلِكَ في شَكٍّ ؟ فَلَعَلَّهُ هُوَ ، وَلَعَلَّهُ لَيْسَ هُوَ .**

- لعلّ ذلك .

أَيُّها الرَّجُلُ ، لَيْسَ لِمَنْ لا يَعْلَمُ حُجَّةٌ عَلى مَنْ يَعْلَمُ ، وَلا حُجَّةَ لِلْجاهِلِ عَلَى الْعالِمِ .

يا أَخا أَهْلِ مِصْرَ ، تَفَهَّمْ عَنّي ، فَإِنّا لا نَشُكُّ في اللهِ أَبَداً ، أَما تَرَى الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ،

وَاللَّيْلَ وَالنَّهارَ ، يَلِجانِ وَلا يَسْتَبِقانِ ، يَذْهَبانِ وَيَرْجِعانِ ، قَدِ اضْطَرّا لَيْسَ لَهُما مَكانٌ إلّا مَكانُهُما ، فَإنْ كانا يَقْدِرانِ عَلىٰ أنْ يَذْهَبا فَلا يَرْجِعانِ ؟ وَإنْ كانا غَيْرَ مُضْطَرَّيْنِ فَلِمَ لا يَصيرُ اللَّيْلُ نَهاراً ، وَالنَّهارُ لَيْلاً ؟ ! اضْطَرّا وَاللهِ يا أخا أهْلَ مِصْرَ . . .

إنَّ الَّذي تَذْهَبونَ إلَيْهِ ، وَتَظُنُّونَ مِنَ الدَّهْرِ ، فَإنْ كانَ هُوَ يُذْهِبُهُمْ فَلِمَ يَرُدُّهُمْ ؟ وَإنْ كانَ يَرُدُّهُمْ فَلِمَ يَذْهَبُ بِهِمْ ؟ !

يا أخا أهْلَ مِصْرَ ، أما تَرىٰ السَّماءَ مَرْفُوعَةً ، وَالأرْضَ مَوْضوعَةً ، لا تَسْقُطُ السَّماءُ عَلَى الأرْضِ ، وَلا تَنْحَدِرُ الأرْضُ فَوْقَ ما تَحْتَها ؟ أمْسَكَها وَاللهِ خالِقُها وَمُدَبِّرُها .

ووجم المصري ، ولم يطق جواباً ، وفكّر في أبعاد كلام الإمام ، فرأى فيه الهداية والحقّ ، فثاب إلى الرشاد وأعلن إسلامه وإيمانه[١] .

٤ ـ وقصد أحد الزنادقة الإمام عليه السلام فقال له : أرأيت الله حين عبدته ؟

ـ ما كُنْتُ أعْبُدُ شَيْئاً لَمْ أرَهُ .

ـ كيف رأيته ؟

ـ لَمْ تَرَهُ الأبْصارُ بِمُشاهَدَةِ الْعِيانِ ، وَلكِنْ رَأتْهُ الْقُلوبُ بِحَقائِقِ الإيمانِ لا يُدْرَكُ بِالحَواسِّ ، وَلا يُقاسُ بِالنّاسِ ، مَعْروفٌ بِغَيْرِ تَشْبيهٍ[٢] .

٥ ـ وفد بعض الزنادقة على الإمام عليه السلام فسأله عن مسائل كثيرة وممّا سأله قال : كيف يعبد الله الخلق ، ولم يروه .

ـ رَأتْهُ الْقُلوبُ بِنورِ الإيمانِ ، وَأثْبَتَتْهُ الْعُقولُ بِيَقْظَتِها إثْباتَ الْعَيانِ ، وَأبْصَرَتْهُ الأبْصارُ بِما رَأتْهُ مِنْ حُسْنِ التَّرْكيبِ وَإحْكامِ التَّأليفِ ، ثُمَّ الرُّسُلَ وَآياتُها ، وَالْكُتُبُ

---

(١) الاحتجاج : ٢ : ٧٢ ـ ٧٤ .

(٢) الاحتجاج : ٢ : ٧٧ .

وَمُحْكَماتُها ، وَاقْتَصَرَتِ الْعُلَماءُ عَلىٰ ما رَأَتْ مِنْ عَظَمَتِهِ دونَ رُؤْيَتِهِ .

وقد أقام عليه السلام في هذه المناظرة كثيراً من الأدلّة على وجود الله ووحدانيّته ، وقد أُثر عنه في هذا المجال الشيء الكثير ، وذكره يستدعي الإطالة والخروج عن الموضوع ، فنكتفي بهذا النزر اليسير منه .

الإمام موسى عليه السلام

وقام الإمام موسى عليه السلام بدوره في الدفاع عن العقيدة الإسلاميّة ، وإبطال شبه الملحدين ، وزيف أفكارهم ، ونعرض فيما يلي إلى بعض المسائل الكلاميّة التي سئل عنها :

١ ـ إبطاله لحركة الله

جاء في بعض الروايات من طرق العامّة أنّ الله سبحانه ينزل في الثلث الأخير من الليل فينادي في السماء : هل من داع ؟ هل من مستغفر .

والمجسّمون يحملون هذه الأخبار على ظواهرها من دون تأويل أو نظر في سندها ، وأثبتوا أنّ الله تعالى له جسم ، وقد عرض ذلك على الإمام عليه السلام ، فبيّن فساد ذلك .

قال عليه السلام : **إِنَّ اللهَ لَا يَنْزِلُ ، وَلَا يَحْتاجُ إِلىٰ أَنْ يَنْزِلَ ، إِنَّما مَنْظَرُهُ في الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ سَواءٌ**(١) **، لَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ قَريبٌ ، وَلَمْ يَقْرُبْ مِنْهُ بَعيدٌ ، وَلَمْ يَحْتَجْ إِلىٰ**

---

(١) المراد أنّه تعالى منزّه عن الحركة والانتقال ، لأنّ الذي يتّصف بالحركة هو الممكن ، فإنّ نسبته إلى الأمكنة ليست نسبة واحدة ، فإذا حضر في مكان غاب عنه الآخر ، وإذا قرب من شيء بعُد عن الشيء الآخر ، وإذا تعلّق له غرض بمكان لا بدّ له من الحركة والانتقال إليه لايجاد غرضه ، وجميع ذلك بالنسبة إليه تعالى محال ، فإنّ نسبته إلى جميع ⇦

شَيْءٍ، بَلْ يُحْتاجُ إِلَيْهِ وَهُوَ ذُو الطَّوْلِ[١] لَا إِلٰـهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

أَمّا قَوْلُ الْواصِفِينَ: إِنَّهُ يَنْزِلُ تَبارَكَ وَتَعالىٰ فَإِنَّما يَقُولُ بِذٰلِكَ مَنْ يَنْسِبُهُ إِلىٰ نَقْصٍ أَوْ زِيادَةٍ[٢]، وَكُلُّ مُتَحَرِّكٍ مُحْتاجٌ إِلىٰ مَنْ يُحَرِّكُهُ أَوْ يَتَحَرَّكُ بِهِ[٣]، فَمَنْ ظَنَّ بِاللهِ الظُّنُونَ فَقَدْ هَلَكَ[٤].

⇐ الأمكنة والإمكانيّات نسبة واحدة، وليس شيء منها أقرب إليه من شيء آخر، فلذا لم يحتج إلى الحركة، فإنّ منظره في القرب والبعد سواء.

(١) إنّ كلّ شيء محتاج إلى الله تعالى، فهو الذي يفيض عليه الوجود، ولو احتاج تعالى إلى شيء لزم افتقار الشيء إلى ما يفتقر إليه من حيثيّة واحدة، وذلك محال لاستلزامه الدور المجمع على بطلانه.

(٢) أشار عليه السلام إلى المفاسد التي تترتّب على القول بنزوله تعالى من السماء، فإنّ ذلك يستلزم الحركة، وكلّ من يتحرّك، سواء أكانت الحركة في الأين أم في غيره، فإنّها توجب الخروج من النقص إلى الكمال أو إلى الزيادة، وهي الخروج من القوّة إلى الفعل، وكلّ ما يوصف بنقص أو زيادة ففي ذاته إمكان للانفعال من غيره، ولازمه تركّب الذات من القوّة والفعل ـ حسب ما نصّ عليه الفلاسفة ـ وكلّ مركّب فهو ممكن الوجود محتاج إلى غيره، ولازمه أن يكون تعالى ممكن الوجود، وهو محال حسب ما دلّل عليه في البحوث الفلسفيّة.

(٣) أشار عليه السلام إلى حجّة أخرى على بطلان من زعم بنزوله تعالى من السماء، فإنّ ذلك يلزم منه الحركة، وكلّ متحرّك لا بدّ له من محرّك، سواء أكان مبايناً له كالحركات النفسيّة وهي المعبّر عنها بقوله: «من يحرّكه»، أم مقارناً له كالحركات الطبيعيّة، وقد عبّر عنها عليه السلام بقوله: «أو يتحرّك به» والحركة صفة حادثة، وهي باعتبارها وصفاً تحتاج إلى قابل، وباعتبار حدوثها تحتاج إلى فاعل، ولا بدّ أن يكون فاعلها غير القابل، إذ لا يعقل أن يكون ذلك، فكلّ متحرّك يحتاج إلى محرّك يغايره، والمغاير أيضاً يحتاج إلى محرّك، وهكذا فيلزم منه التسلسل المجمع على بطلانه.

(٤) حذّر عليه السلام من الظنون الفاسدة، فإنّها توجب الهلكة والمروق من الدين، فإنّه تعالى ⇐

فَاحْذَروا في صِفاتِهِ مِنْ أَنْ تَقِفوا لَهُ عَلىٰ حَدٍّ تَحُدُّونَهُ بِنَقْصٍ أَوْ زِيادَةٍ، أَوْ تَحْريكٍ أَوْ تَحَرُّكٍ، أَوْ زَوالٍ أَوِ اسْتِنْزالٍ، أَوْ نُهُوضٍ أَوْ قُعودٍ، فَإِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَزَّ عَنْ صِفَةِ الْواصِفينَ، وَنَعْتِ النّاعِتينَ، وَتَوَهُّمِ الْمُتَوَهِّمينَ، وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزيزِ الرَّحيمِ الَّذي يَراكَ حينَ تَقومُ، وَتَقَلُّبَكَ في السّاجِدينَ(١).

وتحدّث عليه السلام مع أصحابه عن نفي الحركة عن الله تعالى، فقال:

« لَا أَقولُ إِنَّهُ قائِمٌ فَأُزيلَهُ عَنْ مَكانِهِ، وَلَا أَحُدُّهُ بِمَكانٍ يَكونُ فيهِ، وَلَا أَحُدُّهُ أَنْ يَتَحَرَّكَ في شَيْءٍ مِنَ الْأَرْكانِ وَالْجَوارِحِ، وَلَا أَحُدُّهُ بِلَفْظِ شَقِّ فَمٍ، وَلكِنْ كَما قالَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالىٰ: ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ بِمَشِيئَتِهِ مِنْ غَيْرِ تَرَدُّدٍ في نَفْسٍ، صَمَداً فَرْداً، لَمْ يَحْتَجْ إِلىٰ شَريكٍ يَذْكُرُ لَهُ مُلْكَهُ، وَلَا يَفْتَحُ لَهُ أَبْوابَ عِلْمِهِ »(٢).

أراد عليه السلام أنّه لا يصف الله تعالى بالقيام بالمعنى الذي يقول به اللغويّون كي يلزم زواله عن المكان الذي كان به قبل قيامه، وأيضاً لا يصفه بالكون في مكان ليلزم منه كونه جسماً محدوداً، ولا يصفه أيضاً بالحركة بكلّه أو بالحركة التي تكون للجوارح، فإنّ ذلك يلزم منه التغيير والحاجة إلى الغير، تعالى الله عن جميع ذلك.

وبيّن عليه السلام كيفيّة صنعه للأشياء بأنّ ذلك ليس بلفظ شقّ فم اللافظ عند تكلّمه، بل إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون، وهو تعالى يفعل ما يريد بنفس مشيئته من غير استعمال آلة أو جارحة، ومن غير تردّد وتفكّر، لا يفتقر في إيجاده للأشياء إلى شريك يعينه، ولا وزير يدبّر له أمره، ويستعين به أو يذكر له ملكه وسلطانه.

⇦ منزّه عن تلك الآراء الفاسدة التي يعرف زيفها من كان له أدنى إلمام بالعلم والمعرفة.

(١) و (٢) أصول الكافي: ١: ١٢٥.

٢ ـ نفي الجسم عن الله

ومـمّا قـال بـه المـلحدون فـي ذلك العـصر: إنّ الله تـعالى له جسـم كـبقيّة الموجودات، وقد قال بذلك هشام بن الحكم قبل هدايته ورجوعه إلى طريق الحقّ، وقد عرض قوله على الإمام موسى عليه السلام.

فقال في الردّ عليه: «**أيُّ فَحْشٍ أوْ خَنا أعْظَمُ مِنْ قَوْلِ مَنْ يَصِفُ خـالِقَ الْأَشْياءِ بِجِسْمٍ أوْ صُورَةٍ، أوْ بِخِلْقَةٍ**[١]**، أوْ بِتَحْديدٍ وَأعْضاءٍ، تَعالَى اللهُ عَنْ ذلِكَ عُلُوّاً كَبيراً**»[٢].

وذكر الشهرستاني أنّ هشام بن الحكم له مقالات في التشبيه، ووافقه على ذلك هشام بن سالم الجواليقي، وممّا قالوه: إنّ الله تعالى طوله سبعة أشبار بشبر نفسه، وأنّه في مكان مخصوص، وجهة مخصوصة، وأنّه تعالى على صورة إنسان أعـلاه مجوّف، وأسفله مصمت، وهو ساطع يتلألأ، له حواسّ خمس، ورجل وأنف وأُذن وعين، وله وفرة سوداء، لكنّه ليس بلحم ولا دم[٣].

وطعن جملة من المحقّقين في نسبة ذلك إلى هشام نظراً لوثاقته وعلمه، وأنّه في طليعة رجال الإسلام، فكيف تصحّ نسبة ذلك إليه، إلّا أنّه لا مانع من ذلك، فإنّه كان في بداية أمره قبل أن يتعرّف بالإمام قد جرفته الأفكـار الإلحـاديّة، وبـعد اتّـصاله بالإمام عليه السلام ثاب إلى طريق الحقّ والصواب، وصـار مـن أعـلام الفكـر الإسـلامي، وسنوضّح ذلك عند التحدّث عن ترجمته.

وعرض عبدالرحمن على الإمام عليه السلام قولاً لهشـام فـي التـجسيم، وهـو: «إنّ الله

---

(١) في بعض النسخ: «بخلقه».

(٢) أُصول الكافي: ١: ١٠٥.

(٣) الملل والنحل: ١: ١٨٤.

جسم ليس كمثله شيء ، عالم سميع ، بصير قادر ، متكلّم ناطق ، والكلام والقدرة والعلم تجري مجرى واحد ليس شيء منها مخلوقاً ».

فردّ الإمام عليه ذلك بقوله : « **قاتَلَهُ اللهُ ، أما عَلِمَ أنَّ الْجِسْمَ مَحْدودٌ ، وَالْكَلامَ غَيْرُ الْمُتَكَلِّمِ ، مَعاذَ اللهِ! وَأبْرَأُ إلَى اللهِ مِنْ هٰذَا الْقَوْلِ ، لَا جِسْمٌ ، وَلَا صورَةٌ ، وَلَا تَحْديدٌ ، وَكُلُّ شَيْءٍ سِواهُ مَخْلوقٌ ، إنَّما تَكونُ الْأشْياءُ بِإرادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ مِنْ غَيْرِ كَلامٍ ، وَلَا تَرَدُّدٍ في نَفَسٍ ، وَلاَ نُطْقٍ بِلِسانٍ** »[1].

ومن جملة الأُمور التي سئل عنها عليه السلام فيما يتعلّق بصفات الله أنّه سئل عن جسم الله وصورته ، فأجاب عليه السلام : **سُبْحانَ مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، لَا جِسْمٌ وَلَا صُورَةٌ**[2].

٣ـ معنى الله

وانتشرت الأضاليل في ذلك العصر ، وسادت البدع ، وقد وجّهت الأسئلة الكثيرة إلى الإمام عليه السلام فيما يتعلّق بذات الله وصفاته ، ومن الأسئلة التي وجّهت إليه هو ما معنى الله ؟

فأجاب عليه السلام : **اسْتَوْلىٰ عَلىٰ ما دَقَّ وَجَلَّ**[3].

وهذا التفسير الذي أدلى به الإمام تفسير للشيء بما يلازمه ، فإنّ معنى الإلٰهيّة يلزمه الاستيلاء على جميع الأشياء ، جليلها ودقيقها ، وحاضرها وغائبها ، وكلّ شيء فيها.

وروي في المحاسن أنّه سئل عن معنى قول الله : ﴿ **الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ**

---

(١) أُصول الكافي : ١ : ١٦٠.

(٢) المصدر المتقدّم : ١٠٤.

(٣) المصدر المتقدّم : ١١٥.

اسْتَوىٰ ﴾[١].

فقال عليه السلام : « اسْتَوْلىٰ عَلىٰ ما دَقَّ وَجَلَّ »[٢].

٤ ـ علمه تعالى

ورفع إلى الإمام سؤال عن علم الله تعالى جاء فيه : هل إنّ الله كان يعلم الأشياء قبل أن خلق الأشياء وكوّنها ، أو أنّه لم يعلم ذلك حتّى خلقها وأراد خلقها وتكوينها ، فعلم ما خلق عندما خلق ، وما كوّن عندما كوّن .

فأجاب عليه السلام : **لَمْ يَزَلِ اللهُ عالِماً بِالْأَشْياءِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْأَشْياءَ كَعِلْمِهِ بِالْأَشْياءِ بَعْدَ ما عَلِمَ خَلْقَ الْأَشْياءِ**[٣].

وكتب إليه محمّد بن حمزة رسالة يسأله فيها عن علم الله ، وهذا نصّها : « إنّ مواليك اختلفوا في العلم ، فقال بعضهم : لم يزل الله عالماً قبل فعل الأشياء ، وقال بعضهم : لا نقول ، لم يزل الله عالماً لأنّ معنى يعلم يفعل ، فإن أثبتنا العلم فقد أثبتنا في الأزل معه شيئاً ، فإن رأيت جعلني الله فداك أن تعلّمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه .

فكتب عليه السلام إليه : **لَمْ يَزَلِ اللهُ عالِماً تَبارَكَ وَتَعالىٰ ذِكْرُهُ**[٤].

وكان جوابه عليه السلام عن هذه المسألة مجملاً نظراً لقصر فهم السائل عن إدراك الجواب ، فإنّ هذه المسألة من أشكل المسائل الفلسفيّة ، وقد وقع الاختلاف فيها بين أعاظم الفلاسفة القدامى ، فالمشّائيون تبعاً لمعلّمهم أرسطاطاليس ذهبوا إلى أنّ علمه تعالى بالأشياء متقدّم عليها ، والإشراقيّون تبعاً لمعلّمهم افلاطون ذهبوا إلى أنّ

---

(١) طه ٢٠ : ٥ .

(٢) الاحتجاج : ٢ : ١٥٧ .

(٣) و (٤) أُصول الكافي : ١ : ١٠٧ .

علم الله عزّ اسمه بالأشياء مقارن لايجاد الشيء ، وقد استدلّ الفريقان بأدلّة كثيرة فيها لون من الغموض والابهام ، وحيث إنّ السائل لم يفقه أمثال هذه البحوث فلذا أجمل عليه السلام في جوابه .

٥ ـ إرادة الله

وسأل صفوان بن يحيى الإمام عن الإرادة ، هل هي من الله أو من الخلق ؟

فأجابه عليه السلام : **الْإِرادَةُ مِنَ الْخَلْقِ الضَّميرُ ، وَما يَبْدو لَهُمْ بَعْدَ ذلِكَ مِنَ الْفِعْلِ ، وَأَمّا مِنَ اللهِ تَعالىٰ فَإِرادَتُهُ إِحْداثُهُ لا غَيْرُ ذلِكَ ، لأَنَّهُ لا يُرَوِّي ، وَلا يَهِمُّ ، وَلا يَتَفَكَّرُ ، وَهٰذِهِ الصِّفاتُ مَنْفِيَّةٌ عَنْهُ ، وَهِيَ صِفاتُ الْخَلْقِ ، فَإِرادَةُ اللهِ الْفِعْلُ لا غَيْرُ ذلِكَ ، يَقولُ لَهُ : كُنْ فَيَكونُ بِلا لَفْظٍ ، وَلا نُطْقٍ بِلِسانٍ ، وَلا هِمَّةٍ ، وَلا تَفَكُّرٍ ، وَلا كَيْفَ لِذلِكَ ، كَما أَنَّهُ لا كَيْفَ لَهُ**[1] .

وإيضاح كلامه عليه السلام أنّ إرادة الإنسان عبارة عن كيفيّة نفسانيّة تحدث عقيب تصوّره للشيء الملائم له ، والتصديق بثبوته ونفعه تصديقاً علميّاً أو ظنّيّاً ، فإذا بلغ الشيء في قرارة النفس حدّ الرجحان حصل العزم لإيجاده ، وأمّا إرادة الله تعالى فليست صفة حادثة على ذاته الكريمة لاستحالة حدوث صفة أو كيفيّة في ذاته وليست الإرادة بالنسبة له إلّا إحداثه الشيء لا غير لتعاليه سبحانه عن الرويّة والفكر .

٦ ـ مشيئة الله

قال علي بن إبراهيم : « سمعت أبا الحسن موسى عليه السلام يقول : **لا يَكونُ شَيْءٌ إِلّا ما شاءَ اللهُ وَأَرادَ وَقَدَّرَ وَقَضىٰ** .

---

(١) أصول الكافي : ١ : ١٢٧ .

فقلت له : ما معنى شاء ؟

قال عليه السلام : **ابْتِداءُ الْفِعْلِ** .

قلت : ما معنى قدر ؟

قال عليه السلام : **تَقْديرُ الشَّيْءِ مِنْ طُوْلِهِ وَعَرْضِهِ** .

قلت : ما معنى قضى ؟

قال عليه السلام : **إذا قَضىٰ أَمْضاهُ ، فَذلِكَ الَّذي لَا مَرَدَّ لَهُ**»[1] .

وإيضاح كلامه عليه السلام على وجه الإجمال أنّ للإنسان أفعالاً اختياريّة منها مشيئته وإرادته وتقديره وإمضاؤه ، وحيث إنّه تعالى عدّ الموجودات الخارجيّة من أفعال نفسه وصادرة عن علمه وقدرته ، فلا بدّ أن تكون مسبوقة بالمشيئة والإرادة ، والتقدير والقضاء ، والمشيئة والإرادة لا بدّ من تحقّقهما في إيجاد الفعل الاختياري ، فالمعنى القائم في النفس من حيث ارتباطه بالفاعل يسمّى مشيئة ، ومن حيث ارتباطه بالفعل يسمّى إرادة ، والتقدير تعيين مقدار الفعل ، والقضاء هو الحكم الأخير الذي لا واسطة بينه وبين الفعل وإذا تعلّق قضاؤه تعالى بشيء أمضاه وهو الذي لا مردّ له .

٧- الإرادة التكوينيّة والتشريعيّة

قال عليه السلام : **إنَّ لِلّهِ إرادَتَيْنِ وَمَشيئَتَيْنِ : إرادَةَ حَتْمٍ ، وَإرادَةَ عَزْمٍ ، يَنْهىٰ وَهُوَ يَشاءُ ، وَيَأْمُرُ وَهُوَ لَا يَشاءُ ، أَوَ رَأَيْتَ أَنَّهُ نَهىٰ آدَمَ وَزَوْجَتَهُ أَنْ يَأْكُلا مِنَ الشَّجَرَةِ ، وَشاءَ ذلِكَ ، وَلَوْ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَأْكُلا لَما غَلَبَتْ مَشيئَتُهُما مَشيئَةَ اللهِ تعالىٰ ، وَأَمَرَ إبْراهيمَ أَنْ يَذْبَحَ إسْحاقَ وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَذْبَحَهُ وَلَوْ شاءَ لَما**

---

(١) أصول الكافي : ١ : ١٥٠ .

غَلَبَتْ مَشيئَةُ إبْراهيمَ مَشيئَةَ اللهِ تَعالىٰ(١).

وبيان مراده عليه السلام أنّ الإرادة تنقسم إلى الإرادة التكوينيّة الحقيقيّة وإلى الإرادة التشريعيّة الاعتباريّة ، فإرادة الإنسان التي تتعلّق بفعل نفسه إرادة تكوينيّة تؤثّر في أعضائه إلى إيجاد الفعل ، ويستحيل معها تخلّف الأعضاء عن المطاوعة إلّا لمانع .

وأمّا الإرادة التي تتعلّق بفعل الغير كما إذا أمر بشيء أو نهى عنه ، فإنّ هذه الإرادة ليست تكوينيّة ، بل هي تشريعيّة لأنّها لا تؤثّر في إيجاد الفعل أو تركه من الغير ، بل تتوقّف على الإرادة التكوينيّة له .

وأمّا إرادة الله تعالى التكوينيّة فهي التي تتعلّق بالشيء ، ولا بدّ من إيجاده ويستحيل فيها التخلّف ، وأمّا إرادته التشريعيّة فهي التي تتعلّق بالفعل من حيث أنّه حسن وصالح ، وأمّا نهي الله لآدم عن الأكل وقد شاء ذلك وأمره تعالى لإبراهيم بالذبح لإسحاق وقد شاء ذلك ، فإنّ النهي والأمر فيهما تشريعيّان ، كما أنّ المراد بالمشيئة هي المشيئة التكوينيّة .

وقد صرّحت الرواية بأنّ إبراهيم قد أمر بذبح ولده إسحاق دون إسماعيل ، وهو مخالف لما تظافرت به الأخبار الواردة عن أئمّة أهل الهدى عليهم السلام بأنّ الذي جعل قرباناً للبيت الحرام هو إسماعيل دون إسحاق .

ونكتفي بهذا المقدار من ردّه على الملحدين وتفنيده لشبههم ، وله تراث آخر يتعلّق في النبوّة والإمامة ذكره المجلسي في بحاره ، كما دوّنه الكليني في أُصول الكافي ، والتعرّض له يستدعي مجلّداً ضخماً ، لذا نكتفي بما ذكرناه للاستدلال على سهره عليه السلام على ردّ الشبه وتفنيد الأضاليل التي دهمت المسلمين .

وعلى أي حال ، فإنّ عصر الإمام قد غزته موجة من الإلحاد فجّرها المعادون

---

(١) أُصول الكافي : ١ : ١٥١ .

للإسلام والحاقدون على انتصاراته ، فرأوا أن لا وسيلة لهم لمقاومته إلّا بإشاعة المبادئ الهدّامة بين المسلمين ليضعف بذلك الجانب العقائدي ، ولكن لم تلبث أن تلاشت تلك الأفكار ، وقبرت تلك الأضاليل والبدع بواسطة المساعي الحميدة التي بذلها أئمّة أهل البيت عليهم السلام وقادة الفكر من تلامذتهم ، فقد انطلقوا بحماس بالغ يعملون لصيانة الإسلام وحمايته من شبه الملحدين والمضلّلين.

إنّ تلك الموجات الإلحاديّة التي انتشرت في ذلك العصر تدلّ على أنّ المجتمع كان يعيش عيشة متحلّلة يسودها الخلاف المذهبي ، والشكّ في العقيدة الإسلاميّة ، وممّا لا شكّ فيه أنّ لاحتجاجات الأئمّة عليهم السلام الأثر الفعّال في إرجاع المسلمين إلى طريق الحقّ والصواب.

إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن الغزو العقائدي الذي مُني به المسلمون ، ولعلّه من أهمّ أحداث ذلك العصر.

تسيّب الأخلاق

كان العصر العبّاسي في أغلب أدواره عصر لهو ومجون قد أقبل الناس فيه على الطرب والغناء ، واندفعوا إلى الاستمتاع بجميع أنواع المحرّمات من الادمان على شرب الخمر ، واستعمال الميسر ، ومنادمة الجواري والغلمان ، وغيرها ممّا حرّمه الله ، وقد شجّعهم على ذلك الجهاز الحاكم ، فإنّه قد غرق في المنكر والإثم ، ودفع الناس إلى ذلك اللهو ، وإنّا لنتّخذ المقياس في فساد الأخلاق من شعراء ذلك العصر ، فإنّهم يمثّلون المجتمع في جميع اتّجاهاته وميوله تمثيلاً صحيحاً.

فقد كان شعرهم لا يصوّر جدّاً ولا نشاطاً في الحياة العامّة ، ولا يصوّر أي واقع للحياة الفكريّة ، وإنّما كان شعرهم في وصف العقار والقيان ، والبعث إلى اللذة والشهوات ، وكان ما أُثر عنهم في هذا المجال وصمة في تراث الأدب العربي ،

وفيما يلي هذه البادرة التي تدلّ على ذلك:

اجتمع شعراء البلاط العبّاسي، فقالوا: أين نقضي هذه الليلة سهرتنا، فأخذ كلّ واحد يدعوهم إلى بيته، فاقترح أبو نواس أن تكون هذه الدعوة شعراً لا نثراً، وأن تذهب الجماعة إلى أحسنهم نظماً في ذلك، فقال داود بن رزين الواسطي:

قوموا لِمَنزِلِ لَهْوٍ وَظِلِّ بَيتٍ كَنينِ
فيهِ مِنَ الوَردِ وَالنَّرْ جِسِ وَالياسَمينِ
ورَيحُ مِسْكٍ ذَكيٍّ وَفائِحُ المَرْزَجونِ[١]
وَقَيْنَةٌ ذاتُ غَنْجٍ وَذاتُ عَقْلٍ رَصينِ
تَشْدو بِكُلِّ طَريفٍ مِنْ مُحْكَمِ (ابْنِ رَزينِ)

وقال أبو نؤاس:

لَا بَلْ إلىٰ ثُقاتِي قوموا بِنا لِحَياتي
قوموا نَلَذُّ جَميعاً بِقَولِ هاكِ وَهاتِي

وذكر لوناً من الخلاعة ننزّه الكتّاب عن ذكره.

وقال الخليع:

إلى (الخَليعِ) فَقوموا إلىٰ شَرابِ الخَليعِ
إلىٰ شَرابٍ لَذيذٍ وَأَكْلِ جَدْيٍ رَضيعِ
وَنَيلِ أَحْوىٰ رَخيمٍ بِالخَنْدَريسِ صَريعِ[٢]
في رَوْضَةٍ جادَها صَوْ بُ غادِياتِ الرَّبيعِ

---

(١) المرزجون: نبت طيّب الرائحة. والكلمة فارسيّة.

(٢) الخندريس: الخمرة القديمة.

قوموا تنالوا وَشيكا مَنالَ كُلِّ رَفيعِ

وقال الرّقاشي:

للهِ دَرُّ عُقارٍ حَلَّتْ بِبَيتِ (الرّقاشي)
عَذْراءَ ذاتِ احْمِرارٍ إنّي بِها لا أُحاشِي

وقال عمرو الورّاق:

عَرِّجوا إلىٰ بَيْتِ (عَمرٍو) إلى سِماعٍ وَخَمْرِ
وَناشِجاتٍ عَلَيْنا تُطاعُ في كُلِّ أَمْرِ
هُناكَ أَحْلىٰ وَأَشْهىٰ مِنْ صَيْدِ بازٍ وَصَقْرِ
هذا وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ أَوْلىٰ وَلا وَقْتُ عَصْرِ

وقال الحسين الخيّاط:

قَضَتْ عِنانٌ عَلَينا بِأَنْ نَزورَ (حُسَيْنا)
وَأَنْ نَقَرَّ لَدَيْهِ بِاللَّهْوِ وَالقَصْفِ عَيْنا
فَما رَأَيْنا كَظَرفِ (الحُ سَيْنِ) فيما رَأَيْنا

وقالت عنان:

مَهْلاً أُفَدِّيكَ مَهْلاً (عِنانُ) أَحْرىٰ وَأَوْلىٰ
بِأَنْ تَنالَ لَدَيْها أَشْهىٰ النَّعيمِ وأَحْلىٰ
لَا تَطْمَعوا في سِوايَ مِنَ البَرِيَّةِ كُلّا
يا إِخْوَتي خَبِّروني أَجازَ حُكْمِيَ أَمْ لا؟!

ومضى كلّ واحد ينظم أبياتاً فيها ترغيب على اللذّة وحثّ على اللهو والمجون،

فاقترح أبو نؤاس الذهاب إلى حانة خمّار ، فقال :

أَلا قوموا إلى الكَرْخِ　　إلىٰ مَنزِلِ خَمّارِ
إلىٰ صَهْباءَ كَالمِسْكِ　　إلىٰ جُونَةِ عَطّارِ
وَبُسْتانٍ بِهِ نَخْلٌ　　لَهُ زَهْرٌ بِأَشْجارِ
فَإِنْ أَحْبَبْتُمُ لَهْواً　　أَتَيْناكُمْ بِمِزْمارِ(١)

إنّ هذا اللون من الأدب المكشوف قد دلّ على انتشار الميوعة وفساد الأخلاق والتحلّل من الرواسب الدينيّة التي تحرم ذلك .

إنّ سمة الحياة في ذلك العصر يمثّلها الشعراء ، فقد استأثرت عواطفهم وأحاسيسهم باللهو والمجون ، وتعلّقت قلوبهم بالخمر فعكفوا على وصفها والثناء عليها ، وقد كرّس أبو نؤاس مجهوده الفكري على « وصف الأكواب والكؤوس والدنان والسقاة والخمّارين والندمان والكروم ، ولم يفته أن يذكر أصناف الخمور ، وطريقة صنعها ، ولم ينس أن يفرّق بين هذه وتلك في الطعم واللون والرائحة ، ولم يقصر في بيان النشوة ، ودبيبها في الأعضاء وسورتها في الرؤوس ، ولم يكن بيانه بيان الذي يتعمّد ذلك لغرض فنيّ فحسب ، بل كان بيان الذي تمكّن من نفسه الحبّ ، فجعله يلتفت إلى كلّ ما يتّصل بها وينظر إلى ما لا يراه سواه ، ويحسّ فيها بما لم يحسّ به أحد .

وقد وصل حبّه إلى الخمر إلى حدّ العبادة والتقديس ، وقد شاعت خمريّاته ، وافتتن الناس بها ، وكان الجاحظ معجباً إعجاباً شديداً بهذه الأبيات :

وَدارُ نَدامىٰ عَطّلوها وَأَدْلَجوا　　بِها أَثَرٌ مِنْهُمْ جَديدٌ وَدارِسُ
مَساحِبُ مِنْ جَرِّ الزِّقاقِ عَلى الثَّرىٰ　　وَأَضْغاثُ رَيْحانٍ جَنِيٌّ وَيابِسُ

---

(١) حديث الأربعاء : ٢ : ٤٦ ـ ٤٨ .

حَبَسْتُ بِها صَحْبي فَجَدَّدْتُ عَهْدَهُمْ وَإِنّي عَلى أَمْثالِ تِلْكَ لِحابِسُ
أَقَمْنا بِها يَوْماً وَيَوْماً وَثالِثاً وَيَوْماً لَهُ يَوْمُ التَّرَحُّلِ خامِسُ
تُدارُ عَلَيْنا الرّاحُ في عَسْجَدِيَّةٍ حَبَتْها بِأَلْوانِ التَّصاويرِ فارِسُ
قَرارَتُها كِسْرى وَفي جَنَباتِها مَهىً تَدريها بِالْقِسِيِّ الفَوارِسُ
فَلِلخَمْرِ ما زُرَّتْ عَلَيْهِ جُيوبُها وَلِلماءِ ما دارَتْ عَلَيْهِ القَلانِسُ[1]

وقد ذكر في مطلعها حنينه وحبّه للخمر، وقد اقترن شرب الخمر مع الغناء والرقص في ذلك العصر، وكانت الأميرات وسيّدات الطبقة الراقية في بغداد يشتركن في حفلات موسيقيّة خاصّة[2].

كما انتشرت الدور الخاصّة التي أُعدّت للخمر والغناء وضرب الدفوف والطبول، كما كانت البساتين في ضواحي بغداد تعجّ بحانات الخمر التي يختلف إليها الشعراء والشباب والفتيات وقد وصف مطيع بن إياس في بعض شعره حانة بستان صباح[3] التي كان يتعاطى فيها الخمر، كما استحالت الأديرة إلى حانات شرب، وميادين إلى الغزل والمجون، وقد وصف أبو نؤاس راهباتها وخمرها بقوله:

يا دَيرَ حَنَّةَ مِنْ ذاتِ الأُكَيْراحِ مَنْ يَصْحُ عَنْكِ فَإِنّي لَسْتُ بِالصّاحي
رَأَيْتُ فيكِ ظِباءً لا قُرونَ لَها يَلْعَبْنَ مِنّا بِأَلْبابٍ وَأَرْواحِ[4]

وقد تحوّلت بغداد، بل جميع أنحاء العراق، إلى دور للهو والعبث والمجون وانساب الناس وراء الشهوات، ونبذوا القيم الإسلاميّة التي تحرم ذلك، وأدّى ذلك

---

(١) ديوان ابن المعتزّ: ٢٠٦.
(٢) مختصر تاريخ العربي: ٣٩١ و ٣٩٢.
(٣) الأغاني: ١٣: ٣٢١.
(٤) الديارات النصرانيّة في الإسلام / حبيب الزيّات: ٢٢.

إلى انحطاط الأخلاق ، وانغماس الناس في الإثم والمنكر والفساد ، وامتدّ الفجور إلى الغزل بالغلمان ، وقد أفرط أبو نؤاس وأمثاله من الشعراء في ذلك ، الأمر الذي أدّى إلى انحلال الأخلاق وشيوع الخلاعة والابتذال .

وممّا لا شبهة فيه أنّ سياسة الحكم العبّاسي الأوّل هي المسؤولة عن هذه الموجة من التحلّل والفجور ، فإنّ أولئك الملوك قد أسهموا في إيجاد هذا العبث واللهو ، وإشاعة المنكر والفساد فلم تكن هناك سوءة إلّا وتضاف إليهم ، ولا استهانة بالعرف الاجتماعي أو القيم الإسلاميّة إلّا وهم سببها وأصلها .

بؤس وشقاء

كانت الأكثريّة الساحقة في البلاد الإسلاميّة تعاني الفقر والحرمان ، وترزح تحت كابوس ثقيل من الظلم والبؤس ، فالأموال قد تكدّست عند طبقة خاصّة من المغنّين والماجنين ، وقد تفنّنوا في جميع أنواع الملذّات ، كما أسرفوا في الشهوات ، أمّا عامّة الناس فقد استولى عليها الجوع والفقر بسبب ظلم الولاة وجورهم في أخذ الخراج ، وقد صوّر اضطهاد المجتمع وسوء الحياة الاقتصاديّة الشاعر الاجتماعي الكبير أبو العتاهية بقصيدته التي وجّهها إلى عاهل بغداد ، وقد جاء فيها :

مَنْ مُبْلِغٌ عَنّي الإما ... مَ نَصائِحاً مُتَوالِيَه
إنّي أرى الأَسْعارَ أسْـ ... ـعارَ الرَّعِيَّةِ غالِيَه
وَأرى المَكاسِبَ نَزْرَةً ... وَأرى الضَّرورَةَ فاشِيَه
وَأرى غُمومَ الدَّهْرِ را ... ئِحَةً تَمُرُّ وَغادِيَه
وَأرى اليَتامى في البُيو ... تِ البائِساتِ الخالِيَه
مِنْ بَيْنِ راجٍ لَمْ يَزَلْ ... يَسْمو إلَيْكَ وَراجِيَه
يَشكونَ مَجْهَدَةً بِأَصْـ ... ـواتٍ ضِعافٍ عالِيَه

يَرجونَ رِفْدَكَ كَي يَرَوا مِـمّا لَـقوهُ العـافِيَه
وَمُـصَبِّياتِ الجـوعِ إذْ تُمْسي وَتُصْبِحُ طاوِيَه
مَـنْ لِـلْبُطونِ الجـائِعا تِ وَلِـلْجُسومِ العـارِيَه
أَلْـقَيْتُ أَخْـباراً إلَـيْـ ـكَ مِنَ الرَّعيَّةِ شافِيَه[1]

هذه هي الحالة الاجتماعيّة السائدة في عصر هارون، الملايين من الشعب تعرى وتجوع، بينما قد زخرت خزائن بغداد بأموال المواطنين، غير أنّها لم تكن إلّا للخلفاء وأبنائهم ووزرائهم والمقرّبين عندهم من الظلمة والماجنين والمخنّثين.

وأمّا الذين لا يمرّغون جباههم على أعتاب الولاة فهم في فقر وبؤس، ولندع الحديث إلى أبي العتاهية يصوّر لنا بوضوح ما يتمنّاه في ذلك العصر الذهبي الذي اصطلح المؤرّخون على تسميته بذلك، فيقول:

رَغيفُ خُبْزٍ يابِسٍ تَـأكُـلُهُ فـي زاوِيَـه
وَغُـرفَةٌ ضَـيِّقَةٌ نَـفْسُكَ فـيها خـالِيَه
أوْ مَسجِدٌ بِـمَعزَلٍ عَنِ الوَرىٰ فـي ناحِيَه
خَيرٌ مِنَ السّاعاتِ في فَـيءِ القُصورِ العالِيَه
فَـهذِهِ وَصِـيَّةٌ مُـخبِرَةٌ بِـحالِيَه
طوبى لِمَنْ يَسْمَعُها تِـلكَ لَـعَمْري كافِيَه
فَاسْمَعْ لنُصْحِ مُشْفِقٍ يُدعىٰ أَبا العَتاهِيَه[2]

إنّ هذا اليأس والتشاؤم، وهذه الآلام التي ردّدها شاعر المجتمع العبّاسي كانت

(١) ديوان أبو العتاهية: ٣٠٤.
(٢) ديوان أبي العتاهية: ١٥٤.

من نتائج فساد الحكم القائم ، ومن مساوئ سلطانهم ، فقد قضت سياستهم الملتوية بإشاعة الحرمان والفقر بين الناس ، ونشر الثروة عند طبقة خاصّة أسرفت في التفنّن في أنواع الملذّات ، فكانوا يزيّنون مجالسهم بالفرش الفاخر والمتاع الثمين ، ويلبسون الحيطان بالوشي والديباج ، ويغرسون الزهور في جنانهم حتّى كانوا يجلبون لها الرياحين من بلاد الهند ، وأخذوا يمعنون في ابتكار أساليب المتع ، حتّى إذا ما ملّوا من واحدة منها مالوا إلى أخرى ، وحتّى «كان بعضهم يكاد ينطح العمود برأسه من حسن الغناء» كما يقول الأصفهاني ، وكانت نتيجة ذلك انتشار الإعواز والفقر عند طبقات الشعب .

ومهما يكن من أمر ، فإنّ الحكومات العبّاسيّة في العصر الأوّل قد نهبت أموال الشعوب الإسلاميّة ، وأشاعت الحاجة في البلاد ، وصرفت الخزينة المركزيّة على الدعارة واللهو وفساد الأخلاق ، وقد أيقنت الجماهير بفساد تلك السلطات وعدم شرعيّة حكمها ، كما آمنت بالعلويّين واعتقدت بأنّهم دعاة العدل الاجتماعي ومأوى المظلومين والمضطهدين .

سياسة الحكم العبّاسي

كان الحكم العبّاسي في أكثر أدواره قائماً على الظلم والجور ، فلا ظلّ فيه للعدل السياسي والعدل الاجتماعي ، فقد نهج العبّاسيّون في حكمهم منهجاً فرديّاً خالصاً ، قد تسلّموا جميع السلطات الإداريّة والقضائيّة ، ولم يكن ثمّة مجلس إداري أو استشاري تعالج فيه شؤون الرعيّة ، وسائر مصالحها ، ووسائل تطوّرها وتقدّمها ، فقد كان طابع الحكم استبداديأ ، يحكم الخليفة بحسب رأيه وهواه ، فهو ظلّ الله في الأرض ـ كما يقولون ـ وإذا بهذا الظلّ يمعن في الاستبداد ونهب الأموال ، ومصادرة الحريّات ، وإرغام الناس على ما يكرهون .

لقد كان الحكم العبّاسي في أكثر فترات تاريخه يضارع الحكم الأموي في مادّته

وصورته ، يقول ليفي ديللا فيدا : « إنّ النظام الإداري الذي جرى عليه العبّاسيّون هو في جوهره نظام الأمويّين »(١).

وقد أجحفت الدوائر الرسميّة في حقوق العامّة في حين كان تصانع الوجوه والرؤساء وذوي النفوذ.

يقول أمين الريحاني : « وكانت الدوائر تدور كلّها لا على الباغين - الظالمين والسفّاحين - بل على الأهالي المساكين ، على أُولئك الذين يدفعون الضرائب ويلبّون الدعوة للجهاد ».

وعلى هؤلاء كان الظلم والجور ، فقد هان أمرهم عند أُولئك الحكّام الذين استأثروا في توزيع الخير والشرّ على من يحبّون ويكرهون ، فأنفقوا أموال الشعوب الإسلاميّة البائسة على شهواتهم وعلى من يسير في ركابهم ، فقد يعجب أحدهم ببيت من الغناء فيهب الثراء العريض ، وقد يكره ، كلمة من مصلح فيهدر الدم ويصادر الأموال.

فقد كان المعتضد العبّاسي إذا غضب على قائد أمر بإلقائه في حفرة وردم عليه(٢) ، وعرف الكثيرون منهم بالبطش والبغي وسفك الدماء.

ووصف العتابي حالة الحكم القائم عندما سئل : لِمَ لا تتقرّب بأدبك إلى السلطان ؟

فقال : إنّي رأيته يعطي عشرة آلاف في غير شيء ويرمي من السور في غير شيء ، ولا أدري أيّ الرجلين أكون(٣).

ودعي محمّد بن الحارث إلى الواثق في يوم لم يكن يدعى فيه ، فقال : « داخلني

---

(١) العصر العبّاسي الأوّل : ٤٥.

(٢) تاريخ الإسلام : ٣ : ١٨.

(٣) المستطرف : ١ : ١١٢.

فزع شديد ، وخفت أن يكون ساع قد سعى بي ، أو بليّة قد حدثت في رأي الخليفة عليَّ فتقدّمت بما أراد »[١].

ولمّا قتل المأمون وزيره الفضل بن سهل ، عرض الوزارة على أحمد بن أبي خالد ، فأبى أن يقبلها وقال : « لم أرَ أحداً تعرّض للوزارة وسلمت حاله »[٢].

والسبب في ذلك أنّ الحكم لم يكن جارياً على قانون أو دستور معيّن ، بل كان كيفيّاً حسب ما يتّفق مع ميول الخليفة ، فهو يوزع الموت والحياة على من كره وأحبّ .

وكانت الأحكام بالإعدام تصدر من البلاط بالجملة بمجرّد الوشاية ، من غير أن يطمئن أو يوثق بقول المخبر بذلك ، فقد وشي برجل يقال له الفضيل بن عمران إلى أبي جعفر المنصور ، وكان كاتباً لابنه جعفر ووليّاً لأمره ، فقد وشي به أنّه يعبث بجعفر ، فبعث المنصور رجلين ، وأمرهما بقتل الفضيل حيث وجداه ، وكتب إلى جعفر يعلمه ما أمرهما به وقال للرجلين : لا تدفعا الكتاب إلى جعفر حتّى تفرغا من قتله ، فلمّا انتهيا إليه ضربا عنقه . وكان الفضيل عفيفاً صالحاً .

فقيل للمنصور إنّه أبرأ الناس ممّا رمي به ، وقد عجلت عليه ، فندم على ذلك ، ووجّه رسولاً ، وجعل له عشرة آلاف درهم إن أدركه قبل أن يقتل ، فقدم الرسول فوجده جثة هامدة ، فاستنكر جعفر ذلك ، وقال لمولاه : « ما يقول أمير المؤمنين في قتل رجل عفيف ، ديّن ، مسلم ، بلا جرم ولا جناية ؟ ! » .

فأجابه سويد : هو أمير المؤمنين يفعل ما يشاء ، وهو أعلم بما يصنع .

وهكذا كانت أرواح الناس ودماؤهم يتصرّفون فيها حسب ما شاءوا ، فالملك يفعل ما يصنع فهو ظلّ الله في الأرض لا يسأل عن ذنب ولا جرم .

---

(١) الأغاني : ٣ : ٢١٥ .

(٢) تاريخ بغداد / ابن طيفور : ٢١٥ .

لقد كانت البلاد الإسلاميّة أيّام الحكم العبّاسي ترزح تحت كابوس ثقيل من الظلم والجور ، فقد عمد العبّاسيّون إلى استعمال العنف في تنفيذ خططهم ، ولأوّل مرّة في تاريخ الإسلام صار النطع إلى جانب كرسي الخلافة ، واتّخذ منه ومن الجلاد أداة لتوطيد الوصول إلى العرش ، كما يقول فيليب حتّي .

على هذا الأساس كان الحكم العبّاسي في أكثر أدواره وعهوده ، فلم يخضع لمنطق الحقّ والعدل ، وإنّما كان خاضعاً للأهواء والعواطف ، فالغلمان والنساء والعابثون من الندماء كان لهم الضلع الكبير في إدارة شؤون الحكم وتوزيع الهبات والأرزاق ، أو الحرمان ، ولم يكن ذلك كلّه مستنداً إلى شريعة الله ، وإنّما كان مبعثه الرغبات الشخصيّة التي هي أبعد ما تكون عن منطق العدل .

الفرق الإسلاميّة

ولعلّ من أهمّ ما حفل به العصر العبّاسي الأوّل من الأحداث ، حدوث المذاهب الإسلاميّة ، وتشعّب المسلمين إلى عدّة طوائف وفرق ، قد اختلفت فيما بينها في أصول الدين وفروعه ، وفي كلّ شيء .

والشيء المحقّق أنّ السلطات العبّاسيّة في عصورها الأولى هي التي أحدثت المذاهب الإسلاميّة ، وغذّتها ونمّتها ، وحملت الناس بالقهر والقوّة على اعتناقها ، وفيما نحسب أنّ السبب في ذلك إبعاد المسلمين عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام الذين يمثّلون واقع الإسلام واتّجاهاته الثوريّة في القضاء على الظلم الاجتماعي ، والغبن الاجتماعي ، وإنقاذ الناس من الجور السياسي ، والاستبداد السياسي .

لقد اندفع العلويّون في العصر الأموي إلى ساحات الجهاد المقدّس لصيانة المجتمع من عنف الأمويّين وبطشهم ، وإعادة المبادئ الكريمة التي ينشدها الإسلام ، ويؤمن بضرورة توفيرها على جميع المواطنين ، وهي تتركز على بسط العدالة والحريّة والمساواة ، ونشر الدعة والاستقرار ، والإيمان الكامل بحقّ الفرد ، وتوفير أسباب معيشته ورزقه وأمنه ، واعتبر ذلك قاعدة أساسيّة لتطوّر المجتمع ، وانطلاقه في آفاق من الحياة الحرّة الكريمة .

من أجل هذه المبادئ العليا هبّ العلويّون إلى ميادين الكفاح والنضال ، فلاقوا أعنف المشاكل وأكثرها صعوبة وتعقيداً ، فتقطّعت أوصالهم ، وأريقت دماؤهم ، وارتفعت أجسامهم على أعواد المشانق ، وقد آمنت الجماهير بأنّ العلويّين حماة هذه الأمّة وقادتها وولاة أمرها ، وأنّه لا يمكن بأي حال أن تتوفّر للمجتمع أسباب معيشته ورخائه إلّا في ظلّ حكمهم .

وقد التفّوا حولهم ، فكانت هتافات الثوّار والمتظاهرين الدعوة إلى « الرضا من آل محمّد » وقد قضت الثورة العارمة التي اندلعت في جميع أنحاء البلاد على الحكم الأموي حتّى أطاحت به ، وأزالت جميع آثاره ، ولكنّ العبّاسيّين قد اختلسوا الحكم من أهله ، وحينما استتبّ لهم الأمر عملوا جاهدين على إبادة العلويّين وشيعتهم الذين هم مصدر القوى الواعية في الإسلام .

وكان المخطّط الرهيب الذي اتّخذته الحكومة العبّاسيّة لتصفية الشيعة وسائر القوى المعارضة لهم يحتوي على ما يلي :

أوّلاً : إحداث المذاهب الإسلاميّة ، وفصم عرى الوحدة بين المسلمين ، وإشغالهم بالناحية العقائديّة من حياتهم عن النظر في أي شأن من الشؤون السياسيّة ، وقد عجّت النوادي في بغداد والكوفة والبصرة ويثرب وسائر أنحاء العالم الإسلامي بالمناظرات الكلاميّة ، والاحتجاجات الفلسفيّة ، وكلّها تحوم حول الاطار العقائدي في الإسلام ، وقد وجّهت الحياة العلميّة في تلك العصور إلى هذه الناحية الخاصّة ، ولم تتّجه إلى أي جانب من جوانب الحياة السياسيّة التي يعيشها المسلمون .

ثانياً : عزل أئمّة أهل البيت عليهم السلام عن القافلة الإسلاميّة ، وفرض الرقابة عليهم ، ومنع الاتّصال بهم ، وعدم أخذ معالم الدين منهم .

وقد شعر العبّاسيّون بحاجة الناس إلى التفقّه في شؤون دينهم ، فعهد المنصور الدوانيقي إلى الإمام مالك ـ أحد رؤساء المذاهب الأربعة ـ بأن يضع كتاباً في الفقه يحمل الناس على العمل به قهراً ، فامتنع مالك من ذلك أوّلاً ، ثمّ أجابه أخيراً بعد الضغط فوضع الموطّأ (١) .

وقد ساندت الحكومات العبّاسيّة بقيّة أئمّة المذاهب ، ونشرت فقههم ، وحملت الناس على العمل به ، كما أغدقت عليهم الأموال الطائلة ، وكرّمتهم تكريماً منقطع

---

(١) شرح الموطّأ / الزرقاني : ١ : ٨ .

النظير ، فكان الرشيد يأمر عامله على المدينة بأن لا يقطع أمراً دون أن يأخذ رأي مالك ، كما كان يجلس على الأرض لاستماع حديثه[(١)].

وأمر بأن يهتف في أيّام الحجّ أن لا يفتي إلّا مالك ، وقد ازدحم الناس عليه ، وكثرت عليه الوفود من سائر الأقاليم الإسلاميّة ، لاستماع حديثه ، وأخذ الأحكام الشرعيّة منه ، وكان لا يدنو إليه أحد لما أُحيط به من التقدير الرسمي .

فقد احتفّ به غلمان من السود غلاظ شداد يأتمرون بأمره ، وينكّلون بمن شاء أن ينكّل به ، وقد حدّث إسماعيل الفزاري ، قال : « دخلت على مالك وسألته أن يحدّثني فحدّثني اثني عشر حديثاً ، ثمّ أمسك .

فقلت له : زدني أكرمك الله ، وكان له سودان قيام على رأسه ، فأشار إليهم فأخرجوني من داره[(٢)].

إنّ العناية البالغة التي أولتها الحكومة العبّاسيّة لمالك وغيره من أئمّة المذاهب تدلّ بوضوح على أنّ الغرض من ذلك هو إضعاف كيان أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، والقضاء على الشيعة الذين هم من أقوى الجبهات المعادية للحكم العبّاسي ، ولا بدّ لنا من وقفة قصيرة للحديث عن الطائفة الشيعيّة التي حملت لواء الاصلاح وثارت في وجه الطغاة والمستبدّين ، وحفل تاريخها بالمآثر والمفاخر ، وخدمة المسلمين ، وفيما يلي ذلك .

معنى الشيعة

الشيعة ـ في اللغة ـ هم الأتباع والأنصار ، وغلب هذا الاسم على كلّ من يتولّى أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته : .

---

(١) مناقب مالك / الزاوي .

(٢) شرح الإنتقاء : ٢ : ٤٢ .

قال الفيروزآبادي : « شيعة الرجل ـ بالكسر ـ أتباعه وأنصاره ، وقد غلب هذا الاسم على كلّ من يتولّى عليّاً وأهل بيته ﷺ ، حتّى صار اسماً خاصّاً لهم »[١].

وقال ابن منظور الأفريقي : « أصل الشيعة الفرقة من الناس ، ويقع على الواحد والإثنين ، والجمع والمذكّر والمؤنّث بلفظ واحد ، ومعنى واحد ، وقد غلب وصار اسماً على من يتولّى عليّاً وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين ، حتّى صار اسماً خاصّاً ، فإذا قيل : فلان من الشيعة عُرف أنّه منهم »[٢].

وقد أجمع اللغويّون على تفسير الشيعة بما ذكرناه .

نشأتها

والشيء المحقّق أنّ الشيعة قد تكوّنت في عهد الرسول الأعظم ﷺ ، فهو أوّل من وضع هذه البذرة الطيّبة ونمّاها وتعاهدها بالسقي والعناية .

قال الإمام كاشف الغطاء (قدّس الله مثواه) : « إنّ أوّل من وضع بذرة التشيّع في حقل الإسلام هو نفس صاحب الشريعة الإسلاميّة ، يعني أنّ بذرة التشيّع وضعت مع بذرة الإسلام جنباً إلى جنب ، وسواء بسواء ، ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقي والعناية ، حتّى نمت وأزهرت في حياته ، ثمّ أثمرت بعد وفاته .

وشاهدي على ذلك نفس أحاديثه الشريفة ، لا من طرق الشيعة ورواة الإماميّة حتّى يقال : إنّهم ساقطون لأنّهم يقولون بالرجعة ، أو أنّ راويهم (يجرّ النار إلى قرصه) ، بل من نفس أحاديث علماء السنّة وأعلامهم ، ومن طرقهم الوثيقة » .

ثمّ ذكر ﷺ ما رواه السيوطي في كتاب (الدرّ المنثور) في تفسير قوله تعالى :

---

(١) القاموس المحيط : ٣ : ٤٧ .

(٢) لسان العرب : ١٠ : ٥٥ .

﴿ أُولَـٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾[١].

قال: أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبدالله، قال: «كنّا عند النبيّ ﷺ فأقبل عليّ عليه السلام، فقال النبيّ ﷺ: **وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ هـٰذا وَشِيعَتَهُ هُمُ الْفائِزونَ يَوْمَ الْقِيامَةِ**».

وذكر رحمه الله جملة من الأخبار المعتمد عليها المؤيّدة لما ذكره»[٢].

وقال أبو حاتم الرازي: «إنّ أوّل اسم ظهر في الإسلام هو الشيعة، وكان هذا لقب أربعة من الصحابة هم: أبو ذرّ، وسلمان، وعمّار، والمقداد، حتّى آن أوان صفّين، فاشتهر بين موالي عليّ عليه السلام»[٣].

هذه الفكرة قد نشأت منذ فجر التاريخ، أنشأها النبيّ ﷺ واعتنقها كبار الصحابة الذين آمنوا بالإسلام، وأبلوا في سبيله بلاءاً حسناً، وهم: أبو ذرّ، وسلمان، وعمّار، والمقداد.. وأشباههم من أعلام الإسلام.

وأكّد أصالة هذا الرأي جميع البحّاث من مؤلّفي الشيعة.

يقول المرحوم الشيخ المظفّر: «إنّ الدعوة إلى التشيّع ابتدأت من اليوم الذي هتف فيه المنقذ الأعظم محمّد ﷺ صارخاً بكلمة لا إلـه إلّا الله، فإنّه لمّا نزل قوله تعالى: ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ﴾[٤] جمع بني هاشم وأنذرهم قائلاً: **أَيُّكُمْ يُؤازِرُني لِيَكونَ أَخي وَوارِثي وَوَصِيِّي وَخَليفَتي فيكُمْ مِنْ بَعْدي؟**

فلم يجبه أحد إلى ما أراد غير المرتضى.

فقال لهم الرسول: **هـٰذا أَخي وَوارِثي وَوَزِيري وَوَصِيِّي وَخَليفَتي فيكُمْ بَعْدي**،

---

(١) البيّنة ٩٨: ٧.

(٢) أصل الشيعة وأصولها: ٨٧ و ٨٨.

(٣) روضات الجنّات: ٨٨، نقلاً عن كتاب الزينة.

(٤) الشعراء ٢٦: ٢١٤.

فَاسْمَعوا لَهُ وَأَطيعوا.

وأضاف المظفّر بعد ذلك يقول: «فكانت الدعوة إلى التشيّع لأبي الحسن من صاحب الرسالة تمشي معه جنباً لجنب مع الدعوة للشهادتين، ومن ثمّ كان أبو ذرّ الغفاري من شيعة عليّ»(١).

إنّا إذا نظرنا إلى الواقع نظرة مجرّدة من جميع الميول والعواطف، ومتّسمة بالتحقيق العلمي نجد واقعيّة هذا القول وأصالته وعمقه، ويدعم ذلك ما يلي:

١ - إنّ الرسول الأعظم ﷺ ترك لأُمّته من بعده المبادئ العظيمة التي تتطوّر بها حياتهم الفرديّة والاجتماعيّة، وخلّف لها أعظم تراث لم تجد له الإنسانيّة مثيلاً في جميع فترات تاريخها، فقد أعلن حقوق الإنسان، وجاء بالأهداف العريضة التي تحقّق أمن الإنسان ورخائه وسعادته.

والنبيّ ﷺ الحريص على أداء رسالته وبقائها واستمرارها، كان لا بدّ له أن يقيم من بعده من يحمي مبادئه، ويصون رسالته، ويعمل على نشرها بين جميع شعوب الأرض، ومن الطبيعي أنّ ذلك ضرورة حتميّة لكلّ صاحب دعوة ورسالة.

٢ - وهناك ضرورة تلزم النبيّ ﷺ بأن يعهد بالأمر من بعده، وهي أنّ هناك قوى حاقدة على الإسلام تكيد له في وضح النهار وفي غلس الليل، وتسعى جاهدة لإطفاء نوره، وإخماد ضوئه، وهي فئات المنافقين الذين ذمّهم القرآن الكريم، وحذّر منهم الرسول العظيم ﷺ، ويمثّل هذه القوى الغادرة أبو سفيان، وأكثر بني أميّة، فكيف يترك النبيّ ﷺ أمر الخلافة من بعده ويجعل الأمر فوضى، فإنّ معنى ذلك أن يمكن قوى البغي والشرّ أن تنقضّ على أهدافه، وتطوي مبادئه ورسالته، ومن المستحيل أن يصدر من النبيّ ﷺ ذلك.

---

(١) تاريخ الشيعة: ٩.

ومضافاً إلى لذلك فإنّ الجزيرة العربيّة لم تألف الدعوة إلى النظام والاستقرار التي عنت بهما رسالة الإسلام ، ففيها التطوّر الهائل في عالم الاقتصاد والسياسة والإدارة ، وسائر التنظيمات الأُخرى التي تعنى بالأمن العامّ ، والحفاظ على الاستقرار السياسي ، والتوازن العامّ في حياة الجماعة والفرد ، ولم تع الجزيرة بصورة جازمة هذا التطوّر الهائل ، ولا الأبعاد الحقيقيّة لرسالة الإسلام ، ونهضته الجبّارة ، فكان من المحتّم أن ينصّب الرسول صلى الله عليه وآله قائماً من بعده لتستمرّ رسالته في فعاليّاتها ومعطياتها .

وشيء آخر بالغ الخطورة يلزم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بنصب خليفة من بعده وهو الوضع الخارجي ، فالروم والفرس وغيرهما من دول العالم كانت تشعر بخوف بالغ من تقدّم الإسلام وانتشاره ، وتعطش شعوبها إلى اعتناقه لينقذها من الجور والظلم ويحميها من الاستبداد والاستغلال .

وكانت تلك الدول تتربّص بالإسلام الدوائر ، وتستعدّ بزجّ جميع قواها العسكريّة للقضاء عليه ، ومن الطبيعي أنّ جميع ذلك يعلمه النبيّ صلى الله عليه وآله ولم يغب عنه ، فكيف يهمل أمر الخلافة من بعده ، وهي بمنزلة العمود الفقري لأُمّته .

إنّ الفوضى الداخليّة ، والخطر الخارجي يحتّمان على النبيّ صلى الله عليه وآله أن يعني أشدّ العناية بأمر الخلافة ، وأن يوليها المزيد من اهتمامه ، والقول بأنّه صلى الله عليه وآله قد أهمل ذلك لا يحمل أي طابع من التحقيق العلمي ، كما أنّه بعيد كلّ البعد عن منطق القيادة الواعية الحكيمة الماثلة في شخصيّة الرسول صلى الله عليه وآله التي لم تجد لها الإنسانيّة مثيلاً في وعيها وإدراكها لحقائق الأُمور .

ولا أحسب أنّ هناك شخصاً يتجرّد من رواسب العصبيّة والتقليد وينظر إلى الواقع بدقّة وعمق يشكّ في أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد أهمل أمر الخلافة ، وأنّه لم يجعلها من جوهر الأُمور التي عنى بها أشدّ العناية والاهتمام .

٣ - وإذا لاحظنا سير الأحداث التي أثرت على النبيّ صلى الله عليه وآله نجد أنّه قد عيّن الرائد ، ودلّل على القائد الذي يتحمّل مسؤوليّة القيادة الفكريّة والسياسيّة من بعده ،

وأنّه بصورة جازمة قد تبنّى هذه الجهة بشكل إيجابي ، وفرغ من إعدادها ، وذلك للحفاظ على مستقبل دعوته ، وحماية مكاسبها الاجتماعيّة من الانهيار والاضمحلال.

لقد اختار الرسول الأعظم ﷺ للمرجعيّة العامّة والقيادة الزمنيّة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كما سندلّل عليه ، ولم يكن هذا الاختيار بدوافع الإثرة ، وحبّ القرابة ، فإنّ ذلك بعيد أشدّ البعد عن منطق النبوّة التي لا تخضع لغير الحقّ والعدل وصالح الأمّة.

وإنّما رشّح الرسول ﷺ الإمام عليه السلام لهذا المنصب الخطير لما تتوفّر فيه من القابليّات الفذّة والنزعات الكريمة ، والقدرة الفائقة على تحمّل المسؤوليّات الضخمة ، فقد كان الإمام ألصق الناس برسول الله ، وأكثرهم إدراكاً ووعياً لأهدافه ومبادئه ، وأشبههم به في التزامه بحرفيّة الإسلام ، وقد صحب النبيّ ﷺ منذ طفولته اليافعة ، وغذّاه ﷺ بعلومه ، ونمّى ملكاته ، وقد أعرب عليه السلام عن ذلك بقوله :

وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعي مِنْ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ بِالْقَرابَةِ الْقَرِيبَةِ ، والْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ . وَضَعَني في حِجْرِهِ وَأَنا وَلَدٌ ، يَضُمُّني إِلَىٰ صَدْرِهِ ، وَيَكْنُفُني في فِرَاشِهِ ، وَيُمِسُّني جَسَدَهُ ، وَيُشِمُّني عَرْفَهُ . وَكانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ ، وَما وَجَدَ لي كِذْبَةً في قَوْلٍ ، وَلَا خَطْلَةً في فِعْلٍ .

وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ بِهِ ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ مِنْ لَدُنْ أَنْ كانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكارِمِ ، وَمَحاسِنَ أَخْلاقِ الْعالَمِ ، لَيْلَهُ وَنَهارَهُ . وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّباعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ ، يَرْفَعُ لي في كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلاقِهِ عَلَماً ، وَيَأْمُرُني بِالْاِقْتِداءِ بِهِ . وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ في كُلِّ سَنَة بِحِراءَ

فَأَراهُ، وَلَا يَراهُ غَيْرِي. وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ واحِدٌ يَوْمَئِذٍ في الْإِسْلامِ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وَخَدِيجَةَ وَأَنا ثالِثُهُما. أَرَىٰ نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ(١).

إنّ هذه المسيرة الكبرى التي قطعها الإمام مع النبيّ ﷺ، وتعاهده ﷺ له بالرعاية والعطف، وخوض الإمام معه في ميادين الكفاح وميادين التجربة العلميّة لنجاح الدعوة الإسلاميّة، ومعرفته بأساليبها وفلسفتها، وما يتمتّع به من المواهب والعبقريّات، كلّ ذلك يوجب ترشيحه لمنصب الخلافة تقديماً للأفضل على غيره وضماناً لصالح الأمّة.

٤ـ أمّا الأحداث التي أُثرت عن النبيّ ﷺ في ترشيحه وتعيينه للإمام خليفة من بعده، فقد بلغت من الكثرة ما وضعت لها كتب خاصّة كإثبات الوصيّة للمسعودي، والألفين للعلّامة، وتلخيص الشافي للشيخ الطوسي، وغيرها، وقد دوّن العلّامة الحلّي في كتابه ما يربو على ثلاثين كتاب أُلّفت في وصيّة النبيّ ﷺ للإمام(٢).

وقد تمسّك المتكلّمون من الشيعة على ذلك بسيل من الأدلّة، ونشير إلى بعضها:

أوّلاً: استدلّت الشيعة على ما ذهبت إليه بحديث المنزلة، فقد قال ﷺ لعليّ: «**أَنْتَ مِنّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسىٰ، إلّا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدي**»(٣).

ويرى الشيخ المفيد أنّ هذا الحديث نصّ على إمامة الإمام «لأنّ رسول الله ﷺ

---

(١) نهج البلاغة: ٢: ١٥٧. بحار الأنوار: ١٥: ٣٦١، الحديث ١٨.

(٢) إثبات الوصيّة: ٣ و ٤.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ١: ١٧٩. حلية الأولياء: ٧: ١٩٥. تاريخ بغداد: ١: ٣٢٤. خصائص النسائي: ١٤. أُسد الغابة: ٤: ٤٦. صحيح الترمذي: ٢: ٣٠١. تاريخ الأمم والملوك: ٢: ٣٦٨. كنز العمّال: ٣: ١٥٤. مجمع الزوائد: ٩: ١٠٩.

حكم له بالفضل على الجماعة والنصرة والوزارة والخلافة في حياته وبعد وفاته ، والإمامة له بدلالة أنّ هذه المنازل كلّها كانت لهارون من موسى في حياته ، وإيجاب جميعها لأمير المؤمنين ، إلّا ما أخرجه الاستثناء منها ظاهراً ، وأوجبه بلفظة بعدله من بعد وفاته بتقدير ما كان يجب لهارون من موسى لو بقي بعد أخيه ، فلم يستثنه النبيّ ﷺ فبقي لأمير المؤمنين بعموم ما حكم له من المنازل »[١].

ثانياً : إنّ من أوثق الأدلّة وأكثرها وضوحاً واستيعاباً للموقف الذي تذهب إليه الشيعة حديث غدير خم ، فقد نصب النبيّ ﷺ في ذلك اليوم الخالد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام علماً من بعده ، وطلب من المسلمين أن يبايعوه بالإمرة ، وقد أخذ ﷺ بيد عليّ وهو يخاطب الناس قائلاً : « **هٰذا خَليفَتي فِيكُمْ مِنْ بَعْدِي ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا** »[٢].

وحديث الغدير من الأدلّة الحاسمة التي لا تقبل الجدل والنقاش ، وهو جزء من رسالة الإسلام ، فمن أنكره فقد أنكر الإسلام ، كما يقول العلائلي .

ثالثاً : إنّ هناك كوكبة من الأخبار تدلّ على ما تذهب إليه الشيعة ، كقوله ﷺ أمام المسلمين ، وقد أخذ بيد عليّ عليه السلام : « **إنَّ هٰذا أخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فيكُمْ ، فَاسْمَعوا لَهُ وَأَطِيعُوا** »[٣].

وهناك العشرات من أمثال هذا الحديث ، وهي تدلّ بوضوح على أنّه ﷺ قد فرغ من تعيين الإمام عليه السلام وجعله خليفة على المسلمين من بعده .

رابعاً : إنّ الأحداث الخطيرة التي رافقت وفاة الرسول الأعظم ﷺ تدلّ على أنّه

---

(١) النكت الاعتقاديّة : ٥١ .

(٢) تلخيص الشافي : ٢ : ٥٦ ـ ٧٠ .

(٣) تاريخ الأُمم والملوك : ٢ : ٦٣ . الكامل في التاريخ : ٢ : ٢٢ .

كان يسعى في آخر لحظة من حياته لتعزيز خلافة الإمام ودعمها بجميع الوسائل، ويتّضح ذلك ممّا يلي :

١ ـ تجهيزه ﷺ لجيش أُسامة ـ وهو في الساعة الأخيرة من حياته ـ وإلزامه للمسلمين، وفيهم كبار الصحابة بالالتحاق الفوري والسريع بالجيش، وأمره ﷺ بمغادرتهم يثرب بأسرع وقت، ومن الظاهر أنّ غرضه من ذلك إخلاء عاصمته من الحزب الطامع بالخلافة، ولكنّ القوم تثاقلوا، ولم يخضعوا للأوامر المشدّدة، وراحوا يلتمسون لهم المعاذير.

٢ ـ استدعاء النبيّ ﷺ الداوة والكتف ليكتب للأُمّة كتاباً لن تضلّ من بعده في جميع مراحل أجيالها الصاعدة، وعلم الطامعون بالحكم قصده من تعزيزه لخلافة الإمام، فأثاروا نزاعاً حادّاً، واتّهموا النبيّ ﷺ بالهجر، فأفسدوا عليه الأمر، وحالوا بينه وبين قصده، فزجرهم ﷺ، وأمرهم بمغادرة بيته، والتفت إلى الحاضرين فأوصاهم بأهل بيته خيراً.

ومن البديهي أنّه ﷺ أراد بهذه العمليّة تدعيم بيعة الغدير وتوثيقها، ولكنّ القوم قد حجبوه عن ذلك.

خامساً: احتجاج العترة الطاهرة على أبي بكر، وامتناعها عن بيعته، وخصوصاً الموقف الايجابي الذي وقفته سيّدة النساء فاطمة عليها السلام من أبي بكر واحتجاجها الرائع عليه، ووصيّتها بأن يدفنها الإمام في غلس الليل البهيم، ولا يعلم أي أحد من أعضاء حكومة أبي بكر، كلّ ذلك يدلّ بوضوح لا خفاء فيه على قيام النبيّ ﷺ بنصب الإمام خليفة من بعده.

إنّ الاحتجاجات الصارخة التي صدرت من سيّدة النساء عليها السلام والعترة الطاهرة، ومن أعلام الإسلام وقادة نضاله، كعمّار بن ياسر، وأبي ذرّ، وسلمان الفارسي، والمقداد، من أوثق الأدلّة على ما ذكرناه.

وفيما أحسب أنّ خصوص احتجاج بضعة النبيّ ﷺ وريحانته، وموقفها المتّسم بالشدّة والعنف مع أبي بكر قد ركّز الفكرة الشيعيّة، وأمدّها بالأصالة والبقاء، فقد اتّخذت الشيعة من ذلك أدلّة وثيقة على ما يذهبون إليه من أحقّيّة أهل البيت عليهم السلام بالخلافة.

إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن تأسيس الشيعة، وأنّها حسب هذا العرض الموجز من الأدلّة قد نشأت في عهد صاحب الرسالة ﷺ، فهو أوّل من غرس بذرتها ونمّى أصولها.

اطارها العقائدي

وتدين الشيعة بجميع ما أثر عن الإسلام في الأصول العقائديّة، سواء فيما يتعلّق بصفات الله الايجابيّة والسلبيّة، أو فيما يتعلّق بالقضاء والقدر، وغير ذلك ممّا عرضته كتبهم الكلاميّة، كما أنّها تلتزم بالإمامة، وهي عندهم من أصول الدين التي يجب الاعتقاد بها، واشترطوا في الإمام أن يكون معصوماً، وأن يكون أعلم أهل زمانه، وقد حقّقنا ذلك بصورة موضوعيّة في الجزء الأوّل من هذا الكتاب.

أمّا الناحية التشريعيّة، فإنّها تأخذ فروع الدين ومسائله عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، فجميع ما أثر عنهم بعد القطع أو الظنّ بصدوره من السنّة التي يجب التعبّد بها، وهي إحدى الأدلّة الأربعة التي يرجع إليها الفقيه الشيعي في استنباط الحكم الشرعي.

إنّ الاطار العقائدي في أصول الدين وفروعه عند الشيعة مقتبس من واقع الإسلام، وممّا أثر عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام الذين فرض الله مودّتهم، وجعلهم الرسول ﷺ عدلاء للذكر الحكيم.

الولاء لأهل البيت عليهم السلام

إنّ من أوّليات مبادئ الشيعة الحبّ العميق لأهل البيت عليهم السلام، فهم يكنّون لهم

خالص الحبّ والولاء امتثالاً لأمر الله . قال تعالى : ﴿ **قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ** ﴾[1] .

فقد حصر تعالى أجر رسالة نبيّه العظيم في مودّة قرباه ، وقد تواتر عن النبيّ ﷺ أنّ حبّهم علامة الإيمان ، وأنّ بغضهم علامة النفاق ، وأنّ مَن أحبّهم فقد أحبّ الله ورسوله ، ومن أبغضهم فقد أبغض الله ورسوله ، وقد ضمن ﷺ لمن تمسّك بهم أن لا يزيغ عن طريق الحقّ والصواب كما في حديث الثقلين ، وقد شبّههم ﷺ بسفينة نوح ، فقال ﷺ : « **مَثَلُ أَهْلِ بَيْتي فِيكُمْ كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ ، مَنْ رَكِبَها نَجا ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْها غَرِقَ وَهَوىٰ** » من أجل ذلك كان الولاء لأئمّة أهل البيت عليهم السلام والقول بإمامتهم أمر جوهري عند الشيعة ومن صميم عقيدتهم ، وجعلوا الحاقد عليهم والمنكر لفضائلهم كالمنكر لإحدى ضروريّات الإسلام الثابتة ، بل هو على التحقيق منكر للرسالة وإن أقرّ في ظاهر الحال بالشهادتين .

أمّا مظاهر ذلك الحبّ عند الشيعة فلا غلو فيه ، وإنّما تقتصر على وجوب الأخذ بما أُثر عنهم من الأحكام الشرعيّة والآداب الاجتماعيّة ، وقد أوضحنا ذلك بالتفصيل في مقدّمتنا للجزء الأوّل من هذا الكتاب .

الثورة على الظلم

وحفل تاريخ الشيعة بالنضال المرير ، والثورات الصاخبة على حكّام الظلم والجور ، فقد انطلقوا إلى ساحات الجهاد المشرق منذ فجر تاريخهم ، ورفعوا شعار العدالة الإسلاميّة ، وطالبوا الحكّام بتحقيقها على مسرح الحياة ، كما ناهضوا الظلم الاجتماعي بجميع أشكاله وألوانه ، فكانت بحقّ الينبوع الفيّاض الذي جرت منه الثورة ضدّ الطغاة والمستبدّين .

---

(١) الشورى ٤٢ : ٢٣ .

لقد انطلقت الدعوة الأُولى إلى الاصلاح الشامل من رجال الشيعة في تلك الفترات العصيبة التي ساد فيها الارهاب وعمّ فيها الجور، فمن تكلّم بالاصلاح أو دعا إليه، سيق إلى السجون، ولكنّ أئمّة الشيعة وأعلامهم اندفعوا إلى ميدان الشرف والتضحية، فندّدوا بأعمال الظالمين، وشجبوا تصرّفاتهم، وقاموا بثورات صاخبة سجّلها لهم التاريخ بمداد من الشرف والنور، وقد غذّاهم بروح الثورة والتضحية في سبيل الله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام زعيم العدالة الإنسانية في الأرض.

فهو أوّل زعيم مسلم ثار في وجه الطغاة، وهتف بالعدالة والمساواة، وقد خلق في الفترة القصيرة التي حكم فيها وعياً أصيلاً وثورة في نفوس شيعته على كلّ ظالم مستبدّ.

فقد ثار حجر بن عدي وزمرته الصالحة في وجه معاوية، وثار غيرهم من صلحاء هذه الطائفة مطالبين بالعدل الإسلامي وتطبيق أحكام القرآن، وكان أوّل شهيد من أئمّتهم سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، فقد نقم على الظلم السائد في عصره، وثار في وجه الطاغية المستبدّ يزيد بن معاوية، وقد غيّر عليه السلام بثورته مجرى التاريخ ولقّن الظالمين درساً رائعاً خلّاقاً لا ينسى إلى يوم الدين، وقام من بعده أحفاده وأحفاد أخيه الحسن عليه السلام بثورات متّصلة أذهلت الظالمين، وشتّتت شمل المستبدّين، ونوّرت الرأي العامّ، وغذّته بروح الثورة على كلّ جائر مستبد.

إنّ الشيعة ترى أنّ الحكم إذا لم يكن بيد أئمّة أهل البيت عليهم السلام، فإنّ الأُمّة تعاني الظلم والطغيان، ولا يمكن بأي حال أن تسود فيها العدالة والمساواة، إلّا في ظلّ حكمهم.

يقول الوردي: «الشيعة أوّل من حمل الثورة الفكريّة في الإسلام ضدّ الطغيان، وفي نظريّاتهم تكمن روح الثورة، وإنّ عقيدة الإمامة التي آمن بها الشيعة حملتهم على انتقاد الطبقة الحاكمة، ومعارضتها في جميع مراحل تاريخهم، وجعلتهم يرون كلّ حكومة غاصبة ظالمة مهما كان نوعها، إلّا إذا تولّى أمرها إمام معصوم، لذلك

كانوا في ثورة مستمرّة لا يهدأون ولا يفترون »[١].

لقد أراد رجال الشيعة بثوراتهم المتّصلة تطبيق العدالة الاجتماعيّة ، والقضاء على جميع أفانين الظلم وألوان الفساد ، فلذا قدّموا المزيد من التضحيات في سبيل تحقيق هذه الغاية النبيلة التي تهدف إلى إزالة الحكم الفاسد من البلاد .

وانطلاقاً مع هذا المبدأ الثوري ، فقد حرّم أئمّة الشيعة التعاون مع حكّام الجور والدخول في وظائف الدولة ، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام لأصحابه : « **ما أُحِبُّ أنْ أعْقِدَ لَهُمْ** ـ أي للظلمة ـ **عُقْدَةً ، أوْ وَكَيْتُ لَهُ وِكاءً ، وَلَا مَدَّةً بِقَلَمٍ . إنَّ أعْوانَ الظَّلَمَةِ يَوْمَ الْقِيامَةِ في سُرادِقٍ مِنْ نارٍ حَتّىٰ يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَ الْعِبادِ** »[٢].

وقال الإمام موسى عليه السلام لزياد بن أبي سلمة : « **يا زيادُ ، لَئِنْ أسْقطَ مِنْ شاهِقٍ فَأتَقَطِعَ قِطْعَةً قِطْعَةً أحَبُّ إلَيَّ مِنْ أنْ أتَولّىٰ لَهُمْ عَمَلاً ، أوْ أطأَ بِساطَ رَجُلٍ مِنْهُمْ** » .

وقد حرّم الأئمّة عليهم السلام المرافعة إلى حكّام الدولة الجائرة ، وأفتوا أنّ ما يقضي به القضاة من أحكام فهي غير نافذة ، وكما حذّر الإمام الصادق عليه السلام الفقهاء من الاتّصال بأولئك الظالمين .

فقد قال عليه السلام : « **الْفُقَهاءُ أُمَناءُ الرُّسُلِ ، فَإذا رَأَيْتُمُ الْفُقَهاءَ قَدْ رَكِبوا إلَى السَّلاطينِ فَاتَّهِموهُمْ** »[٣].

وقد استجابت الطبقة الخيّرة في الإسلام إلى نداء أهل البيت عليهم السلام ، فامتنعوا من الاتّصال بالحكّام ، وقابلوا كلّ من يتوظّف بالاستهانة والتحقير ، فهذا إسماعيل بن

---

(١) وعّاظ السلاطين : ٢٩٣.

(٢) فروع الكافي : ٥ : ١٠٧ ، الحديث ٧. تهذيب الأحكام : ٦ : ٣٣١ ، الحديث ٩١٩. وسائل الشيعة : ١٧ : ١٧٩.

(٣) جمهرة الأولياء : ٢ : ٧٩. حلية الأولياء : ٣ : ١٩٤.

إبراهيم القرشي لمّا ولي القضاء كتب إليه ابن المبارك هذه الأبيات ، وهو يشجب فيها قبوله للقضاء :

يـا جاعِلَ العِلم لَهُ بازِياً ... يَصْطادُ أمْوالَ المَساكينِ
تَحْتالُ لِلدُّنْيا وَلَذّاتِها ... بِحيلَةٍ تُذهِبُ بِالدِّينِ
فَصِرْتَ مَجْنوناً بِها بَعدَما ... كُنتَ دَواءً لِلمَجانينِ
أيـنَ رِواياتُكَ فيما مَضىٰ ... عَنِ ابْنِ عَونٍ وَابْنِ سِيرينِ
أيـنَ رِواياتُكَ في سَرْدِها ... في تَرْكِ أبوابِ السَّلاطينِ
إنْ قُلتَ أُكْرِهْتُ فَذا باطِلٌ ... زَلَّ حِمارُ العِلمِ في الطِّينِ (١)

لقد قدّمت الشيعة جميع الخدمات القيّمة للإسلام والمسلمين ، ورفعت منار العدالة في الأرض ، وأنّها أكثر الفرق الإسلاميّة انطلاقاً في ميادين الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحقّ والعدل .

جرأة وإقدام

وملكت قادة الشيعة وأعلامها رصيداً قويّاً من الجرأة والإقدام ، فلم يتهيّبوا من السلطة ولم يخضعوا لجور الحكم وقسوته ، فقد اندفعوا بكل بسالة وشجاعة إلى إعلان كلمة الله وشجب المنكر .

فهذا عبدالله بن عفيف الأزدي الأعمى الذي ذهب بصره ونوّر الله قلبه بالإيمان ، قد ثار في وجه الطاغية عبيدالله بن زياد حينما خطب بعد مقتل سيّد الشهداء ، فأظهر السبّ والشتم للإمام الحسين عليه السلام ، فردّ عليه عبدالله بمقالته الخالدة التي ستدور مع الفلك ، ثمّ ترسم فيه قائلاً له أمام الجماهير الحاشدة في جامع الكوفة :

---

(١) تهذيب التهذيب : ١ : ٢٧٨ .

« إنّما الكذّاب أنت وأبوك ، ومن استعملك وأبوه ، يا عبد بني علاج ، أتقتلون أبناء النبيّين وتصعدون على منابر المسلمين ، أين أبناء المهاجرين والأنصار لينتقموا منك ومن طاغيتك اللعين ابن اللعين ـ مشيراً إلى يزيد وأبيه معاوية ـ على لسان النبيّ الأمين » .

وبهذا المنطق العظيم يقضى على الظلم ويزال كابوس الشقاء والجور من المجتمع ، وتحقّق الأهداف العريضة للأمّة ، وقد ظلّ زعماء الشيعة يشجبون جميع أعمال الولاة والملوك في كثير من مراحل التاريخ .

فهذا الكميت بن زيد الأسدي قابل بالهجاء المقذع سياسة الأمويّين ، وقارن بينهم وبين العلويّين ، فقال :

ساسَةٌ لا كَمَنْ يَرى رِعْيَةَ النّا ... سَ سَواءً وَرِعْيَةَ الْأَغْنامِ

لا كَعَبْدِالمَلكِ ، أوْ كَوَليدٍ ... أوْ سُلَيمانَ بَعْدُ أوْ كَهُشامِ [١]

وهجا مرّة أُخرى هشاماً وبني مروان ، فقال :

مُصيبٌ عَلى الأَعداءِ يَومَ رُكوبِها ... بِما قالَ فيها مُخْطِئٌ حينَ يَنزِلُ

كَلامُ النَّبِيِّينَ الهُداةِ كَلامُنا ... وَأَفْعالُ أَهْلِ الجاهِلِيَّةِ نَفْعَلُ

وخاطب الأمويّين بهذا القول الجريء :

فَقُلْ لِبَني أُمَيَّةَ حَيثُ كانوا ... وَإِنْ خِفْتَ المُهَنَّدَ والقَطِيعا

أَجاعَ اللهُ مَنْ أَشْبَعْتُموهُ ... وَأَشْبَعَ مَنْ بِجَورِكُمُ أُجيعا [٢]

---

(١) يقول : إنّهم يتعهّدون الناس بحسن السياسة لا يدعونهم هملاً كالأنعام ، وقوله : « لا كمن يرعى الناس » يعني بهم بني أُميّة . الهاشميّات : ٨ ـ ١٤ .

(٢) الأغاني : ١٥ : ١١٤ .

واضطهده الأمويّون ، فسجنوه وعذّبوه ونكّلوا به ، ولكنّه ازداد تصلّباً لعقيدته وإيماناً بمبدئه .

وظهر شاعر آخر في ذلك العصر هو الفرزدق ، فانتقد الأمويّين وجاهر في ذمّهم ، ودافع عن عقيدته بكلّ جرأة وإقدام ، ومن أهمّ مواقفه المشرّفة التي لا يزال ذكرها ندياً عاطراً على ممرّ العصور والأجيال مدحه للإمام زين العابدين عليه السلام ، وانتقاصه لهشام بن عبدالملك الذي تجاهل معرفة الإمام .

فقال له أمام الجمع الحاشد :

هٰذا الَّذي تَعرِفُ البَطْحاءُ وَطأَتَهُ ... وَالبَيتُ يَعرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ

هٰذا ابْنُ خَيرِ عِبادِ اللهِ كُلِّهِمُ ... هٰذا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطّاهِرُ العَلَمُ

فَلَيسَ قَولُكَ مَنْ هذا بِضائِرِهِ ... العُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أنْكَرْتَ وَالْعَجَمُ

وتعرّض على هذه الجرأة لسخط الأمويّين ونقمتهم ، ولكنّه لم يعتن بذلك ، فانطلق يذكر معائبهم ، فقال في هجاء هشام بن عبدالملك عندما سجنه :

يُقَلِّبُ رَأْساً لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ ... وَعَينٌ لَهُ حَوْلاءُ بادٍ عُيوبُها[1]

وتسلّط أدباء الشيعة وشعراؤهم على انتقاص الظالمين وهجائهم ، فهذا دعبل الخزاعي قد شهّر ببني العبّاس وفضح أعمالهم ، وهجاهم بعدد من قصائده التي زعزع بها كيانهم ، وسبّب سخط الجماهير عليهم ، فقد هجا الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم وإبراهيم بن المهدي ، وقد هجا المعتصم بهذا القول الموجع :

وَقامَ إمامٌ لَمْ يَكُنْ ذا هِدايَةٍ ... فَلَيسَ لَهُ عَقْلٌ ، وَلَيسَ لَهُ لُبُّ

مُلوكُ بَني العَبّاسِ في الكُتْبِ سَبْعَةٌ ... وَلَمْ يَأْتِنا عَنْ ثامِنٍ لَهُمُ كُتْبُ

---

(١) نهاية الإرب : ٢١ : ٣٢٧ ـ ٣٣١ . بشارة المصطفى : ٣٧٧ ، وفيه : « أتحبسني » .

كَذلِكَ أَهْلُ الكَهْفِ في الكَهْفِ سَبْعَةٌ خِيارٌ إذا عُدّوا وَثامِنُهُمْ كَلْبُ
وَإنّي لأُعْلي كَلْبَهُمْ عَنْكَ رِفْعَةً لأنّكَ ذُو ذَنْبٍ وَلَيْسَ لَهُ ذَنْبُ

وهكذا اندفع دعبل بوحي من عقيدته إلى مخاصمة الظالمين والنقمة عليهم، فقد هجا بني العبّاس وندّد بهم، حتّى ظلّ مشرّداً عن وطنه يطارده الرعب والخوف، وقد قال كلمته الشهيرة: «إنّي أحمل خشبتي على كتفي منذ أربعين سنة، ولست أجد أحداً يصلبني عليها».

إنّ تاريخ الشيعة حافل بالبطولات والتمرّد على الظلم، والنقمة على الغبن الاجتماعي، والمطالبة بحقوق الجماهير، والدفاع عن مصالح البؤساء والضعفاء الذين سلبتهم تلك الدول الجائرة حقوقهم.

التنكيل بالشيعة

ولمّا كانت الشيعة أقوى المنظّمات التي تطالب المسؤولين بالعدالة الاجتماعيّة والقيم الإنسانيّة، تعرّضت للنقمة البالغة من قِبل الولاة والملوك، فاستعملوا معهم جميع أساليب القهر والبطش، وحرموهم من الحياة والحريّة، فأودعوهم في غياهب السجون والطوامير، وطاردوهم ونكّلوا بهم أمرّ التنكيل وأفظعه، فقطعوا أيديهم وأرجلهم، وسملوا أعينهم، وصلبوهم على جذوع النخل[1].

وقد انفتح عليهم باب الظلم والجور من أيّام معاوية، فقد رفع مذكّرة إلى جميع عمّاله وولاته جاء فيها: «انظروا إلى مَن قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ عليّاً وأهل بيته، فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه».

ثمّ شفع ذلك بنسخة أُخرى جاء فيها: «ومن اتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم ـ يعني

---

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ٣: ١٥.

العلويّين ـ فنكّلوا به واهدموا داره »[١].

وتحدّث الإمام الباقر عليه السلام عن المحن والخطوب التي صبّها الظالمون على شيعتهم، فقال: « **وَقُتِلَتْ شيعَتُنا بِكُلِّ بَلْدَةٍ، وَقُطِعَتِ الْأَيْدي وَالْأَرْجُلُ عَلَى الظِّنَّةِ، وَكانَ مَنْ يُذْكَرُ بِحُبِّنا وَالْإنْقِطاعِ إلَيْنا سُجِنَ، أَوْ نُهِبَ مالُهُ، أَوْ هُدِمَتْ دارُهُ** »[٢].

لقد لاقت الشيعة في تلك الأدوار المظلمة من المشكلات السياسيّة والمعضلات الاجتماعيّة الشيء الكثير، الذي لا سبيل إلى تصويره في فظاعته ومرارته.

وقد نسب إلى بعض أئمّة الشيعة شعر ذكر فيه الكوارث التي حلّت بهم، فقال:

نَحنُ بَنو المُصْطَفىٰ ذَوو مِحَنٍ ... يَجْرَعُها في الأَنامِ كاظِمُنا
عَظيمَةٌ في الأَنامِ مِحْنَتُنا ... أَوَّلُنا مُبْتَلىً وَآخِرُنا
يَفرَحُ هٰذا الوَرى بِعيدِهِمُ ... وَنَحنُ أَعْيادُنا مَآتِمُنا

إنّ الأعياد الإسلاميّة التي يفرح بها جميع المسلمين، قد جعلوها مآتماً لهم نظراً لما لحقهم من الهوان، فإنّ التهمة بالتشيّع في ذلك العصر كانت من أهمّ الجرائم التي تستوجب الارهاق والتنكيل، بل كان مجرّد الاتّصال بالشيعة أو السلام عليهم موجباً للقتل والتنكيل.

فهذا إبراهيم بن هرثمة لمّا دخل المدينة أتاه رجل من العلويّين فسلّم عليه.

فقال له إبراهيم: « تنحّ عنّي لا تشط بدمي »[٣].

وقد أشار منصور النمري في بعض قصائده إلى الأذى والجور الذي لحق الشيعة بقوله:

---

(١) حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام: ٢: ٣٥٨ و ٣٥٩.

(٢) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ١١: ٤٣.

(٣) تاريخ بغداد: ٦: ١٢٧.

آلَ النَّبِيِّ وَمَنْ يُحِبُّهُمُ يَتَطامَنونَ مَخافَةَ القَتْلِ
أَمِنَ النَّصارىٰ وَاليَهودُ وَهُمْ عَنْ أُمَّةِ التَّوحيدِ في أَزْلِ

وكان الفضل بن دكين يتشيّع، فجاء إليه ولده وهو يبكي، فقال له: ما لك ؟

فقال: يا أبتي ! إنّ الناس يقولون إنّك تتشيّع، فأنشأ يقول:

وَما زالَ كِتْمانيكَ حَتّىٰ كَأنَّني بِرَجْعِ جَوابِ السّائِلي عَنْكَ أَعْجَمُ
لأَسْلَمَ مِنْ قَولِ الوُشاةِ وَتَسْلَمي سَلِمْتَ وَهَلْ حَيٌّ عَلى النّاسِ يَسْلَمُ[١]

إنّ بكاء ولده إنّما كان من الخوف الذي داخله من هذه التهمة التي تستوجب البطش والنقمة من المسؤولين، فقد كان كلّ من يتّهم بالولاء لأهل البيت عليهم السلام معرضاً للمحنة والبلاء، فهذا عبدالله بن عامر الشاعر الشهير المعروف بـ(العبلي) يشير في بعض قصائده إلى ما لاقاه من الارهاق في سبيل محبّته للإمام عليّ وأبنائه عليهم السلام بقوله:

شَرَّدوا بي عِندَ امْتِداحي عَلِيّاً وَرَأَوا ذاكَ فِيَّ داءاً دَوِيّا
فَوَرَبّي ما أَبْرَحُ الدَّهرَ حَتّىٰ تَختَلي مُهجَتي بِحُبّي عَلِيّا
وَبَنيهِ لِحُبِّ أَحْمَدَ إِنّي كُنْتُ أَحْبَبْتُهُمْ بِحُبّي النَّبِيّا
حُبُّ دينٍ لا حُبُّ دُنْيا وَشَرُّ الحُبِّ حُبٌّ يَكونُ دنيويّا
صاغَني اللهُ في الذُّؤابَةِ مِنْهُمْ لا ذَميماً وَلا سَنيداً دَعِيّا

وقال الطغرائي:

حُبُّ اليَهودِ لآلِ مُوسىٰ ظاهِرٌ وَوَلاؤُهُمْ لِبَني أَخيهِ بادي

---

(١) تاريخ بغداد: ١٢: ٣٥١.

وَإمامُهُمْ مِنْ نَسْلِ هارُونَ الأُولىٰ ... بِهِمُ اهْتَدَوا وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادِ
وَكَذا النَّصارىٰ يُكرِمونَ مَحَبَّةً ... لِنَبِيِّهِمْ نَجْراً مِنَ الأَعْوادِ
وَمَتىٰ تَوَلَّىٰ آلَ أَحْمَدَ مُسلِمٌ ... قَتَلوهُ أَوْ وَصَموهُ بِالإِلْحادِ
هٰذا هُوَ الدّاءُ العُضالُ لِمِثْلِهِ ... ضَلَّتْ عُقولُ حَواضِرٍ وَبَوادِ
لَمْ يَحفَظوا حَقَّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... في آلِهِ وَاللهُ بِالمِرْصادِ

وقال شاعر آخر:

إنَّ اليَهودَ بِحُبِّها لِنَبِيِّها ... أَمِنَتْ مَعَرَّةَ دَهْرِها الخَوّانِ
وَذَوو الصَّليبِ بِحُبِّ عيسىٰ أَصْبَحوا ... يَمْشونَ زَهْواً في قُرىٰ نَجْرانِ
وَالمُؤْمِنونَ بِحُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ ... يُرمَونَ في الآفاقِ بِالنّيرانِ

واتّخذت السلطات جميع التدابير ضدّ من يمدح العلويّين أو يذكرهم بخير كما عمدت إلى إرهاق العلويّين. فقد صدر مرسوم ملكي من بغداد إلى مصر، جاء فيه: أن لا يُقبل لعلوي ضيعة، ولا يركب فرساً، ولا يسافر من الفسطاط إلى طرف من أطرافها، وأن يمنعوا من اتّخاذ العبيد إلّا العبد الواحد، وإن كان بين علويّ وبين أحد من سائر الناس خصومة فلا يقبل قول العلويّ ويقبل قول خصمه دون بيّنة[١].

وكانوا يسفّرون بين آونة وأُخرى من أطراف البلاد إلى العاصمة ليكونوا تحت الرقابة، وقد أمر الرشيد عامله على المدينة أن يضمن العلويّون بعضهم بعضاً، ويعرضوا في كلّ يوم على السلطة المحلّيّة، فمن غاب عوقب[٢].

وهكذا اتّخذ الجائرون جميع الوسائل للتنكيل بالعلويّين وشيعتهم حتّى بلغ بهم الحقد أنّ من يذكر أئمّة أهل البيت عليهم السلام نال العقوبة والبطش.

---

(١) الولاة والقضاة / الكندي: ١٩٨.

(٢) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ١: ١١٧.

فقد ذكر المقريزي : «أن يزيد بن عبدالله أمير مصر ، أمر بضرب جندي تأديباً لشيء صدر منه ، وكان عقابه بسيطاً ، فلمّا أحسّ الجندي بألم السوط أقسم على الأمير بحقّ الحسن والحسين عليهما السلام أو يعفو عنه ، فأمر الأمير بضربه ثلاثين سوطاً جزاءاً لهذا القسم .

وكتب إلى المتوكّل في بغداد يخبره بأمر الجندي ، فأمره المتوكّل أن يضربه مائة سوط وأن يحمله إلى بغداد[1].

وألقى بعض الشعراء عند المتوكّل قصيدة نال فيها من العلويّين وشيعتهم فأمر أن ينثر على رأسه ثلاثة آلاف دينار ، وأن تلتقط له ، وعقد له على إمارة البحرين واليمامة ، وخلع عليه أربع خلع[2].

لقد كانت محنة الشيعة في تلك العهود شاقّة وعسيرة ، فقد لاقت أعنف المشاكل السياسيّة والاجتماعيّة ، ومنيت بالحرمان من جميع الحقوق الطبيعيّة ، ولا نحسب أنّ هناك طائفة واجهت من الاضطهاد والجور كما واجهته الشيعة ، فقد أمعن حكّام الأمويّين والعبّاسيّين في إذلالهم وإرغامهم على ما يكرهون .

الصمود الرائع

وصمدت الشيعة في وجه الأعاصير ، ووقفت تجاهد عن مبادئها ، وتنافح عن رسالتها غير معتنية بجور الحكّام وإرهابهم ، وقامت بما يلي من الأعمال الرائعة :

١ ـ الدعاية السريّة

وعملت الشيعة تحت الخفاء باستمرار لمكافحة جور العبّاسيّين وظلمهم ،

---

(١) تاريخ بغداد : ٤ : ١٥٣.

(٢) الكامل في التاريخ : ٧ : ٣٨.

فقد قامت بدعاية واسعة النطاق ضدّ خصومهم ، وكانت تعرض إلى ظلمهم وطغيانهم واحتقارهم للرعيّة ، واستبدادهم بشؤونها ، وغير ذلك ممّا يوغر الصدور ، ويشيع الكراهية والبغضاء للحكم القائم آنذاك .

وقد استطاعت الدعاية الشيعيّة في العصر الأموي أن تخلق شعوراً جماعيّاً ضدّ ذلك الحكم حتّى أطاحت به ، وفي العصر العبّاسي عملت على تجريد حكم العبّاسيّين من المشروعيّة ، وأنّ جميع من ينضم إليه أو يتعاون معه فهو آثم وغير متحرّج في دينه ، وقد أيقظت تلك الحملات الرأي العامّ ، وفتحت باب الثورات المتّصلة ضدّ أُولئك الحكّام الطغاة ، وجرّدتهم من ثقة الجماهير بهم .

٢ ـ تشكيل الخلايا

وانشأت الشيعة في عصورها الأُولى أحزاباً سرّيّة ، وقد استطاعت تلك الأحزاب أن تشكّل الخلايا والمنظّمات ، وكان على رأس كلّ منظّمة وخلية رئيس يشرف عليها يسمّى (الداعي)[١] .

وقد كان لها دور خطير في المجتمع الدولي آنذاك ، فقد استطاعت أن تقيم حكماً يحمل طابع التشيّع في بعض الأقاليم الإسلاميّة ، فقد تأسّست لهم دولة في المغرب أقامها عبيدالله المهدي سنة ٢٩٦هـ ، وامتدّت رقعتها إلى صقلية وجنوب إيطاليا ، كما أقاموا دولة في مصر على يد القائد العظيم جوهر الصقلي سنة ٣٥٨هـ ، كما أسّسوا دولة (الموت النزاريّة في فارس) سنة ٤٨٣هـ على يد الحسن بن الصباح ، وأسّسوا لهم دولة في البحرين على يد الحسن الأهوازي ، وحمدان بن الأشعث ، وأبي سعيد الجنابي بن مهرويه سنة ٢٧٠هـ .

وقد أقامت الدولة الفاطمية في مصر جامع الأزهر ، وهو أوّل مؤسّسة شيعيّة

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام : ١٧٧ .

علميّة في ذلك العصر، كما أقامت القلاع والحصون المنيعة في ديار الشام.

ومردّ ذلك النجاح السياسي الخطير يرجع إلى المنظّمات السرّيّة التي أنشأوها في عصورهم الأولى، كما كانت لهم سجّلات تحتوي على أسماء الدعاة للشيعة، وقد عمد محمّد بن عبدالله إلى إحراقه بالنار حينما أحسّ بالخذلان وعدم النصر[١].

وكذلك كانت هناك سجلات خاصّة سريّة بأسماء الشيعة عند بعض أصحاب الأئمّة، وقد جهدت السلطات الحاكمة آنذاك على العثور عليها فلم تتمكّن.

وعلى أي حال، فإنّ تلك الخلايا قد قامت بدور مهمّ ضدّ الحكم القائم، وبلورت العقليّة الاجتماعيّة، وفتحت الطريق أمام الثوّار والمناضلين لتحرير بلادهم من الذلّ والجور، كما عملت على نشر التشيّع في جميع الأقاليم الإسلاميّة حتّى أصبح قوّة كبيرة، وصار من العسير إرغام معتنقيه وإخضاعهم إلى رغبات السلطة، الأمر الذي ألجأ المأمون إلى أن يعقد ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام.

٣ـ المناظرات

وبالرغم من كثرة الرقابة والضغط الهائل على الشيعة فقد انطلق أعلامها إلى عقد المناظرات والاحتجاجات مع أئمّة المذاهب الإسلاميّة وقادتها للتدليل على ما تذهب إليه الشيعة في المسائل الكلاميّة، ومن أهمّها الإمامة بجميع خطوطها، وكانت تلك المناظرات تعقد في الأماكن العامّة، وعند يحيى البرمكي، وربّما عقدت في بلاط هارون، وكان يستمع لها ويبدي إعجابه بها، وكان يقوم بتلك المناظرات كلّ من هشام بن الحكم، وهشام بن سالم، ومؤمن الطاق، وقد انتشر مبدأ أهل البيت عليهم السلام ببركة الحجج القويّة والبراهين الحاسمة التي أقامها هؤلاء

---

(١) عمدة الطالب: ٨٢.

الأعلام على صحّة عقيدتهم.

إنّ الشيعة من أكثر الفرق الإسلاميّة انطلاقاً في ميادين البحوث الكلاميّة، فقد تركّزت أصول عقائدهم على المنطق والبحث الموضوعي المجرّد، وقد نعتهم (كرادفوا) بأنّهم أصحاب الفكر الحرّ[١].

وعلى أي حال، فقد أقام أعلام الشيعة سيلاً من الاحتجاجات الرائعة على صحّة ما يذهبون إليه في مجالاتهم العقائديّة، وقد أدّت إلى انتشار التشيّع وذيوع أفكاره بين المسلمين.

٤ ـ الكتابة على الجدران

ونظراً للمحن الشاقّة والخطوب العسيرة التي واجهتها الشيعة في تلك الظروف السود، فقد كانوا لا يجدون سبيلاً لبثّ آلامهم وأحزانهم، فإنّ المراقبة الشديدة والتتبّع البالغ لهم قد منعهم من عرض خطوبهم، فالتجأ بعضهم إلى أن يكتب على الجدران ما نابه من الخوف والارهاق، ليطّلع على ذلك الجمهور من الناس.

فقد كتب بعض العلويّين على جدار يجتاز عليه المهدي العبّاسي هذه الأبيات:

وَاللهِ مـا أَطْـعَمُ طَـعمَ الرُّقـادْ ... خَـوفاً إذا نـامَتْ عُـيونُ العِـبادْ
شَـرَّدَني أَهـلُ اعْـتِداءٍ وَمـا ... أَذْنَبتُ ذَنْباً غَيرَ ذِكرِ المَعادْ
آمَـنتُ بِـاللهِ وَلَـمْ يُـؤْمِنوا ... فَكـانَ زادي عِـندَهُمْ شَرَّ زادْ
أَقـولُ قَـولاً قـالَهُ خـائِفٌ ... مُـطَرَّدٌ قَـلْبي كَـثيرُ السُّـهادْ
مُنْخَرِقُ الخُفَّينِ يَشْكُو الوَجىٰ ... تَـنْكُبُهُ أَطْـرافُ مَـرْوٍ حِـدادْ
شَـرَّدَهُ الخَـوفُ فَـأَزْرىٰ بِـهِ ... كَـذاكَ مَنْ يَكـرَهُ حَرَّ الجِـلادْ

---

(١) الحضارة الإسلاميّة: ١: ١٢٧.

قَدْ كانَ في المَوتِ لَهُ راحَةٌ وَالمَوتُ حَتْمٌ في رِقابِ العِبادْ

فلمّا رأى المهدي ذلك رقّ له ، وكتب تحت كلّ بيت : «لك الأمان من الله ومنّي ، فاظهر متى شئت».

فسأله بعضهم عن قائلها.

فقال : إنّه عيسى بن زيد[١].

وذكر ذوالنون المصري : «إنّه اجتاز على قرية ، فرأى بعض جدرانها وقد كتبت عليه هذه الأبيات :

أَنا ابْنُ مِنىً وَالمَشعَرَينِ وَزَمْزَمٍ وَمَكَّةَ وَالبَيتِ العَتيقِ المُعَظَّمِ
وَجَدّي النَّبِيُّ المُصْطَفى وَأَبي الَّذي وَلايَتُهُ فَرضٌ عَلى كُلِّ مُسْلِمِ
وَأُمّي البَتولُ المُستَضاءُ بِنورِها إذا ما عَدَدْناها عَديلَةَ مَريَمِ
وَسِبْطا رَسولِ اللهِ عَمّي وَوالِدي وَأَوْلادُهُ الأَطهارُ تِسعَةُ أَنْجُمِ
مَتىٰ تَعْتَلِقْ مِنهُمْ بِحَبلِ وَلايَةٍ تَفُزْ يَومَ يُجْزى الفائِزونَ وَتَنْعُمِ
أَئِمَّةُ هٰذا الخَلقِ بَعدَ نَبِيِّهِمْ فَإنْ كُنتَ لَمْ تَعلَمْ بِذلِكَ فاعْلَمِ
أَنا العَلَوِيُّ الفاطِمِيُّ الَّذي ارْتَمىٰ بِهِ الخَوفُ وَالأَيّامُ بِالمَرءِ تَرْتَمي
فَضاقَتْ بِيَ الأَرضُ الفَضاءُ بِرَحْبِها وَلَمْ أَسْتَطِعْ نَيلَ السَّماءِ بِسُلَّمِ
فَأَلْمَمْتُ بِالدّارِ الَّتي أَنا كاتِبٌ عَلَيْها بِشِعْري فاقْرَ إنْ شِئتَ وَالْمُمِ
وَسَلِّمْ لأَمرِ اللهِ في كُلِّ حالَةٍ فَلَيْسَ أَخو الإسْلامِ مَنْ لَمْ يُسَلِّمِ[٢]

قال ذو النون : فعلمت أنّه علويّ قد هرب من السلطة وذلك في خلافة هارون ، واحتمل المجلسي أن تكون هذه الأبيات للإمام الكاظم عليه السلام ، وقد ذكرنا في الجزء

(١) مقاتل الطالبيّين : ٤١١ و ٤١٢.

(٢) مقتضب الأثر : ٥٣ و ٥٤. بحار الأنوار : ٤٨ : ١٨١ ، الحديث ٢٥.

الأوّل من هذا الكتاب مناقشتنا لذلك.

ومهما يكن من أمر، فإنّ العلويّين وشيعتهم قد قاسوا أمر المحن والخطوب في تلك الفترات المظلمة، حتّى التجأوا إلى رسم آلامهم على الجدران لتطّلع الجماهير على مدى ما لحقهم من الضيم والاضطهاد.

وصوّرت الأبيات الأخيرة جانباً من احتجاج العلويّين على أحقّيتهم بالخلافة والرعاية لشؤون المسلمين، فهم أوْلى الناس بالنبيّ العظيم ﷺ وأنّهم خلفاؤه على أمّته، وأنّ من تمسّك بهم فاز في يوم حشره ونشره ـ كما أعلن ذلك جدّهم ﷺ ـ ومع هذا النسب الوضّاح الذي لهم بالإضافة إلى ما يتمتّعون به من الفضائل والمآثر، فهم خائفون وجلون مشرّدون، يطاردهم الرعب والفزع خوفاً من الظالمين والغاصبين لحقوقهم وتراثهم، وقد جلبت لهم هذه الجهات التي أعلنوها العطف والرقّة والحنان في نفوس المسلمين والتذمّر والاستياء من أعدائهم.

٥ ـ الالتجاء إلى التقيّة

وعمد العبّاسيّون إلى اضطهاد الشيعة رسميّاً في جميع المجالات، فطاردتهم السلطة ونكّلت بهم حتّى حفّت بهم الأخطار الهائلة التي تنذرهم بالفناء والدمار، فاضطرّ أئمّة الشيعة آنذاك إلى الأمر بالتقيّة، حفظاً على أرواح البقيّة الباقية من شيعتهم وصيانة لدمائهم وأموالهم.

والتقيّة عبارة عن الحيطة والحذر وكتمان العقيدة وخفائها، وقد نصّ القرآن الكريم على جوازها، قال الله تعالى: ﴿**لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ**﴾[١].

(١) آل عمران ٣: ٢٨.

وقد شدّد أئمّة أهل البيت عليهم السلام على شيعتهم بكتمان عقيدتهم وعدم إظهارها، وإخفاء الولاء لهم، فقد روى معمّر بن خلاد قال: «سألت أبا الحسن موسى عليه السلام عن القيام للولاة، فقال عليه السلام: **قالَ أبو جَعْفَرٍ عليه السلام: التَّقِيَّةُ دِينِي وَدِينُ آبائِي، وَلَا إِيْمانَ لِمَنْ لَا تَقِيَّةَ لَهُ**»[1].

وحدّث درست بن أبي منصور، قال: «كنت عند أبي الحسن موسى وعنده الكميت بن زيد، فقال له الإمام: **أَنْتَ الَّذي تَقولُ:**

فَالْآنَ صِرْتُ إِلىٰ اُمَيَّةَ وَالْأُمورُ إِلىٰ مَصائِرْ[2]

فقال الكميت: قد قلت ذلك، والله ما رجعت عن إيماني، وإنّي لكم لموال ولعدوّكم لقال، ولكن قد قلته في التقيّة.

فقال عليه السلام: **إِنَّ التَّقِيَّةَ لَتَجوزُ عَلىٰ شُرْبِ الْخَمْرِ**»[3].

ولقد أوجدت التقيّة السخط البالغ من الشيعة على خصومهم، كما أوجبت تعصّبهم لعقيدتهم ومبدئهم.

يقول الأستاذ (أجناس جولد تسهير): «إنّ عجز الشيعي عن المجاهرة بعقيدته الحقيقيّة التي يؤمن بها هو في نفس الوقت مدرسة للسخط الكامن الذي يكنّه الشيعة لخصومهم الأقوياء، وهو سخط مبعثه عاطفة من الحقد الجامح والتعصّب الثائر»[4].

وقد عاب على الشيعة بعض خصومهم الأغبياء أمر التقيّة، فراحوا يكيلون لهم

---

(١) وسائل الشيعة: ١٦: ٢٠٤، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الحديث ١١٣٥٩.

(٢) وفي نسخة: «والأمور لها مصائر».

(٣) وسائل الشيعة: ١٦: ٢١٧، باب الأمر بالمعروف، الحديث ٢١٣٩٨.

(٤) العقيدة والشريعة في الإسلام: ١٨١.

الطعون عليها ، مع أنّه لولا هذه الخطّة الحكيمة لما بقي مذهب التشيّع على وجه الأرض ، وذهب ذكر أهل البيت عليهم السلام أدراج الرياح ، نظراً للمحن الشاقّة التي أحاطت بهم ، والنكبات السود التي واجهوها منذ فجر تاريخهم ، واستمرّت معهم متوالية إلى مئات من السنين .

يقول الشيخ الطوسي : « لم تلق فرقة ، ولا بلي أهل مذهب بما بليت به الشيعة ، من التتبّع والقصد ، وظهور كلمة أهل الخلاف حتّى إنّا لا نكاد نعرف زماناً ـ تقدّم ـ سلمت فيه الشيعة من الخوف ولزوم التقيّة ، ولا حالاً عريت فيه من قصد السلطان وعصبته وميله وانحرافه »[١].

إنّ تشريع التقيّة لم يكن المقصود منه ، إلّا الحفظ على دماء الشيعة ، وصيانة أموالهم وأعراضهم من أُولئك الحكّام الجائرين الذين بذلوا المزيد من الجهود لتصفيتهم والقضاء عليهم ، وإنّما تشرع التقيّة فيما إذا لم تكن رواجاً للباطل وإحياء للظلم ، وضياع الحقّ حسب ما نصّ عليه الفقهاء .

فِرق الشيعة

وانقسمت الشيعة إلى طوائف وفِرق كثيرة ، وقد حدثت تلك الفرق بسبب الضغط الذي حلّ بهم ، وعدم إمكان التقائهم بأئمّة أهل البيت عليهم السلام ، وقد اتّخذ بعض المنافقين ذلك وسيلة إلى تفريق صفوفهم ، وقد تحدّث عن أسباب انقسامهم الدكتور عبدالرزاق محيي الدين : « وكانت الفكرة ـ أي فكرة التشيّع ـ معرّضة دائماً إلى التهديد من جانب الخلفاء ، ممّا حمل أصحابها إلى التنادي بها في خفاء وستر ، وإلى العمل بها بعيدة عن الآفاق الضاحية المتحرّرة ، ورأي يعمل به في السرّ لا بدّ أن يتعرّض في نفسه إلى كثير من البلبلة ، وإلى غير قليل من الانقسام في أعيان الأئمّة

---

(١) تلخيص الشافي : ١ : ٥٩.

وفي عددهم ، ولهذا كثرت الفرق الشيعيّة واختلفت فيما بينها ، وزاد الطين بلّة أنّ خصومهم من الأمويّين والعبّاسيّين يملكون من وسائل القوّة والدعاية ما لا قِبل لهؤلاء به ، فأكثروا من القول في مذاهبهم ، ونسبوا إليهم ما قد يكونوا براء منه ، وما لو مكّنوا من الافصاح عنه لبرأوا منه ، ولنفوه عن مقالتهم .

فإذا أضفنا إلى ذلك خوف أئمّة الإماميّة أحياناً من الجهر بمقالتهم وانزوائهم بحكم الحجر عليهم عن أتباعهم ، والعمل بالتقيّة التي قد تقضي على الإمام أن يجاري أهل السنّة في فقههم أو في أُصول عقائدهم ، ثمّ جهل عدد كبير من الشيعة بأُصول المذهب الإمامي »(١) .

إنّ هذه العوامل التي ذكرها الأُستاذ (محيي الدين) هي التي أوجبت انقسام الشيعة إلى فِرق وطوائف ، واختلافهم في أعيان الأئمّة وعددهم ، وفيما يلي عرض موجز لبعض فرقهم :

١ ـ الكيسانيّة

هم أصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي ، وإنّما سمّيت بذلك نسبة إلى كيسان . قيل : إنّه اسم المختار ، سمّاه بذلك محمّد ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، حينما عهد إليه بالطلب بثأر سيّد الشهداء عليه السلام(٢) ، وقيل غير ذلك .

وتذهب هذه الفرقة إلى أنّ الإمام بعد الحسين عليه السلام هو محمّد ، وأنّه هو المهدي ـ الذي بشّر به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ـ الذي يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً ، وأنّه حيّ لا يموت ، وقد غاب في جبل رضوى ومعه عسل وماء .

وفي ذلك يقول السيّد الحميري :

---

(١) أدب المرتضى : ٥٦ .

(٢) الفصول المختارة / السيّد المرتضى : ٢٩٦ .

أَلَا إِنَّ الْأَئِــمَّةَ مِــنْ قُــرَيشٍ وُلاةُ الْــحَقِّ أَرْبَــعَةٌ سَــواءُ
عَــلِيٌّ وَالثَّــلاثَةُ مِــنْ بَــنِيهِ هُمُ الْأَسْباطُ لَيسَ بِهِم خَـفاءُ
فَسِــبْطٌ سِــبْطُ إِيـمانٍ وَبِــرٍّ وَسِــــبطٌ غَــيَّبَتْهُ كَــرْبَلاءُ
وَسِبطٌ لَا يَذوقُ الْمَوْتَ حَتّىٰ يَــقودَ الْــخَيْلَ يَــتْبَعُهُ اللِّـواءُ
تَــغَيَّبَ لا يُــرى فـيهِمْ زَمـاناً بِرَضْوى عِنْدَهُ عَسَلٌ وماءُ[١]

وغالى بعضهم فقال: إنّ ابن الحنفيّة هو الإمام بعد أمير المؤمنين عليه السلام دون الحسنين عليهما السلام، وأنّ الحسن إنّما دعا في الباطن إليه بأمره، والحسين إنّما ظهر بالسيف بإذنه، وأنّهما كانا داعيين إليه، وأميرين من قِبله»[٢].

وتعتقد الكيسانيّة بتناسخ الأرواح من جسد وحلولها في جسد آخر، وهذا الرأي مأخوذ من الفلسفة الهنديّة التي ذهبت إلى ذلك، ولم يقولوا بالتناسخ على الإطلاق، وإنّما خصّوه بالأئمّة فقط[٣].

وقد انعدمت هذه الطائفة، ولم يكن لها أتباع في جميع الأقاليم الإسلاميّة.

٢ ـ الزيديّة

وبنت الزيديّة اطارها العقائدي على الثورة لإزالة حكم البغي، وإقامة حكم العدل، وقد ذهبت إلى أنّ كلّ من يخرج بالسيف من العلويّين فهو إمام مفترض الطاعة، وأنّ كلّ من ادّعى الإمامة وهو مقيم في بيته مرخى عليه ستره، فلا يجوز اتّباعه، ولا يجوز القول بإمامته[٤].

---

(١) ديوان كُثير: ٢: ١٨٤. الملل والنحل: ١: ٢٤١.
(٢) رجال الخاقاني: ١٢٩.
(٣) المذاهب الإسلاميّة: ٧٠.
(٤) فِرق الشيعة: ٧٤ و ٧٥.

وأكبر الظنّ أنّهم إنّما ذهبوا إلى ذلك نظراً لما لاقته الشيعة في تلك الأدوار الرهيبة من الجور والاضطهاد ، فقد حكمت السلطة الأمويّة على أنّ حبّ أهل البيت عليهم السلام كفر ومروق من الدين ، وإلى ذلك يشير شاعر الإسلام الكميت بقوله :

يُشيرونَ بالأيْدي إلَيَّ وَقَوْلُهُمْ ... ألا خابَ هٰذا وَالمُشيرونَ أخْيَبُ

فَطائِفَةٌ قَدْ كَفَّرَتْني بِحُبِّكُمْ ... وَطائِفَةٌ قالوا مُسيءٌ وَمُذْنِبُ

يَعيبونَني مِنْ خِبِّهِمْ وَضَلالِهِمْ ... عَلى حُبِّكُمْ بَلْ يَسْخِرونَ وَأعْجَبُ

وَقالُوا تُرابِيٌّ هَواهُ وَرَأْيُهُ ... بِذلِكَ أُدْعى فيهِمُ وَأُلَقَّبُ[١]

ويردّ عبدالله بن كثير السهمي على من عابه على موالاته لآل الرسول صلى الله عليه وآله بقوله :

إنَّ امْرءاً أمْسَتْ مَعايِبُهُ ... حُبُّ النَّبِيِّ لِغَيْرُ ذي ذَنْبِ

وَبَني أبي حَسَنٍ وَوالِدُهُمْ ... مَنْ طابَ في الأرْحامِ وَالصُّلْبِ

أيَعُدُّ ذَنْباً أنْ أُحِبَّهُمْ ! ... بَلْ حُبُّهُمْ كَفّارَةُ الذَّنْبِ[٢]

ويردّ السيّد الحميري على من قال له : يا رافضي في محاولة للحطّ من شأنه بقوله :

وَنَحنُ عَلىٰ رَغْمِكَ الرّافِضو ... نَ لأهْلِ الضَّلالَةِ وَالمُنْكَرِ[٣]

وقد خلقت هذه الاجراءات الظالمة في نفوس الشيعة أعظم الأثر ، فدفعتهم إلى الإيمان بالثورة كقاعدة أساسيّة لبناء كيانهم العقائدي ، وقد ذهبت الزيديّة إلى ذلك فآمنت بأنّ الثائر العظيم زيد بن عليّ هو الإمام ، ومن بعده ولده يحيى الذي اقتدى بأبيه في رفع علم الثورة على الحكم الأموي ، ولم يتعبّدوا بالنصّ الذي هو قاعدة

---

(١) الهاشميّات : ٢٩.

(٢) البيان والتبيين : ٣ : ٣٦٠.

(٣) الفصول / المرتضى : ١ : ٦١.

أساسيّة للإمامة عند الشيعة ، ورفضوا القول بإمامة أئمّة الهدى عليهم السلام المنصوص عليهم لأنهم لم يتجاوبوا معهم في إعلان الثورة على الحكم الأموي ، وكان عذرهم في ذلك أنّ المقاومة الإيجابيّة لا تجدي ، وأنّها فاشلة ، وتجرّ إلى المسلمين أعظم المصاعب والخطوب ، وقد أقرّوا المقاومة السلبيّة للسلطة ، وحرّموا التعاون معها .

ولقد اعتقدت الزيديّة بإمامة زيد لأنّه قد ناهض الأمويّين ، وقد انطلق إلى ساحات الجهاد وهو يقول : « ما كره قوم حرّ السيوف إلّا ذلّوا » وكان هذا شعار الزيديّين .

وقال يحيى بن زيد يناجي نفسه ويردّد شعار أبيه :

يـابْنَ زَيْـدٍ أَلَـيسَ قَـدْ قـالَ زَيْـدٌ ... مَـنْ أَحَبَّ الحَـياةَ عـاشَ ذَليـلا
كُـنْ كَـزَيْدٍ فَـأَنْتَ مُـهْجَةُ زَيْـدٍ ... وَاتَّخِذْ في الجِنانِ ظِلّاً ظَليلا [1]

وقد بحثنا بالتفصيل عن الزيديّة في كتابنا (عقائد الزيديّة) وقد نشر بعضه [2].

٣ـ الإماميّة

تمسّكت هذه الطائفة بجوهر الإسلام وواقعه ، وسايرت موكب العترة الطاهرة ـ التي أذهب الله عنها الرجس ـ ودانت بجميع ما أُثر عنها في أُصول الإسلام وفروعه ، حتّى عرف مذهبها بمذهب أهل البيت عليهم السلام ، وهي تمتاز عن بقيّة المذاهب الإسلاميّة بما يلي :

١ـ إنّها فتحت آفاق العقل ، ولم تجعله بمعزل عن واقع الحياة ، وجعلت مدركاته إحدى الأدلّة الأربعة التي يستنبط منها الفقيه الحكم الشرعي ، كما جعلته حاكماً في

---

(١) عقائد الزيديّة (مخطوط) / المؤلّف .

(٢) نشر في أجوبة المسائل الدينيّة : الجزء الثالث والرابع من المجلّد الثالث عشر .

الأخبار المتعارضة ، فما اتّفق منها مع حكمه كان حجّة ، وما شذّ عنه فهو زخرف ، وبذلك كانت من أشدّ الطوائف الإسلاميّة وغيرها عناية بحكم العقل وتحرّره ، وتحكيمه في جميع الأحداث .

٢ ـ إنّها فتحت باب الاجتهاد ولم تغلقه ، وبذلك فقد ساير فقهها تطوّر الزمن ، وعالج جميع الأحداث المستجدة التي لم يرد فيها نصّ ، وقد أوجب ذلك تطوّراً هائلاً في الفقه الشيعي ، واحتلّ الصدارة في الفقه الإسلامي من حيث جدته وعمقه وتطوّره ، وقد نالوا بذلك إعجاب رجال الفقه والقانون في العالم .

يقول الأُستاذ محمّد أبو زهرة : « وأنّهم ـ أي الشيعة ـ لم يخضعوا لنظام السلطة في غلق باب الاجتهاد ، ولم يكن تعليمهم يدخل تحت نظام الدولة ، ولم تخضع مدارسهم لذلك المنهج الذي سارت عليه أكثر المدارس الإسلاميّة ، بل ساروا على منهج أهل البيت في عدم مؤازرة الدولة ، وباب الاجتهاد عندهم لم يغلق ، ولا زال مفتوحاً ، وهذا ممّا يفاخر به الشيعة سائر جماعات المسلمين اليوم »[١] .

٣ ـ إنّها تملك تراثاً نديّاً ضخماً ممّا أُثر عن أئمّتهم عليهم السلام ، وهو حافل بجميع مقوّمات النهوض والارتقاء ، ففيه عرض رائع لقواعد الآداب والسلوك والاجتماع ، والحكم والأخلاق كما عرض إلى الأسس الخلّاقة للتطوّر الاقتصادي والاجتماعي للأمّة ، وعنى بالشؤون الإداريّة والسياسيّة ، وغيرها من المقوّمات الفكريّة والاجتماعيّة لحياة الإنسان وحضارته .

وقد عرض إلى ذلك كلّه نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو أجلّ كتاب بعد القرآن الكريم ، وهو يشتمل على رصيد هائل من العلوم ، وبصورة جازمة أنّه لم تكتشف بعض أسرار فصوله ، خصوصاً فيما يتعلّق بخلق السماوات وغيرها ، فإنّها لا تزال غامضة عند الكثيرين من شرّاح كلامه عليه السلام ، وعند الشيعة الصحيفة السجّاديّة

---

(١) الشافعي : ٢٣٤ .

التي هي إنجيل آل محمّد ﷺ وهي حافلة بأروع تراث فكري لم تجد له الإنسانيّة مثيلاً.

وهذا الكتاب العظيم من أدعيّة الإمام زين العابدين عليه السلام ، وله رسالة الحقوق ، وقد عنت بذكر حقوق الأُمّة على الدولة وبحقوق الدولة على الأُمّة ، وحقوق أفراد المجتمع فيما بينهم ، وهو على إيجازه من أجلّ ما أُلّف في الإسلام.

وإذا استعرضنا ممّا أُثر عن الإمام الصادق عليه السلام وبقيّة أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، فإنّا نجد سيلاً من العلوم والفنون قد فتقوا أبوابها ، ووضعوا أُسسها ، كعلم النبات والكيمياء والطبّ ، وغيرها من العلوم التي ساهمت في تطوّر الحياة العلميّة والفكريّة في تلك العصور ، وامتدّت موجاتها إلى بقيّة العصور.

إنّ الطائفة الإماميّة بكلّ اعتزاز وفخر تملك أضخم تراث علمي لا تملكه أي طائفة أُخرى ، سواء أكانت دينيّة أم من ذوي المذاهب الاجتماعيّة.

٤ - إنّها عنت بفلسفة الحكم بصورة موضوعيّة وعميقة ، فقد التزمت بالإمامة ، وهي -حسب ما حدّد لها المتكلّمون من قيم ومفاهيم- إنّما تهدف إلى الحكم الصالح الذي جاء به الإسلام ، وهو بجميع خطوطه العريضة مبني على العدل الخالص ، والحقّ المحض الذي تتطوّر به الأُمّة في مجالاتها الاقتصاديّة والاجتماعيّة ، ونصان في ظلاله جميع حقوقها ومصالحها.

إنّ فلسفة الإمامة التي تذهب إليها الشيعة الإماميّة إنّما تعني بشكل إيجابي وبنّاء سياسة الحكم في البلاد ، فهي تقوم عندهم على أساس وثيق من العدل لا يمكن بأي حال أن ينفذ خطوطه وأهدافه إلّا الإمام المعصوم الذي لا يخضع لمنطق العاطفة والميول ، وإنّما يسير على وفق منطق الصالح العامّ ، وقد رأينا ذلك في حكومة الإمام عليّ عليه السلام ، فقد سار بين المسلمين بسياسة لم يشاهد المسلمون وغيرهم نظيراً لها في جميع مراحل التاريخ ، عدلاً في الرعيّة ، ومساواة بين الناس ،

وتنكّراً للمصالح الفرديّة الخاصّة ، وغير ذلك ممّا لم يؤثر بعضه عن أي حاكم في الإسلام .

وعلى أي حال ، فالإمامة بشكلها الموضوعي عند الإماميّة تقوم على أساس عميق من الوعي والإدارك ، وهي مدعمة بأروع الأدلّة وأوثقها من الكتاب والسنّة ، وحكم العقل حسب ما دلّل عليه متكلّموهم ، ولا مجال فيه للحكم عليهم بالانزلاق في تيّارات الميول والعواطف ، كما يقول بذلك بعض خصومهم .

٥ ـ إنّها تبرأ من الغلوّ في الأئمّة عليهم السلام ، وتحكم بأنّه مروق من الدين ، كما سنذكره .

هذه بعض الأُمور الجوهريّة التي تمتاز بها الإماميّة على بقيّة طوائف الشيعة .

٤ ـ الفطحيّة

وذهبت هذه الفرقة إلى القول بانتقال الإمامة من الإمام الصادق عليه السلام إلى ولده عبدالله الأفطح ، وهو أخو إسماعيل لأمّه وأبيه ، وكان أسنّ أولاد الإمام ، وقد استدلّوا على دعواهم بحديث أخذوا أوّله ، وتركوا آخره ، وهو قول الإمام الصادق عليه السلام : « **إنَّ الْإمامَةَ لَا تَكونُ إلّا في الْوَلَدِ الْأكْبَرِ ، إلّا أنْ تَكونَ بِهِ عاهَةٌ** » ، وعبدالله كان من ذوي العاهات ، فقد كان أفطح الرأس ـ أي عريضه ـ ، وقيل كان أفطح الرجلين .

وقد أضاف إليه أتباعه بعض المناقب والمآثر ، ولم يعش عبدالله بعد وفاة أبيه إلّا سبعين يوماً ، ولم يعقب ولداً ذكراً [١] .

وتسمّى هذه الفرقة بـ« العماريّة »[٢] نسبة إلى أحد زعمائها وهو « عمّار »[٣] .

ولعلّه عمّار بن موسى الساباطي الذي اختلف في قبول رواياته .

---

(١) الملل والنحل : ١ : ٢٧٤ .

(٢) التبصير في الدين : ٢٣ .

(٣) مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين / أبو الحسن الأشعري : ٩٩ .

٥ ـ السمطيّة

وزعموا بأنّ الإمام بعد جعفر بن محمّد ولده محمّد ، ثمّ هي في ولده من بعده ، وقد نسبوا إلى أحد رؤسائهم وهو يحيى بن أبي سميط[١].

وقيل : إنّه يحيى بن شميط ، وكان من قادة جيش المختار الثقفي[٢].

وقد زعم هؤلاء أنّ الإمام المنتظر في أولاد محمّد بن جعفر[٣].

٦ ـ الخطّابيّة

وهم أصحاب أبي الخطّاب محمّد بن أبي زينب الأجدع ، وقد خرجوا في حياة الإمام الصادق عليه السلام ، فحاربوا عيسى بن موسى ، وكان عاملاً على الكوفة ، وكانوا سبعين رجلاً ، فقتلهم جميعاً ، ولم يفلت منهم إلّا رجل واحد ، أصابته جراحات كثيرة ، فعدّ في القتلى ، فتخلّص وبرأ من جرحه ، وهو أبو سلمة سالم بن مكرم الجمّال الملقّب بـ(أبي خديجة) ، وأسر أبو الخطّاب زعيم هذه الطائفة ، فجيء به إلى عيسى بن موسى ، فأمر بقتله ، فقتل في دار (الرزق) على شاطئ الفرات وصلبه مع جماعة من أصحابه ، ثمّ أمر بإحراقهم فأحرقوا ، وبعث برؤوسهم إلى المنصور فصلبها على باب مدينة بغداد ثلاثة أيّام ثمّ أحرقها .

وقال بعض أتباع أبي الخطّاب : إنّه لم يقتل لا هو ولا أصحابه ، وإنّما شبّه عليهم ، كما زعموا أنّهم إنّما حاربوا بأمر من الإمام الصادق عليه السلام ، وأنّ الإمام عليه السلام أرسل أبا الخطّاب نبيّاً إلى الناس[٤].

---

(١) مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين : ٩٩.

(٢) فِرق الشيعة : ٧٧.

(٣) التبصير في الدين : ٢٣.

(٤) فِرق الشيعة : ٧١.

٧ـ الناووسيّة

وهؤلاء ذهبوا إلى أنّ الإمام جعفر بن محمّد عليه السلام حيّ لم يمت، ولا يموت، وهو القائم المهدي، ولقّبت هذه الفرقة بـ(الناووسيّة) لأنّ رئيسها يقال له (عجلان ابن ناووس) من أهل البصرة[١].

٨ـ الإسماعيليّة

وذهب هؤلاء إلى أنّ الإمام بعد الصادق عليه السلام هو ولده إسماعيل، وأنكروا موت إسماعيل في حياة أبيه، وقالوا: لا يموت حتّى يملك[٢].

وقد حارب الإمام الصادق عليه السلام هذه الفكرة في حياته، ولمّا توفّي ولده إسماعيل أحضر جماعة من أصحابه وأشهدهم على موته، وقد ذكرنا حديث ذلك بالتفصيل في الجزء الأوّل من هذا الكتاب.

وأصرّت الإسماعيليّة على جحود موت إسماعيل، وأنّ الإمام الصادق عليه السلام إنّما كتب محضراً بوفاة ولده إسماعيل، وطلب الاشهاد عليه من قِبل الشيعة، لأنّه شعر بالأخطار التي تهدّد حياة ولده الذي نصّ عليه بالإمامة ـ حسب ما يقولون ـ وأصبح وليّاً لعهده، وأوعز إليه بالإستتار.

وفور قيام الإمام الصادق عليه السلام بذلك خرج إسماعيل مختفياً من يثرب، واتّجه إلى دمشق، وقد علم المنصور بذلك، فكتب إلى عامله أن يلقي القبض عليه، ولكنّ عامله كان اعتنق المذهب الإسماعيلي، فعرض الكتاب على إسماعيل، فخرج من دمشق واتّجه نحو العراق، ويدّعون أنّه شوهد بالبصرة عام ١٥١هـ، وأنّه مرّ على مقعد، وكان مريضاً فشفاه الله بإذنه، وقد لبث إسماعيل ينتقل سرّاً بين أتباعه حتّى

(١) الفرق بين الفِرق: ٢٠٧.

(٢) مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين: ٩٨.

توفّي بالبصرة عام ١٥٨هـ، وقد رزق من الأولاد محمّد وعليّ وفاطمة، وقد نصّ على إمامة ولده الأكبر محمّد بحضور نخبة من الدعاة المخلصين[١].

ولم تؤيّد المصادر التاريخيّة الموثوق بها هذه المزاعم، فقد أجمعت على وفاته في حياة أبيه حسب ما نقلناه في الجزء الأوّل من هذا الكتاب.

وقد أعطت الإسماعيليّة الإمامة مركزاً سامياً ومقدّساً، وغالت في ذلك.

يقول ابن هاني في مدحه للإمام المعزّ أحد أئمّة الإسماعيليّة:

ما شِئْتَ لا ما شاءَتِ الأَقْدارُ ... فَاحْكُمْ فَأَنتَ الواحِدُ القَهّارُ
وَكَأَنَّما أَنتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ... وَكَأَنَّما أَنْصارُكَ الأَنْصارُ
أَنتَ الَّذي كانَتْ تُبَشِّرُنا بِهِ ... فـي كُتْبِها الأَحْبارُ وَالأَخْبارُ
هـٰذا إِمامُ المُتَّقينَ وَمَنْ بِهِ ... قَدْ دُوِّخَ الطُّغْيانُ وَالكُفّارُ
هـٰذا الَّذي تُرْجى النَّجاةُ بِحُبِّهِ ... وَبِهِ يُحَطُّ الإِصْرُ وَالأَوْزارُ
هـٰذا الَّذي تُجْدي شَفاعَتُهُ غداً ... حَقّاً وَتَخْمُدُ إِنْ تَراهُ النّارُ

ويستمرّ ابن هاني في قصيدته، وهو يضفي بها أسمى النعوت والألقاب على المعزّ لدين الله، وهو يعبّر بذلك عن عقيدة الإسماعيليّة التي غالت في أئمّتهم فأضافت إليهم كثيراً من صفات الله تعالى.

وغالى شاعر آخر من شعرائهم في وصف أئمّتهم فيقول:

مَحَبَّتُهُمْ فَرضٌ عَلى النّاسِ واجِبٌ ... وَعِصيانُهُمْ كُفْرٌ إِلى النّارِ موبِقُ
هُمُ العُروَةُ الوُثْقىٰ هُمُ مَنْهَجُ الهُدىٰ ... هُمُ الغايَةُ القُصْوى الَّتي لَيْسَ تُلحَقُ
وَلَولاهُمُ لَمْ يَخْلُقِ اللهُ خَلْقَهُ ... وَما كانَ فـي الدُّنْيا ضِياءٌ وَرَونَقُ

---

(١) تاريخ الدعوة الإسلاميّة: ١٤٢ و ١٤٣.

هُمْ دَوْحَةُ الدِّينِ الَّتِي تُثْمِرُ الهُدىٰ ... وَبِالْيُمْنِ وَالتَّقوىٰ تُظِلُّ وَتَسبِقُ
تُجيرُ مِنَ الأَيامِ مَنْ يَسْتَظِلُّها ... وَتَحْمي مِنَ المَوتِ الجَهولِ وَتَطلُقِ

والذي يلاحظ العقيدة الإسماعيليّة يراها طافحة بالغلوّ والإفراط في الحبّ لأئمّتهم، وقد اعتبروا إمامهم الحاضر الشابّ كريم شاه الحسيني النبراس الكوني الموجود في كلّ الوجود، ومنجي النفوس من الشقاء الأبدي، وقائد العالم إلى الحقيقة المثلى.

٩ـ الواقفيّة

وهي الطائفة الضالّة المارقة من الدين، التي خانت الله ورسوله، ونهبت أموال المسلمين، وقد ادّعت أنّ الإمام موسى عليه السلام حيّ لم يمت ولا يموت، وأنّه رفع إلى السماء كما رفع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وأنّه هو القائم المنتظر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، وزعموا أنّ الذي في سجن السندي بن شاهك ليس هو الإمام موسى عليه السلام، بل إنّه شبه وخيّل إليهم أنّه هو، ولا بدّ لنا من التعرّض ولو إجمالاً لبعض شؤون هذه الطائفة، وفيما يلي ذلك:

سبب الوقف

ويعود السبب في وقف هؤلاء على الإمام موسى عليه السلام وإنكارهم لموته أنّ الإمام عليه السلام لمّا كان في ظلمات السجون ونصب وكلاءاً له على قبض الحقوق الشرعيّة التي ترد إليه من بعض المؤمنين، وقد اجتمعت أموال ضخمة عند بعضهم، فكان عند زياد بن مروان القندي سبعون ألف دينار، وعند عليّ بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار، وهكذا عند غيرهم.

فلمّا توفّي الإمام عليه السلام جحد هؤلاء القوم موته، واشتروا بالأموال المودعة عندهم الضياع والدور واستأثروا بها، وقد طلبها منهم الإمام الرضا عليه السلام فأبوا أن يدفعوها له،

وأنكروا موت أبيه[1].

وذكر الحسين بن محمّد: «إنّه اجتمع ثلاثون ألف دينار عند الأشاعرة من زكاة أموالهم وبقيّة الحقوق الأخرى، فحملوا تلك الأموال إلى وكيلين للإمام موسى عليه السلام بالكوفة، أحدهما حيّان السرّاج، وكان الإمام عليه السلام آنذاك في السجن، فلمّا قبضا الأموال اشتريا بها الدور والغلات.

ولمّا قبض الإمام أنكرا موته وأذاعا أنّه لا يموت، وأنّه هو القائم المنتظر[2].

لكنّ بعضهم رجع إلى طريق الحقّ والصواب، فدفع الأموال التي اختلسها إلى الإمام الرضا عليه السلام وأقرّ بإمامته.

انتشاره

وانتشر مبدأ الوقف واعتنقه خلق كثير من الناس، وكان منهم عدد كبير من أصحاب الإمام عليه السلام ورواة حديثه، وسنذكرهم بالتفصيل في كوكبة الرواة والأصحاب، والسبب في انتشار هذه الفكرة أنّ الذين كانوا يبشّرون بها قد عرفوا من قبل بحسن السيرة والحريجة في الدين، فأغروا بسطاء الشيعة بذلك وأضلّوهم إلى حدّ بعيد، كما بذلوا الأموال الطائلة بسخاء في شراء الضمائر.

فقد حدّث يونس بن عبدالرحمن، قال: «مات أبو إبراهيم موسى عليه السلام وليس من قومه أحد إلّا وعنده المال الكثير، وكان ذلك سبب وقفهم وجحدهم موته طمعاً في الأموال، فكان عند زياد بن مروان القندي سبعون ألف دينار، وعند عليّ بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار، فلمّا رأيت ذلك وتبيّنت الحقّ وعرفت من أمر أبي الحسن الرضا عليه السلام ما عرفت تكلّمت ودعوت الناس إليه، فبعثا -أي زياد وعليّ- إليّ وقالا ما

---

(١) بحار الأنوار: ١٢: ٣٠٨.

(٢) بحار الأنوار: ٤٨: ٢٦٦.

يدعوك إلى هذا ؟

إن كنت تريد المال فنحن نغنيك ، وضمنا لي عشرة آلاف دينار ، وقالا لي : كف ، فأبيت وقلت لهما : إنّا روينا عن الصادقين عليهم السلام أنّهم قالوا **إذا ظَهَرَتِ الْبِدَعُ فَعَلَى الْعالِمِ أنْ يُظْهِرَ عِلْمَهُ ، فَإنْ لَمْ يَفْعَلْ سُلِبَ نورَ الْإيمانِ ، وَما كُنْتُ لأَدَعَ الْجِهادَ في أمْرِ اللهِ عَلىٰ كُلِّ حالٍ** ، فناصباني وأضمرا لي العداوة[1] .

بمثل هذه الأساليب والمغريات انتشر مبدأ الوقف ، ولكن ما لبث أن تحطّم وانكشف زيفه للمؤمنين ، وظهر دجل دعاته .

شجب الأئمّة عليهم السلام لهم

وردت أخبار كثيرة من أئمّة أهل البيت عليهم السلام في شجب فكرة الوقف والطعن بقادته ، وردّ أحاديثهم ، وتحذير الناس من أضاليلهم .

فقد ذكر الحكم بن العيص ، قال : « دخلت مع خالي سليمان بن خالد على أبي عبدالله عليه السلام فقال الإمام : **مَنْ هٰذا الْغُلامُ ؟** ـ وأشار لي ـ .

- ابن أُختي .

- **هَلْ يَعْرِفُ هٰذا الْأَمْرَ ؟** ـ يعني الإمامة ـ .

- نعم .

- **الْحَمْدُ لِلهِ الَّذي لَمْ يَخْلُقْهُ شَيْطاناً ، أُعَوِّذُ وَلَدَكَ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ شيعَتِنا** .

- وما تلك الفتنة ؟

- **إنْكارُهُمُ الْأئِمَّةَ وَوُقوفُهُمْ عَلى ابْني مُوسىٰ ، يُنْكِرونَ مَوْتَهُ ، وَيَزْعُمونَ أنَّهُ لا إمامَ بَعْدَهُ ، أُولئِكَ شَرُّ الْخَلْقِ** »[2] .

---

(١) بحار الأنوار : ٤٨ : ٢٥٢ ، الحديث ١ .

(٢) تنقيح المقال : ١ : ٣٥٩ و ٣٦٠ .

وقال الإمام موسى عليه السلام لعليّ بن أبي حمزة البطائني ـ أحد أعلام الواقفيّة ـ: « **يا عَلِيُّ ، إنَّما أَنْتَ وَأَصْحابُكَ أَشْباهُ الْحَميرِ** »[١].

ودخل محمّد بن الفضيل على الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام ، فالتفت له محمّد قائلاً: جعلت فداك ، إنّي خلّفت ابن أبي حمزة وابن مهران وابن أبي سعيد ـ وهم زعماء الواقفيّة ـ أشدّ أهل الدنيا عداوة لله تعالى .

فقال له الإمام: **ما ضَرَّكَ مَنْ ضَلَّ إذا اهْتَدَيْتَ ، إنَّهُمْ كَذَّبوا رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وَكَذَّبوا فُلاناً ، وَفُلاناً ، وَكَذَّبوا جَعْفَرَ وَموسىٰ عليهما السلام ، وَلِي بِآبائِي أُسْوَةٌ .**

ـ جعلت فداك ، إنّا نروي إنّك قلت لابن مهران: **أَذْهَبَ اللهُ نورَ قَلْبِكَ ، وَأَدْخَلَ الفَقْرَ بَيْتَكَ .**

ـ **كَيْفَ حالُهُ ، وَحالُ إِخْوانِهِ ؟**

ـ يا سيّدي ، هم بأشدّ حال مكروبون ببغداد ، لم يقدر الحسين أن يخرج إلى العمرة »[٢].

وكتب بعض الشيعة إلى الإمام الرضا عليه السلام يسأله عن الواقفة ، فأجابه عليه السلام: « **الْواقِفُ حائِدٌ عَنِ الْحَقِّ ، وَمَقيمٌ عَلىٰ سَيِّئَةٍ ، إنْ ماتَ بِها كانَتْ جَهَنَّمُ مَأْواهُ وَبِئْسَ الْمَصيرُ** »[٣].

وسأله بعضهم عن جواز إعطاء الزكاة لهم ، فنهاه عن ذلك ، وقال: « **إنَّهُمْ كُفّارٌ مُشْرِكونَ زَنادِقَةٌ** »[٤].

ووردت أخبار كثيرة من أهل البيت عليهم السلام في ذمّهم والقدح في رواياتهم ولزوم الابتعاد عنهم ، وأنّهم مشركون لا صلة لهم بالإسلام ، ولا علاقة لهم بأهل البيت عليهم السلام ،

---

(١) بحار الأنوار: ٤٨: ٢٥٥ ، الحديث ٩.

(٢) رجال الكشّي: ٤٠٥/٧٦٠.

(٣) بحار الأنوار: ٤٨: ٢٦٣ ، الحديث ١٨.

(٤) بحار الأنوار: ٤٨: ٢٦٣ ، الحديث ١٩.

وعلى هذا فلا ينبغي عدّ هذه الطائفة ولا بعض الطوائف المتقدّمة من الشيعة ، فإنّ بعضها قد أنكر بعض أُصول الدين ، كالخطّابيّة الذين زعموا بأنّ الإمام الصادق عليه السلام أرسل أبا الخطّاب نبيّاً إلى الناس .

ومع هذا كيف يصحّ عدّ هذه الفرقة وأمثالها من الشيعة التي تعبد الله وحده لا شريك له ، وتعتقد بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله هو خاتم النبيّين وسيّد المرسلين .

إنّ عدّ بعض هذه الطوائف من الشيعة التي لا تقول بالتوحيد من فرق الشيعة ، إنّما هو ظلم صارخ لهٰذه الطائفة التي اعتنقت الإسلام وآمنت بجميع ما أنزل الله ، وبذلت المزيد من الجهود في سبيل إعلاء كلمة التوحيد .

وعلى أي حال ، فإنّ الواقفيّة لسوء حالهم ، وازدراء أهل البيت عليهم السلام بهم لقّبوا بالممطورة تشبيهاً لهم بالكلاب ، وأنّهم إنّما ابتدعوا فكرة الوقف طمعاً بالأموال التي اختلسوها من الشيعة ، وقد بادت هذه الطائفة واندرست معالمها وآثارها .

هذه بعض الفرق التي حسبت على الشيعة وعدّت منها ، وهناك بعض الفرق الأُخرى نشأت ونمت في ذلك العصر وما بعده ، وأنّ أكثرها لا يلتقي مع مبدأ التشيّع الذي بني على التوحيد والإيمان بجميع ما جاء به الإسلام .

١٠ ـ القرامطة

والحقت هذه الفرقة بالشيعة ، وهي لم تكن منها ، بل ولا تحمل طابع الإسلام ، وقد سمّيت بهذا الاسم لأنّ رئيسهم كان يلقّب « قرموطيه » فسمّيت به ، وقد زعموا أنّ الإمام بعد جعفر الصادق هو حفيده محمّد بن إسماعيل ، وأنّه حيّ لم يمت ، ولا يموت حتّى يملك الأرض ، وينشر العدل والخير في ربوع العالم ، وأنّه هو المهدي الذي بشّر به النبيّ صلى الله عليه وآله[1] .

---

(١) فِرق الشيعة / النوبختي : ٨٣ ـ ٨٥.

وقد ظهرت شوكتهم في خلافة المعتضد بالله العبّاسي ، فثاروا على الحكومة القائمة ، واستولوا على كثير من المناطق الإسلاميّة ، ولهم معتقدات خاصّة لا تتّفق مع مبادئ الإسلام ، وقد ذكرت أخبارهم وأيّامهم في كثير من المصادر التاريخيّة[١].

مشكلة الغلاة

ومن أهمّ المشاكل التي واجهتها الشيعة هي حركة الغلاة الإلحاديّة ، فقد اُلصقت بهم هذه التهمة لتشويه حقيقة التشيّع .

وأكبر الظنّ أنّ للسلطة دخلاً كبيراً في ذلك ، فقد شجعوها وبالغوا في تأييدها ليستحلّوا بذلك دماء الشيعة ، ويثبتوا عليهم مادّة المروق عن الإسلام .

ومن الجدير أن نشير إلى بعض معتقداتهم الفاسدة ، فقد زعموا أنّ الأئمّة آلهة ، وزعم بعضهم أنّهم أنبياء ، وقال بعضهم بالتناسخ والتعديل .. إلى غير ذلك من المعتقدات المنكرة التي تتنافى مع الإسلام ، وقد ثقل على أئمّة أهل البيت عليهم السلام هذا الكفر والإلحاد ، فاندفعوا إلى إنكاره وتحذير المسلمين من دعاته ، فقد اُثر عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : « **بُنِيَ الْكُفْرُ عَلَىٰ أَرْبَعِ دَعائِمَ : الْفِسْقِ ، وَالْغُلُوِّ ، وَالشَّكِّ ، وَالشُّبْهَةِ** »[٢].

وأعلن الإمام الصادق عليه السلام لعن محمّد بن مقلاص الكوفي أحد زعماء الغلاة ، وكتب عليه السلام إلى جميع البلدان بلعنه والبراءة منه[٣].

وألزم عليه السلام أصحابه بلزوم مقاطعتهم ، فكان يقول لهم : « **لَا تُقاعِدوهُمْ ، وَلَا تُواكِلوهُمْ ، وَلَا تُشارِبوهُمْ ، وَلَا تُصافِحوهُمْ ، وَلَا تُوارِثوهُمْ** »[٤].

---

(١) ذكرت أخبارهم في التنبيه / أبو الحسين الملطي ، والكامل في التاريخ ، والفرق بين الفِرق .

(٢) الكافي : ٢ : ٣٦٩ .

(٣) دعائم الإسلام : ٦٢ و ٦٣ .

(٤) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة : ٤ : ١٥١ .

وقال عليه السلام : «إنَّ أدْنىٰ ما يَخرُجُ بِهِ الرَّجُلَ مِنَ الإيمانِ أنْ يَجْلِسَ إلىٰ غـالٍ فَـيَسْتَمِعَ حَديثَهُ ، وَيُصَدِّقَهُ عَلىٰ قَوْلِهِ . إنَّ أبي حَدَّثَني عَنْ أبيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، أنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ : صِنْفانِ مِنْ اُمَّتي لَا نَصيبَ لَهُما في الإسْلامِ : الْغُلاةُ وَالْقَدَرِيَّةُ»(١).

ولمّا قتل أبو الخطّاب بالكوفة ، قال عليه السلام : «لَعَنَ اللهُ أبا الْخَطّابِ ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ قُتِلَ مَعَهُ ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ دَخَلَ في قَلْبِهِ الرَّحْمَةُ لَهُمْ»(٢).

ودخل بشّار الشعيري ـ وكان من دعاة الغلاة ـ على الإمام الصادق عليه السلام ، فقال عليه السلام له : اخْرُجْ عَنّي لَعَنَكَ اللهُ ، لَا وَاللهِ لَا يُظِلُّني وَإيّاكَ سَقْفٌ أبَداً .

فخرج بشّار يسحق بأذياله من الخجل ، فقال الإمام لأصحابه : وَيْلَهُ ألا قالَ بِما قالَتْ بِهِ الْيَهودُ ؟ ألا قالَ بِما قالَتْ بِهِ النَّصارىٰ ؟ ألا قالَ بِما قالَتْ بِهِ الْمَجوسُ ؟ وَاللهِ ما صَغَّرَ اللهَ تَصْغيرَ هٰذا الْفاجِرِ أحَدٌ ، إنَّهُ شَيْطانٌ ، وَإنَّهُ خَرَجَ لِيُغْوِيَ أصْحابي ، فَاحْذَروهُ ، وَلْيُبَلِّغِ الشّاهِدُ الْغائِبَ : إنّي عَبْدُ اللهِ ، ابْنُ عَبْدِ اللهِ ، ضَمَّتْني الأصْلابُ وَالأرْحامُ ، وَإنّي لَمَيِّتٌ ، وَإنّي لَمَبْعوثٌ ، ثُمَّ مَسْؤولٌ ، وَاللهِ لأسْألَنَّ عَمّا قالَ فيَّ هٰذا الْكَذّابُ وَادَّعاهُ عَلَيَّ ، ما لَهُ غَمَّهُ اللهُ ! فَلَقَدْ أمِنَ عَلىٰ فِراشِهِ ، وَأفْزَعَني وَأقْلَقَني عَنْ رُقادي»(٣).

وقال عليه السلام في المغيرة بن سعيد : «لَعَنَ اللهُ الْمُغيرَةَ بْنَ سَعيدٍ ، لَعَنَ اللهُ يَهودِيَّةً كانَ يَخْتَلِفُ إلَيْها ، يَتَعَلَّمُ مِنْها السِّحْرَ وَالشَّعْبَذَةَ وَالْمَخاريقَ .

إنَّ الْمُغيرَةَ كَذَبَ عَلىٰ أبي فَسَلَبَهُ اللهُ الإيمانَ ، وَإنَّ قَوْماً كَذَبوا عَلَيَّ ، ما لَهُمْ أذاقَهُمُ اللهُ حَرَّ الْحَديدِ ، فَوَاللهِ ما نَحْنُ إلّا عَبيدٌ خَلَقَنا اللهُ وَاصْطَفانا ، ما نَقْدِرُ عَلىٰ ضُرٍّ وَلَا نَفْعٍ

---

(١) الخصال : ٣٧.

(٢) رجال الكشّي : ٥٢١/٢٩٥ . بحار الأنوار : ٢٥ : ٢٢٤ و ٢٢٥ ، الحديث ٢٣.

(٣) رجال الكشّي : ٤٠٠ و ٧٤٦/٤٠١.

إلّا بِقُدْرَتِهِ ، إنْ رَحِمَنا فَبِرَحْمَتِهِ ، وَإنْ عَذَّبَنا فَبِذُنوبِنا ، وَاللهِ ما بِنا عَلَى اللهِ مِنْ حُجَّةٍ ، وَلا مَعَنا مِنَ اللهِ بَراءَةٌ ، وَإنّا لَمَيِّتونَ ، وَمَقْبورونَ ، وَمَنْشورونَ ، وَمَبْعوثونَ ، وَمَوْقوفونَ ، وَمَسْؤولونَ ، ما لَهُمْ لَعَنَهُمُ اللهُ ، فَقَدْ آذَوا اللهَ ، وَآذَوا رَسولَ اللهِ في قَبْرِهِ ، وَأميرَ الْمُؤْمِنينَ وَفاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عليهم السلام ، وَها أنا ذا بَيْنَ أظْهُرِكُمْ أبيتُ عَلىٰ فِراشي خائِفاً وَجِلاً ، يَأْمَنونَ وَأفْزَعُ ، وَيَنامونَ عَلىٰ فِراشِهِمْ وَأنا خائِفٌ ساهِرٌ وَجِلٌ . أبْرَأُ إلَى اللهِ مِمّا قالَ فِيَّ الأجْدَعُ وَعَبْدُ بَني أسَدٍ أبو الخَطّابِ لَعَنَهُ اللهُ .

إلى أن قال : أبْرَأُ إلَى اللهِ مِنْهُمْ ، إنّي امْرُؤٌ وَلَدَني رَسولُ اللهِ وَما مَعي بَراءَةٌ مِنَ اللهِ ، وَإنْ أطَعْتُهُ رَحِمَني ، وَإنْ عَصَيْتُهُ عَذَّبَني عَذاباً شَديداً .

وتواترت الأخبار عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام وهي تدلّ على كفر الغلاة وإلحادهم ، ولزوم مكافحتهم ، وعدم الاختلاط بهم ، ووجوب عزلهم عن الجماهير الإسلاميّة .

والغريب من بعض المؤلّفين أنّهم آخذوا الشيعة بهذه الطائفة الملحدة وحسبوها عليهم ، مع العلم أنّها لا تمتّ إلى الشيعة بصلة ولا تلتقي معها بطريق .

إنّ مبدأ التشيّع قد بني على توحيد الله وتنزيهه عن الشريك والمثيل ، وإنّ الغلوّ وغيره من الأفكار الإلحاديّة لا تلتزم بها هذه الطائفة المحقّة التي عملت على صيانة الإسلام والذبّ عنه منذ فجر تاريخها .

إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن محنة الإسلام في ذلك العصر من انشقاق أبنائه إلى فرق وطوائف عملت على إيجادها السلطة لإخماد حركة الشيعة أوّلاً ، وإشغال المسلمين ثانياً بالناحية العقائديّة من حياتهم حتّى لا تحاسب السلطة على تصرّفاتها الكيفيّة واستبدادها الغادر بأمور المسلمين وأموالهم .

مشكلة خلق القرآن

وحدثت في عصر الإمام عليه السلام مشكلة خطيرة هي « مسألة خلق القرآن » ، فقد

اختلف فيها العلماء اختلافاً كثيراً ، وعانى جماعة منهم سخط الدولة ونقمتها وغضب الجمهور ، وقد حدثت هذه الفكرة في أواخر الدولة الأمويّة ، وقد ابتدعها الجعد بن درهم معلّم مروان بن محمّد آخر خلفاء بني أميّة .

فهو أوّل من تكلّم بخلق القرآن ، وقد حرّر المسألة وأذاعها في دمشق ، ثمّ طلبته السلطة فهرب منها ونزل الكوفة ، فتعلّم منه الجهم بن صفوان الذي تنسب إليه الطائفة (الجهميّة) .

وقيل : إنّ الجعد أخذ ذلك من أبان بن سمعان ، وأبان أخذه من طالوت بن أعصم اليهودي[١] .

وقتل الجعد على يد خالد بن عبدالله القسري والي الكوفة ، قتله في يوم عيد الأضحى ، وقال إنّه يقول : ماكلّم الله موسى تكليماً ، ولا اتّخذ الله إبراهيم خليلاً[٢] .

وظلّت هذه الفكرة بعد مقتل الجعد تحت الخفاء وفي طيّ الكتمان إلى دور هارون عندما ظهر أمر المعتزلة وانتشرت أفكارها ، فأعلنوا القول بخلق القران ، وكان أهمّ دعاتها هو بشر المريسي ، فقد ظلّ يدعو لذلك وألّف في المسألة كتباً ، فبلغ الرشيد خبره ، فقال : بلغني أنّ بشر المريسي يقول : القرآن مخلوق ، والله لئن أظفرني الله به لأقتلنّه قتلة ما قتلتها أحداً .

ولمّا علم بشر بذلك ظلّ متوارياً طوال أيّام الرشيد[٣] .

وقال بعضهم : « دخلت على الرشيد وبين يديه رجل مضروب العنق والسياف يمسح سيفه في قفا الرجل المقتول ، فقال الرشيد : قتله لأنّه قال : القرآن مخلوق »[٤] .

---

(١) سرح العيون : ١٥٩ .

(٢) ضحى الإسلام : ٣ : ١٦١ و ١٦٢ .

(٣) النجوم الزاهرة : ١ : ٦٤٧ .

(٤) البداية والنهاية : ١٠ : ٢١٥ .

وأخذت الفكرة بالنموّ والاتّساع حتّى جاء دور المأمون ، وكان يرى ذلك ، فنشطت الحركة وأصبحت حديث المجتمع ، وقد ساندت السلطة المعتزلة والشيعة على ذلك ، وأعلن المأمون رأيه في خلق القرآن ، وحمل الناس على ذلك بالقوّة والقهر.

ومهما يكن من أمر ، فإنّ القائلين بهذه الفكرة قد قاموا بثورة ضدّ الجمود الفكري ، وأعطوا للعقل الحرية والانطلاق ، وقد تعرّضوا للمحنة والعذاب والتنكيل ، وتعتبر هذه المسألة من أهمّ الأحداث الخطيرة التي حدثت في ذلك العصر ، وقد تعرض لبسطها وإيضاحها الفلاسفة من المعتزلة وغيرهم وهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالكلام النفسي ، فهي من مسائله وفروعه ولولا خوف الإطالة والخروج عن الموضوع لتحدّثنا عنها بالتفصيل.

نكبة البرامكة

واستشفّ الإمام موسى عليه السلام من وراء الغيب بما يجري على البرامكة من الخطوب والنكبات وزوال النعمة وفجاءة النقمة ، فأخبر عليه السلام بذلك وقال : « **مَساكِينُ آلُ بَرْمَكٍ ، لَا يَعْلَمونَ ما يَجْري عَلَيْهِمْ** ».

فقد جرت عليهم أعظم نكبة جرت في التاريخ ، فبعدما كانت الدنيا بأيديهم قد زهرت لهم وتمتعوا بلذائذها وظفروا بنعيمها ، فغزاهم الدهر بنكباته ، فصاروا من الذلّ والهوان بأقصى مكان ، فصودرت أموالهم ، وقتل جعفر ، وقذف أبوه يحيى وباقي أُسرته في ظلمات السجون ، حتّى بلغ سوء حالهم أنّ من يذكر أيّامهم ومعروفهم ومكارمهم نال العقوبة والعذاب ، ونعرض بإيجاز إلى بعض أسباب نكبتهم ، فقد اختلف المؤرّخون فيها اختلافاً كثيراً ، وهي كما يلي :

١ ـ خيانة جعفر للعبّاسة

ويرى بعض المؤرّخين أنّ السبب في نكبة البرامكة هي قصّة (العبّاسة بنت

المهدي) وموجزها : أنّ الرشيد كان لا يصبر عن جعفر بن يحيى وأُخته العبّاسة إذا أراد الشراب ، فزوّجها من جعفر وشرط عليه عدم الاتّصال بها ، ولكنّه لم يف بعهده وشرطه ، فاتّصل بها ، فحملت منه ، وبعد وضعها خافت على طفلها من هارون ، فأبعدته إلى مكّة ، فلمّا علم الرشيد بذلك قتل الطفل ونكّل بالبرامكة[١].

وهذه الرواية لا يمكن المساعدة عليها بوجه :

أوّلاً إنّ الرشيد لا يعني بذلك ، فقد كان خليعاً ، منساباً وراء الشهوات ـ كما ذكرنا ذلك بالتفصيل ـ.

ولو كان عنده هذا الشعور الديني أو الاجتماعي لما سمح لأُخته عليّة أن تغنّيه وتهدي له الخمر ، حتّى انتشر تهتّكها وخيانتها عند جميع الأوساط .

ثانياً : إنّ جعفر قد استولى على الرشيد وملك قلبه ومشاعره ، حتّى كان يجلس معه في حلّة واحدة قد اتّخذ لها جيبين[٢].

وبلغ من نفوذ جعفر أن زوّج العالية من إبراهيم بن عبدالملك بن صالح العبّاسي ، ولا يعلم هارون بذلك ، فلمّا أخبره أجاز تصرّفه .

إلى غير ذلك من استبداده بشؤون الرشيد ، وهي تدلّ على مدى نفوذه عنده .

فكيف يضنّ عليه وهو أعزّ الناس ، وآثرهم لديه باتّصاله بأُخته العبّاسة .

ثالثاً : إنّ كثيراً من المصادر التاريخيّة الموثوق بها قد فنّدت هذه القصّة ، فقد فنّدها الجهشياري مستدلاً بقول مسرور خادم الرشيد ، حيث سئل عن السبب في إيقاع الرشيد بالبرامكة ، فقال : «كأنّك تريد ما تقوله العامّة فيما ادّعوه من أمر المرأة ، لا والله ما لشيء لهذا من أصل »[٣].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ٤٨٩ ـ ٤٩٠.

(٢) شرح قصيدة ابن عبدون / ابن بدرون : ٢٢٢ و ٢٢٣.

(٣) الوزراء والكتّاب : ٢٥٤.

أمّا ابن خلدون فينفي ذلك نفياً باتّاً ويرى أنّه من الأساطير ، فيقول : « إنّ مركز العبّاسة الديني والاجتماعي لا يسمح لها بارتكاب جريمة كهذه ، لا سيّما مع مولى من مواليها »[1].

ومهما يكن من أمر ، فإنّ هذه القصّة إلى الخيال أقرب منها إلى المنطق ، لكن قسماً من المؤرّخين قد اهتمّوا بها ، وتناولتها الأقلام الحديثة فأخرجتها بأسلوب خيالي لا نصيب له من الصحّة .

٢ـ الاتّهام بالتشيّع

وذهب فريق من المؤرّخين إلى أنّ العامل الوحيد في نكبة البرامكة هو ميلهم إلى العلويّين ، فقد ذكر الطبري عن أبي محمّد اليزيدي الذي كان من أعلم الناس بالبرامكة أنّه قال : « من قال إنّ الرشيد قتل جعفر بغير سبب يحيى بن عبدالله فلا تصدّقه » .

وذكر الجهشياري : « أنّ الرشيد اتّهم يحيى بميله إلى يحيى العلوي ، وأنّه أمدّه بمائتي ألف دينار إبّان ثورته »[2].

وذكر صاحب الأغاني : « إنّ البرامكة يكرهون تعصّب الرشيد على العلويّين ، ويعدّون عمله حراماً »[3].

وهذا القول كالأوّل في ضعفه ، فإنّ البرامكة كانوا يتقرّبون إلى الرشيد بالسعي على العلويّين ، وكانوا من المسبّبين لسجن الإمام عليه السلام وقتله ، وقد روى الصدوق عن صفوان بن معن : « أنّ يحيى البرمكي لم يكتف بإغرائه للرشيد في قتل الإمام

---

(١) المقدّمة : ١٢ .

(٢) الوزراء والكتّاب : ٢٤٣ .

(٣) التمدّن الإسلامي : ٤ : ١٤٦ .

الكاظم عليه السلام ، فأغراه بقتل الإمام الرضا عليه السلام .

فقال له هارون : أما يغنينا ما صنعنا بأبيه ؟ أتريد أن نقتلهم جميعاً ؟ !(١)

وقال السيّد نعمة الله الجزائري : « إنّ السبب الحقيقي في هلاك البرامكة هو دعاء أبي الحسن الرضا عليه السلام عليهم في موقف عرفة ، لأنهم سعوا بأبيه الكاظم عليه السلام »(٢).

إنّ البرامكة من دون شكّ لا يحملون أي طابع من الودّ للعلويّين ، وقد أسرفوا في التنكيل بهم باستثناء الفضل بن يحيى ، فإنّه كان يميل إلى الإمام الكاظم عليه السلام ، وقد رفّه عليه حينما كان بالبصرة في سجنه ، وهو الذي سمح ليحيى العلوي بالوفادة إلى بيت الله الحرام ، ولعلّ القول بميلهم إلى التشيّع جاء بسببه .

٣ـ سعة نفوذهم

لعلّ من أهمّ الأسباب الرئيسيّة التي دعت الرشيد للتنكيل بالبرامكة هي سعة نفوذهم واستيلائهم على جميع مقدّرات الدولة ، حتّى خاف الرشيد من زوال ملكه ، وقد مال إلى ذلك الأستاذ محمّد كرد عليّ ، فقال : « ولمّا رأى ـ الرشيد ـ أنّ ملكه في خطر محقّق من نفوذ آل برمك لانصراف الوجوه إليهم لكثرة ما أحسنوا إلى الناس ، حتّى ساووا الخليفة وأربوا عليه في المكانة ، أمر بالقبض عليهم ومصادرة أموالهم وقتلهم .. وذلك لأنّه خافهم على ملكه »(٣).

وقد ظهرت منهم بوادر تدلّ على عزمهم بقيام انقلاب عسكري يقضون فيه على حكمه ، وينقلون الخلافة من العبّاسيّين إلى غيرهم ، فقد تحدّث جعفر عن أبي مسلم وأهمّيته في نقل الخلافة من الأمويّين إلى العبّاسيّين ، فقال : « إنّ أبا مسلم نقل

---

(١) صحيفة الأبرار : ٢ : ٣٩٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ : ٢٤٦.

(٢) زهر الربيع : ٢٠٥.

(٣) الإسلام والحضارة العربيّة : ٢ : ٢١٣.

الدولة من قوم إلى قوم بالقتل وإراقة الدم ، وإنّما الرجل من ينقلها من غير سفك دم» .

وقد نقل حديثه إلى الرشيد فخاف وبادر إلى نكبة البرامكة[1] .

ومهما يكن من أمر ، فإنّ العامل الوحيد الذي حفّز هارون ـ فيما نحسب ـ إلى التنكيل بجعفر وباقي أسرته هو سعة نفوذهم ، وقبضهم على زمام الحكم بيد من حديد ، فقد كان بداره من الموظفين من أبناء يحيى بن خالد خمسة وعشرون ما بين صاحب سيف وقلم »[2] .

وكان من الصعب القضاء عليهم لولا استعمال المباغتة والمفاجأة في البطش بهم ، فإنّهم لو علموا بذلك لما تمكّن من القيام بأي حركة انقلابيّة ، ولقضي عليه نظراً لاتّصالهم الوثيق بزعماء الجيش وقادته ونعمهم الوفيرة على الكثيرين من الناس ، فلو قاموا بانقلاب عسكري لوجدوا تأييداً شاملاً من الجماهير الإسلاميّة الكارهة لحكم العبّاسيّين ، بالإضافة إلى أنّ لهم الصلات التامّة بالفرس الذين هم أهمّ ركيزة في الدولة الإسلاميّة .

وهناك عوامل أُخرى ذكرها المؤرّخون أحصاها بعضهم إلى أربعين عاملاً ، ومال إلى كلّ واحد منها فريق من المؤرّخين والكتّاب ، أدّت إلى نكبة البرامكة ، كالوشاية بهم من حاسديهم ، وغيرها .

ونكتفي بها العرض الموجز من أسباب البطش بهم .

إعدام جعفر

كان جعفر في قصره يلهو ويلعب ولا يعلم ما دبّر له ، وكان أبو زكّار الأعمى يغنيه بهذا البيت :

---

(١) براءة العبّاسة : ٥٣ .

(٢) مقدّمة ابن خلدون : ١٣ .

فَــلا تَـبْعُدْ فَكُـلُّ فَـتىً سَـيَأتي عَـلَيهِ المَـوْتُ يَـطْرُقُ أوْ يُغادي

وكان فيه تنبّؤ عن وقوع الحادث الخطير ، فبينما كان المغنّون يعزفون له بهذا البيت ، إذ دخل عليه مسرور الخادم بغير إذنه وهو مسلّح ، فلمّا رآه جعفر جفل منه ، وأخذته رعدة الذعر والخوف وأخبره مسرور بما أمر به ، فجعل جعفر يتضرّع إليه ، ويذكّره بأياديه ونعمه عليه ، وطلب منه أن يمهله إلى الصبح لعلّ هارون يرجع إلى صوابه ورشده فيعفو عنه ، فامتنع من إجابته ، وأخيراً طلب منه أن يأتي به إلى مضرب الخليفة ليسمع مقالته وحكمه فيه .

فأجابه إلى ذلك ، ونهضا معاً ، ودخل مسرور على هارون ، فقام إليه وهو ثائر لم يملك أعصابه ، قد تغيّرت أحواله ، فبادره مسرور قائلاً له : يا أمير المؤمنين ، قد انتهى كلّ شيء ، ورأس جعفر قريب منك .

ففهم هارون الأمر ، فوعده بالقتل على تأخيره لحكم الإعدام قائلاً له : نفيت من المهدي ، إن أنت جئتني ولم تأتني برأسه لأرسلن إليك من يأتيني برأسك أوّلاً ثمّ برأسه آخراً .

فخرج ونفّذ بالفور ما أمر به وحمل رأس جعفر إليه .

وبقي الرشيد ليلته لم يذق طعم الرقاد ينتظر بفارغ الصبر ضوء الصباح ، وقبل أن يندلع نور الفجر أمر هرثمة بن أعين بحمل جثّة جعفر وإعطائها إلى مدير الشرطة العامّ السندي بن شاهك ، ليعلّق رأسه في الساحة الوسطى من مدينة المنصور ، ويقسم جثّته إلى نصفين ، فيصلب كلّ نصف منها على رأس جسر في بغداد .

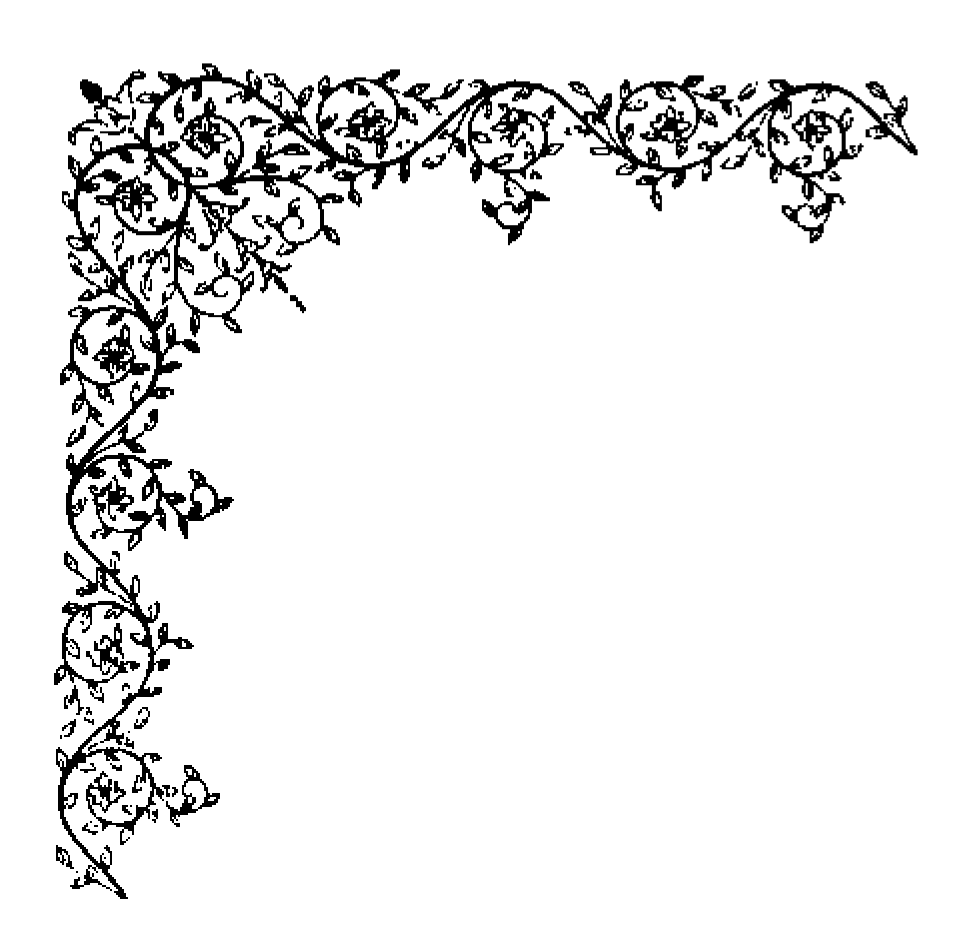
كما أمره بإعلان حالة الطوارئ ، وأن يكون الجيش على أهبة الاستعداد خوفاً من الانتفاضات الشعبيّة ، كما فرض المراقبة الشديدة على الجيش خوفاً من تمرّده وعصيانه ، وأمر بالوقت بتطويق دور البرامكة ومصادرة أموالهم المنقولة وغير المنقولة ، واعتقالهم وزجّهم في ظلمات السجون .

وانتشر حديث البرامكة في شرق البلاد وغربها ، وصار أُحدوثة المجالس ، بل حديث الأجيال والأحقاب ، فذابت قلوب أنصارهم وإخوانهم ، وشمت بهم خصومهم وحسّادهم ، فقد اندكّ ذلك الحصن المنيع الشامخ ، وذهبت صولة البرامكة أدراج الرياح .

إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن نكبة البرامكة ، وقد دلّت على بطش هارون وفتكه وكيده ، فقد أنزل العقاب الصارم بأحبّ الناس إليه ، وبذلك يعلم مدى القسوة البالغة التي عامل بها العلويّين وشيعتهم ، فقد استعمل جميع إمكانيّاته في إرهاقهم وذعرهم والبطش بهم .

وكانت محنة الإمام موسى عليه السلام من أقسى ألوان المحن وأفجعها ، فقد انعدمت الرأفة والرحمة من نفسه ، فصبّ عليه وابلاً من العقاب .

وبهذا ينتهي بنا المطاف عن عصر الإمام عليه السلام ، وقد ذكرنا بعض الأحداث الجسام في ذلك العصر ، أمّا الإحاطة بجميع شؤونه فإنّها تستدعي الاطالة والخروج عن الموضوع .



أصحابه ورواة حديثه



وعملت مدرسة الإمام الصادق عليه السلام عملاً متواصلاً، وبذلت مجهوداً غير قليل لتثقيف العقل الإنساني، وتطوير النهضة الفكريّة، وتقدّم المسلمين في ميادين الحضارة والعلم، وقد ربّت جيلاً صالحاً سبّاقاً إلى فعل الخير والمساعي الجليلة، قد أدّى رسالته الإصلاحيّة الشاملة إلى الأجيال الصاعدة، فببركتها نضجت العقليّة الإسلاميّة، وبرزت معارف الإسلام وتعاليمه وآدابه إلى الوجود العملي في مشارق الدنيا ومغاربها.

ولمّا فجع العالم الإسلامي بوفاة الإمام الصادق عليه السلام، وقام الإمام موسى عليه السلام بعد أبيه بإدارة شؤون تلك المدرسة الكبرى التي أعزّت العلم ورفعت مناره، فقد أصبح منذ اليوم الأوّل بعد وفاة أبيه عميداً وزعيماً للهيئة العلميّة والنهضة الفكريّة في عصره.

وقد أقبل عليه العلماء، واحتفّ به رجال الفكر، لا يفارقونه ولا يفترقون عنه، حتّى بلغ من احتفائهم به وإقبالهم عليه أنّه إذا نطق بكلمة أو أفتى فتوى بنازلة بادروا إلى تسجيل ذلك[1].

وقد روى عنه هؤلاء العلماء جميع أنواع العلوم على اختلافها وتباعد أطرافها من الحكمة، وتفسير الذكر الحكيم، والفقه الإسلامي بجميع أبوابه.

---

(١) الأنوار البهيّة: ٩١.

كما رووا عنه الآداب الاجتماعيّة ، والنصائح الرفيعة ، والحثّ على التضلّع في العلم على اختلاف أنواعه .

ولم تكن تلك الكوكبة من العلماء والرواة التي كان يربو عددها على أربعة آلاف شخص على مستوى واحد من حيث الثقة والعدالة ، فقد كان فيهم عدد غير قليل من المنافقين والكذّابين الذين لم يتحرّجوا من الكذب والوضع ، فقد كانوا يضعون الحديث والأخبار على لسان النبيّ الأمين ﷺ وعترته الميامين ، ليأخذوا عوض ذلك الثمن من السلطة الحاكمة التي حاربت الإسلام ، وأفسدت عقائد المسلمين ، ومزّقتهم شيعاً وأحزاباً ﴿ **كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** ﴾[1] .

وهناك جمهرة أُخرى من المجهولين الذين لم يوثّقوا ولم يجرحوا ، وطائفة أُخرى من الضعفاء ، كما أنّ فيهم عدداً ضخماً من الثقات والعدول الذين تحرّجوا من الوضع ، وعُرفوا بالصدق والأمانة ، وإليهم يستند الفضل في ضبط الأحكام الإسلاميّة ، ونشر فقه آل البيت عليهم السلام ، ونظراً لوجود هذه الطوائف في رواة الأثر فقد انقسم الخبر بلحاظهم إلى صحيح وحسن وضعيف وموثّق .

وعلى أي حال ، فإنّ الكثيرين من أصحاب الإمام قد قاموا بدور مهمّ في التأليف والتصنيف ، ونشر الحضارة الإسلاميّة ، حتّى ملأوا المكتبة العربيّة والإسلاميّة في عصورهم بنتاجهم القيّم ، الأمر الذي دلّ بحقّ على أنّ لهم اليد الطولى في رفع منار العلم ، وتقويم الأخلاق ، وتهذيب الأفكار .

أمّا عدد أصحابه فقد ذكر أحمد بن خالد البرقي أنّهم كانوا مائة وستّين شخصاً[2] ، وهو اشتباه ظاهر إن كان مراده الحصر ، فإنّ الظاهر من التحقيق أنّ أغلب المنتمين لمدرسة الإمام الصادق عليه السلام قد بقوا بعد وفاة الإمام ينتهلون من نمير علم

---

(١) المؤمنون ٢٣ : ٥٣ .

(٢) رجال البرقي ، بخطّ الأُستاذ الشيخ عليّ الخاقاني في مكتبته .

الإمام الكاظم ويتلقّون العلوم والفقه منه ، ولعلّ البرقي أراد بهذا العدد الأعلام والنابهين منهم دون من يليهم في مراتب الفقه والحديث والعلم .

وها نحن نعرض ترجمة طائفة من أصحابه ورواة حديثه قد رتّبناها على حروف الهجاء ، وهي كما يلي :

حرف الألف

١ ـ أبان بن عثمان

أبان بن عثمان اللؤلؤي ، يُعرف بالأحمر البجلي[١] .

كان يسكن الكوفة والبصرة ، وقد روى عن أبي عبدالله الصادق وولده الكاظم ، وذكر أبو عمرو الكشّي أنّ العصابة أجمعت على تصحيح ما يصحّ عنه ، والإقرار له بالفقه[٢] .

وقد أخذ عنه من أهل البصرة : أبو عبيدة معمر بن المثنّى ، وأبو عبدالله محمّد بن سلام الجمحي . ألّف كتاباً جمع فيه المبدأ ، والمعاد ، والمبعث ، والمغازي ، والوفاة ، والسقيفة ، والردّة[٣] .

وذكره ابن حبّان في الثقات ، وقال : « يخطئ ويهمّ ، وكان يكنّى أبا عبدالله . سكن البصرة والكوفة ، وكان أديباً عالماً بالأنساب ، أخذ عنه أبو عبيدة ومحمّد بن سلام الجحمي ، وذكره الطوسي في رجال الشيعة ، وقال : حمل عن جعفر بن محمّد وموسى بن جعفر ، وقال محمّد بن أبي عمير : كان أبان من أحفظ الناس »[٤] .

---

(١) الأحمر : صفة في الرجل الذي فيه الحمرة . البجلي : نسبة إلى بجيلة أي حيّ من بني سليم .

(٢) جامع الرواة : ١ : ١٢ .

(٣) فهرست الطوسي : ٥٩/٦٢ . رجال النجاشي : ١٣/٨ .

(٤) لسان الميزان : ١ : ٢٤ .

٢ ـ إبراهيم بن أبي بكر

قيل : إنّه ابن أبي سمّال ، وثّقه جماعة من الأعلام ، ورمي بالوقف ، وعرف بالصدق والتحرّز عن الكذب . له كتاب النوادر[١] .

٣ ـ إبراهيم بن أبي البلاد

أبو البلاد : اسمه يحيى بن سليم ، وكنّي بأبي البلاد . كان إبراهيم ثقة ، جليلاً ، رفيع المنزلة ، عظيم الشأن .

روى عن أبي عبدالله والكاظم والرضا عليهم السلام ، وأرسل له الإمام الرضا عليه السلام رسالة أعرب فيها عن ثنائه وإكباره له[٢] .

٤ ـ ابراهيم بن شعيب

العقرقوفي[٣] . كان من الواقفيّة . روى عنه ابن وهب ، والواقدي ، وعدّه ابن حبّان من الثقات[٤] .

٥ ـ إبراهيم بن عبدالحميد

الصنعاني[٥] . روى عن الإمام الصادق وأبي الحسن وولده الرضا عليهم السلام ، وكان يجلس في مسجد الكوفة ويحدّث الناس ويقول : « أخبرني أبو إسحاق ـ يعني الإمام الصادق عليه السلام ـ » رمي بالوقف ، ووثّقه ابن شهرآشوب[٦] .

---

(١) رجال النجاشي : ٢١/٣٠.

(٢) جامع الرواه : ١١ : ١٦ . لسان الميزان : ١ : ٤١ . رجال النجاشي : ٢٢/٣٢.

(٣) **العقرقوفي** : نسبة إلى عقرقوف ، ناحية من نواحي الدجيل ، وقيل : إنّها من نواحي نهر عيسى ، وبينها وبين بغداد أربع فراسخ .

(٤) تنقيح المقال : ٢ : ٨٦.

(٥) **الصنعاني** : نسبة إلى صنعاء ، بلدة باليمن كثيرة الأشجار والمياه .

(٦) معجم رجال الحديث : ١ : ١٩٢/٢٢٤ .

وقال الفضل بن شاذان: «إنّه صالح»[١].

٦ ـ إبراهيم بن محمّد

الجعدي[٢]: عدّه الشيخ من أصحاب الإمام موسى عليه السلام[٣].

٧ ـ إبراهيم بن محمّد الأشعري

القمّي. روى عن الإمام الكاظم والرضا عليهما السلام، وثّقه جماعة من الأعلام[٤].

٨ ـ إبراهيم بن نصر

ابن القعقاع الجعفي كوفي. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، وثّقه النجاشي وقال: إنّه ثقة، صحيح الحديث، وذكر الطوسي أنّ له كتاباً[٥].

٩ ـ إبراهيم بن نعيم

العبدي الكناني، ثقة، جليل، من عيون هذه الطائفة، ومن الأعلام الذين أُخذت منهم الأحكام والفتيا. روى عن أبي عبدالله الصادق وولده موسى عليهما السلام. توفّي سنة ١٧٠هـ[٦].

١٠ ـ إبراهيم بن يوسف

الكندي الطحّان، ثقة، صحيح الحديث، رفيع الشأن، من المؤلّفين، وله كتاب

---

(١) جامع الرواة: ١: ٢٤. رجال الكشّي: ٨٣٩/٤٤٦.

(٢) الجعدي ـ بضمّ الجيم ـ: نسبة إلى جعدة أي حيّ من قيس، وهو جعدة بن كعب، ومنهم النابغة الجعدي.

(٣) رجال الطوسي: ٤٩٣٦/٣٣١.

(٤) فهرست الطوسي: ١٤/٢٨٨.

(٥) رجال النجاشي: ٢٨/٢١. فهرست الطوسي: ١٨/٤٢.

(٦) رجال النجاشي: ٢٤/١٩. التحرير الطاووسي: ١١. الخلاصة: ٢٠/٥٢. رجال ابن داود: ٣٠/٣٣.

النوادر[1].

١١ ـ أحمد بن أبي بشر

يُعرف بالسرّاج، كوفي، ثقة، مقبول الحديث، رمي بالوقف. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، وله كتاب[2].

١٢ ـ أحمد بن الحارث

يُعرف بالأنماطي، كان واقفياً. روى عن أبي عبدالله عليه السلام، وكان من أصحاب أبي الحسن عليه السلام، وله كتاب[3].

١٣ ـ أحمد بن الحسن

ابن إسماعيل التمّار، مولى بني أسد، رمي بالوقف، وكان من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[4].

وروى عن الإمام الرضا عليه السلام، وقال النجاشي: «هو على كلّ حال ثقة، صحيح الحديث، معتمد عليه، له كتاب نوادر»[5].

١٤ ـ أحمد بن زياد

يُعرف بالخزاز، من أصحاب الإمام عليه السلام، وقد رمي بالوقف[6].

١٥ ـ أحمد بن عمرو

ابن أبي شعبة الحلبي. روى عن الإمام الكاظم والرضا عليهما السلام، وروى أبوه عن أبي

---

(١) رجال النجاشي: ٣٦/٢٣.

(٢) رجال النجاشي: ١٨١/٧٥.

(٣) جامع الرواة: ١: ٤٤. رجال النجاشي: ٢٤٧/٩٩. رجال الكشّي: ٨٩٢/٤٦٨.

(٤) جامع الرواة: ١: ٤٤.

(٥) رجال النجاشي: ١٧٩/٧٤.

(٦) رجال الطوسي: ٤٩٤٣/٣٣٢.

عبدالله عليه السلام ، وهو من بيت عُرف بالتقوى والصدق والولاء لأهل البيت عليهم السلام[١].

١٦ ـ أحمد بن الفضل

الخزاعي ، من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ، رمي بالوقف ، وله كتاب[٢].

وروى الكشّي أنّه من أصحاب موسى وعليّ بن موسى عليهما السلام[٣].

١٧ ـ أحمد بن محمّد

كوفي ، وهو أخو كامل بن محمّد من أصحاب الإمام عليه السلام ، وله رواية في فضل زيارة الحسين ذكرها في التهذيب[٤].

١٨ ـ أحمد بن محمّد

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٥].

١٩ ـ أحمد بن مخلّد النخّاس

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم[٦].

٢٠ ـ أحمد بن يزيد

روى عن أبي الحسن عليه السلام ، وذكر روايته صاحب الوافي[٧].

---

(١) رجال النجاشي : ٢٤٥/٩٨.

(٢) رجال الطوسي : ٤٩٤٩/٣٣٢. رجال النجاشي : ٢١٨/٨٩.

(٣) رجال الكشّي : ١٠٤٩/٥٥٥.

(٤) رجال الطوسي : ٤٩٣٨/٣٣٢. جامع الرواة : ١: ٧٠.

(٥) التعليقات : ٤٧. رجال الطوسي : ٤٩٣٨/٣٣٢.

(٦) رجال الطوسي : ٤٩٣١/٣٣١.

(٧) جامع الرواة : ١: ٧٥.

٢١ ـ أسامة بن حفص

كان ثقة عدلاً، وكان قيّماً للإمام الكاظم عليه السلام[١].

٢٢ ـ أسباط بن سالم

مولى لبني عدي من كندة. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، وله كتاب[٢].

٢٣ ـ إسحاق بن جرير

ثقة، من أهل العلم. روى عن الإمام أبي عبدالله عليه السلام، وله كتاب: عدّه الشيخ من أصحاب الكاظم عليه السلام، وأنّه من الواقفيّة[٣].

٢٤ ـ إسحاق بن عبدالله

ابن مالك الأشعري القمّي، ثقة، عدل. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام[٤].

٢٥ ـ إسحاق بن عمّار

الكوفي الصيرفي، مولى لبني تغلب، من شيوخ الشيعة وثقاتها. روى عن الصادق والكاظم عليهما السلام[٥]، وهو غير إسحاق بن عمّار الساباطي الذي كان فطحيّاً، وقد نشأ الخلط والاشتباه عند البعض حيث توهّموا بأنّهما واحد، كما أفاد ذلك المحقّق شيخنا المامقاني[٦].

وجاء في بعض الروايات ما ينافي وثاقته وعدالته، فقد روي أنّه كان عند الإمام

---

(١) رجال الطوسي: ٤٩٥١/٣٣٢.

(٢) التعليقات: ٥١١.

(٣) رجال الطوسي: ٤٩٤٥/٣٣٢. رجال النجاشي: ١٧٠/٧١.

(٤) رجال النجاشي: ١٧٤/٧٣.

(٥) رجال النجاشي: ١٦٩/٧١.

(٦) تنقيح المقال: ١: ١٥١.

موسى عليه السلام جالساً، إذ دخل عليه بعض شيعته، فالتفت له الإمام قائلاً: **يا فُلانُ، جَدِّدْ تَوْبَتَكَ، وَأَحْدِثْ عِبادَةً، فَإِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِكَ إِلّا شَهْرٌ**.

يقول إسحاق: فقلت في نفسي: واعجباه، كأنّه يخبرنا بآجال شيعته!

فالتفت إليه الإمام وهو مغضب، فقال له: **وَما تُنْكِرُ مِنْ ذلِكَ**؟ وكان الهجري مستضعفاً[1]، وكان عنده علم المنايا، والإمام أوْلى بذلك من رشيد الهجري.

يا إِسْحاقَ، إِنَّهُ قَدْ بَقِيَ مِنْ عُمْرِكَ سَنَتانِ، أَما إِنَّهُ سَيَتَشَتَّتُ أَهْلُكَ، وَيُفْلِسُ عِيالُكَ إِفْلاساً شَدِيداً. وما لبث إسحاق حتّى توفّي في الوقت الذي عيّنه الإمام، وحلّ الفقر والبؤس بأهله وعياله[2].

٢٦ ـ إسحاق بن عمّار

الساباطي[3]. كان يسكن بغداد، وقد روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، وكان فطحيّاً[4].

٢٧ ـ إسحاق بن محمّد

من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، ووثّقه جماعة من الأعلام[5].

٢٨ ـ إسماعيل بن أبي سمّال

وقيل: ابن أبي سمّاك، وقال النجاشي: «إنّه ثقة، واقفي، فلا أعتمد على

---

(١) الإستضعاف: هو العجز عن التحمّل لأعباء الإمامة، وليس المراد به الإستضعاف من ناحية الدين، وإلّا لنافاه قوله: «وكان يعلم علم المنايا والبلايا»، فإنّ ذلك يتوقّف على نور القلب بالايمان والمعرفة وقوّة العقيدة.

(٢) تنقيح المقال: ١: ١٥١.

(٣) الساباطي: نسبة إلى ساباط قرية قريبة من المدائن.

(٤) فهرست الطوسي: ٥٢/٥٤.

(٥) رجال الطوسي: ٤٩٢٣/٣٣١.

روايته»[١].

٢٩ـ إسماعيل بن الحسن

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام من غير توصيف[٢].

٣٠ـ إسماعيل بن عبدالخالق

مولى لبني أسد، وجه من وجوه الشيعة، وفقيه من فقهائها، وقد عُرف أهله بالعدالة والولاء لأهل البيت عليهم السلام. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، وله كتاب[٣].

٣١ـ إسماعيل بن محمّد المنقري[٤]

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٥].

٣٢ـ أُميّة بن عمرو

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، وقال: إنّه واقفي[٦]. وضعّفه جماعة[٧].

٣٣ـ أيمن بن محرز

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٨].

---

(١) جامع الرواة: ١: ٩٢.

(٢) رجال الطوسي: ٤٩٢٨/٣٣١.

(٣) رجال النجاشي: ٥٠/٢٧.

(٤) **المنقري**: نسبة إلى منقر بطن من بني سعد.

(٥) رجال الطوسي: ٤٩٢٩/٣٣١.

(٦) رجال الطوسي: ٤٩٣٢/٣٣١.

(٧) فهرست الطوسي: ١٢٢/٢٩٦.

(٨) رجال الطوسي: ٤٩٣٠/٣٣١.

وفي جامع الرواة : «أنّه روى عن أبي عبدالله عليه السلام ، وروى عنه إسماعيل بن مهران »[١].

٣٤ـ أيّوب بن أعين

الكوفي ، مولى بني طريف : عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٢].

٣٥ـ أيّوب بن الحرّ

الجعفي ، ثقة ، جليل . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام[٣].

روى عنه يحيى بن عمران الحلبي وأبو عبدالله البرقي[٤].

وقال الشيخ : «إنّه ثقة ، وله كتاب »[٥].

حرف الباء

٣٦ـ بشير الدهّان

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ، وأضاف إلى ذلك أنّه روى عن أبي عبدالله عليه السلام[٦].

٣٧ـ بكر بن الأشعث

أبو إسماعيل الكوفي . روى عن الإمام ، ووثّقه جماعة من الأعلام[٧].

---

(١) جامع الرواة : ١ : ١٥٨.

(٢) رجال الطوسي : ٤٩٣٠/٣٣١.

(٣) رجال الطوسي : ٤٩٣٠/٣٣١.

(٤) لسان الميزان : ١ : ٤٧٨.

(٥) رجال ابن داود : ٢٢٢/٥٣. فهرست الطوسي : ٦٠/٥٧.

(٦) رجال الطوسي : ٤٩٥٦/٣٣٣.

(٧) رجال النجاشي : ٢٧٥/١٠٩.

٣٨ـ بكر بن صالح

الرازي ، مولى بني ضَبّة . روى عن الإمام الكاظم عليه السلام . قال ابن الغضائري : «إنّه ضعيف جدّاً ، كثير التفرّد بالغرائب ، وضعّفه جماعة من الأعلام»[١].

٣٩ـ بكر بن محمّد

ابن جناح ، من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ، وقد رمي بالوقف[٢].

٤٠ـ بكر بن محمّد

ابن نُعيم الأزدي الغامدي[٣]، ثقة ، جليل ، من بيت رفيع بالكوفة : عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ، عمّر عمراً طويلاً ، وله كتاب ، وروى عنه عبدالله بن مسكان وأحمد[٤].

حرف الثاء

٤١ـ ثعلبة بن ميمون

الأسدي الكوفي . قال النجاشي : «كان وجهاً من أصحابنا ، قارئاً ، فقيهاً ، نحويّاً ، لغويّاً ، راويةً ، وكان حسن العمل ، كثير العبادة والزهد . روى عن أبي عبدالله وأبي

---

(١) رجال النجاشي : ٢٧٦/١٠٩.

(٢) رجال الطوسي : ٤٩٥٨/٣٣٣.

(٣) الغامدي : نسبة إلى غامد ، علم في الأصل إلى أبي قبيلة من جهينة ، وقيل : من اليمن ، ينسب إليها الغامديّون من المحدثين وغيرهم ، والغامدي هذا بقرينة كونه أزديّاً منسوب إلى بني غامد بطن من الأزد ، وهم بنو غامد واسم غامد عمر بن عبدالله ، وقيل : كعب بن عبدالله.

قيل : إنّما لقّب بذلك لأنّه أصلح أمراً كان بينه وبين قومه فسمّاه أحد الملوك بغامد.

(٤) رجال النجاشي : ٢٧٣/١٠٩. رجال الطوسي : ٤٩٥٥/٣٣٣. لسان الميزان : ٢ : ٨٤.

الحسن. له كتاب تختلف الرواية عنه، قد رواه جماعة من الناس»[١].

وحكي أنّه لمّا حجّ هارون مرّ بالكوفة، فلمّا صار إلى الموضع الذي يُعرف بمسجد (سماك) كان ثعلبة ينزل في غرفة على الطريق، فسمعه هارون يدعو بلسان فصيح، فوقف يسمع دعاءه، وأقبل على الفضل بن الربيع فقال له: تسمع ما أسمع؟

فقال له: نعم.

فقال هارون: إنّ أخيارنا بالكوفة[٢].

وكان يلقّب بأبي إسحاق الفقيه، ويعدّ في الطليعة من علماء هذه الطائفة، بالإضافة إلى ورعه وتقواه[٣].

وقد روى عنه: محمّد بن عبدالله المزخرف، وعليّ بن أسباط، والحسن بن عليّ الخزاز، وظريف بن ناصح[٤].

حرف الجيم

٤٢ ـ جعفر بن حيّان

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، وقال: إنّه واقفي[٥].

٤٣ ـ جعفر بن خلف

الكوفي: عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، وقال: إنّه سمع الإمام

---

(١) رجال النجاشي: ١١٧ و ٣٠٢/١١٨.

(٢) التعليقات: ٧٦.

(٣) رجال الكشّي: ٧٠٥/٣٧٥. الوجيزة / المجلسي: ٢٩.

(٤) لسان الميزان: ٢: ٨٣.

(٥) رجال الطوسي: ٤٩٦٧/٣٣٤.

يقول: **سَعِدَ امْرُؤٌ لَمْ يَمُتْ حَتَّىٰ يَرىٰ مِنْهُ خَلَفاً، وَقَدْ أَرانِيَ اللهُ ابْني هٰذا خَلَفاً** ـ وأشار لولده الرضا عليه السلام ـ[١].

٤٤ ـ جعفر بن سليمان

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام من غير توصيف بكنية أو لقب، وعدّه الأردبيلي من جملة الرواة عن الإمام عليه السلام[٢].

٤٥ ـ جعفر بن سماعة

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وأخرى من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، وأضاف إلى ذلك أنّه واقفي[٣].

٤٦ ـ جعفر بن محمّد

ابن حكيم الخثعمي: عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٤].

٤٧ ـ جميل بن درّاج

ابن عبدالله النخعي الكوفي، من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وولده أبي الحسن موسى عليه السلام، وكان ثقة، جليلاً، من كبار العلماء، وهو أحد الستّة الذين أجمعوا على تصحيح ما يصحّ عنهم، وكان كثير الحديث. روى عنه خلق كثير، كالحسن بن محبوب، وصالح بن عقبة، وأبو مالك الحضرمي، وغيرهم.

له مؤلّفات، منها: كتاب اشترك في تأليفه هو ومرازم بن حكيم، وله أصل انفرد بتأليفه. توفّي في أيّام الرضا عليه السلام[٥].

---

(١) تنقيح المقال: ١: ٢١٥. رجال الكشّي: ٩٠٥/٤٧٧. رجال الطوسي: ٤٩٦٥/٣٣٣.

(٢) رجال الطوسي: ٤٩٦٢/٣٣٣. جامع الرواة: ١: ١٥٢.

(٣) رجال الطوسي: ٤٩٦٩/٣٣٤.

(٤) رجال الطوسي: ٤٩٦١/٣٣٣.

(٥) رجال الطوسي: ٤٩٦٤/٣٣٣. رجال الطوسي: ٣٢٨/١٢٦. جامع الرواة: ١: ١٦٥.

٤٨ ـ جميل بن صالح

الأسدي الكوفي ، ثقة ، جليل ، من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وولده أبي الحسن عليه السلام ، له أصل . روى عنه جماعة منهم : عمّار بن موسى الساباطي ، وغيره[١] .

٤٩ ـ جندب بن أيّوب

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ، وقال : إنّه واقفي ، وكذلك قال العلّامة[٢] .

٥٠ ـ جهم بن أبي جهم

ثقة ، جليل الشأن ، رفيع المنزلة . روى عن الإمام موسى عليه السلام ، له أصل[٣] .

حرف الحاء

٥١ ـ حبيب بن المعلّل

الخثعمي المدائني . قال النجاشي : « روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن الرضا عليهما السلام ، ثقة ، صحيح الحديث » ، وأضاف : « أنّ له كتاباً »[٤] .

٥٢ ـ حديد بن حكيم

أبو علي الأزدي المدائني . قال النجاشي : « إنّه ثقة ، وجه ، متكلّم . روى عن أبي

---

(١) رجال النجاشي : ٣٢٩/١٢٧ . منهج المقال : ٨٨ .

(٢) رجال الطوسي : ٤٩٦٨/٣٣٤ . الخلاصة : ٢٣٢ .

(٣) رجال الطوسي : ٤٩٦٣/٣٣٣ ، وفي رجال النجاشي : ٣٣٨/١٣١ عنونه بـ« جَهْيْم بن أبي جهم » .

(٤) رجال النجاشي : ٣٦٨/١٤١ .

عبدالله عليه السلام وأبي الحسن عليه السلام . له كتاب »[١] .

ووثّقه جماعة من الأعلام[٢] .

٥٣ ـ حذيفة بن منصور

الخزاعي ، بيّاع السابري . قال النجاشي : « إنّه ثقة . روى عن أبي جعفر وأبي عبدالله وأبي الحسن عليهم السلام . له كتاب يرويه عدّة من أصحابنا ، وثّقه الشيخ المفيد ، ولكن ابن الغضائري غمز فيه ، وقال : « إنّ حديثه غير نقي ، يروي الصحيح والسقيم ، وأمره ملتبس ، ونقل عنه أنّه كان والياً عند بني أُميّة »[٣] .

٥٤ ـ حسان بن مهران

الجمّال ، مولى بني كاهل من بني أسد . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام ، ثقة ، حديثه أصحّ من حديث صفوان ، وله كتاب[٤] .

٥٥ ـ الحسن بن أبي العرندس

الكوفي ، من كندة : عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ، وأُخرى من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٥] .

٥٦ ـ الحسن بن أيّوب

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ، وأنّه له كتاب[٦] ، والظاهر أنّه إمامي

---

(١) رجال النجاشي : ٣٨٥/١٤٨ .

(٢) الخلاصة : ٩/١٣٥ . الوجيزة : ٥١ .

(٣) رجال النجاشي : ١٤٨ و ٣٨٣/١٤٩ . رجال ابن الغضائري : ٣٠/٥٠ . تنقيح المقال : ١ : ٢٥٨ .

(٤) رجال النجاشي : ٣٨١/١٤٧ .

(٥) رجال الطوسي : ٤٩٩٢/٣٣٥ .

(٦) فهرست الطوسي : ١٨٤/١٠٢ .

لم يقف له على مدح[١].

٥٧ ـ الحسن بن بشير

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، وأضاف أنّه مجهول[٢].

٥٨ ـ الحسن بن الجهم

ابن بكير بن أعين، أبو محمّد الشيباني: عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ووثّقه، وقال النجاشي: «إنّه ثقة. روى عن أبي الحسن موسى وولده الرضا، وله كتاب»[٣].

٥٩ ـ الحسن بن راشد

مولى بني العبّاس. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، ضعيف في روايته، وعن البرقي: إنّه كان وزيراً للمهدي وموسى الهادي وهارون[٤].

٦٠ ـ الحسن بن صدقة

المدائني. قال ابن عقدة: «روى هو وأخوه مصدق عن أبي عبدالله وأبي الحسن، وكانا من الثقات»[٥].

٦١ ـ الحسن بن عبدالله

كان من أعبد أهل زمانه، وكان يتّقيه السلطان لجرأته وتقواه، وكانت هدايته على يد الإمام، وقد ذكرنا ذلك في الجزء الأوّل من هذا الكتاب.

---

(١) تنقيح المقال: ١: ٢٦٩.

(٢) الخلاصة: ٣/٣٣٣.

(٣) رجال الطوسي: ٤٩٧٩/٣٣٤. رجال النجاشي: ١٠٩/٥.

(٤) منهج المقال: ٩٨.

(٥) منهج المقال: ١٠٠.

٦٢ـ الحسن بن عليّ

ابن يقطين بن موسى، مولى بني هاشم، وقيل: مولى بني أسد، ثقة، فقيه، متكلّم. روى عن الإمام موسى عليه السلام وولده الرضا، وله كتاب أسماه «مسائل أبي الحسن موسى»[١].

٦٣ـ الحسن بن عليّ

ابن فضّال بن عمر بن أيمن، مولى تيم الله. روى عن الإمام موسى عليه السلام والإمام عليّ بن موسى عليه السلام وإبراهيم بن محمّد الأشعري، ومحمّد بن عبدالله بن زرارة، وعليّ بن عقبة، وغيرهم. روى عنه الفضل بن شاذان، وبالغ في الثناء عليه بالزهد والعبادة، وكان من المؤلّفين. له كتاب «الزيارات» وكتاب «البشارات» وكتاب «النوادر» وكتاب «الردّ على الغالية» وكتاب «الناسخ والمنسوخ» وكتاب «التفسير» وكتاب «الابتداء والمبتدأ». توفّي سنة ٢٢٤هـ[٢].

٦٤ـ الحسن بن عمر

ابن سليمان. قال ابن داود: «إنّه من أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام»[٣].

٦٥ـ الحسن بن محبوب

السرّاد[٤]، ويقال له: الزرّاد، مولى لبجيلة، كوفي، ثقة: عدّه الشيخ من أصحاب الكاظم عليه السلام. روى عن الإمام الرضا عليه السلام وروى عن ستّين رجلاً من أصحاب أبي

---

(١) رجال النجاشي: ٩١/٤٥.

(٢) فهرست الطوسي: ١٦٤/٩٨. رجال النجاشي: ٣٥ و ٧٢/٣٥.

(٣) رجال ابن داود: ٤٤٧/٧٦.

(٤) الزرّاد: وهو صانع حِلَق المغفر والدرع. والزَّرد: حِلَق المغفر، والسّرد: ثقبها. والسَّرد: اسم جامع للدروع وسائر الحَلَق.

عبدالله عليه السلام ، وكان جليل القدر ، يعدّ من أعلام عصره ، ألّف كتباً كثيرة ، منها كتاب « الحدود » وكتاب « الديات » وكتاب « الفرائض » وكتاب « النوادر » يقع في ألف ورقة ، وكتاب « التفسير »(١).

٦٦ ـ الحسن بن محمّد

ابن سماعة الكندي الصيرفي : عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام وقال : « إنّه واقفي المذهب ، إلّا أنّه جيّد التصانيف ، نقي الفقه ، حسن الاعتقاد ، ألّف ثلاثين كتاباً ، منها : كتاب « الصلاة » ، وكتاب « الصيام » ، ومنها : كتاب « وفاة أبي عبدالله الصادق عليه السلام » وكتاب « الزهد » وكتاب « البشارات » ، وغيرها .

توفّي في جمادى الأولى سنة ٢٦٣هـ ، وصلّى عليه إبراهيم بن محمّد العلوي(٢).

٦٧ ـ الحسين بن إبراهيم

ابن موسى : عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام(٣).

٦٨ ـ حسين بن بشّار

المدائني ، مولى زياد ، ثقة ، صحيح الحديث . روى عن الإمام الكاظم عليه السلام ، وقد رمي بالوقف ، وقال الكشّي : « إنّه رجع عن ذلك ، وقال بالحقّ ، وأنا أعتمد على ما يرويه بشهادة الشيخين له »(٤).

ووثّقه الشيخ الطوسي والعلّامة(٥).

---

(١) فهرست الطوسي : ١٦٢/٩٦.
(٢) فهرست الطوسي : ١٩٣/١٣.
(٣) رجال الطوسي : ٤٩٩١/٣٣٥.
(٤) جامع الرواة : ١ : ٢٣٤.
(٥) رجال الكشّي : ٨٤٧/٤٤٩. الخلاصة : ٦/١١٤.

٦٩ ـ الحسين بن الجهم

ابن بكير بن أعين. ذكره العلّامة في القسم الأوّل من الخلاصة، وقال: «إنّه من أصحاب الكاظم، وأنّه ثقة»[١].

٧٠ ـ الحسين بن خالد

الصيرفي، من أصحاب الإمام الكاظم والرضا، وروى عنهما عليهما السلام[٢].

٧١ ـ الحسين بن راشد

مولى لبني العبّاس، بغدادي: عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٣].

٧٢ ـ الحسين بن زيد

ابن عليّ بن الحسين، يلقّب بذي «الدمعة»، كان الإمام الصادق عليه السلام قد تبنّاه وربّاه وزوجه بنت الأرقط. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام[٤].

وقال رواة الأثر: «إنّه نشأ في حجر الإمام الصادق منذ قُتل أبوه، وأخذ منه علماً كثيراً، وكان لا يجالس أحداً، ولا يدخل إليه، إلّا من يثق به، وإنّما لقّب بذي الدمعة لكثرة بكائه، وقد قالت له زوجته: ما أكثر بكاؤك؟!

فقال لها: وهل ترك لي السهمان والنار سروراً يمنعني من البكاء، أراد بالسهمين اللذين قتل بهما أبوه زيد وأخوه يحيى، وبالنار التي أُحرق فيها أبوه زيد. توفّي سنة ١٤٠هـ، وقيل: ١٣٥هـ، وعمره ستّ وسبعون سنة[٥].

---

(١) الخلاصة: ١/١١٣. رجال ابن داود: ٤٧٥/٨٠.

(٢) جامع الرواة: ٢: ٤٨٨.

(٣) رجال الطوسي: ٤٩٧٣/٣٣٤، وفي نسخة: «الحسن بن راشد».

(٤) رجال النجاشي: ١١٥/٥٢.

(٥) تنقيح المقال: ١: ٣٢٨.

٧٣ـ الحسين بن صدقة

من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، وثّقه جماعة من الأعلام[١].

٧٤ـ الحسين بن عثمان

ابن شريك بن عدي العامري الوحيدي الكوفي. قال النجاشي: «إنّه ثقة. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، وله كتاب»[٢].

٧٥ـ الحسين بن القاسم

العبّاسي: عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٣].

٧٦ـ الحسين بن قياما

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، وقال: «إنّه واقفي»، وكذا قال العلّامة وابن داود، وذكر الكليني له حديثاً مع الإمام الرضا عليه السلام دلّ على ذمّه وسوء سريرته[٤].

٧٧ـ الحسين بن كيسان

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، وقال: «إنّه واقفي»، وكذا ذكر العلّامة وابن داود[٥].

٧٨ـ الحسين بن محمّد

ابن الفضل الهاشمي، ثقة، جليل، من شيوخ بني هاشم. روى عن أبي عبدالله

---

(١) الخلاصة: ٢/١١٤. نقد الرجال: ٢: ١٤٦٣/٩٥.

(٢) رجال النجاشي: ١١٩/٥٣.

(٣) رجال الطوسي: ٤٩٩٨/٣٣٦، وفي نسخة: «الحسن بن القاسم».

(٤) رجال الطوسي: ٤٩٩٧/٣٣٦. رجال ابن داود: ١٤٧/٢٤١. الخلاصة: ٣/٣٣٨.

(٥) رجال الطوسي: ٤٩٩٦/٣٣٦. رجال ابن داود: ١٤٩/٢٤١. الخلاصة: ٤/٣٣٨.

وأبي الحسن عليه السلام ، وله كتاب كبير[١] .

وقال الشيخ المفيد : «كان الحسين بن محمّد من خاصّة الكاظم وثقاته ، ومن أهل الورع والعلم والفضل من شيعته»[٢] .

٧٩ـ الحسين بن المختار

القلانسي الكوفي ، واقفي : عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ، وقال : «له كتاب» ، وأطرى عليه الشيخ المفيد وجعله في طليعة أصحاب الإمام الرضا عليه السلام[٣] .

٨٠ـ الحسين بن موسى

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ، وكان واقفياً[٤] .

٨١ـ الحسين بن مهران

السكونيّ . روى عن الإمام الكاظم والإمام الرضا عليهما السلام ، وكان من الواقفيّة ، وله «مسائل»[٥] .

وقال العلّامة : «إنّه كان ضعيف اليقين ، له كتاب عن أبي الحسن موسى عليه السلام ، لا أعتمد على روايته»[٦] .

٨٢ـ الحصين بن مخارق

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ورماه بالوقف[٧] .

---

(١) رجال النجاشي : ١١٢/٥١ .

(٢) الإرشاد : ٢ : ٢٤٧ و ٢٤٨ .

(٣) رجال الطوسي : ٤٩٧٢/٣٣٤ . الإرشاد : ٢ : ٢٤٧ و ٢٤٨ .

(٤) رجال الطوسي : ٤٩٩٥/٣٣٦ .

(٥) رجال النجاشي : ١٢٧/٥٦ .

(٦) خلاصة الأقوال : ٧/٣٣٨ .

(٧) رجال الطوسي : ٤٩٩٣/٣٣٥ ، وفي نسخة : «الحسين بن مخارق» .

وقال ابن الغضائري: «إنّه ضعيف»، ونقل عن ابن عقدة أنّه كان يضع الحديث وأنّه من الزيديّة[١].

٨٣ـ حفص بن البختري

البغدادي: ثقة. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام[٢].

٨٤ـ حفص بن سليمان

عدّه الشيخ ـ من غير لقب ولا كنية ـ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٣].

٨٥ـ حفص بن سوقة

العمري، مولى عمرو بن حريث المخزومي. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام. ثقة، وله أصل[٤].

٨٦ـ حفص بن غياث

النخعي الكوفي، ولي القضاء ببغداد الشرقيّة من قِبل هارون، ثمّ تولّى قضاء الكوفة. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، وله كتاب. توفّي بالكوفة سنة ١٩٤هـ[٥]. وقد اختلف في توثيقه وجرحه[٦].

٨٧ـ الحكم بن أيمين

الحنّاط، مولى لقريش. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، وله كتاب[٧].

---

(١) رجال ابن الغضائري: ١٦٩/١١٣.

(٢) رجال النجاشي: ٣٤٤/١٣٤.

(٣) رجال الطوسي: ٤٩٨٦/٣٣٥.

(٤) رجال النجاشي: ٣٤٨/١٣٥.

(٥) رجال النجاشي: ٣٤٦/١٣٤.

(٦) تنقيح المقال: ١: ٣٥٥.

(٧) رجال النجاشي: ٣٥٤/١٣٧.

٨٨ـ حمّاد بن عثمان

ابن عمرو بن خالد الفزاريّ الكوفي. كان يسكن «عَرْزم» فنسب إليها، ثقة. روى عن أبي عبدالله والكاظم والرضا عليهم السلام. توفّي بالكوفة سنة ١٩٠هـ[١].

٨٩ـ حمّاد بن عثمان

ابن زياد الرواسي الملقّب بالناب، ثقة، جليل القدر، وهو ممّن أجمعت العصابة على تصحيح ما يصحّ عنه، والإقرار له بالفقه، وله كتاب. روى عن الإمام موسى وولده الرضا. توفّي سنة ١٩٠هـ[٢].

٩٠ـ حمّاد بن عيسى

الجهني البصري. قال الكشّي: «هو ممّن أجمعت العصابة على تصحيح ما يصحّ عنه، والإقرار له بالفقه». روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن والرضا عليهم السلام، وكان متحرّزاً في الحديث ومن المؤلّفين، له كتاب «النوادر» وكتاب «الصلاة» وكتاب «الزكاة» وقد دخل على الإمام الكاظم عليه السلام فقال له: جعلت فداك، ادع الله لي أن يرزقني داراً وزوجة وخادماً، والحجّ، فدعا الإمام له بذلك، وأضاف إلى دعائه أن يرزقه خمسين حجّة، فرزقه الله جميع ذلك، وحجّ خمسين عاماً، فلمّا انتهت الخمسون جاء إلى واد ليغتسل منه، فجاءه سيل عارم فغرق فيه وذلك في سنة ٢٠٩هـ[٣].

٩١ـ حمدان بن المعافى

الصبيحي. روى عن الإمام موسى وولده الرضا عليهما السلام. روى عنه مسعدة بن صدقة، له كتاب «شرائع الإيمان» وكتاب «الإهليلجة». توفّي سنة ٢٦٥هـ،

---

(١) رجال النجاشي: ٣٧١/١٤٣.

(٢) الخلاصة: ٣/١٢٥. فهرست الطوسي: ٢٤٠/١١٥.

(٣) رجال الكشّي: ٥٧١/٣١٧ و: ٧٠٥/٣٧٥. رجال النجاشي: ٣٧٠/١٤٠.

وقد صادفت وفاته حين دخول أصحاب العلوي البصري قُمّيْن فاتحين لها [١].

٩٢ـ حمزة بن اليسع

الأشعري القمّي: عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام [٢].

٩٣ـ حميد بن المثنّى

العجلي أبو المغرّا الكوفي، ثقة. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، وله كتاب [٣].

٩٤ـ حنان بن سدير

الصيرفي الكوفي. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، له كتاب في صفة الجنّة والنار [٤].

حرف الخاء

٩٥ـ خالد بن زياد

القلانسي، ثقة. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام [٥].

٩٦ـ خالد بن سعيد

أبو سعيد القمّاط، كوفي: عدّه الشيخ في باب الكنى من أصحاب الكاظم عليه السلام [٦].

---

(١) رجال النجاشي: ٣٥٥/١٣٨.

(٢) رجال الطوسي: ٤٩٨٤/٣٣٥.

(٣) رجال النجاشي: ٣٤٠/١٣٣.

(٤) رجال النجاشي: ٣٧٨/١٤٦.

(٥) جامع الرواة: ١: ٢٩١، ذكره ابن داود في القسم الأوّل من رجاله.

(٦) رجال الطوسي: ٥١٨١/٣٤٧.

ووثّقه النجاشي وقال: «إنّه روى عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام، وله كتاب»[١].

٩٧ ـ خالد بن مادّ

القلانسي الكوفي. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، مولى ثقة، له كتاب[٢].

٩٨ ـ خالد بن نجيح

الجوان، مولى كوفي، يكنّى أباعبدالله. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام[٣].

قال الكشّي: «كان خالد خادماً عند أبي الحسن موسى، وهو الذي روى عنه في شأن ولده الرضا عليه السلام أنّه قال فيه: عهدي إلى ابني عليّ أكبر ولدي وخيرهم وأفضلهم»[٤].

٩٩ ـ خالد بن يزيد

ابن جبل، كوفي، ثقة. روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام، وله كتاب رواه يحيى بن زكريّا اللؤلؤي[٥].

١٠٠ ـ خزيمة بن يقطين

وهو أخو عليّ بن يقطين: عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، وظاهره أنّه إمامي[٦].

---

(١) رجال النجاشي: ٣٨٧/١٤٩.

(٢) رجال النجاشي: ٣٨٨/١٤٩.

(٣) رجال النجاشي: ٣٩١/١٥٠، وفي نسخة: «الجواز».

(٤) رجال الكشّي: ٨٥٥/٤٥٣.

(٥) رجال النجاشي: ٣٩٤/١٥١.

(٦) رجال الطوسي: ٥٠٠٠/٣٣٦. تنقيح المقال: ١: ٣٩٨.

١٠١ ـ خلف بن حمّاد

ابن ناشر بن المُسَيّب ، كوفي ، ثقة ، سمع من الإمام موسى عليه السلام ، له كتاب يرويه جماعة ، منهم : محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب[١].

وقال ابن الغضائري : « إنّ أمره مختلط يعرف حديثه تارة وينكر أُخرى ، ويجوز أن يخرج شاهداً »[٢].

١٠٢ ـ خلف بن حمّاد

الكوفي : من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ، وروى عنه[٣].

١٠٣ ـ خلف بن خلف

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ، وقال : إنّه مجهول ، وكذا قال العلّامة في الخلاصة[٤].

١٠٤ ـ خلف بن سلمة

البصري : عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم والرضا عليهما السلام[٥].

حرف الدال

١٠٥ ـ داود بن الحصين

الأسدي الكوفي . قال النجاشي : « روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن ، ثقة ،

---

(١) رجال النجاشي : ٣٩٩/١٥٢.

(٢) رجال ابن الغضائري : ٤٤/٥٦.

(٣) تنقيح المقال : ٤٠١/١.

(٤) رجال الطوسي : ٥٠٠١/٣٣٦ . الخلاصة : ١/٣٤٣ .

(٥) رجال الطوسي : ٥٢٨٦/٣٥٧ . تنقيح المقال : ٤٠١/١ .

له كتاب ».

وقال الشيخ : إنّه واقفي ، وكذا قال ابن عقدة[(١)].

١٠٦ ـ داود بن أبي يزيد

الكوفي العطّار ، مولى ، ثقة . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام . له كتاب[(٢)].

١٠٧ ـ داود بن زربي

الخَنْدقي البندار ، وثّقه النجاشي ، وقال الشيخ المفيد في إرشاده : « إنّه من خاصّة أبي الحسن عليه السلام وثقاته ، ومن أهل الورع والعلم والفقه ، وممّن روى النصّ على إمامة أبي الحسن الرضا عليه السلام ، فقد حمل إلى الإمام موسى عليه السلام مالاً فأخذ منه وترك الباقي ، فقال له داود : لِمَ لا تأخذ الباقي ؟

قال عليه السلام له : **إنَّ صاحِبَ الأَمْرِ بَعْدِي يَطْلُبُهُ مِنْكَ**.

ولمّا توفّي الإمام موسى عليه السلام طلب الإمام الرضا من داود ما تبقّى من الأموال ، وكانت له خاصبة بالرشيد ، وله كتاب ، وترجمه الشيخ في الفهرست ، وقال : « إنّ له أصلاً »[(٣)].

١٠٨ ـ داود بن سرحان

العطّار الكوفي ، ثقة . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام ، وله كتاب[(٤)].

١٠٩ ـ داود بن سليمان

عدّه الشيخ المفيد من خاصّة أبي الحسن موسى عليه السلام وثقاته ، ومن أهل الورع

---

(١) رجال النجاشي : ٤٢١/١٥٩ . رجال الطوسي : ٥٠٠٧/٣٣٦ . جامع الرواة : ٣٠٢/١ .

(٢) رجال النجاشي : ٤١٧/١٥٨ .

(٣) رجال النجاشي : ٤٢٤/١٦٠ . جامع الرواة : ١ : ٣٠٣ . الإرشاد : ٢ : ٢٥٢ .

(٤) رجال النجاشي : ٤١٩/١٥٩ .

والعلم والفقه ، وممّن روى النصّ عن الإمام موسى عليه السلام على إمامة ولده الرضا عليه السلام ، فقد قال له : إنّي سألت أباك ـ يعني الإمام الصادق عليه السلام ـ مَن الذي يكون بعده ؟ فأخبرني أنّك أنت ، فلمّا توفّي أبو عبدالله ذهب الناس يميناً وشمالاً ، وقلت بك أنا وأصحابي ، فأخبرني مَن الذي يكون بعدك ؟

فقال عليه السلام له : **ابني فُلانٌ** ـ يعني الرضا عليه السلام[(١)].

١١٠ ـ داود بن عليّ

اليعقوبي الهاشمي ، ثقة . روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام ، وقيل : روى عن الرضا عليه السلام ، وله كتاب[(٢)].

١١١ ـ داود بن فرقد

مولى آل بني السمّال الأسدي ، كوفي ، ثقة . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن موسى عليه السلام ، وله كتاب[(٣)].

١١٢ ـ داود بن كثير

مولى بني أسد . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن موسى والرضا ، وله كتاب « الإهليلجة » ، وقد اختلف في توثيقه ، فجزم ابن الغضائري في تضعيفه ، فقال : « إنّه كان فاسد المذهب ، ضعيف الرواية ، لا يلتفت إليه » .

ووافقه النجاشي على ذلك وزاد عليه أنّ الغلاة تروي عنه ، ووثّقه الشيخان وابن فضّال والصدوق وابن طاووس وغيرهم . توفّي بعد وفاة الإمام الرضا عليه السلام بقليل[(٤)].

---

(١) الإرشاد : ٢ : ٢٤٨ . تنقيح المقال : ١ : ٤١٠ . منهج المقال : ١٢٥ . فهرست الطوسي : ١٢٥/٢٨٠ .

(٢) رجال النجاشي : ١٦٠/٤٢٢ .

(٣) رجال النجاشي : ١٥٨ و ١٥٩/٤١٥ .

(٤) رجال ابن الغضائري : ٥٨/٤٦ . رجال النجاشي : ١٥٦/٤١٠ . تنقيح المقال : ١/٤١٤ .

١١٣ ـ داود بن النعمان

مولى بني هاشم، وهو أخو عليّ بن النعمان. روى عن الإمام أبي الحسن موسى عليه السلام، وله كتاب[١].

١١٤ ـ دُرُست بن أبي منصور

الواسطي. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام. له كتاب يرويه جماعة منهم سعد بن محمّد الطاطري[٢]، وكان من الواقفيّة[٣].

حرف الذال

١١٥ ـ ذريح بن محمّد

ابن يزيد أبو الوليد المحاربي، عربي بن محارب، من بني خصفة. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام. ذكره ابن عقدة وابن نوح، وله كتاب[٤]، ووثّقه الشيخ[٥]، والعلّامة[٦]، وغيرهما.

حرف الراء

١١٦ ـ رِبْعي بن عبدالله

ابن الجارود بن أبي سبرة الهُذلي، أبو نُعيم، بصري، ثقة. روى عن أبي عبدالله

---

(١) رجال النجاشي: ٤١٩/١٥٩.

(٢) رجال النجاشي: ٤٣٠/١٦٢.

(٣) جامع الرواة: ١: ٣١٠.

(٤) رجال النجاشي: ٤٣١/١٦٣.

(٥) فهرست الطوسي: ٢٨٩/١٢٧.

(٦) رجال الحلّي: ٧٠. مجمع الرجال: ٣: ٢ ـ ٤ و: ٧: ١٠٦. منتهى المقال: ١٣٢.

وأبي الحسن عليه السلام ، وصحب الفضيل بن يسار وأكثر الأخذ عنه ، وكان خصيصاً به[١].

وقال الشيخ : « له أصل »[٢].

١١٧ ـ رفاعة بن موسى

الأسدي النخّاس . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام ، كان ثقة في حديثه ، مسكوناً إلى روايته ، لا يتعرّض عليه بشيء من الغمز ، حسن الطريقة . له كتاب مبوّب في الفرائض[٣].

ذكره العلّامة في القسم الأوّل من الخلاصة ، وورد توثيقه في الوجيزة ، ومشتركات الكاظمي ، والحاوي وغيرها[٤].

١١٨ ـ رومي بن زرارة

ابن أعين الشيباني ، مولاهم كوفي . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام ، ثقة ، قليل الحديث .

وله كتاب رواه ابن عيّاش[٥].

وورد توثيقه في الوجيزة والبلغة والحاوي[٦].

١١٩ ـ رهم الأنصاري

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٧].

---

(١) رجال النجاشي : ٤٤١/١٦٧.

(٢) فهرست الطوسي : ٢٩٤/١٢٨.

(٣) رجال النجاشي : ٤٣٨/١٦٦.

(٤) تنقيح المقال : ٤٣٣/١.

(٥) رجال النجاشي : ٤٤٠/١٦٦.

(٦) تنقيح المقال : ٤٣٥/١.

(٧) رجال الطوسي : ٥٠٠٨/٣٣٦.

حرف الزاي

١٢٠ ـ زرعة بن محمّد

الحضرمي ، ثقة . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام ، وكان قد صحب سماعة وأكثر عنه . له كتاب يرويه عنه جماعة[١].

وقال الشيخ : « إنّه واقفي المذهب »[٢].

١٢١ ـ زكريّا بن إدريس

القمّي . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن والرضا عليهم السلام ، وكان وجيهاً عند الإمام الرضا عليه السلام ، وله كتاب[٣].

١٢٢ ـ زكريّا بن عبدالصمد

القمّي ، يكنّى أبا جرير ، ثقة ، من أصحاب الإمام الكاظم والرضا عليهما السلام[٤].

١٢٣ ـ زكريّا بن عبدالله

الفيّاض أبو يحيى . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام ، وقال ابن نوح : « روى عن أبي جعفر عليه السلام ، وله كتاب يرويه جماعة عنه »[٥].

١٢٤ ـ زكريّا بن عمران

روى عن الإمام الكاظم عليه السلام في باب « الوقت » ، وذكرت روايته في الاستبصار[٦].

---

(١) رجال النجاشي : ٤٦٦/١٧٦.

(٢) رجال الطوسي : ٥٠١١/٣٣٧.

(٣) رجال النجاشي : ٤٥٧/١٧٣. جامع الرواة : ٣٣٢/١.

(٤) جامع الرواة : ٣٣٣/١. الخلاصة : ١/١٥٠. رجال ابن داود : ٦٤/٩٨.

(٥) رجال النجاشي : ٤٥٤/١٧٢. تنقيح المقال : ٤٥٠/١.

(٦) جامع الرواة : ٣٣٣/١.

١٢٥ ـ زكريّا بن محمّد

أبو عبدالله المؤمن. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن موسى عليه السلام ، ولقي الرضا عليه السلام في المسجد الحرام ، وحكى عنه ما يدلّ على أنّه من الواقفة ، وكان مختلطاً في حديثه ، له كتاب « منتحل الحديث »[١].

وورد ضعفه في الوجيزة والحاوي ، وذكره ابن النديم في الفهرست من فقهاء الشيعة.

١٢٦ ـ زياد بن أبي سلمة

كان والياً عند الحكومة العبّاسيّة ، فدخل على الإمام موسى عليه السلام ، فالتفت إليه الإمام قائلاً : **إنّكَ لَتَعْمَلُ عَمَلاً لِلسُّلْطانِ.**

ـ أجل ، أنا رجل ذو مروّة ، وعليّ عيال ، وليس وراء ظهري شيء.

ـ **يا زِيادُ ، لَئِنْ أَسْقطَ مِنْ حالِقٍ فَأَنْقَطِعَ قِطْعَةً قِطْعَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَوَلّى لأَحَدٍ مِنْهُمْ عَمَلاً ، أَوْ أَطَأَ بِساطَ أَحَدِهِمْ ، إِلّا لِتَفْرِيجِ كُرْبَةِ مُؤْمِنٍ ، أَوْ فَكِّ أَسْرِهِ ، أَوْ قَضاءِ دَيْنِهِ.**

يا زيادُ ، إِنَّ أَهْوَنَ ما يَصْنَعُ اللهُ بِمَنْ تَوَلّى لَهُمْ عَمَلاً أَنْ يَضْرِبَ عَلَيْهِمْ سُرادِقاً مِنَ النّارِ إِلى أَنْ يَفْرُغَ اللهُ مِنْ حِسابِ الْخَلْقِ.

يا زيادُ ، فَإِنْ وُلّيتَ شَيْئاً مِنْ أَعْمالِهِمْ فَأَحْسِنْ إِلى إِخْوانِكَ ، فَواحِدَةٌ بِواحِدَةٍ ، وَاللهُ مِنْ وَراءِ ذلِكَ.

يا زيادُ ، أَيُّما رَجُلٍ تَوَلّى لأَحَدٍ مِنْهُمْ عَمَلاً ثُمَّ ساوى بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ فَقولوا لَهُ : أَنْتَ مُنْتَحِلٌ كَذّابٌ.

يا زيادُ ، إِذا ذَكَرْتَ مَقْدِرَتَكَ عَلَى النّاسِ ، فَاذْكُرْ مَقْدِرَةَ اللهِ عَلَيْكَ غَداً ، وَنَفاذَ ما أَتَيْتَ بِهِ إِلَيْهِمْ عَنْهُمْ ، وَبَقاءَ ما أَبقيتَ إِلَيْهِمْ عَلَيْكَ.

---

(١) رجال النجاشي : ٤٥٣/١٧٢.

قالوا: يستفاد من هذا الخبر كونه مؤمناً ممدوحاً [١].

١٢٧ ـ زياد بن الحسن

الوشّاء: عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام [٢].

١٢٨ ـ زياد بن سلمان

البلخي: عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام [٣].

١٢٩ ـ زياد بن مروان

القندي الأنباري، أبو الفضل، مولى لبني هاشم. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، ووقف في الرضا عليه السلام، وله كتاب، وعدّه الشيخ المفيد في إرشاده من أهل الورع والعلم والفقه، وأحد رواة النصّ على إمامة عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، وقيل: إنّ السبب في رمايته بالوقف إنّه كانت عنده سبعون ألف دينار مودعة للإمام موسى عليه السلام، فلمّا توفّي الإمام جحدها وقال بالوقف [٤].

١٣٠ ـ زياد بن الهيثم

الوشّاء: عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام [٥].

١٣١ ـ زيد بن موسى

الجعفي الكوفي، من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، وهو واقفي [٦].

---

(١) أصول الكافي: ٥: ١٠٩ و ١١٠، باب شرط من أذن له في أعمالهم.

(٢) رجال الطوسي: ٥٠١٣/٣٣٧. تنقيح المقال: ٤٥٣/١.

(٣) رجال الطوسي: ٥٠١٥/٣٣٧.

(٤) رجال النجاشي: ٤٥٠/١٧١. الإرشاد: ٢: ٢٤٧ و ٢٤٨.

(٥) رجال الطوسي: ٥٠١٤/٣٣٧. تنقيح المقال: ١: ٤٦٠. جامع الرواة: ١: ٣٣٨ و: ٢: ٥٣٤. منهج المقال: ١٥١.

(٦) رجال الطوسي: ٥٠١٧/٣٣٧.

١٣٢ ـ زيد بن يونس

وقيل ابن موسى، أبو أُسامة الشحّام، مولى شديد بن عبدالرحمن بن نعيم الأزدي الغامدي، كوفي. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام. له كتاب يرويه عنه جماعة[١].

١٣٣ ـ زيد النّرسي

روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام. له كتاب يرويه عنه جماعة[٢].

حرف السين

١٣٤ ـ سالم بن مكرم

ابن عبدالله، أبو خديجة، ويقال أبو سلمة الكُناسي، مولى بني أسد. يقال: إنّ الإمام الصادق عليه السلام كنّاه بأبي سلمة، وإنّه ثقة. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام. له كتاب رواه جماعة[٣].

قال الشيخ الطوسي: «إنّه ضعيف جدّاً، وقيل: إنّه كان من أصحاب أبي الخطّاب وتاب بعد ذلك»[٤].

١٣٥ ـ سعدان بن مسلم

قيل: إنّ اسمه عبدالرحمن بن مسلم، أبو الحسن العامري، مولى أبي العلاء. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، وعمّر عمراً طويلاً، وله كتاب[٥].

---

(١) رجال النجاشي: ٤٦٢/١٧٥.

(٢) رجال النجاشي: ٤٦٠/١٧٤.

(٣) جامع الرواة: ١: ٣٤٩. رجال الكشّي: ٦٦١/٣٥٢.

(٤) رجال النجاشي: ٥٠١/١٨٨.

(٥) رجال النجاشي: ٥١٥/١٩٣.

١٣٦ ـ سعد بن أبي خلف

يُعرف بالزامّ مولى بني زُهْرة بن كلاب ، كوفي ، ثقة . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام . له كتاب يرويه جماعة منهم ابن أبي عمير[١].

عدّه ابن داود في القسم الأوّل من رجاله ، وورد توثيقه في الوجيزة والبلغة والحاوي[٢].

١٣٧ ـ سعد بن أبي عمران

الأنصاري ، واقفي من أصحاب الإمام موسى عليه السلام[٣]، وهو ضعيف[٤].

١٣٨ ـ سعد بن أبي خلف

الزام : عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ، وقال : إنّه ثقة ، وذكره العلّامة في القسم الثاني من الخلاصة[٥].

١٣٩ ـ سعد بن سعيد

البلخي : عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٦].

١٤٠ ـ سعد بن عمران

القمّي : عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٧].

---

(١) رجال النجاشي : ٤٦٩/١٩٣.

(٢) رجال ابن داود : ٦٧٤/١٠١. الوجيزة : ٣٥. مجمع الرجال : ٣: ٩٩.

(٣) رجال الطوسي : ٥٠٢٤/٣٣٨.

(٤) جامع الرواة : ١: ٣٥٣. مجمع الرجال : ٣: ١٠٠.

(٥) الخلاصة : ١/١٥٥. رجال الطوسي : ٥٠٢٩/٣٣٨.

(٦) رجال الطوسي : ٥٠٣٢/٣٣٨.

(٧) رجال الطوسي : ٥٠٣٠/٣٣٨.

١٤١ ـ سعيد بن أبي الجهم

القابوسي اللخمي[١] الكوفي ، ثقة في حديثه ، وجه بالكوفة ، وآل أبي الجهم بيت كبير بالكوفة . روى عن أبان بن تغلب فأكثر عنه ، وروى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام . له كتاب في أنواع من الفقه والقضايا والسنن[٢].

١٤٢ ـ سعيد بن جناح

كوفي الأصل ، نشأ في بغداد ومات بها ، مولى للأزد ، ويقال مولى جهينة ، وأخوه أبو عامر . روى عن أبي الحسن والرضا عليهما السلام . له كتاب في توصيف الجنّة والنار ، وكتاب « قبض روح المؤمن والكافر[٣] .

عدّه ابن داود في القسم الأوّل ، ووثّقه في الوجيزة والبلغة[٤].

١٤٣ ـ سعيد بن يسار

الضبعي ، مولى بني ضُبَيْعة بن عجل ، كوفي . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام ، ثقة . له كتاب يرويه عدّة من أصحابنا منهم محمّد بن أبي حمزة[٥].

١٤٤ ـ سلمة بن حنان

وقيل ابن حيّان كما عن الشهيد الثاني ، كان من الواقفيّة ، ذكره العلّامة في القسم الثاني من الخلاصة ، وقال : « هو غير موثوق برواياته ولا يعتمد عليها »[٦].

---

(١) **القابوسي** : نسبة إلى قابوس بن النعمان بن المنذر ملك العرب
اللخمي : نسبة إلى حيّ باليمن اسمه لخم بن عدي بن الحرث .

(٢) رجال النجاشي : ٤٧٢/١٧٩ .

(٣) رجال النجاشي : ٥١٢/١٩١ .

(٤) رجال ابن داود : ٦٨٨/١٠٣ .

(٥) رجال النجاشي : ٤٧٨/١٨١ .

(٦) الخلاصة : ٢/٣٥٤ .

١٤٥ ـ سلمة بن محمّد

كوفي. روى عن أبي الحسن. له كتاب[١].

ذكره الفاضل المجلسي في الوجيزة والبحراني في البلغة.

١٤٦ ـ سليم (مولى علي بن يقطين)

روى عن الإمام موسى عليه السلام، وروى عنه ابن أبي عمير[٢].

١٤٧ ـ سليم الفرّاء

كوفي. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، ثقة.

له كتاب يرويه جماعة منهم محمّد بن أبي عمير[٣].

١٤٨ ـ سليمان بن أبي زيد

عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٤].

١٤٩ ـ سليمان بن أبي زينبة

روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام، وروى عنه صفوان بن يحيى[٥].

١٥٠ ـ سليمان بن خالد

الخطّاب: عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٦].

---

(١) رجال النجاشي: ٤٩٩/١٨٨.

(٢) جامع الرواة: ١: ٣٧٥.

(٣) رجال النجاشي: ٥١٦/١٩٣.

(٤) رجال الطوسي: ٥٠٢٥/٣٢٨.

(٥) جامع الرواة: ٣٧٥/١.

(٦) رجال الطوسي: ٥٠٣١/٣٣٨.

١٥١ ـ سليمان بن ربعي

ابن عبدالله الهمداني : عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[١].

١٥٢ ـ سليمان المؤمن

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ، ولم يتعرّض له بمدح أو قدح[٢].

١٥٣ ـ سماعة بن مهران

ابن عبدالرحمن الحضرمي ، مولى عبد بن وائل بن حجر الحضرمي ، يكنّى أبا ناشرة ، وقيل : أبا محمّد ، كان يتّجر في القزّ ، ويخرج به إلى حرّان ، نزل في الكوفة في محلّة كندة . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام ، وله بالكوفة مسجد ، وله كتاب يرويه عنه جماعة . توفّي بالمدينة[٣].

١٥٤ ـ سنان بن طريف

الثوري : عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ، وروى عنه أبو حنيفة سائق الحجّاج[٤].

١٥٥ ـ سندي بن الربيع

البغدادي . روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام . له كتاب يرويه صفوان بن يحيى وغيره[٥].

١٥٦ ـ سهل بن اليسع

ابن عبدالله بن سعد الأشعري ، قمّي ، ثقة . روى عن الإمام الكاظم والرضا عليهما السلام ،

---

(١) رجال الطوسي : ٥٠٢٣/٣٣٧.

(٢) رجال الطوسي : ٥٠٢٤/٣٣٨.

(٣) رجال النجاشي : ٥١٧/١٩٣.

(٤) رجال الطوسي : ٥٠٢٨/٣٣٨. تنقيح المقال : ٢ : ٧٠.

(٥) رجال النجاشي : ٤٩٦/١٨٧.

وله كتاب(١).

١٥٧ ـ سيّابة بن ناجية

المدني: عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، وقال: «له كتاب»(٢).

١٥٨ ـ سيف بن عميرة

النخعي، عربي، كوفي، ثقة. روى عن أبي عبدالله عليه السلام وأبي الحسن عليه السلام. له كتاب ترويه جماعات من أصحابنا(٣).

وقال الشهيد: «وربّما ضعف سيف، والصحيح أنّه ثقة»(٤).

وعده ابن النديم من فقهاء الشيعة(٥).

حرف الشين

١٥٩ ـ شعيب بن يعقوب

العقرقوفي، ابن أُخت أبي بصير يحيى بن أبي القاسم. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، ثقة. له كتاب يرويه حمّاد بن عيسى وغيره(٦).

ودخل يعقوب على الإمام الكاظم عليه السلام، فلمّا تشرّف بالمثول بين يديه قال له: **يا يَعْقوبُ، قَدِمْتَ أَمْسِ وَوَقَعَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَخِيكَ نِزاعٌ حَتّىٰ شَتَمَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، وَلَيْسَ هٰذا دِيني، وَلا دِينُ آبائِي، وَلا نَأْمُرُ بِهٰذا أَحَداً مِنَ النّاسِ، فَاتَّقِ اللهَ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ**

---

(١) رجال النجاشي: ١٨٦/٤٩٤.

(٢) رجال الطوسي: ٣٣٧/٥٠٢٢.

(٣) رجال النجاشي: ١٨٩/٥٠٤.

(٤) الحدائق: ٢٣: ٢٨٠.

(٥) فهرست ابن النديم: ٢٧٥.

(٦) رجال النجاشي: ١٩٥/٥٢٠.

لَهُ ، أما إنَّكُما سَتَفْتَرِقانِ بِمَوْتٍ ، أما إنَّ أخاكَ سَيَموتُ في سَفَرِهِ قَبْلَ أنْ يَصِلَ إلىٰ أهْلِهِ ، وَسَتَنْدَمُ أنْتَ عَلىٰ ما كانَ مِنْكَ ، وَذلِكَ أنَّكُما تَقاطَعْتُما فَبَتَرَ اللهُ أعْمارَكُما »(١).

وورد توثيقه في الوجيزة والبلغة والحاوي.

حرف الصاد

١٦٠ ـ صالح بن خالد

المحاملي ، أبو شعيب الكناسي ، مولى عليّ بن الحكم بن الزبير. روى عن الإمام الكاظم عليه السلام. له كتاب يرويه عنه جماعة ، منهم عبّاس بن معروف(٢) ، ووثّقه الشيخ في رجاله في باب الكنى ، كما ورد توثيقه في الوجيزة والبلغة.

١٦١ ـ صالح بن سعيد

الأحول : عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ، وأضاف أنّه مجهول الحال(٣).

١٦٢ ـ صباح بن موسى

الساباطي ، ثقة. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام(٤).

١٦٣ ـ صفوان بن مهران

ابن المغيرة الأسدي الكوفي ، ثقة. له كتاب. روى عن أبي عبدالله عليه السلام(٥).

دخل على الإمام موسى عليه السلام فقال له : يا صَفْوانُ ، كُلُّ شَيْءٍ مِنْكَ حَسَنٌ جَميلٌ ،

---

(١) رجال الكشّي : ٨٣١/٤٤٣.

(٢) رجال النجاشي : ٥٣٥/٢٠١.

(٣) رجال الطوسي : ٥٠٣٦/٣٣٨.

(٤) تنقيح المقال : ٩٢/٢.

(٥) رجال النجاشي : ٥٢٥/١٩٨.

ما خَلا شَيْئاً واحِداً.

- جعلت فداك ، أي شيء ؟!

- **كِراؤُكَ جِمالَكَ مِنْ هـٰذَا الرَّجُلِ** ـ يعني هارون ـ.

- والله ما أكريته أشراً ولا بطراً ، ولا للصيد ولا للّهو ، ولكن أكريته لهذا الطريق ـ يعني طريق مكّة ـ ولا أتولّاه بنفسي ، ولكن أبعث معه غلماني .

- **يا صَفْوانُ ، أَيَقَعُ كِراكَ عَلَيْهِمْ ؟**

- نعم ، جعلت فداك .

- **أَتُحِبُّ بَقاءَهُمْ حَتَّىٰ يَخْرُجَ كِراؤُكَ ؟**

- نعم .

- **مَنْ أَحَبَّ بَقاءَهُمْ فَهُوَ مِنْهُمْ ، وَمَنْ كانَ مِنْهُمْ كانَ وارِداً لِلنّارِ .**

وقام صفوان بالوقت فباع جماله ، وأعرض عن مهنته ، فبلغ ذلك هارون ، فأرسل خلفه ، فلمّا مثل عنده قال له وهو يتميّز من الغيظ :

- يا صفوان ، بلغني أنّك بعت جمالك .

- نعم .

- ولِمَ ؟

- أنا شيخ كبير ، وإنّ الغلمان لا يفون بالأعمال .

- هيهات هيهات !! إنّي لأعلم مَن أشار عليك بهذا ، أشار عليك بهذا موسى بن جعفر .

- ما لي ولموسى بن جعفر .

- دع عنك هذا ، فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتك[(١)] .

---

(١) رجال الكشّي : ٤٤٠ و ٨٢٨/٤٤١ .

ودلّ هذا الحديث على حسن إيمانه وعقيدته ، وقد ورد توثيقه في الوجيزة والبلغة .

١٦٤ ـ صفوان بن يحيى

أبو محمّد البجلي بيّاع السابري ،كوفي ، ثقة . قال الشيخ الطوسي : « إنّه أوثق أهل زمانه عند أصحاب الحديث وغيرهم ، وكان يصلّي في كلّ يوم وليلة خمسين ومائة ركعة ، ويصوم في السنة ثلاثة أشهر ، ويخرج زكاة ماله في كلّ سنة ثلاث مرّات ، والسبب في ذلك أنّه تعاقد هو وعبدالله بن جندب وعليّ بن النعمان في بيت الله الحرام أنّه إن مات واحد منهم أن يقوم من بقي منهم بالصلاة والزكاة والحجّ عنهم ، فمات صاحباه وبقي صفوان ، فوفى لهما بذلك ، فكان جميع ما يفعله من البرّ والخير يجعله ثلاثة أقسام ، قسم له وقسمان لصاحبيه .

وكان من الزهّاد المحتاطين ، فقد كلّفه شخص وهو مسافر أن يحمل معه دينارين إلى أهله في الكوفة ، فقال له : إنّ جمالي مكريّة فلا بدّ أن أستأذن الأُجراء .

ويكفي للتدليل على وثاقته أنّه كان له منزلة عند الإمام الرضا عليه السلام ، وكان وكيلاً له .

وصنّف ثلاثين كتاباً ، منها كتاب « الصلاة » ، كتاب « الصوم » ، كتاب « الحجّ » ، كتاب « الزكاة » ، كتاب « الطلاق » ، كتاب « الفرائض » ، كتاب « الشراء والبيع » ، كتاب « العتق والتدبير » ، كتاب « البشارات » ، « مسائل عن أبي الحسن موسى » ، وغير ذلك .

توفّي سنة (٢١٠هـ) بالمدينة ، وبعث إليه أبو جعفر بحنوطه وكفنه ، وأمر إسماعيل ابن موسى بالصلاة عليه[١] .

---

(١) فهرست الطوسي : ١٤٥ و ٣٥٦/١٤٦ . رجال النجاشي : ٥٢٤/١٩٧ .

١٦٥ ـ صندل بن محمّد

ابن الحسن الأنباري : عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[(١)].

حرف الضاد

١٦٦ ـ الضحّاك الحضرمي

أبو مالك ، كوفي عربي ، أدرك أبا عبدالله عليه السلام ، وقال قوم : إنّه روى عنه ، وقال آخرون : لم يروِ عنه وروى عن أبي الحسن موسى عليه السلام ، وكان متكلّماً ، ثقة في الحديث . له كتاب في التوحيد رواه عليّ بن الحسن الطّاطري[(٢)].

حرف العين

١٦٧ ـ عاصم بن الحسن

عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ، وقال : إنّه مجهول[(٣)].

١٦٨ ـ عبّاس بن عامر

عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام عليه السلام[(٤)].

١٦٩ ـ عبدالحميد بن سالم

العطّار الكوفي ، ثقة . روى عن الإمام الكاظم عليه السلام[(٥)].

---

(١) رجال الطوسي : ٥٠٣٩/٣٣٨.

(٢) رجال النجاشي : ٥٤٦/٢٠٥.

(٣) رجال الطوسي : ٥٠٨١/٣٤١.

(٤) رجال الطوسي : ٥٠٧٧/٣٤١.

(٥) الخلاصة : ٣/٢٠٧.

١٧٠ ـ عبدالحميد بن سعيد

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، وروى عنه صفوان بن يحيى[١].

١٧١ ـ عبدالحميد بن عواض

الطائي الكسائي: عدّه الشيخ من أصحاب الإمام أبي عبدالله عليه السلام والإمام الكاظم عليه السلام، وقال: إنّه ثقة[٢].

١٧٢ ـ عبدالرحمن بن الحجّاج

البجلي، مولاهم، كوفي، بيّاع السابري، سكن بغداد. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن، اعتنق مذهب الكيسانيّة، ورجع بعد ذلك إلى الحقّ، وأقرّ بالأئمّة عليهم السلام. له كتب يرويها عنه جماعات من أصحابنا[٣].

وكان أبو عبدالله عليه السلام يقول له: **يا عَبْدَالرَّحْمنِ، كَلِّمْ أَهْلَ الْمَدِينَةِ، فَإِنّي أُحِبُّ أَنْ يُرىٰ في رِجالِ الشّيعَةِ مِثْلُكَ**.

توفّي في حياة الإمام الرضا عليه السلام[٤].

١٧٣ ـ عبدالرحمن بن يحيى

العقيلي: عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٥].

١٧٤ ـ عبدالكريم بن عتبة

القرشي، الهاشمي، اللهبي: عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام.

---

(١) رجال الطوسي: ٥٠٦٥/٣٤٠.

(٢) رجال الطوسي: ٥٠٤٥/٣٣٩.

(٣) رجال النجاشي: ٢٣٨ و ٦٣٠/٢٣٩.

(٤) جامع الرواة: ١: ٤٤٧.

(٥) رجال الطوسي: ٥٠٦٤/٣٤٠، وفي نسخة: «عبدالله».

روى عن أبي عبدالله عليه السلام ، وهو ثقة[١].

١٧٥ ـ عبدالكريم بن عمرو

ابن صالح الخثعمي ، مولاهم ، كوفي . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام ، وكان واقفيّاً ، وهو ثقة ، عين ، يلقّب (كَرّاماً) . له كتاب يرويه عدّة من أصحابنا[٢].

ولكنّ الشيخ قال : « إنّه واقفي خبيث »[٣].

وقال ابن الغضائري : « إنّ الواقفيّة تدّعيه والغلاة تروي عنه كثيراً ، والذي أراه التوقّف فيما يرويه »[٤].

١٧٦ ـ عبدالله بن جبلة

ابن حيّان بن أبجر : عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٥].

قال النجاشي : « كان واقفاً ، وكان فقيهاً ، ثقة ، مشهوراً . له كتب منها : كتاب « الرجال » ، وكتاب « الصفة في الغيبة على مذهب الواقفة » ، كتاب « الصلاة » ، كتاب « الزكاة » ، كتاب « الفطرة » ، كتاب « الطلاق » ، كتاب « النوادر » ، أخبر بجميعها الحسين بن عبيدالله . توفّي سنة ٢١٩هـ[٦].

١٧٧ ـ عبدالله بن جندب

البجلي ، عربي ، كوفي : عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم والرضا عليهما السلام[٧].

---

(١) رجال الطوسي : ٥٠٥٢/٣٣٩.

(٢) رجال النجاشي : ٦٤٥/٢٤٥.

(٣) رجال الطوسي : ٥٠٥١/٣٣٩.

(٤) رجال ابن الغضائري : ١٧٥/١١٤.

(٥) رجال الطوسي : ٥٠٧٢/٣٤١.

(٦) رجال النجاشي : ٥٦٣/٢١٦.

(٧) رجال الطوسي : ٥٠٥٩/٣٤٠.

قال الشيخ الطوسي: «كان وكيلاً للإمام موسى وولده الرضا، وكان عابداً، رفيع المنزلة»[١].

وروى الكشّي في حقّه أنّه قال عبدالله بن جندب للإمام أبي الحسن: ألست عنّي راضياً؟

قال: **إي وَاللهِ، وَرَسولُ اللهِ، وَاللهُ عَنْكَ راضٍ.**

قال: قيل لأبي الحسن: إنّ يونس مولى آل يقطين يزعم أنّ مولاكم والمتمسّك بطاعتكم عبدالله بن جندب يعبد الله على سبعين حرفاً ويقول: إنّه شاكّ.

فقال عليه السلام: **هُوَ وَالله أَوْلىٰ بِأَنْ يَعْبُدَ اللهَ عَلىٰ حَرْفٍ، ما لَهُ وَلِعَبْدِاللهِ بنِ جُنْدُبٍ، إنَّ عَبْدَاللهِ لَمِنَ الْمُخْبِتينَ**[٢].

وعن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، قال: «رأيت عبدالله بن جندب بالموقف ـ أي موقف عرفة ـ فلم أرَ موقفاً كان أحسن من موقفه، ما زال مادّاً يده إلى السماء، ودموعه تسيل على خدّيه حتّى تبلغ الأرض، فلمّا انصرف الناس.

قلت له: يا أبا محمّد، ما رأيت قطّ أحسن من موقفك!

قال لي: والله ما دعوت فيه إلّا لإخواني، وذلك لأنّ أبا الحسن موسى عليه السلام أخبرني **أنَّهُ مَنْ دَعا لأَخيهِ الْمُؤْمِنِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ نودِيَ مِنَ الْعَرْشِ، وَلَكَ بِكُلِّ واحِدَةٍ مائَةُ أَلْفٍ**، وكرهت أن أدع مائة ألف لواحدة لا أدري تستجاب أم لا؟[٣]

وقد وثق الرجل في الوجيزة والحاوي ومشتركات الطريحي، وقد أجمع المترجمون له أنّه لم يغمز بوجه وأنّه ثقة بلا خلاف[٤].

---

(١) جامع الرواة: ١: ٤٧٩.

(٢) رجال الكشّي: ١٠٩٨/٥٨٦.

(٣) الروضة: ٨: ١٦٢.

(٤) تنقيح المقال: ٢: ١٧٥.

١٧٨ ـ عبدالله بن الحارث

المخزومي ، أمّه من ولد جعفر بن أبي طالب ، وقد وثّقه الشيخ المفيد في الإرشاد ، وعدّه من خاصّة الإمام الكاظم عليه السلام وثقاته ، ومن أهل الورع والعلم والفقه(١).

١٧٩ ـ عبدالله بن حمّاد

الأنصاري : عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ، وقال : له كتاب(٢).

١٨٠ ـ عبدالله بن خداش

قال النجاشي : «أبو خِداش المَهْرِيّ ضعيف جدّاً ، وفي مذهبه ارتفاع . له كتاب أخبرنا به ابن شاذان»(٣).

وقال الكشّي : «قال محمّد بن مسعود : حدّثني يوسف بن السخت ، قال : سمعت أبا خدّاش يقول : ما صافحت ذمّيّاً قطّ ، ولا دخلت بيت ذمّي ، ولا شربت دواءاً قطّ ، ولا افتصدت ، ولا تركت غسل الجمعة قطّ ، ولا دخلت على والٍ قطّ ، ولا دخل عليّ قاض قطّ»(٤).

١٨١ ـ عبدالله بن سنان

ابن طريف مولى بني هاشم ، قيل : مولى لبني أبي طالب . وقيل : مولى لبني العبّاس ،كان خازناً للمنصور والمهدي والهادي والرشيد ،كوفي ، ثقة ، من أصحابنا ، جليل ، لا يُطعن عليه في شيء . روى عن الإمام الصادق عليه السلام(٥).

---

(١) تنقيح المقال : ٢ : ١٧٦.

(٢) رجال الطوسي : ٥٠٦٢/٣٤٠.

(٣) رجال النجاشي : ٦٠٤/٢٢٨.

(٤) رجال الكشّي : ٨٤/٤٤٧.

(٥) رجال النجاشي : ٥٥٨/٢١٤.

وعدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه‌السلام ، وقال : « له كتاب يوم وليلة »[١].

١٨٢ ـ عبدالله بن صالح

الخثعمي . روى عن الإمام الصادق وولده موسى عليهما‌السلام ، وعن عليّ بن أبي حمزة ، قال : « أرسلني أبو الحسن موسى إلى عبدالله بن صالح ، وأعطاني ثمانية عشر درهماً ، وقال قل له : **يَقولُ لَكَ أبو الْحَسَنِ : انْتَفِعْ بِهٰذِهِ الدَّراهِمِ ، فَإنَّها تَكْفيكَ حَتّىٰ تَموتَ** ، وساق حديثاً طويلاً .

إلى أن قال : فلمّا توفّي عبدالله بعت داره ، وحملت الثمن إلى أبي الحسن ، وأخبرته بما أوصاني به ، فقال عليه‌السلام : **رَحِمَهُ اللهُ ، قَدْ كانَ مِنْ شيعَتِنا** ، وترحّم الإمام يدلّ على توثيقه[٢].

١٨٣ ـ عبدالله بن عثمان

الخيّاط : عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه‌السلام ، وقال : « إنّه واقفي »[٣].

وكذا ذكره العلّامة في الخلاصة[٤].

١٨٤ ـ عبدالله بن غالب

الأسدي ، الشاعر ، الفقيه . روى عن أبي جعفر وأبي عبدالله وأبي الحسن عليهم‌السلام ، ثقة . له كتاب[٥].

١٨٥ ـ عبدالله بن القاسم

الحضرمي ، المعروف بالبطل ، كذّاب ، غال . يروي عن الغلاة ، لا خير فيه

---

(١) رجال الطوسي : ٥٠٥٣/٣٣٩ .

(٢) جامع الرواة : ١ : ٤٩٢ . تنقيح المقال : ٢ : ١٨٨ .

(٣) رجال الطوسي : ٥٠٨٦/٣٤١ ، وفي نسخة : « الحنّاط » .

(٤) الخلاصة : ٨/٣٧٠ .

(٥) رجال النجاشي : ٥٨٢/٢٢٢ .

ولا يعتمد على روايته. له كتاب يرويه عنه جماعة[١].

١٨٦ ـ عبدالله بن محمّد

الأهوازي، ذكر بعضهم أنّه رأى له مسائل عن الإمام موسى عليه السلام[٢].

١٨٧ ـ عبدالله بن محمّد

الشعيري اليماني: عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٣].

١٨٨ ـ عبدالله بن المرحوم

الأزدي: عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٤]، وذكر الصدوق في العيون عن عبدالله بن مرحوم، قال: «خرجت من البصرة أُريد المدينة، فلمّا صرت في بعض الطريق لقيت أبا إبراهيم عليه السلام، وكان في طريقه إلى الاعتقال في البصرة، فأرسل عليه السلام نحوي، فلمّا مثلت عنده، دفع إليّ كتباً وأمرني أن أُوصلها إلى المدينة، فقلت له: إلى من أدفعها جعلت فداك؟

فقال: **إلى ابْنِي عَلِيٍّ، فَإِنَّهُ وَصِيّي (وَالْقَيِّمُ) بِأَمْرِي**[٥].

١٨٩ ـ عبدالله بن مسكان

أبو محمّد، مولى عنزة، ثقة، عين. روى عن أبي الحسن عليه السلام، وقيل: إنّه روى عن أبي عبدالله عليه السلام. له كتب، منها: كتاب في الإمامة، وكتاب في الحلال والحرام[٦].

---

(١) رجال النجاشي: ٥٩٤/٢٢٦.

(٢) رجال النجاشي: ٥٩٨/٢٢٧.

(٣) رجال الطوسي: ٥٠٨٠/٣٤١.

(٤) رجال الطوسي: ٥٠٧٥/٣٤١.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢: ٣٦، الحديث ١٣.

(٦) رجال النجاشي: ٥٥٩/٢١٤.

وقال الكشّي: «هو ممّن أجمعت العصابة على تصحيح ما يصحّ عنهم وتصديقهم لما يقولون، وأقرّوا لهم بالفقه. توفّي في أيّام أبي الحسن موسى عليه السلام»(١).

١٩٠ ـ عبدالله بن المغيرة

قال النجاشي: «هو أبو محمّد البجلي، مولى جُنْدَب بن عبدالله بن سفيان العلقيّ، كوفي، ثقة، لا يعدل به أحد لجلالته ودينه وورعه. روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام. قيل: إنّه صنّف ثلاثين كتاباً، والذي رأيت أصحابنا يعرفون منها كتاب «الوضوء» وكتاب «الصلاة»، وقد روى هذه الكتب كثير من أصحابنا»(٢).

وقال الكشّي: «قال عبدالله بن المغيرة: كنت واقفاً فحججت على تلك الحالة، فلمّا صرت بمكّة خلج في صدري شيء، فتعلّقت بالملتزم، فقلت: اللّهمّ قد علمت طلبتي وإرادتي، فأرشدني إلى خير الأديان، فوقع في نفسي أن آتي الرضا عليه السلام، فأتيت المدينة ووقفت على باب الرضا، وقلت للغلام: قل لمولاك: رجل من أهل العراق بالباب، فسمعت نداء الإمام الرضا عليه السلام وهو يقول: **ادْخُلْ يا عَبْدَاللهِ بْنَ الْمُغيرَةِ**، فدخلت.

فلمّا نظر إليّ قال: **قَدْ أجابَ اللهُ دَعْوَتَكَ، وَهداكَ لِدينِهِ**.

فقلت: أشهد أنّك حجّة الله وأمينه على خلقه»(٣).

١٩١ ـ عبدالله بن يحيى

قال النجاشي: «هو أبو محمّد الكاهلي، عربي، أخو إسحاق، رويا عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، وكان عبدالله وجهاً عند أبي الحسن ووصّى به عليّ بن يقطين، فقال له: **اضْمَنْ لي الْكاهِلِيَّ وَعِيالَهُ، أَضْمَنْ لَكَ الْجَنَّةَ**، وقال محمّد بن عَبْدَة:

---

(١) رجال الكشّي: ٧٠٥/٣٧٥.

(٢) رجال الكشّي: ٥٦١/٢١٥.

(٣) رجال الكشّي: ١١١٠/٥٩٤.

الناسب عبدالله بن يحيى الذي يقال له الكاهلي، هو تميمي النسب، وله كتاب يرويه جماعة، منهم أحمد بن محمّد بن أبي نصر»[١].

وقال الكشّي: «دخل عبدالله الكاهلي على أبي الحسن موسى عليه السلام، فقال له الإمام: **اعْمَلْ خَيْراً في سَنَتِكَ هـٰذِهِ، فَإِنَّ أَجَلَكَ قَدْ دَنا**، فأخذ عبدالله يبكي، فقال له الإمام: ما يبكيك؟

- جعلت فداك، نعيت إليَّ نفسي.
- **أَبْشِرْ فَإِنَّكَ مِنْ شيعَتِنا**.

وتوفّي عبدالله بعد ذلك بيسير[٢].

١٩٢ ـ عبدالله القصير

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، وقال: «إنّه واقفي»[٣].

١٩٣ ـ عبدالله النخّاس

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام موسى عليه السلام، وقال: «إنّه واقفي»[٤].

١٩٤ ـ عبدالملك بن حكيم

الخثعمي، كوفي، ثقة، عين. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام. له كتاب يرويه جماعة[٥].

١٩٥ ـ عبدالملك بن عُتْبَة

الصيرفي، كوفي، ثقة. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام. له الكتاب

---

(١) رجال النجاشي: ٢٢١ و ٢٢٢/٥٨٠.

(٢) رجال الكشّي: ٤٤٨/٨٤٢.

(٣) رجال الطوسي: ٣٤١/٥٠٨٧، وفي نسخة: «عبدالله بن القصير».

(٤) رجال الطوسي: ٣٤١/٥٠٨٨.

(٥) رجال النجاشي: ٢٣٩/٦٣٦.

المنسوب إلى عبدالملك بن عتبة الهاشمي اللهبي[١].

١٩٦ ـ عثمان بن عيسى

أبو عمرو العامريّ الكلابيّ، من ولد عُبيد بن رُؤاس، كان شيخ الواقفة ووجهها، وأحد الوكلاء المستبدّين بمال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام. روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام[٢].

وذكر نصر بن الصباح: أنّ عثمان بن عيسى كان واقفاً، وكان وكيلاً لأبي الحسن موسى، وكان في يده مال للإمام الرضا عليه السلام، فأنكره، فسخط عليه الامام، ثمّ تاب وبعث بالمال إليه[٣].

صنّف كتباً، منها: كتاب «المياه»، وكتاب «القضايا والأحكام»، وكتاب «الوصايا»، وكتاب «الصلاة»[٤].

١٩٧ ـ عليّ بن أبي حمزة[٥]

مولى للأنصار، كوفي، كان قائداً لأبي بصير يحيى بن (أبي) القاسم. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، كان من عيون الواقفيّة ومن دعائمها[٦].

قال فيه ابن الغضائري: «إنّه أصل الوقف، وأشدّ الخلق عداوة للولي ـ يعني الإمام الرضا عليه السلام ـ»[٧].

---

(١) معجم رجال الحديث: ١١: ٧٣٠١/٢٢.

(٢) رجال النجاشي: ٨١٧/٣٠٠.

(٣) رجال الكشّي: ٥٩٧ و ١١١٧/٥٩٨.

(٤) رجال النجاشي: ٨١٧/٣٠٠.

(٥) أبو حمزة، اسمه سالم البطائني.

(٦) رجال النجاشي: ٦٥٦/٢٤٩.

(٧) رجال ابن الغضائري: ١٠٧/٨٣.

وقال عليّ بن الحسن بن فضّال: «عليّ بن أبي حمزة كذّاب، متّهم، ملعون»[(١)].

وقد وردت أخبار كثيرة في ذمّه. روى أحمد بن محمّد، قال: «وقف عليّ أبو الحسن الرضا عليه السلام في بني زريق[(٢)] فقال لي: يا أَحْمَدُ.

- لبّيك.

- إِنَّهُ لَمّا قُبِضَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله جَهِدَ النّاسُ في إِطْفاءِ نورِ اللهِ، فَأَبَى اللهُ إِلّا أَنْ يُتِمَّ نورَهُ بِأَميرِ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام، وَلَمّا تُوُفِّيَ أَبو الْحَسَنِ موسى عليه السلام جَهِدَ عَلِيُّ بْنُ أَبي حَمْزَةَ في إِطْفاءِ نورِ اللهِ، فَأَبَى اللهُ إِلّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ.

وَإِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ إِذا دَخَلَ فيهِمْ داخِلٌ سُرُّوا بِهِ، وَإِذا خَرَجَ مِنْهُمْ خارِجٌ لَمْ يَجْزَعوا عَلَيْهِ، وَذلِكَ لأَنَّهُمْ عَلى يَقينٍ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَإِنَّ أَهْلَ الْباطِلِ إِذا دَخَلَ فيهِمْ داخِلٌ سُرُّوا بِهِ، وَإِذا خَرَجَ مِنْهُمْ خارِجٌ جَزِعوا عَلَيْهِ، وَذلِكَ لأَنَّهُمْ عَلى شَكٍّ مِنْ أَمْرِهِمْ.

إِنَّ اللهَ جَلَّ جَلالُهُ يَقولُ: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾[(٣)].

ثمّ قال: قال أبو عبدالله: الْمُسْتَقَرُّ: الثّابِتُ، وَالْمُسْتَوْدَعُ: الْمُعارُ»[(٤)].

وتواترت الأخبار في ذمّه وقدحه، وكان السبب في وقفه أنّه كانت بيده ثلاثون ألف دينار للإمام موسى عليه السلام، فلمّا توفّي الإمام أخذها ولم يدفعها إلى وليّ عهده.

صنّف كتباً، منها: كتاب «الصلاة»، وكتاب «الزكاة»، وكتاب «التفسير»، وغيرها[(٥)].

---

(١) رجال الكشّي: ٧٥٥/٤٠٣.

(٢) بنو زريق: طائفة من الأنصار تقطن بالمدينة.

(٣) الأنعام ٦: ٩٨.

(٤) رجال الكشّي: ٨٣٧/٤٤٥.

(٥) رجال النجاشي: ٦٥٦/٢٥٠.

توفّي في حياة الإمام الرضا عليه السلام، ولمّا أُخبر الإمام بهلاكه قال: «قَدْ دَخَلَ النّارَ»[1].

١٩٨ ـ عليّ بن جعفر

أخو الإمام موسى عليه السلام، ثقة، جليل، من عيون الهاشميّين ومن خيارهم، وفي طليعة الرواة الثقات. روى عن أبيه، وبعد وفاته اختصّ بأخيه موسى، وروى عنه الشيء الكثير، وقد أفرد المجلسي في بحاره فصلاً لرواياته عنه، وقد أُلّف رسالة في الأحاديث التي رواها عن أخيه موسى، وكان قويّ الايمان، صلب العقيدة، دخل عليه بعض الواقفيّة فقال له: ما فعل أخوك أبو الحسن؟

- قد مات.
- وما يدريك بذلك؟
- قسّمت أمواله، ونطق الناطق من بعده.
- ومن الناطق؟
- ابنه عليّ.

قال: فما فعل؟

قال له: مات.

قال: ومن الناطق بعده؟

قال له: أبو جعفر.

فالتفت إليه الواقفي وهو يحاول العبث به والاغراء قائلاً له: أنت في سنّك وقدرك، وأبوك جعفر بن محمّد تقول هذا القول في هذا الغلام!

ولم يخف عليه هذا الخداع فرمقه بطرفه، وقال له: ما أراك إلّا شيطاناً، ثمّ أخذ

(١) رجال الكشّي: ٨٣٣/٤٤٤.

بلحيته فرفعها إلى السماء ، وقال : ما حيلتي إن كان الله رآه أهلاً لهذا ، ولم يرَ هذه الشيبة لهذا أهلاً »[١].

ودلّت هذه البادرة على مدى إيمانه وعقيدته ، ألّف كتاباً في الحلال والحرام[٢].

روى عنه جماعة منهم ابنه أحمد بن عليّ وأحمد بن محمّد ، وحفيده عبدالله بن الحسن . توفّي سنة ٢١٠هـ[٣].

١٩٩ ـ عليّ بن حديد

ابن حكيم المدائني الأزدي الساباطيّ . روى عن الإمام أبي الحسن موسى عليه السلام ، وله كتاب[٤].

٢٠٠ ـ عليّ بن الحسن

الطّاطري[٥] ، يكنّى أبا الحسن ، وكان فقيهاً ثقةً في حديثه ، ومن وجوه الواقفيّة وشيوخهم . له كتب منها : « التوحيد » ، « الإمامة » ، « الوفاة » ، « الصلاة » ، « المتعة » ، « الفرائض » ، « الغيبة » ، « المعرفة » ، « النكاح » ، « الطلاق » ، « الحجّ » ، « الولاية » ، « الحيض » ، « النفاس »[٦].

قال الشيخ في ترجمته : «كان شديد العناد في مذهبه ، صعب العصبيّة على من خالفه من الإماميّة ، وله كتب كثيرة في نصرة مذهبه »[٧].

---

(١) رجال الكشّي : ٨٠٣/٤٢٩.

(٢) رجال الكشّي : ٦٦٢/٢٥٢.

(٣) تهذيب التهذيب : ٧: ٩٣.

(٤) رجال النجاشي : ٧١٧/٢٧٤.

(٥) **الطاطري** : نسبة إلى بيع الثياب الطاطريّة المنسوبة إلى طاطري . قال الحموي في معجم البلدان : «إنّ كلّ من يبيع الكرابيس والثياب البيض يسمّى بمصر ودمشق طاطريّاً».

(٦) رجال النجاشي : ٦٦٧/٢٥٥.

(٧) فهرست الطوسي : ٣٩٠/١٥٦.

٢٠١ ـ عليّ بن حمزة

ابن الحسن بن عبيدالله بن العبّاس ابن أمير المؤمنين ﷺ ، وهو والد سيّدنا حمزة المدفون بقرب الحلّة الذي يزار ويتبرّك بقبره ، وهو ثقة . روى وأكثر الرواية ، له نسخة يرويها عن الإمام موسى ﷺ[١].

٢٠٢ ـ عليّ بن الخطّاب

الحلّال : عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الكاظم ﷺ ، وأضاف أنّه واقفي[٢].

٢٠٣ ـ عليّ بن رئاب

أبو الحسن مولى جَرْم ـ بطن من قضاعة ـ ، وقيل : مولى بني سعد بن بكر ، الطحّان ، كوفي . روى عن أبي عبدالله ، ذكره أبو العبّاس وغيره ، وروى عن أبي الحسن ﷺ . له كتب ، منها : « الوصيّة والإمامة » ، وكتاب « الديات »[٣].

قال الشيخ : « إنّه ثقة ، جليل القدر . له أصل كبير »[٤].

٢٠٤ ـ عليّ بن سعيد

عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الكاظم ﷺ ، وقال : « إنّه واقفي »[٥].

٢٠٥ ـ عليّ بن سويد

التمّار : عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الكاظم ﷺ[٦] ، والظاهر أنّه إمامي[٧].

---

(١) رجال النجاشي : ٢٧٣ و ٢٧٣.

(٢) رجال الطوسي : ٥٠٨٣/٣٤١.

(٣) رجال النجاشي : ٦٥٧/٢٥٠.

(٤) فهرست الطوسي : ٣٧٥/١٥١.

(٥) رجال الطوسي : ٥٠٨٤/٣٤١.

(٦) رجال الطوسي : ٥٠٥٥/٣٤٠.

(٧) رجال الطوسي : ٥٠٥٥/٣٤٠.

٢٠٦ ـ عليّ بن سويد

السائي[١]. روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام، وقيل: إنّه روى عن أبي عبدالله عليه السلام، وروى رسالة لأبي الحسن موسى عليه السلام[٢].

وسنذكر نصّها عند التحدّث عن أحوال الإمام في سجنه، وورد توثيقه في الوجيزة والحاوي والبلغة.

٢٠٧ ـ عليّ بن عبدالحميد

الضبيّ: عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٣].

والظاهر أنّه إمامي مجهول الحال[٤].

٢٠٨ ـ عليّ بن عبيدالله

ابن الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال فيه النجاشي: «إنّه أزهد آل أبي طالب وأعبدهم في زمانه، اختصّ بالإمام موسى عليه السلام والإمام الرضا عليه السلام»، وقال: «إنّ له كتاباً في الحجّ يرويه كلّه عن الإمام موسى عليه السلام»[٥].

٢٠٩ ـ عليّ بن عطيّة

عدّه الشيخ في رجاله من غير توصيف من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٦].

وقال في الفهرست: إنّ له كتاباً[٧].

---

(١) السائي: نسبة إلى ساية من قرى المدينة المنوّرة، وقيل: إنّها قرية بمكّة، وقيل: واد بين الحرمين.

(٢) رجال النجاشي: ٧٢٤/٢٧٦.

(٣) رجال الطوسي: ٥٠٥٧/٣٤٠.

(٤) تنقيح المقال: ٢: ٢٩٤.

(٥) رجال النجاشي: ٦٧١/٢٥٦.

(٦) رجال الطوسي: ٥٠٤٨/٣٣٩.

(٧) فهرست الطوسي: ٤٢٠/١٦٢.

٢١٠ ـ عليّ بن عيسى

ابن رزين: عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[١].

والظاهر كونه إماميّاً مجهول الحال[٢].

٢١١ ـ عليّ بن ميمون

الصائغ، لقبه أبو الأكراد. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام. له كتاب يرويه عنه جماعة[٣].

٢١٢ ـ عليّ بن يقطين

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٤].

٢١٣ ـ عليّ بن يقطين

ابن موسى البغدادي، مولى لبني أسد، من وجوه هذه الطائفه ومن أعيانها. له المنزلة المرموقة، والمكانة العليا عند الإمام أبي الحسن موسى عليه السلام، ونقدّم عرضاً موجزاً لبعض شؤونه وأحواله:

ولادته: ولد بالكوفة سنة ١٢٤هـ[٥]، وذلك في أواخر دولة الأمويّين.

نشأته: نشأ بالكوفة وبها ترعرع، وكان بها يبيع الأبزار[٦].

وكان أبوه يقطين ممّن يقول بالإمامة، وكان يحمل الأموال والألطاف إلى الإمام

---

(١) رجال الطوسي: ٥٠٨٢/٣٤١.

(٢) معجم رجال الحديث: ١٣: ١١٧.

(٣) رجال النجاشي: ٧١٢/٢٧٢.

(٤) رجال الطوسي: ٥٠٥٦/٣٤٠.

(٥) فهرست ابن النديم: ٣٢٨. رجال النجاشي: ٧١٥/٢٧٣.

(٦) رجال الكشّي: ٨٠٥/٤٣٠. البزر: جمع أبزار، ما يطيّب به الطعام كالفلفل.

الصادق عليه السلام(١).

وكان من دعاة الدولة العبّاسيّة، فطلبه مروان الحمار، فهرب منه، وهربت زوجته بولديها عليّ وعبيدالله إلى المدينة، ولمّا انتهت الدولة الأمويّة وتشكّلت الحكومة العبّاسيّة عادت بولديها إلى وطنها، وفي ذلك الوقت ظهر أمر يقطين وانتشر صيته، فقد اتّصل بأبي العبّاس السفّاح وبالمنصور والمهدي، وقد وشي عليه بأنّه يذهب إلى (الإمامة)، ولكنّ الله تعالى صرف عنه كيد الغادرين به.

ولمّا انتقل يقطين إلى دار الحقّ قام ولده عليّ مقامه، فاتّصل اتّصالاً وثيقاً بالعبّاسيّين، وتولّى بعض المناصب المهمّة في الدولة، وكان في نفس الوقت غوثاً وعوناً للشيعة، يدفع عنهم الخطوب والكوارث، وكان من عيون المؤمنين والصالحين، فكان يستنيب جماعة في كلّ سنة ليحجّوا عنه، فقد حدّث سليمان بن الحسين كاتبه، فقال: «أحصيت لعليّ بن يقطين من يحجّ عنه في عام واحد مائة وخمسين رجلاً، أقلّ من أعطاه منهم سبعمائة درهم، وأكثر من أعطاه عشرة آلاف درهم».

وحدّث العبيدي، عن يونس، أنّه أحصى لعليّ بن يقطين في الموقف مائة وخمسين ملبّياً(٢).

وقد أنفق أموالاً ضخمة في وجوه البرّ والإحسان، فقد أوصل الإمام بصلات كبيرة تتراوح ما بين المائة ألف درهم إلى ثلاثمائة ألف درهم، وقد زوّج ثلاثة أو أربعة من أولاد الإمام، منهم أبو الحسن الرضا عليه السلام، وكان المهر الذي دفعه لهم عشرة آلاف دينار، كما دفع ثلاثة آلاف دينار للوليمة، وكان يعول ببعض عوائل الشيعة، فقد قام بنفقة الكاهلي وعياله حتّى توفّي، إلى غير ذلك من وجوه البرّ والخير الذي قام به،

---

(١) فهرست الطوسي: ٣٨٨/١٥٥.

(٢) رجال الكشّي: ٨١٥/٤٣٣.

الأمر الذي دلّ على إيمانه وحسن عقيدته[١].

منصبه: تقلّد عليّ منصب أزمة الأزمة في أيّام المهدي[٢].

ومن بعده عيّنه هارون وزيراً له، وقد تقدّم إلى الإمام موسى عليه السلام يطلب منه الإذن في ترك منصبه والاستقالة منه، فنهاه عليه السلام عن ذلك وقال له: **لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ لَنا بِكَ أُنْساً، وَلإِخْوانِكَ بِكَ عِزّاً، وَعَسَى اللهُ أَنْ يَجْبُرَ بِكَ كَسِيراً، أَوْ يَكْسِرَ بِكَ نائِرَةَ الْمُخالِفينَ عَنْ أَوْلِيائِهِ.**

يا عَلِيُّ، كَفّارَةُ أَعْمالِكُمُ الْإِحْسانُ إِلىٰ إِخْوانِكُمْ، اضْمَنْ لي واحِدَةً أَضْمَنُ لَكَ ثَلاثاً: اضْمَنْ لي أَنْ لَا تَلْقىٰ أَحَداً مِنْ أَوْلِيائِنا إِلّا قَضَيْتَ حاجَتَهُ، وَأَكْرَمْتَهُ، وَأَضْمَنُ لَكَ أَنْ لَا يُظِلُّكَ سَقْفُ سِجْنٍ أَبَداً، وَلَا يَنالُكَ حَدُّ السَّيْفِ أَبَداً، وَلَا يَدْخُلُ الْفَقْرُ بَيْتَكَ أَبَداً.

يا عَلِيُّ، مَنْ سَرَّ مُؤْمِناً فَبِاللهِ بَدَأَ، وَبِالنَّبِيِّ ثَنّىٰ، وَبِنا ثَلَّثَ»[٣].

ودلّ هذا الحديث الشريف على جواز الولاية من قِبل الجائر إن أسدى الموظّف معروفاً أو دفع غائلة عن المؤمنين، فإنّه يباح له ذلك، وقد تمسّك الفقهاء بهذا الحديث لجواز الولاية من قِبل الجائر.

ولمّا قدم الإمام عليه السلام إلى العراق زاره عليّ فشكا إليه حاله، وطلب منه الإذن في التخلّي عن منصبه، فنهاه عليه السلام عن ذلك وقال له: **يا عَلِيُّ، إِنَّ للهِ تَعالىٰ أَوْلِياءَ مَعَ أَوْلِياءِ الظَّلَمَةِ لِيَدْفَعَ بِهِمْ عَنْ أَوْلِيائِهِ، وَأَنْتَ مِنْهُمْ يا عَلِيُّ.**

وقد أعرب الإمام في حديثه عن رغبته في بقائه في وظيفته ليقوم بالإفراج عن الشيعة الذين اضطهدتهم السلطات العبّاسيّة حتّى حرمتهم من جميع الحقوق

---

(١) رجال الكشّي: ٨١٩/٤٣٤.

(٢) الوزراء والكتّاب: ١٠٦.

(٣) بحار الأنوار: ٤٨: ١٣٦، الحديث ١٠.

المشروعة.

حبّ الإمام له: كان الإمام عليه السلام يكنّ لعليّ أخلص الودّ والولاء، فقد زاره يوماً، فقال عليه السلام لأصحابه: **مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَرىٰ رَجُلاً مِنْ أَصْحابِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فَلْيَنْظُرْ إِلىٰ هٰذَا الْمُقْبِلِ** وأشار إلى عليّ.

فانبرى إليه بعض الحاضرين قائلاً: أهو من أهل الجنّة؟

- **أَمّا أنا فَأَشْهَدُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.**

وأرسل عليّ إلى الإمام شخصاً يطلب منه الدعاء له، فلمّا مثل الرسول بين يدي الإمام عليه السلام قال له: يابن رسول الله، أرسلني ابن يقطين لتدعو الله له.

- **لِلآخِرَةِ؟**

- نعم.

- **ضَمِنْتَ لِعَلِيِّ بْنِ يَقْطينَ أَنْ لَا تَمَسَّهُ النّارُ أَبداً**[١].

وحدّث داود الرقي، قال: «دخلت على أبي الحسن (يوم النحر) فقال لي مبتدئاً: **ما عَرَضَ في قَلْبي أَحَدٌ وَأَنا عَلَى الْمَوْقِفِ إِلّا عَلِيُّ بْنُ يَقْطينَ، فَإِنَّهُ ما زالَ مَعِي، وَما فارَقَني حَتّىٰ أَفَضْتُ**[٢].

وقال إسماعيل بن موسى: «رأيت العبد الصالح على الصفا يقول: **إِلٰهي في أَعْلىٰ عِلِّيِّينَ، اغْفِرْ لِعَلِيِّ بْنِ يَقْطينَ**».

وقال عليه السلام: «**مِنْ سَعادَةِ عَلِيِّ بْنِ يَقْطينَ أَنّي ذَكَرْتُهُ في الْمَوْقِفِ**»[٣]، ودلّت هذه البوادر على مدى ما يحمله الإمام عليه السلام من الحبّ والإخلاص له، وممّا لا ريب فيه أنّ

---

(١) رجال الكشّي: ٨١٠/٤٣١.

(٢) رجال الكشّي: ٨١٣/٤٣٢.

(٣) رجال الكشّي: ٨٢٣/٤٣٧.

إخلاص الإمام له ينمّ عن أنّ الرجل كان مثالاً رائعاً للتقوى والصلاح ، وعنواناً رفيعاً للمثل العليا .

تسديد الإمام له : كان الإمام عليه‌السلام حريصاً على ابن يقطين ، وكان يخاف عليه من سطوة هارون وبطشه ، فإنّ أمر تشيّعه لم يكن خافياً على الأذناب والعملاء الذين يتقرّبون إلى السلطة بكلّ وسيلة مهما بلغت من الفضاعة ، وقد علم عليه‌السلام أنّهم لا يتركونه حتّى يقضون عليه ، فتصدّى عليه‌السلام إلى تسديده ، ورفع الحظر عنه ، وقد كان ذلك في موضعين :

١ ـ الدرّاعة : وأهدى الرشيد إلى ابن يقطين ثياباً فاخرة ، كانت فيها درّاعة فاخرة سوداء ، منسوجة بالذهب يلبسها الخلفاء ، فلمّا وصلت إليه قام من فوره فأهداها إلى الإمام عليه‌السلام ، فردّها الامام وكتب إليه : **احْتَفِظْ بِها ، وَلا تُخْرِجْها عَنْكَ ، فَسَيَكونُ لَكَ بِها شَأْنٌ تَحْتاجُ مَعَهُ إلَيْها** .

فلمّا ردّت إليه واطّلع على رسالة الإمام احتفظ بها ، وجعلها في سفط ، وختم عليها ، ومضت فترة من الزمن تغيّر ابن يقطين على بعض غلمانه ممّن كان مطّلعاً على شؤونه وأحواله ، فسعى من فوره إلى هارون وقال له : إنّ عليّ بن يقطين يقول بإمامة موسى الكاظم ، وأنّه يحمل إليه في كلّ سنة زكاة أمواله ، والهدايا والتحف ، وقد حمل إليه في هذه السنة ذلك مع الدرّاعة السوداء التي أكرمته بها في وقت كذا .

وتغيّر حال الرشيد حينما سمع بذلك ، فكأنّ حساماً قد أصاب وجهه ، وقال والغضب قد استولى عليه : لأكشفن عن ذلك ، فإن كان الأمر على ما ذكرت أزهقت روحه ، وذلك من بعض جزائه . ثمّ أنفذ رسولاً خلف ابن يقطين ، فلمّا مثل عنده التفت إليه قائلاً : ما فعلت بالدرّاعة السوداء التي كسوتك بها وخصصتك بها من بين سائر خواصّي ؟

فالتفت إليه ابن يقطين وهو مثلوج القلب قد أحرز الانتصار قائلاً : هي عندي يا أمير المؤمنين في سفط فيه طيب ، مختوم عليها .

- احضرها الساعة.

- نعم، على السمع والطاعة.

واستدعى بعض خدمه، فعيّن له المكان الذي وضعت فيه الدرّاعة وناوله المفاتيح، فمضى الخادم مسرعاً فلم يلبث قليلاً حتّى جاء بها، فوضعها بين يدي الرشيد، فأمر بفكّ الختم وفتح السفط، وإذا بالدرّاعة مطويّة على حالها لم تتغيّر، ولم يصبها شيء، فسكن غضب الرشيد وهدأت ثورته، وقال له: ردّها إلى مكانها، وخذها وانصرف راشداً، فلن نصدّق بعدها عليك ساعياً.

ثمّ أمر له بجائزة، وأمر بالساعي اللئيم أن يُضرب ألف سوط، فضُرب خمسمائة سوط وهلك[1]. وخرج ابن يقطين وهو ناعم البال، مسرور القلب، قد أنقذه الله من بطش هارون وطغيانه، وقد نظم بعض الشعراء هذه الكرامة بقوله:

وَابْنُ يَقْطِينَ حينَ رَدَّ عَلَيهِ ... الطُّهْرُ أَثْوابَهُ وَقالَ وَحَذَّرْ

قالَ خُذْها فَسَوفَ تُسْأَلُ عَنْها ... وَمُعادِيكَ فِيَّ لَا شَكَّ يَخْسَرْ[2]

٢ ـ الوضوء: كان عليّ بن يقطين يتوضّأ وضوء أبناء السنّة والجماعة، وقد طلب من الإمام أن يرشده إلى الوضوء الذي يتوضّأ به، فأمر عليه السلام بالبقاء على حاله إلى أجل فيرشده إلى ذلك، وسعى الأذناب بعليّ إلى الرشيد، وأكثروا القول بأنّه من الشيعة، فأراد هارون أن يختبره ليقف على حقيقة حاله، فرأى أحسن طريق إلى ذلك أن يختبره في وضوئه، فأطلّ من بعض شرفات قصره من حيث يخفى في وقت الصلاة، فشرع ابن يقطين في وضوئه، فتوضّأ وضوء السنّة، فعندها لم يطق الرشيد صبراً، وطفق يقول: «لا صدّقت عليك واشياً أبداً».

---

(١) نور الأبصار: ١٣٦. مناقب آل أبي طالب: ٣: ٤٠٨. بحار الأنوار: ٤٨: ٦٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣: ٤٠٨.

وكتب له الإمام بعد ذلك بكيفيّة الوضوء الذي يراه. وذكر له: **قَدْ زالَ عَنْكَ ما كُنّا نخافُهُ عَلَيْكَ**، ونظم بعض الشعراء هذه الكرامة بقوله:

ثُمَّ حالُ الوُضوءِ حالٌ عَجيبٌ   كَيفَ أنْباهُ بِالضَّميرِ وَخَبَّرْ
هُوَ عَينُ الْحَياةِ وَهُوَ نَجاةٌ   وَرَشادٌ لِمَنْ قَرَّ أوْ يَتَدَبَّرْ[1]

ونظم بعضهم ذلك بقوله:

فَلَولاهُ ما كانَ ابْنُ يَقْطينَ تارِكاً   طَريقَتَهُ الأولى الّتي لَيسَ تُجْهَلُ
على حين قد كانَ الرَّشيدُ بِمَرصَدٍ   يُراقِبُهُ في أمْرِهِ كَيفَ يَفْعَلُ
فَعايَنَ مِنْهُ غَيرَ ما كانَ سامِعاً   وَكَذَّبَ ما عَنْهُ الوشاةُ تَقَوَّلُ

مؤلّفاته: كان ابن يقطين من عيون أهل العلم، ومن فضلاء عصره، هذه بعض مؤلّفاته:

١ ـ الملاحم، أخذها من الإمام الصادق عليه السلام[2].

٢ ـ مناظرة الشاكّ[3].

٣ ـ المسائل، أخذها من الإمام موسى عليه السلام.

وله كتب قد أخبر بهذه الكتب والمسائل محمّد بن محمّد بن النعمان الشيخ المفيد، والحسين بن عبيدالله، ومحمّد بن الحسن، وجماعة[4].

وفاته: انتقل إلى دار الحقّ بمدينة السلام سنة ١٨٢هـ، وله من العمر سبع وخمسون سنة، وصلّى عليه وليّ عهد الرشيد محمّد، وكان الإمام موسى آنذاك في

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣: ٤٠٨.

(٢) و (٣) فهرست ابن النديم: ٣٢٨.

(٤) فهرست الطوسي: ٣٨٨/١٥٥.

ظلمات السجون[١].

٢١٤ ـ عمّار بن موسى

الساباطي، أبو اليقظان، كوفي، سكن المدائن. روى عن أبي عبدالله عليه السلام، وعن أبي الحسن موسى عليه السلام أنّه قال: «اسْتَوْهَبْتُ عَمّارَ السّاباطِيَّ مِنْ رَبّي فَوَهَبَهُ لي»[٢].

وذكر المترجمون له أنّه كان فطحيّاً. قال الشيخ: «قد ضعّف عمّار الساباطي جماعة من أهل النقل، وذكروا أنّه من أهل النقل، كما ذكروا أنّ ما ينفرد بنقله لا يعمل به، لأنّه كان فطحيّاً، غير أنّا لا نطعن عليه بهذه الطريقة، لأنّه وإن كان كذلك فهو ثقة في النقل، لا يُطعن عليه فيه»[٣].

وقال الشيخ البهائي: «إنّه ثقة، جليل، من أصحاب الصادق والكاظم، وحديثه يجري مجرى الصحاح»[٤].

وعدّه الشيخ المفيد من الأعلام المأخوذ منهم الحلال والحرام[٥]، والفتيا والأحكام، الذين لا يُطعن عليهم. له كتاب يرويه جماعة[٦].

٢١٥ ـ عمر بن رباح

روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، وكان واقفاً، وكذا كان أولاده من

---

(١) رجال الكشّي: ٨٠٥/٤٣٠.

(٢) رجال الكشّي: ٤٧١/٢٥٣، وكذلك انظر اثنا عشر رسالة / المحقّق الداماد: ٢: ٢٥.

(٣) الاستبصار: ٣: ٩٥، الحديث ٩. تهذيب الأحكام: ٧: ١٠١، باب البيع، الحديث ٤١.

(٤) انظر: خاتمة المستدرك: ٥: ١٢، نقله عن البهائي في الهامش.

(٥) الرسالة الهلاليّة (المخطوطة) والتي ألّفها الشيخ المفيد رحمه الله في الردّ على من يقول بأنّ شهر رمضان ثلاثون يوماً، وقد ورد ذلك في الفوائد الرجاليّة / السيّد بحرالعلوم: ٣: ١٦٣ و ١٦٤.

(٦) رجال النجاشي: ٧٧٩/٢٩٠.

الواقفيّة، وقال العلّامة والسيّد ابن طاووس إنّه كان بتريّاً، وهم فرقة من الزيديّة[١].

٢١٦ ـ عمر بن محمّد

ابن يزيد، أبو الأسود، بيّاع السابريّ، مولى لثقيف، كوفي، ثقة، جليل الشأن. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام[٢]، وأثنى عليه الإمام أبو عبدالله عليه السلام، فقال له: **أَنْتَ وَاللهِ مِنّا أَهْلَ الْبَيْتِ.**

- جعلت فداك، من آل محمّد؟!

- **إي وَاللهِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ.**

- من أنفسهم؟!

- **إي وَاللهِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ.**

يا عُمَرُ، أما تَقْرَأُ كِتابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].[٤]

له من المؤلّفات كتاب «مناسك الحجّ وفرائضه»[٥].

٢١٧ ـ عمرو بن منهال

ابن مِقْلاص القيسي. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام. له ولدان: أحمد والحسن من أهل الحديث. له كتاب[٦].

---

(١) تنقيح المقال: ٢: ٢٤٣.

(٢) رجال النجاشي: ٧٥١/٢٨٣.

(٣) آل عمران ٣: ٦٨.

(٤) اختيار معرفة الرجال: ٢: ٦٠٥/٦٢٣.

(٥) رجال النجاشي: ٧٥١/٢٨٣.

(٦) رجال النجاشي: ٧٧٦/٢٨٩.

ورد توثيقه في الوجيزة والبلغة.

٢١٨ ـ عيسى بن داود

النجّار، كوفي، من أصحابنا، قليل الرواية. روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام. له كتاب «التفسير»[(١)].

٢١٩ ـ عيسى بن عبدالله

ابن سعد بن مالك الأشعري. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، وله مسائل للرضا عليه السلام[(٢)].

وروى في حقّه يونس بن يعقوب، قال: «كنت بالمدينة، فاستقبلني جعفر بن محمّد في بعض أزقّتها، فقال: **اذْهَبْ يا يُونُسُ فَإِنَّ في الْبابِ رَجُلاً مِنّا أَهْلَ الْبَيْتِ**.

قال: فجئت إلى الباب، فإذا عيسى بن عبدالله القمّي جالس.

قال: فقلت له: مَن أنت؟

- رجل من أهل قم.

وفي الوقت جاء الإمام عليه السلام، فأمرهما بالدخول إلى الدار، فلمّا استقرّ بهما المجلس التفت عليه السلام إلى يونس قائلاً: **يا يُونُسُ، أَحْسَبُكَ أَنْكَرْتَ قَوْلي لَكَ. إِنَّ عِيسَى بْنَ عَبْدِاللهِ مِنّا أَهْلَ الْبَيْتِ**.

- إي والله، إنّه رجل من أهل قم!

- **يا يُونُسُ، إِنَّ عِيسَى بْنَ عَبْدِاللهِ هُوَ مِنّا حَيّاً، وَهُوَ مِنّا مَيِّتاً**»[(٣)].

وفي هذا الخبر دلالة على عدالته ووثاقته ومزيد اتّصاله بأهل البيت عليهم السلام.

---

(١) رجال النجاشي: ٧٩٧/٢٩٤.

(٢) رجال النجاشي: ٨٠٥/٢٩٧.

(٣) رجال الكشّي: ٦٠٧/٣٣٢.

٢٢٠ ـ عيص بن القاسم

ابن ثابت بن عبيد بن مهران ، البجلي ، كوفي ، عربي ، يكنّى أبا القاسم ، ثقة ، عين . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن موسى عليهما السلام ، وله كتاب[١].

حرف الغين

٢٢١ ـ غالب بن عثمان

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ، وقال : إنّه واقفي[٢].

٢٢٢ ـ غياث بن إبراهيم

التميمي الأُسَيّديّ[٣] ، بصريّ ، سكن الكوفة ، ثقة . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام . له كتاب مبوّب في الحلال والحرام يرويه جماعة[٤].

حرف الفاء

٢٢٣ ـ فائد الحنّاط

كوفي . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام . له كتاب يرويه عثمان بن عيسى[٥].

٢٢٤ ـ فضالة بن أيّوب

الأزديّ ، عربي ، سكن الأهواز ، ثقة في حديثه . روى عن الإمام موسى عليه السلام ،

---

(١) رجال النجاشي : ٨٢٤/٣٠٢.

(٢) رجال الطوسي : ٥٠٩١/٣٤١.

(٣) الأسيدي ـ بضمّ الهمزة وفتح السين المهملة وتشديد الياء ـ : نسبة إلى أسيد بن عمرو بن تميم . سبائك الذهب .

(٤) رجال النجاشي : ٨٣٣/٣٠٥.

(٥) رجال النجاشي : ٨٥٢/٣١١.

له كتاب « الصلاة »(١).

وعدّه الكشّي ممّن أجمع أصحابنا على تصحيح ما يصحّ عنهم من أصحاب أبي عبدالله عليه السلام ، وتصديقهم والإقرار لهم بالفقه والعلم(٢).

٢٢٥ ـ الفضل بن سليمان

الكاتب البغداديّ ، كان يكتب للمنصور والمهدي على ديوان الخراج . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام ، ألّف كتاب « يوم وليلة »(٣).

٢٢٦ ـ الفضل بن يونس

الكاتب البغدادي . روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام ، وله كتاب(٤).

وقال الشيخ : « إنّه واقفي »(٥).

روى عليّ بن إبراهيم بن هاشم ، عن محمّد بن سالم ، قال : « لمّا حمل سيّدي موسى بن جعفر إلى هارون جاء إليه هشام بن إبراهيم فقال له : يا سيّدي ، قد كتب لي صكّ إلى الفضل بن يونس ، فتسأله أن يروّج أمري ، فمشى إليه الإمام ، فلمّا انتهى إليه دخل عليه الحاجب فعرفه بتشريف الإمام ، فقال له والسرور باد عليه : إن كنت صادقاً فأنت حرّ ، وأوعده بأموال يعطيها له إن تبيّن صدقه ، ثمّ خرج حافياً .

فلمّا رأى الإمام وقع على قدميه يقبّلهما ، ثمّ التمس منه أن يشرف ثويه ، فأجابه الإمام إلى ذلك ، وبعد ما استقرّ به المجلس سأله أن يقضي حاجة هشام ، فقضاها

---

(١) رجال النجاشي : ٨٥٠/٣١٠.

(٢) رجال الكشّي : ١٠٥٠/٥٥٦.

(٣) رجال النجاشي : ٨٣٧/٣٠٦.

(٤) رجال النجاشي : ٨٤٤/٣٠٩.

(٥) رجال الطوسي : ٥٠٩٣/٣٤٢.

له »[١]. وفي هذا الخبر دلالة على إخلاصه وولائه للإمام عليه السلام.

٢٢٧ ـ الفيض بن المختار

الجُعْفِيّ، كوفي. روى عن أبي جعفر وأبي عبدالله وأبي الحسن عليهم السلام، ثقة، عين. له كتاب يرويه ابنه جعفر[٢].

وهو أوّل شخص سمع النصّ من أبي عبدالله على إمامة ولده موسى عليه السلام، وقد تقدّم حديثه في الجزء الأوّل من هذا الكتاب.

حرف القاف

٢٢٨ ـ القاسم بن محمّد

الجوهري، كوفي، سكن بغداد. روى عن الإمام موسى عليه السلام. له كتاب[٣].

وقد رمي بالوقف[٤].

٢٢٩ ـ قيس بن موسى

الساباطي، أخو عمّار الساباطي. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، وهو ثقة، مقبول الحديث[٥].

---

(١) رجال الكشّي: ٥٠٠/٩٥٧.

(٢) رجال النجاشي: ٣١١/٨٥١.

(٣) رجال النجاشي: ٣١٥/٨٦٢.

(٤) رجال الطوسي: ٣٤٢/٥٠٩٥.

(٥) معجم رجال الحديث: ١٥: ١٠٣. التعليقة على منهج المقال: ٢٨٦.

حرف الكاف

٢٣٠ ـ كردويه الهمداني

من رواة حديث الإمام عليه السلام ، وقد ذكرت رواياته في « التهذيب » من باب تطهير المياه ، وفي « الاستبصار » في باب كيفيّة قضاء النوافل ، وقد رمي بالجهالة كما في المسالك والذخيرة[1].

حرف اللام

٢٣١ ـ ليث بن البختري

المرادي ، يكنّى أبا بصير ، ثقة في حديثه . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام ، وفي صحيح جميل بن درّاج : **إنَّ أوْتادَ الأرْضِ أرْبَعَةٌ ، وَأعْلامَ الدِّينِ أرْبَعَةٌ : مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، وَبُرَيْدُ بْنُ مُعاوِيَةَ ، وَلَيْثُ بْنُ الْبَخْتَرِيِّ الْمُرادِيُّ ، وَزُرارَةُ بْنُ أعْيَنَ** ، وقيل فيه غير ذلك[2].

قال ابن الغضائري : «كان أبو عبدالله عليه السلام يتضجّر ويتبرّم منه ، وأصحابه مختلفون في شأنه ، وعندي أنّ الطعن إنّما وقع في دينه ، لا في حديثه ، وقد وثّقه جماعة من الأعلام المحقّقين ، واعتبروا الأخبار الواردة في ذمّه مطعون فيها ، وأنّه من الطائفة العليا في الإسلام[3].

---

(١) تنقيح المقال : ٢ : ٣٨.

(٢) تنقيح المقال : ٢ : ٤٤.

(٣) رجال ابن الغضائري : ١٦٥/١١١.

حرف الميم

٢٣٢ ـ محمّد بن إبراهيم

الموصلي: عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الكاظم مرّتين[١].

وظاهره كونه إمامياً مجهول الحال[٢].

٢٣٣ ـ محمّد بن أبي عمير

الأزدي، بغدادي الأصل والمقام، من أشهر علماء هذه الطائفة، ومن عيون رواتها، وقد أجمع الأصحاب على تصحيح ما يصحّ عنه، وقد عدّ مراسيله مسانيد، عاصر الإمام الكاظم والرضا والجواد عليهم السلام، وإلى القرّاء بعض شؤونه وأحواله:

علمه: كان من عيون العلماء، ومن كبار الفقهاء، وقد أجمعت العصابة على الإقرار له بالفقه والعلم[٣].

وقد لازم ثلاثة من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وانتهل من نمير علومهم، وقد زوّد الفقه الإسلامي بالشيء الكثير من أحاديثه التي سمعها من الأئمّة الميامين، وأنّ مراسيله بمنزلة الصحاح عند الفقهاء، وفي هذا دلالة على سموّ منزلته العلميّة وعدالته.

مؤلّفاته: ألّف من الكتب أربعاً وتسعين كتاباً، منها: كتاب «المغازي»، ومنها كتاب «الكفر والإيمان»، ومنها كتاب «البداء»، ومنها كتاب «الاحتجاج في الإمامة»، ومنها كتاب «الحجّ»، ومنها كتاب «فضائل الحجّ»، ومنها كتاب «المتعة»، ومنها كتاب «الاستطاعة»، ومنها كتاب «الملاحم»، ومنها كتاب «يوم

---

(١) رجال الطوسي: ٥١٣٥/٣٤٢.

(٢) تنقيح المقال: ٢: ٥٦.

(٣) رجال الكشّي: ١٠٥٠/٥٥٦.

وليلة » ، ومنها كتاب « مناسك الحجّ » ، ومنها كتاب « الصيام » ، ومنها كتاب « اختلاف الحديث » ، ومنها كتاب « المعارف » ، ومنها كتاب « الطلاق » ، ومنها كتاب « الرضاع »(١).

ولكن من المؤسف أنّ هذه المؤلّفات قد تلفت ، ويعزى السبب في ذلك إلى أنّه تركها في غرفة فسال عليها المطر فأتلفها ، وقيل : إنّ أُخته دفنت كتبه في حال حبسه ، فضاعت ، وعلى كلّ فإنّ العلم قد خسر مؤلّفات هذا العالم الكبير.

عبادته : كان محمّد من عيون المتّقين والصالحين ، فقد تربّى في بيت الإمامة ، وسار على خطّة آل البيت عليهم السلام من رفض الدنيا ، وعدم الاعتناء بملاذّها وشهواتها ، ويكفي للتدليل على مدى عبادته ما رواه الفضل بن شاذان ، قال : « دخلت العراق فرأيت شخصاً يعاتب صاحبه ، ويقول له : أنت رجل ذو عيال ، وتحتاج أن تكسب لهم ، وما آمن عليك أن تذهب عيناك لطول سجودك ، وأكثر عليه التوبيخ والتقريع.

فالتفت إليه وقال له : لو ذهبت عين أحد في السجود لذهبت عين ابن أبي عمير ، ما ظنّك برجل سجد سجدة الشكر بعد صلاة الفجر ، فما رفع رأسه إلّا بعد زوال الشمس ».

وأخذ يحدّثه عن عبادة ابن أبي عمير ، فقال له : « أخذ يوماً شيخي بيدي وذهب بي إلى ابن أبي عمير ، فصعدنا إليه في غرفة ، وحوله مشايخ له يعظّمونه ويبجّلونه ، فقلت لأبي : مَن هذا ؟

قال أبي : هذا ابن أبي عمير.

قلت : الرجل الصالح العابد ؟

قال : نعم(٢).

---

(١) رجال النجاشي : ٣٢٧/٨٨٧.

(٢) رجال الكشّي : ٥٩١ و ٥٩٢/١١٠٦.

وهكذا كان محمّد في تقواه وورعه، وإنّ تعظيم أولئك الأتقياء الصالحين له وإكبارهم لمنزلته ممّا يدلّ على سموّ مكانته وشأنه.

في السجون: وكان محمّد بن أبي عمير من الشخصيّات البارزة في العالم الإسلامي نظراً لاتّصاله الوثيق بأئمّة أهل البيت عليهم السلام، وفي نفس الوقت كان عنده السجل العامّ الذي فيه أسماء الشيعة، ولقد ضاق على هارون ذلك فأمر أن يلقى في ظلمات السجون، فبقي فيها سبعة عشر عاماً [(١)].

وجيء به وهو مكبّل بالقيود، فأمره هارون أن يعرّفه بأسماء الشيعة، فامتنع من ذلك أشدّ الامتناع، فأمر أن يضرب مائة سوط، فضرب وبلغ منه الألم القاسي مبلغاً عظيماً، يقول: فكدت أن أسمّي إلّا أنّي سمعت نداء يونس بن عبدالرحمن يقول لي: يا محمّد بن أبي عمير، اذكر موقفك بين يدي الله، فتقوّيت بقوله، وصبرت ولم أخبر، والحمد لله [(٢)].

وبهذا نقف على مدى الضغط الهائل الذي واجهته الشيعة في تلك الأدوار المظلمة، وقد عرضنا بعض ذلك عند التحدّث عن عصر الإمام عليه السلام.

وفاته: انتقل محمّد إلى دار الخلود في سنة **٢١٧هـ** [(٣)].

٢٣٤ ـ محمّد بن إسحاق

ابن عمّار بن حيّان التغلبي الصيرفي، ثقة، عين. روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام، وله كتاب [(٤)].

---

(١) رجال ابن داود: ١٥٩ و ١٦٠.

(٢) رجال الكشّي: ١١٠٥/٥٩١.

(٣) رجال النجاشي: ٨٨٧/٣٢٧.

(٤) رجال النجاشي: ٩٦٨/٣٦١.

قال الشيخ المفيد : « إنّه من ثقات الإمام وخاصّته ، ومن أهل الورع والعلم »(١).

وقال أبو جعفر بن بابويه إنّه من الواقفيّة ، ويفنّد ذلك ، أنّه سأل الإمام موسى عليه السلام فقال له : ألا تدلّني على مَن آخذ عنه ديني ؟

- هٰذا عَلِيٌّ ابْني ، إنَّ أبي أَخَذَ بِيَدِي فَأَدْخَلَني إلىٰ قَبْرِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ، فَقالَ : يا بُنَيَّ ، إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قالَ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(٢) ، وإنّ الله عزّ وجلّ إذا قال قولاً وفى به ».

وتدلّ هذه الرواية على عدم كونه واقفيّاً(٣).

٢٣٥ - محمّد بن إسماعيل

ابن بزيع ، من صلحاء هذه الطائفة ومن عيونها ، وأحد رواة حديث الإمام موسى عليه السلام ، كان مولى للمنصور وأحد وزراء الدولة العبّاسيّة ، قال له الإمام الرضا عليه السلام :

إنَّ للهِ تَعالىٰ بِأَبْوابِ الظّالِمينَ ، مَنْ نَوَّرَ اللهُ لَهُ الْبُرْهانَ ، وَمَكَّنَ لَهُ في الْبِلادِ ، لِيَدْفَعَ بِهِمْ عَنْ أَوْلِيائِهِ ، وَيُصْلِحُ اللهُ بِهِ أُمورَ الْمُسْلِمينَ ، إلَيْهِمْ مَلْجَأُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الضرّ ، وَإلَيْهِمْ يَفْزَعُ ذو الْحاجَةِ مِنْ شيعَتِنا ، وَبِهِمْ يُؤْمِنُ اللهُ رَوْعَةَ الْمُؤْمِنِ في دارِ الظُّلْمَةِ ، أُولٰئِكَ أُمَناءُ اللهِ في أَرْضِهِ ، أُولٰئِكَ نورُ اللهِ في رَعِيَّتِهِم يَوْمَ الْقِيامَةِ ، وَيُزْهِرُ نورُهُمْ لِأَهْلِ السَّماواتِ كَما يُزْهِرُ الْكَواكِبُ الدُّرِّيَّةُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ ، أُولٰئِكَ مِنْ نورِهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ تُضيءُ مِنْهُمُ الْقِيامَةُ ، خُلِقوا وَاللهِ لِلْجَنَّةِ ، وَخُلِقَتِ الْجَنَّةُ لَهُمْ ، فَهَنيئاً لَهُمْ ما عَلىٰ أَحَدِكُمْ أَنْ لَوْ شاءَ لَنالَ هٰذا كُلَّهُ .

---

(١) الإرشاد : ٢ : ٢٤٨ .

(٢) البقرة ٢ : ٣٠ .

(٣) تنقيح المقال : ٢ : ٧٩ .

فقال له محمّد : بماذا ؟ جعلني الله فداك .

قال عليه‌السلام : **يَكونُ مَعَهُمْ فَيَسُرُّنا بِإِدْخالِ السُّرورِ عَلَى الْمُؤْمِنينَ مِنْ شِيعَتِنا ، فَكُنْ مِنْهُمْ يا مُحَمَّدُ**[(١)] .

ألّف كتباً ، منها : كتاب « الحجّ » ، وكتاب « ثواب الحجّ »[(٢)] .

٢٣٦ ـ محمّد بن بشير

من غلاة الواقفيّة ، وممّن باع دينه وآخرته بدنياه ، وكان صاحب شعوذة وأباطيل ومخاريق وبدع ، وقد حاول بكلّ جهوده إفساد المسلمين ، وتمزيق شملهم ، وفيما يلي عرض موجز لبعض شؤونه :

١ ـ بدعه : كان هذا الرجل من المخرّبين والمفسدين ، وقد خرج عن ربقة الإسلام بما أوجده من البدع والأضاليل ، ومن بدعه قوله : « إنّ كلّ من ادّعى الإمامة من ولد الإمام موسى عليه‌السلام فهو كاذب غير طيّب الولادة » .

وكفّر جميع من قال بإمامتهم ، واستحلّ دماءهم ، وابتدع هو وجماعته أموراً منكرة ، فقالوا : إنّ الفرض عليهم من الله تعالى إقامة الصلوات الخمس ، وصوم شهر رمضان لا غير ، فأنكروا الزكاة والحجّ وسائر الفرائض الإسلاميّة ، وقالوا بإباحة المحارم والفروج والغلمان ، وبالتناسخ ، وادّعوا غير ذلك من الأباطيل التي تدلّ على كفرهم وجحودهم لله تعالى .

٢ ـ شعوذته : وكان ابن بشير عالماً بجميع أنواع الشعوذة ، وكان وحيد عصره في ذلك ، وقد اتّخذ من شعوذته وسيلة إلى إغراء السذّج والبسطاء ، ومن عجائب شعوذته أنّه اتّخذ صورة قد عملها بنفسه وأقامها شخصاً تحكي صورة الإمام

---

(١) رجال النجاشي : ٣٣٢ و ٨٩٣/٣٣٣.

(٢) رجال النجاشي : ٨٩٣/٣٣٠.

موسى عليه السلام قد وضع عليها ثياباً من حرير ، وكان يطويها ، فإذا أراد إغراء أصحابه قال لهم : إنّ أبا الحسن موسى عليه السلام عندي ، فإن أحببتم أن تروه فهلّموا معي لأعرضه عليكم ، فيقوموا معه فيدخلهم إلى البيت ، والصورة مطويّة عنده ، فيقول لهم : هل ترون أحداً مقيماً في البيت فيجيبونه بالنفي ، فيأمرهم بالخروج ، فإذا نزحوا عنه عمد إلى تلك الصورة فأخرجها ، ثمّ يرفع الستر بينه وبينهم فينظرون إلى صورة قائمة تحكي صورة الإمام موسى عليه السلام ، ويقف هو بالقرب من تلك الصورة فيناجيها ويكلّمها ثمّ يدنو منها ، كأنّه يريد أن يسرّ إليها بشيء ، ثمّ يغمز إليهم بالخروج فيلقي عليها الستار ويطويها ، وكانت هذه حالته مدّة من الزمن في الاغراء والتضليل والخداع والفتن بين الناس[1].

ومن شعوذته أنّ هارون الرشيد لمّا قبض عليه وأراد قتله قال له : يا أمير المؤمنين ، فإنّي اتّخذ لك أشياءاً يرغب الملوك فيها ، فأطلق سراحه ، فاتّخذ له الدوالي بصورة عجيبة ، فقد صنع ألواحاً وجعل الزئبق في تلك الألواح ، فكانت الدوالي تمتلئ بالماء وتصبّ في تلك الألواح فينقلب الزئبق منها فتتّسع الدوالي ، وكانت تعمل بهذه الصورة من غير آلة أو محرّك لها ، فأعجب هارون بذلك ، وعمل له أعمالاً أخرى دلّت على مهارته .

إنكاره للإمام عليه السلام : وأنكر ابن بشير الإمام موسى عليه السلام وادّعى أنّه رفع إلى السماء ، وأنّ الذي هو في السجن غير الإمام موسى محاولاً بذلك إفساد عقيدة الشيعة والاستيلاء على حقوقهم الشرعيّة ، لأنّه ادّعى الوكالة عن الإمام .

دعاء الإمام عليه السلام عليه : ولمّا شاعت بدع هذا الملحد وأضاليله بين الناس ، وإفساده للناشئة الإسلاميّة ، جعل الإمام موسى عليه السلام يدعو عليه ويحذّر الناس منه ،

---

(١) رجال الكشّي : ٤٨٠ و ٩٠٧/٤٨١.

فقد حدّث ابن أبي حمزة البطائني ، قال : « سمعت الإمام موسى عليه السلام يقول : لَعَنَ اللهُ مُحَمَّدَ بْنَ بَشيرٍ ، وَأَذاقَهُ اللهُ حَرَّ الْحَديدِ ، إِنَّهُ يَكْذِبُ عَلَيَّ ، بَرِئَ اللهُ مِنْهُ ، وَبَرِئْتُ إِلَى اللهِ مِنْهُ . اللّهُمَّ إِنّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمّا يَدَّعي فِيَّ ابْنُ بَشيرٍ . اللّهُمَّ أَرِحْني مِنْهُ .

والتفت عليه السلام إلى ابن أبي حمزة ، فقال : يا عَلِيُّ ، ما أَحَدٌ اجْتَرَأَ أَنْ يَتَعَمَّدَ عَلَيْنا الْكَذِبَ إِلّا أَذاقَهُ اللهُ حَرَّ الْحَديدِ ، وَإِنَّ بَياناً كَذِبَ عَلى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَأَذاقَهُ اللهُ حَرَّ الْحَديدِ ، وَإِنَّ الْمُغيرَةَ بْنَ سَعيدٍ كَذِبَ عَلى أَبي جَعْفَرٍ عليه السلام فَأَذاقَهُ اللهُ حَرَّ الْحَديدِ ، وَإِنَّ أَبا الْخَطّابِ كَذِبَ عَلى أَبي فَأَذاقَهُ اللهُ حَرَّ الْحَديدِ ، وَإِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ بَشيرٍ لَعَنَهُ اللهُ يُكَذِّبُ عَلَيَّ ، بَرِئْتُ إِلَى اللهِ مِنْهُ .

اللّهُمَّ إِنّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمّا يَدَّعيهِ فِيَّ مُحَمَّدُ بْنُ بَشيرٍ . اللّهُمَّ أَرِحْني مِنْهُ ، اللّهُمَّ إِنّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُخَلِّصَني مِنْ هٰذَا الرِّجْسِ النَّجِسِ » .

ويلمس من دعاء الإمام مدى تأثّره وانزعاجه من هذا الوغد الذي ابتلي به الإمام كما ابتلي آباؤه الطيّبون بأمثال هذا الرجس الخبيث .

قتله : ولمّا ظهرت بدع هذا الرجس وانتشرت أباطيله ، قبضت عليه السلطة المحلّيّة فعذّبته بأنواع العذاب ، وقتلته أسوأ قتلة[١] .

وقد لاقى جزاءه العادل في الدنيا قبل الآخرة .

٢٣٧ ـ محمّد بن بكر

ابن جناح : عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ، وقد رمي بالوقف[٢] .

٢٣٨ ـ محمّد بن ثابت

عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام مرّتين ، وأضاف في المرّة الثانية

---

(١) رجال الكشّي : ٩٠٩/٤٨٣ .

(٢) رجال الطوسي : ٥١٤٤/٣٤٤ .

أنّه مجهول[١].

٢٣٩ ـ محمّد بن جعفر

ابن سعد الأسلمي، وهو الذي كتب وصيّة الإمام موسى عليه السلام الأولى، وشهد في وصيّته الثانية[٢].

وسنذكر نصّ الوصيّتين في بعض فصول هذا الكتاب.

٢٤٠ ـ محمّد بن الحارث

الأنصاري: عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٣].

كما أنّه أحد الشهود في وصيّة الإمام الثانية على رواية الكليني.

٢٤١ ـ محمّد بن حكيم

الخثعمي. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، يكنّى أبا جعفر. له كتاب يرويه جعفر بن محمّد بن حكيم[٤].

وأثنى عليه في الوجيزة.

٢٤٢ ـ محمّد بن خالد

أبو عبدالله البرقي[٥]: عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٦]، وكان أديباً، حسن المعرفة بالأخبار وعلوم العرب. له كتب، منها: كتاب «التنزيل والتعبير»، وكتاب «يوم وليلة»، وكتاب «التفسير»، وكتاب «مكّة والمدينة»،

(١) رجال الطوسي: ٥١٣٩/٣٤٤.

(٢) الكافي: ١: ٣١٦، الحديث ١٥.

(٣) رجال الطوسي: ٥١٣٢/٣٤٤.

(٤) رجال النجاشي: ٩٥٧/٣٥٧.

(٥) البرقي: نسبة إلى بَرْقَة رُوْد قرية من سواد قم على واد، ذكر ذلك النجاشي: ٨٩٨/٣٣٥.

(٦) رجال الطوسي: ٥١٢١/٣٤٣.

وكتاب « حروب الأوس والخزرج » ، وكتاب « العلل » ، وكتاب « علم الباري » ، وكتاب « الخطب »[١].

وقال فيه ابن الغضائري : « إنّ حديثه يعرف وينكر ، ويروي عن الضعفاء كثيراً ، ويعتمد المراسيل »[٢].

وقال النجاشي : « إنّه ضعيف في حديثه ، ووثّقه جماعة آخرون »[٣].

٢٤٣ ـ محمّد بن زرقان

ابن الحباب صاحب الإمام موسى عليه السلام ، وله نسخة يرويها عنه[٤] ، ومصاحبته للإمام عليه السلام تدلّ على وثاقته ونباهة شأنه.

٢٤٤ ـ محمّد بن سليمان

البصري الديلمي ، من أصحاب الإمام عليه السلام ، وقد رمي بالغلوّ ، ولا يعتمد على حديثه وروايته نظراً لسوء عقيدته[٥].

٢٤٥ ـ محمّد بن سنان

أبو جعفر الزاهريّ الخزاعي : عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام موسى عليه السلام[٦] ، وقد اختلف المترجمون له ، فبين قادح له وموثّق.

قال فيه ابن الغضائري : « إنّه ضعيف ، غال ، يضع الحديث ، لا يلتفت إليه ».

وضعّفه المحقّق في المعتبر ، والعلّامة في المختلف ، والشهيد الثاني في

---

(١) رجال النجاشي : ٨٩٨/٢٣٥.

(٢) رجال ابن الغضائري : ١١٨/٩٣.

(٣) رجال النجاشي : ٨٩٨/٢٣٥.

(٤) رجال النجاشي : ١٠٠٦/٢٧٠.

(٥) رجال الطوسي : ٥١٠٩/٣٤٣.

(٦) رجال الطوسي : ٥١٣٨/٣٤٤.

المسالك، والشيخ في الاستبصار، وقدح فيه غير هؤلاء من الأعلام.

ووثّقه الشيخ المفيد، فقال: «إنّه من أهل الورع والعلم والفقه والدين».

ووثّقه الشيخ المجلسي، والشيخ الحرّ العاملي، والحسن بن أبي شعبة في تحف العقول، وروى الكشّي في حقّه أنّه دخل على أبي الحسن موسى عليه السلام قبل أن يحمل إلى العراق بسنة، وكان عند الإمام ولده الرضا عليه السلام، فالتفت عليه السلام إليه قائلاً: **يا مُحَمَّدُ**.

- لبّيك.

- ستكون في هذه السنة حركة ولا تخرج منها.

وأطرق الإمام برأسه إلى الأرض، ثمّ رفع رأسه والتفت إلى محمّد قائلاً له: **﴿ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ ﴾**[1]

- وما ذاك؟ جعلت فداك.

- **مَنْ ظَلَمَ ابْني هـٰذا** ـ وأشار لولده الرضا عليه السلام ـ **حَقَّهُ، وَجَحَدَ إمامَتَهُ مِنْ بَعْدي كانَ كَمَنْ ظَلَمَ عَلِيَّ بْنَ أبي طالِبٍ** عليه السلام **حَقَهُ، وَجَحَدَ إمامَتَهُ مِنْ بَعْدِ مُحَمَّدٍ** صلى الله عليه وآله.

وأدرك محمّد أنّ الإمام قد نعى إليه نفسه، وإنّ لقاءه بربّه لقريب، فأراد الوقوف على بعض الخفايا التي لا يعلمها إلّا الإمام، فقال له: والله لئن مدّ الله في عمري لأسلمن إليه حقّه، ولأقرّنّ له بالإمامة. أشهد أنّه من بعدك حجّة الله على خلقه، والداعي إلى دينه.

فقال لي: **يا مُحَمَّدُ، يَمُدُّ اللهُ في عُمُرِكَ، وَتَدْعو إلىٰ إمامَتِهِ وَإمامَةِ مَنْ يَقومُ مَقامَهُ مِنْ بَعْدِهِ**.

- ومَن ذاك؟

- **مُحَمَّدٌ ابْنُهُ**.

---

(١) إبراهيم ١٤: ٢٧.

ـ الرضا والتسليم.

ـ **كَذلِكَ ، وَقَدْ وَجَدْتُكَ في صَحيفَةِ أميرِ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام ، أما إنَّكَ في شيعَتِنا أبْيَنُ مِنَ الْبَرْقِ في اللَّيْلَةِ الظَّلْماءِ**[1].

وهذا الخبر دلّ على أنّه من عيون المؤمنين والصالحين ، ووردت أخبار اُخرى أشادت بفضله ووثاقته وقرب منزلته من أهل البيت عليهم السلام ، ذكر هذه الأقوال المحقّق المامقاني رحمه الله ، وقال : «إنّ الأقوى كون الرجل ثقة ، صحيح الاعتقاد ، مقبول الرواية ، وإن رمي من رماه بالغلوّ ، إمّا لاشتباهه من ميله أوّلاً الغلوّ وثباته بمكالمة صفوان معه ، أو لما سمعته آنفاً من بعض الأتقياء من أنّه كان من أصحاب أسرار الأئمّة وروى من أسرارهم ما تمسّك به الغلاة ، فجرحه الأصحاب دفعاً للأفسد ، وهو تقوّي الغلاة بالفاسد ، وهو جرح محمّد بن سنان ، ولو كان ضعيفاً واقعاً لما روى عنه جمّ غفير من أجلاء أصحابنا»[2].

وألّف محمّد من الكتب كتاب «الطرائف» ، وكتاب «الأظلّة» ، وكتاب «المكاسب» ، وكتاب «الحجّ» ، وكتاب «الصيد والذبائح» ، وكتاب «الشراء والبيع» ، وكتاب «الوصيّة» ، وكتاب «النوادر» . توفّي سنة **٢٢٠هـ**[3].

٢٤٦ ـ محمّد بن الصباح

عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[4].

وقال فيه النجاشي : «إنّه كوفي ، ثقة . له كتاب أخبرنا عنه أحمد بن عبدالواحد[5].

---

(١) رجال الكشّي : ٥٠٨ و ٩٨٢/٥٠٩.

(٢) تنقيح المقال : ٣ : ١٢٨.

(٣) رجال النجاشي : ٨٨٩/٣٢٨.

(٤) رجال الطوسي : ٥١٢٨/٣٤٤.

(٥) رجال النجاشي : ٩٨٥/٣٦٥١.

وذكره ابن داود في القسم الأوّل من رجاله»[١].

٢٤٧ ـ محمّد بن صدقة

العنبري البصري، أبو جعفر. روى عن أبي الحسن موسى، وعن الرضا عليه السلام. له كتاب عن موسى بن جعفر عليه السلام[٢].

٢٤٨ ـ محمّد بن عبدالله

الجلّاب البصري: عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، وهو واقفي[٣].

٢٤٩ ـ محمّد بن عذافر

ابن عيسى الصيرفي المدائني، ثقة. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، وعمّر إلى أيّام الرضا عليه السلام، وله كتاب تختلف الرواة فيه، توفّي وله من العمر ثلاث وتسعون سنة[٤].

٢٥٠ ـ محمّد بن عليّ

ابن النعمان، أبو جعفر المعروف بمؤمن الطاق، من عمالقة الفكر الإسلامي، ومن عظماء الزمن الذين فتحوا باب التاريخ على مصراعيه، ودخلوا فيه أحراراً، فسجّلوا لأُمّتهم ولعصرهم العزّ والافتخار،كان مؤمن الطاق في طليعة علماء الإسلام في فقهه وعلمه، ودفاعه عن حوزة الدين، ولكنّ بعض المؤرّخين القدامى لم يجودوا إلّا بنتف يسيرة من آرائه وتراثه.

وطعن الحاقدون عليه فألصقوا به شتّى التهم والظنون، وحملوه أوزاراً كثيرة،

---

(١) رجال ابن داود: ١٧٤.

(٢) رجال النجاشي: ٩٨٣/٣٦٤.

(٣) رجال الطوسي: ٥١٤٢/٣٤٤.

(٤) رجال النجاشي: ٣٥٩ و ٩٦٦/٣٦٠.

وسبب ذلك ـ فيما نحسب ـ مواقفه الشهيرة التي حاجج بها أئمّة المذاهب الإسلاميّة ، وسائر علماء عصره ، فأثبت بوضوح فكرة الإمامة والتقاءها بواقع الإسلام وهديه ، ممّا أدّى إلى إثارة الأحقاد عليه .

وعلى أي حال ، فقد لقّبت الشيعة هذا العملاق العظيم بـ« مؤمن الطاق » ، ولقّبه خصومه وأعداؤه « بشيطان الطاق » ، وسبب ذلك فيما قالوا أنّه كان يجلس للصرف في سوق يقع بطاق المحامل بالكوفة ، فاختصم مع شخص في درهم مزيّف ، فغلب على خصمه ، فلقّب بذلك[١] .

ولا يحمل هذا التعليل أي طابع علمي ، فإنّ هذه البادرة لا تستدعي لقبه بذلك وشيوعه بين الناس ، والصحيح أنّ أوّل من لقّبه بذلك أبو حنيفة عقب مناظرة جرت بحضرته بينه وبين بعض الحروريّة[٢] .

ولقّبته الشيعة بمؤمن الطاق ردّاً على أبي حنيفة .

وحمل بعض المؤلّفين عليه ، فقال : « إنّه الأحول الخبيث شيطان الطاق »[٣] .

وهذا السباب الهزيل ينمّ عن حقد بالغ على هذا المجاهد العظيم الذي نافح عن أهل البيت عليهم السلام ، وانتصر لقضاياهم ، ولا بدّ لنا من وقفة قصيرة للحديث عنه :

تخرّجه : انتمى مؤمن الطاق إلى مدرسة الإمام الصادق عليه السلام ، وانتهل من نمير علومها ، وتخصّص في الفلسفة الإسلاميّة ، وفي مباحث علم الكلام ، وكان من جهابذة هذا الفنّ ، لا يجاريه فيه أحد ، وقد انتدبه الإمام الصادق عليه السلام للقيام بالمناظرات العلميّة مع بقيّة المذاهب الإسلاميّة ، وظلّ ملازماً للإمام يتغذّى من

---

(١) لسان الميزان : ٥ : ٣٠٠ .

(٢) الأعلام : ٦ : ١٥٤ .

(٣) مختصر التحفة الاثنى عشريّة : ٢ .

علومه ، وبعد انتقال الإمام الصادق عليه السلام إلى دار الخلود اختصّ بالإمام موسى عليه السلام ، وأخذ عنه الكثير من العلوم والمعارف ، فكان من أبرز علماء الإسلام في عصره .

سموّ مكانته : كان مؤمن الطاق من قادة الفكر الإسلامي ، وقد أجمع علماء عصره على الاعتراف بمنزلته العلميّة ، وأشاد الإمام الصادق عليه السلام بفضله وقربه منه[1].

فقرنه بعظماء العلماء من أصحابه ، فقال عليه السلام : « **أَحَبُّ النّاسِ إِلَيَّ أَحْياءً وَأَمْواتاً أَرْبَعَةٌ : بُرَيْدُ بْنُ مُعاوِيَةَ الْعِجْلِيُّ ، وَزُرارَةُ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، وَالْأَحْوَلُ** »[2].

ويدلّ هذا الحديث على مدى أهمّيته ومكانته عند الإمام عليه السلام ، فقد قرنه بالأفذاذ من عيون أصحابه .

اختصاصه : واختصّ مؤمن الطاق ـ كما ذكرنا ـ في المباحث الكلاميّة ، فقد كان من الماهرين بهذا الفنّ ، وقد عهد إليه الإمام الصادق عليه السلام بالخوض في هذه البحوث مع علماء عصره ، كما نهى بعض أصحابه عن القيام بذلك نظراً لقلّة بضاعتهم في هذا العلم .

يقول أبو خالد الكابلي : « رأيت أبا جعفر صاحب الطاق وهو قاعد في الروضة قد قطع أهل المدينة أزراره وهو دائب يجيبهم ويسألونه ، فدنوت منه فقلت : إنّ أبا عبدالله (عليه السلام) ينهانا عن الكلام .

فقال : أمرك أن تقول لي ؟

فقلت : لا والله ، ولكن أمرني أن لا أُكلّم أحداً .

قال : فاذهب فأطعه فيما أمرك .

---

(١) لسان الميزان : ٥ : ٣٠١ .

(٢) رجال الكشّي : ٢٣٩/٤٣٤ .

فدخلت على أبي عبدالله عليه السلام فأخبرته بقصّة صاحب الطاق ، وما قلت له ، وقوله لي : اذهب وأطعه فيما أمرك ، فتبسّم أبو عبدالله عليه السلام وقال : **يا أبا خالِدٍ ، إنَّ صاحِبَ الطّاقِ يُكَلِّمُ النّاسَ فَيَطيرُ وَيَنْقَضُّ ، وَأَنْتَ إِنْ قَصُّوكَ لَنْ تَطيرَ**»[١] .

ودلّت هذه البادرة على مدى ما يتمتّع به من الفضل والعلم وسعة الاطّلاع ، ومضافاً إلى اختصاصه بهذا الفنّ ، فإنّه كان من الشعراء الموهوبين ، ولكنّه أعرض واشتغل بعلم الكلام[٢] .

مناظراته : ودلّت مناظراته الفائقة مع خصومه على مهارته وتفوّقه عليهم ، وقد عرف بمتانة الجدل وقوّة الاستدلال والاستنباط ، وفيما يلي بعض مناظراته :

١ ـ مع الضحّاك : وثار الخوارج في الكوفة فاستولوا عليها ، وتزعّم حركتهم الضحّاك ، ولقّب نفسه بأمير المؤمنين ، فأتاه مؤمن الطاق ، فلمّا رآه أصحابه وثبوا إليه وأحاطوا به ، فنهاهم الضحّاك من التعرّض له ، والتفت إليه مؤمن الطاق قائلاً له : أنا رجل على بصيرة من ديني ، وسمعتك تصف العدل ، فأحببت الدخول معك .

فاستبشر الضحّاك واعتبر ذلك نصراً له ، فقال لأصحابه : إن دخل هذا معكم نفعكم .

وأقبل مؤمن الطاق على الضحّاك فوجّه إليه السؤال الآتي قائلاً له : لِمَ تبرّأتم من عليّ بن أبي طالب ، واستحللتم قتله وقتاله ؟

ـ لأنّه حكّم في دين الله .

ـ وكلّ من حكّم في دين الله استحللتم قتله وقتاله والبراءة منه ؟

ـ نعم .

---

(١) رجال الكشّي : ٣٢٧/٢٥٩.

(٢) لسان الميزان: ٥ : ٣٠١.

- فأخبرني عن الدين الّذي جئت أُناظرك عليه لأدخل معك فيه إن غلبت حجّتي حجّتك أو حجّتك حجّتي، من يوقف المخطئ على خطأه ويحكم للمصيب بصوابه؟ فلا بدّ لنا من إنسان يحكم بيننا.

ولم يجد الضحّاك بدّاً من الإجابة، فقال له: هذا الحَكم بيننا، فهو عالم بالدين.

وهنا وجد مؤمن الطاق السبيل إلى مؤاخذته وبطلان اعتقاده، فقال له: وقد حكّمت هذا في الدين الّذي جئت أُناظرك فيه؟

- نعم.

وأقبل مؤمن الطاق على الخوارج فأوقفهم على خطأ صاحبهم قائلاً: إنّ هذا صاحبكم قد حكّم في دين الله، فشأنكم به.

فأقبلوا عليه الخوارج فقطّعوه بسيوفهم»[1].

وخرج مؤمن الطاق وترك الخزي والعار يحزّان في نفوسهم.

٢ ـ مع أبي حنيفة: وله مع أبي حنيفة مناظرات رائعة بديعة دلّت على انتصاره وتفوّقه عليه، فقد اجتمع به، فقال له أبو حنيفة مستهزئاً به: بلغني عنكم معشر الشيعة شيء؟

- ما هو؟

- إنّ الميّت منكم إذا مات كسرتم يده اليسرى لكي يعطى كتابه بيمينه.

وبالوقت سدّد مؤمن الطاق له سهماً من منطقه الفيّاض، فقال له: مكذوب علينا يا نعمان، ولكن بلغني عنكم معشر المرجئة أنّ الميّت منكم إذا مات قمعتم[2] في دبره قمعاً فصببتم فيه جرّة من ماء لكي لا يعطش يوم القيامة.

---

(١) رجال الكشّي: ٢٦١/٢٣٠.

(٢) قمعتم: أي ضربتم.

فلم يطق أبو حنيفة جواباً، فقال: : مكذوب علينا وعليكم[(١)].

واجتمع به مرّة فقال له أبو حنيفة: يا أبا جعفر، تقول بالرجعة ؟

- نعم.

فقال أبو حنيفة مستهزئاً وساخراً: أقرضني من كيسك خمسمائة دينار، فإذا عدت أنا وأنت رددتها إليك.

فقال مؤمن الطاق: أريد ضميناً يضمن لك أنّك لا تعود قرداً لأتمكّن من استرجاع ما أخذت منّي[(٢)].

ولم يتمكّن أبو حنيفة من الردّ عليه، وانصرف وهو مخذول.

واجتمع به مرّة أخرى، فقال له: يا أبا جعفر، ما تقول في المتعة ؟ أتزعم أنّها حلال ؟

- نعم.

- فما يمنعك أن تأمر نساءك أن يستمتعن ويكتسبن لك ؟

- ليس كلّ الصناعات يرغب فيها، وإن كانت حلالاً، وللناس مراتب ترتفع بها أقدارهم، ولكن ما تقول يا أبا حنيفة في النبيذ ؟ أتزعم أنّه حلال ؟

- نعم.

- فما يمنعك أن تقعد نساءك في الحوانيت نبّاذات يكتسبن لك.

- واحدة بواحدة، وسهمك أنفذ[(٣)].

ولمّا توفّي الإمام أبو عبدالله عليه السلام، قال له أبو حنيفة متشمّتاً بوفاة الإمام عليه السلام:

---

(١) رجال الكشّي: ٢٦٢/٣٣٢.

(٢) تنقيح المقال: ٣: ١٦١.

(٣) الكافي: ٥: ٤٥٠، الحديث ٨.

يا أبا جعفر ، إنّ إمامك قد مات .

- لكنّ إمامك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ، أراد بذلك الشيطان[١] .

وله مناظرات أُخرى مع أبي حنيفة ، دلّت على تفوّقه عليه واستحضاره للجواب .

٣ - مع ابن أبي العوجاء : واجتمع مؤمن الطاق بابن أبي العوجاء رأس الإلحاد في العالم العربي ، فوجّه إليه ابن أبي العوجاء السؤال الآتي : أليس مَن صنع شيئاً واحداً أو أحدثه حتّى يعلم أنّه من صنعه فهو خالقه ؟

- بلى .

- أجّلني شهراً أو شهرين ثمّ تعال إليّ حتّى أُريك .

قال مؤمن الطاق : فسافرت إلى بيت الله الحرام ، فدخلت على أبي عبدالله عليه السلام ، فعرضت عليه الأمر ، فقال عليه السلام : **إنَّهُ قَدْ هَيَّأَ لَكَ شاتَيْنِ ، وَمَعَهُ جَمْعٌ مِنْ أَصْحابِهِ ، ثُمَّ يُخْرِجُ الشّاتَيْنِ وَقَدِ امْتَلأتا دوداً فَيَقولُ لَكَ : هٰذِهِ الدّودُ قَدْ حَدَثَتْ مِنْ فِعْلي .**

قُلْ لَهُ : إنْ كانَ مِنْ صُنْعِكَ فَمَيِّزْ ذُكورَها مِنْ إناثِها .

وَيَقولُ لَكَ : لَيْسَتْ هٰذِهِ مِنْ أَبْزارِكَ ، إنَّما حَمَلْتَها مِنَ الْحِجازِ .

ثُمَّ يَقولُ لَكَ : أَلَيْسَ تَزْعَمُ أَنَّهُ غَنِيٌّ ؟

قُلْ لَهُ : بَلىٰ .

وَيقولُ لَكَ : أَيَكونُ الْغَنِيُّ عِنْدَكَ مَعْقولاً في وَقْتٍ مِنَ الأَوْقاتِ لَيْسَ عِنْدَهُ ذَهَبٌ وَلَا فِضَّة ؟

قُلْ لَهُ : نَعَمْ .

يَقولُ لَكَ : كَيْفَ يَكونُ هٰذا غَنِيّاً ؟

---

(١) رجال الكشّي : ٣٢٩/١٨٧.

قُلْ لَهُ : إنْ كانَ الْغِنىٰ بَيْنَنا مِنْ قِبَلِ الذَّهَبِ أَوِ الْفِضَّةِ أَوِ التِّجارَةِ فَهٰذا كُلُّهُ مِمّا يَتَعامَلُ بِهِ النّاسُ ، فَأَيُّ شَيْءٍ في الْقِياسِ أَكْبَرُ وَأَوْلىٰ بِأَنْ يُقالَ : غَنِيٌّ عَلىٰ مَنْ أَحْدَثَ الْغِنىٰ ، فَأَغْنىٰ بِهِ النّاسَ قَبْلَ أَنْ يَكونَ شَيْءٌ وَهُوَ وَحْدَهُ أَوْ مَنْ أَفادَ مالاً مِنْ هِبَةٍ وَصَدَقَةٍ وَتِجارَةٍ .

وعاد مؤمن الطاق إلى بلاده ، فاجتمع بابن أبي العوجاء ، فجرى الحديث السالف بينه وبينه ، فقال متبهّراً : هذه والله ليست من أبزارك ، هذه والله ممّا تحملها الإبل[1] .

وله مناظرات أُخرى دلّت على سعة معارفه وعلومه .

مؤلّفاته : ألّف مؤمن الطاق جملة من الكتب في مختلف العلوم ، وهذه بعضها :

١ ـ افعل ولا تفعل ، وهو كتاب كبير ، حسن ، رآه النجاشي عند أحمد بن الحسين ، وقال فيه : إنّ بعض المتأخّرين أدخل فيه أحاديثاً تدلّ فيه على الفساد .

٢ ـ كلامه مع الخوارج ، ويتضمّن مناظراته معهم وفساد عقيدتهم .

٣ ـ مجالسه مع أبي حنيفة والمرجئة .

٤ ـ الاحتجاج في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام[2] .

٥ ـ المعرفة .

٦ ـ الردّ على المعتزلة في إمامة المفضول .

٧ ـ الجمل ، يشرح فيه قصّة طلحة والزبير وعائشة .

٨ ـ إثبات الوصيّة[3] .

إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن هذا الفذّ العظيم الذي جاهد طويلاً ، وناضل كثيراً

---

(١) بحار الأنوار : ٤٧ : ٤٠٦ .

(٢) رجال النجاشي : ٨٨٦/٣٢٦ .

(٣) فهرست الطوسي : ٥٩٤/٢٠٧ .

في سبيل الله ، والذبّ عن كيان الإسلام في وقت كانت السلطة الحاكمة تطارد المصلحين وتنكّل برجال العلم والعقيدة الذين كانوا ينشرون فضائل أهل البيت عليهم السلام .

٢٥١ ـ محمّد بن عليّ

النيسابوري ، من ثقات الشيعة ، وهو الذي أوفده أهالي نيسابور ممثّلاً عنهم بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام لمعرفة الحجّة والإمام بعد أبي عبدالله عليه السلام ، وقد ذكرنا حديثه في الجزء الأوّل من هذا الكتاب .

٢٥٢ ـ محمّد بن عمرو

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام عليه السلام ، وهو واقفي[١] .

٢٥٣ ـ محمّد بن عمر

ابن يزيد بيّاع السابريّ . روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام ، وله كتاب[٢] .

٢٥٤ ـ محمّد بن الفرج

الرُّخّجِيّ[٣] . روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام ، وله كتاب[٤] .

٢٥٥ ـ محمّد بن فُضَيْل

ابن كثير الأزدي الصيرفي الكوفي . روى عن أبي الحسن موسى وولده الرضا عليهما السلام ، وله كتاب ومسائل[٥] .

---

(١) رجال الطوسي : ٥١٤٥/٣٤٤ .

(٢) رجال النجاشي : ٩٨١/٣٦٤ .

(٣) الرخجي : نسبة إمّا إلى رخج كورة أو مدينة من نواحي كابل ، أو إلى الرخجة قرية تبعد عن بغداد بفرسخ .

(٤) رجال النجاشي : ١٠١٤/٣٧١ .

(٥) رجال النجاشي : ٩٩٥/٣٦٧ .

٢٥٦ ـ محمّد بن مسعود

الطائي ، كوفي ، عربي ، ثقة . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام . له كتاب[١] .

٢٥٧ ـ محمّد بن يزيد

النهرواني : عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٢] .

وهو مجهول الحال[٣] .

٢٥٨ ـ محمّد بن يونس

عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام موسى عليه السلام ، وقال : إنّه ثقة[٤] ، وكذا ذكره العلّامة في الخلاصة ، وورد توثيقه في كلّ من الوجيزة والبلغة[٥] .

٢٥٩ ـ مُرازِم بن حكيم

الأزدي ، المدائني ، مولى ، ثقة . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام ، أحضره الرشيد ومعه أخواه محمّد وحديد مع عبدالحميد بن عواض فأمر الرشيد بقتل عبدالحميد ونجا مرازم وأخواه من شرّه . توفّي في أيّام الإمام الرضا عليه السلام ، وله كتاب يرويه جماعة[٦] .

٢٦٠ ـ مسعدة بن صدقة

العبدي ، يكنّى أبا محمّد ، وقيل : أبو بِشْر . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن

---

(١) رجال النجاشي : ٩٥٩/٣٥٨ .

(٢) رجال الطوسي : ٥١١٨/٣٤٣ .

(٣) انظر المفيد من معجم رجال الحديث : ٥٩٠ .

(٤) رجال الطوسي : ٥١١٦/٣٤٣ .

(٥) خلاصة الأقوال : ٣٦ . الوجيزة : ٥٠ .

(٦) رجال النجاشي : ١١٣٨/٤٢٤ .

موسى عليه السلام ، وله كتب ، منها : كتاب « خطب أمير المؤمنين عليه السلام »[(١)].

٢٦١ ـ مِسْمَع بن عبدالملك

ابن مسمع بن شيبان ، أبو سيّار الملقّب بكُرْدين شيخ بكر بن وائل بالبصرة ، ووجهها وسيّد المسامعة . روى عن أبي جعفر عليه السلام روايات يسيرة ، وروى عن أبي عبدالله عليه السلام ، واختصّ به ، وأكثر من الرواية عنه . قال له أبو عبدالله عليه السلام : « **إنّي لأعُدُّكَ لأمْرٍ عَظيمٍ يا أبا السَّيّارِ** ».

روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام ، وله نوادر كثيرة ، وهو الذي روى أيّام البَسوس[(٢)].

٢٦٢ ـ مصادف

مولى أبي عبدالله الصادق عليه السلام : عدّه الكشّي من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ، وقد اشترى الإمام الكاظم عليه السلام ضيعة ووهبها لولد مصادف[(٣)] ، وضعّفه ابن الغضائري[(٤)].

٢٦٣ ـ معاوية بن عمّار

ابن أبي معاوية البجلي الدهني ، كوفي ، كان وجهاً في أصحابنا ومقدّماً ، كبير الشأن ، عظيم المنزلة ، ثقة ، وكان أبوه عمّار ثقة عند العامّة . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام . له كتب ، منها : كتاب « الحجّ » ، وكتاب « الصلاة » ، وكتاب « يوم وليلة » ، وكتاب « الدعاء » ، وكتاب « الطلاق » ، وكتاب « مزار أمير المؤمنين عليه السلام » . توفّي سنة ١٧٥هـ[(٥)].

---

(١) رجال النجاشي : ٤١٥/١١٠٨.

(٢) رجال النجاشي : ٤٢٠/١١٢٤.

(٣) رجال الكشّي : ٤٤٩/٨٤٦.

(٤) رجال ابن الغضائري : ٩٠/٩.

(٥) رجال النجاشي : ٤١١/١٠٩٦.

٢٦٤ ـ معاوية بن وَهْب

البَجَليّ ، أبو الحسن ، عربي صميم ، ثقة ، حسن الطريقة . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام ، له كتب ، منها كتاب « فضائل الحجّ »[١].

وثّقه جماعة من الأعلام[٢].

٢٦٥ ـ معتب

مولى أبي عبدالله : عدّه الشيخ من أصحاب أبي الحسن موسى عليه السلام ، وأضاف إلى ذلك أنّه ثقة ، وقال في حقّه الإمام أبو عبدالله عليه السلام : **مَوالِيَّ عَشَرَةٌ خَيْرُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ مُعَتِّبٌ**[٣].

٢٦٦ ـ المغيرة بن توبة

المخزومي الكوفي : عدّه الشيخ المفيد في إرشاده من خاصّة الإمام الكاظم عليه السلام وثقاته ، ومن أهل الورع والعلم والفقه ، وأحد رواة النصّ على إمامة الرضا عليه السلام[٤].

٢٦٧ ـ المفضل بن صالح

أبو جميلة النخّاس . قال فيه ابن الغضائري : « إنّه كذّاب ، كان يضع الحديث ، وقد روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام »[٥].

٢٦٨ ـ المفضل بن عمر

الجعفي الكوفي ، من كبار العلماء ، ومن عيون المتّقين والصالحين ، ومن أفذاذ عصره . له المنزلة المرموقة ، والمكانة العليا عند أهل البيت عليهم السلام ، وفيما يلي عرض

---

(١) رجال النجاشي : ٤١٢/١٠٩٧ .

(٢) الوجيزة : ٥١ . رجال ابن داود : ١٩١ . إيضاح الاشتباه : ٢٩٥ .

(٣) تنقيح المقال : ٣ : ٢٢٧ .

(٤) الإرشاد : ٢ : ٢١٦ .

(٥) رجال ابن الغضائري : ٨٨/١٣٢ .

لبعض شؤونه :

ولادته : ولد بالكوفة في نهاية القرن الأوّل ، في أيّام الإمام الباقر عليه السلام .

نشأته : نشأ بالكوفة في وقت كان الجوّ السياسي مضطرباً ، وكانت الأحزاب السياسيّة والجمعيّات الدينيّة منتشرة في جميع أنحاء العالم العربي والإسلامي ، خصوصاً في الكوفة ، فقد كانت مصدر الانطلاق لجميع الأحزاب ، ونشأ المفضّل في وسط ذلك المعترك الهائل ، وقد تغذّى بحبّ أهل البيت عليهم السلام ، لأنّ مجتمعه كانت الصبغة السائدة فيه هو الولاء للأئمّة الكرام عليهم السلام ، واتّصل بهم اتّصالاً وثيقاً ، كما سنبيّنه .

علمه : كان من كبار العلماء ، ومن قادة الفكر في الإسلام ، اقتبس العلوم من الإمام الصادق عليه السلام ، فقد اختصّ به حفنة من السنين ، وكان من عيون أصحابه الذين أخذوا العلم عنه ، ويكفي للتدليل على غزارة علمه كتابه القيّم المسمّى « توحيد المفضّل » الذي أملاه عليه الإمام الصادق عليه السلام ، فإنّ الكتاب من مفاخر التراث الإسلامي الذي يعتزّ به ، وقد قرّض المحقّق صدر الدين العاملي الكتاب وأثنى على المفضّل بقوله : « ومن نظر في حديث المفضّل المشهور عن الصادق عليه السلام علم أنّ ذلك الخطاب البليغ ، والمعاني العجيبة ، والألفاظ الغريبة ، لا يخاطب الإمام بها إلّا رجلاً عظيماً ، كثير العلم ، ذكي الحسّ ، أهلاً لتحمّل الأسرار الرفيعة ، والدقائق البديعة »[١] .

وأقرّ الإمام الصادق عليه السلام بمواهبه العلميّة ، فقد حدّث الفيض بن المختار ، قال : « قلت للإمام الصّادق عليه السلام : جعلني الله فداك ، إنّي لأجلس في حلقهم بالكوفة فأكاد أشكّ في اختلافهم في حديثهم حتّى أرجع إلى المفضّل بن عمر فيقضي من ذلك ، على ما تستريح إليه نفسي ، ويطمئنّ إليه قلبي .

---

(١) شرح توحيد المفضّل : ١٧ .

فقال له الإمام عليه السلام : « **أجَلْ هُوَ كَذلِكَ** »[١].

وعدّه الشيخ المفيد من ثقات الفقهاء الصالحين[٢].

وثاقته : كان المفضّل من عيون الثقات الصالحين ، ومن ذوي البصيرة في دينهم ، ويكفي للتدليل على ورعه وكالته عن الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام في قبض أموالهما ، وقبض الحقوق الشرعيّة الراجعة لهما ، وصرفها بحسب نظره من إصلاح ذات البين وإعطائها للفقراء والبائسين .

ومن الطبيعي أنّ هذا التفويض ينمّ عن سموّ منزلته ، ونباهة شأنه .

وقال في حقّه الإمام الصادق عليه السلام : « **نِعْمَ الْعَبْدُ وَاللهِ الَّذي لَا إِلـٰهَ إِلّا هُوَ الْمُفَضَّلُ بْنُ عُمَرِ الْجُعْفِيّ** »[٣].

وقال الإمام الرضا عليه السلام في تأبينه : « **إِنَّ الْمُفَضَّلَ كانَ أُنْسِي وَمُسْتَراحي** »[٤].

ووردت أخبار كثيرة في الثناء عليه ، وهي تدلّ على إيمانه الصادق ، وورعه واجتهاده في طاعة الله تعالى ، وعزوفه عن الدنيا .

جرحه : اتّهمه جماعة بالغلوّ وبالخطابيّة ، وبغير ذلك من المذاهب الفاسدة ، متمسّكين بأخبار ضعيفة لا يمكن التمسّك بها في جرح هذا العملاق العظيم الذي هو من دعائم الإسلام ، فإنّ أغلب ثقات الإسلام من رجال الشيعة كهشام بن الحكم وغيره قد اتّهموا بما هم بريئون منه .

مؤلّفاته : وألّف المفضّل عدّة من الكتب دلّت على مقدرته العلميّة ، وهذه

---

(١) رجال الكشّي : ٢١٦/٢١٨ .

(٢) الإرشاد : ٢ : ٢١٦ .

(٣) أخبار معرفة الرجال : ٢ : ٦١٤ . التحرير الطاووسي : ٥٣٩ .

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ : ٤١ . خاتمة المستدرك : ٤ : ٩٦ . رجال الكشّي : ٢ : ٩٨٢/٧٩٦ .

بعضها :

١ ـ كتاب يوم وليلة .

٢ ـ كتاب فكر .

٣ ـ كتاب بدء الخلق والحثّ على الاعتبار .

٤ ـ كتاب علل الشرائع .

٥ ـ كتاب وصيّة المفضّل[1] .

ومن أجلّ الكتب التي ألّفها هو «التوحيد» ، والذي يسمّيه النجاشي بكتاب «فكر» ، وقد شكّك الأُستاذ البحّاثة السيّد مصطفى جواد في نسبته إلى المفضّل في مقال نشره في مجلّة الوحدة الإسلاميّة تحت عنوان (أتوحيد المفضّل أم توحيد الجاحظ ؟) ، وقد تمسّك فيما ذهب إليه بأدلّة واهية ، وتعرّض لإبطالها جماعة من الكتاب والمحقّقين ، في طليعتهم المغفور له صديقنا الأُستاذ الشيخ محمّد الخليلي في مقدّمته للكتاب المذكور ، وقد شرحه شرحاً مستفيضاً وقيّماً على ضوء العلم الحديث ، واعتمد على ما أفاده في نسبة الكتاب إلى المفضّل بأدلّة وافرة وحجج قاطعة .

وصيّته للشيعة : وأوصى المفضل جماعة من إخوانه الشيعة بهذه الوصيّة القيّمة الحافلة بأخلاق أهل البيت عليهم السلام وآدابهم وسيرتهم .

وينبغي أن تكون درساً ومنهاجاً لكلّ مسلم ، وذلك لما فيه من النصائح الرفيعة ، والمثل الفذّة ، وهذا نصّها :

«أُوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له ، وشهادة أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله . اتّقوا الله وقولوا قولاً معروفاً ، وابتغوا رضوان الله ، واخشوا سخطه ،

---

(١) رجال النجاشي : ٤١٦/١١١٢ .

وحافظوا على سنّة الله ، ولا تتعدّوا حدود الله ، وراقبوا الله في جميع أموركم ، وارضوا بقضائه فيما لكم وعليكم .

ألا وعليكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ألا ومن أحسن إليكم فزيدوه إحساناً ، واعفوا عمّن أساء إليكم ، وافعلوا الخير بالناس ما تحبّون أن يفعلوه بكم .

ألا وخالطوهم بأحسن ما تقدرون عليه ، وإنّكم أحرى أن لا تجعلوا عليكم سبيلاً . عليكم بالفقه في دين الله ، والورع عن محارمه ، وحسن الصحبة لمن صحبكم برّاً كان أو فاجراً .

ألا وعليكم بالورع الشديد ، فإنّ ملاك الدين الورع . صلّوا الصلوات لمواقيتها ، وأدّوا الفرائض على حدودها .

ألا ولا تقصروا فيما فرض الله عليكم ، وبما يرضى عنكم ، فإنّي سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : **تَفَقَّهوا في دينِ اللهِ ، وَلَا تكونوا أعْراباً ، فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَتَفَقَّهْ في دينِ اللهِ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ** . وعليكم بالقصد في الغنى والفقر ، واستعينوا ببعض الدنيا على الآخرة ، فإنّي سمعت أبا عبدالله يقول : **اسْتَعينوا بِبَعْضِ هٰذِهِ عَلىٰ هٰذِهِ ، وَلَا تَكونوا كَلّاً عَلَى النّاسِ** ، عليكم بالبر بجميع من خالطتموه وحسن الصنيع إليه .

ألا وإيّاكم والبغي ، فإنّ أبا عبدالله كان يقول : **إنَّ أَسْرَعَ الشَّرِّ عُقوبَةً الْبَغْيُ** . أدّوا ما افترض الله عليكم من الصلاة والصوم وسائر فرائض الله ، وأدّوا الزكاة المفروضة إلى أهلها ، فإنّ أبا عبدالله قال : **يا مُفَضَّلُ ، قُلْ لأَصْحابِكَ : يَضَعونَ الزَّكاةَ في أَهْلِها ، وَإِنّي ضامِنٌ لِما ذَهَبَ لَهُم** . عليكم بولاية آل محمّد صلى الله عليه وآله . اصلحوا ذات بينكم ، ولا يغتب بعضكم بعضاً . تزاوروا وتحابّوا وليحسن بعضكم إلى بعض . وتلاقوا وتحدّثوا ولا يبطننّ بعضكم عن بعض[1] ، وإيّاكم والتصارم ، وإيّاكم والهجران ،

---

(١) في بعض النسخ : « لا يبطئنّ » .

فإنّي سمعت أبا عبدالله يقول: **وَاللهِ لا يَفْتَرِقُ رَجُلانِ مِنْ شيعَتِنا عَلَى الْهِجْرانِ إلّا بَرِئْتُ مِنْ أَحَدِهِما وَلَعَنْتُهُ، وَأَكْثَرُ ما أَفْعَلُ ذلِكَ بِكِلَيْهِما.**

فقال له معتب[١]: جعلت فداك، هذا الظالم ما بال المظلوم؟

قال: **لأَنَّهُ لا يَدْعو أَخاهُ إلىٰ صِلَتِهِ، سَمِعْتُ أَبي يَقولُ: إذا تَنازَعَ اثْنانِ مِنْ شيعَتِنا فَفارَقَ أَحَدُهُما الآخَرَ فَلْيَرْجِعِ الْمَظْلومُ إلىٰ صاحِبِهِ حَتّىٰ يَقولَ لَهُ: يا أَخي، أَنا الظّالِمُ حَتّىٰ يَنْقَطِعَ الْهِجْرانُ فيما بَيْنَهُما، إنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ حَكَمٌ عَدْلٌ يَأْخُذُ لِلْمَظْلومِ مِنَ الظّالِمِ.**

لا تحقّروا ولا تجفوا فقراء شيعة آل محمّد صلى الله عليه وآله، والطفوهم واعطوهم من الحقّ الذي جعله الله لهم في أموالكم، وأحسنوا إليهم، ولا تأكلوا أموال الناس.

لا تأكلوا الناس بآل محمّد صلى الله عليه وآله، فإنّي سمعت أبا عبدالله يقول: **افْتَرَقَ النّاسُ فينا عَلىٰ ثَلاثِ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ أَحَبّونا انْتِظارَ قائِمِنا لِيُصيبوا مِنْ دُنْيانا، فَقالوا وَحَفِظوا كَلامَنا، وَقَصَّروا عَنْ فِعْلِنا، فَيَحْشُرُهُمُ اللهُ إِلَى النّارِ، وَفِرْقَةٌ أَحَبّونا، وَسَمِعوا كَلامَنا، وَلَمْ يُقَصِّروا عَنْ فِعْلِنا، لِيَسْتَأْكِلوا النّاسَ بِنا، فَيَمْلأُ اللهُ بُطونَهُمْ ناراً يُسَلِّطُ عَلَيْهِمُ الْجوعَ وَالْعَطَشَ، وَفِرْقَةٌ أَحَبّونا وَحَفِظوا قَوْلَنا، وَأَطاعوا أَمْرَنا، وَلَمْ يُخالِفوا فِعْلَنا، فَأُولٰئِكَ مِنّا وَنَحْنُ مِنْهُمْ.**

ولا تدعوا صلة آل محمّد صلى الله عليه وآله من أموالكم، مَن كان غنيّاً فبقدر غناه، ومن كان فقيراً فبقدر فقره، فمن أراد أن يقضي الله لهم أهمّ الحوائج فليصل آل محمّد وشيعتهم بأحوج ما يكون إليه من ماله، لا تغضبوا من الحقّ إذا قيل لكم، ولا تبغضوا أهل الحقّ إذا صدعوكم به، فإنّ المؤمن لا يغضب من الحقّ إذا صدع به.

---

(١) معتب: مولى أبي عبدالله عليه السلام، ومن خواصّ أصحابه.

وقال أبو عبدالله مرّة وأنا معه : **يا مُفَضَّلُ ، كَمْ أَصْحابُكَ ؟**

فقلت : قليل .

فلمّا انصرفت إلى الكوفة أقبلت عليّ الشيعة فمزّقوني كلّ ممزّق ، يأكلون لحمي ، ويشتمون عِرضي ، حتّى أنّ بعضهم استقبلني فوثب في وجهي ، وبعضهم قعد لي في سكك الكوفة يريد ضربي ، ورموني بكلّ بهتان حتّى بلغ ذلك أبا عبدالله عليه‌السلام ، فلمّا رجعت إليه في السنة الثانية كان أوّل ما استقبلني به بعد تسليمه عليّ أن قال : **يا مُفَضَّلُ ، ما هـٰذا الَّذي بَلَغَني أَنَّ هـٰؤلاءِ يَقولونَ لَكَ وَفيكَ ؟**

قلت : وما عليّ من قولهم .

قال : **أَجَلْ بَلْ ذلِكَ عَلَيْهِم ، أَيَغْضَبونَ بُؤْساً لَهُمْ ، إِنَّكَ قُلْتَ إِنَّ أَصْحابَكَ قَليلٌ ، لا وَاللهِ ما هُمْ لَنا شيعَةٌ ، وَلَوْ كانوا لَنا شيعَةً ما غَضِبوا مِنْ قَوْلِكَ ، وَما اشْمَأَزّوا مِنْهُ ، لَقَدْ وَصَفَ اللهُ شيعَتَنا بِغَيْرِ ما هُمْ عَلَيْهِ ، ما شيعَةُ جَعْفَرٍ إِلّا مِنْ كَفَّ لِسانَهُ ، وَعَمِلَ لِخالِقِهِ ، وَرَجا سَيِّدَهُ ، وَخافَ اللهَ حَقَّ خيفَتِهِ ، وَيْحَهُمْ أَفيهِمْ مَنْ قَدْ صارَ كَالْحَنايا مِنْ كَثْرَةِ الصَّلاةِ ، أَوْ قَدْ صارَ كَالتّائِهِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ ، أَوْ كَالضَّريرِ مِنَ الْخُشوعِ ، أَوْ كَالضَّنيِّ مِنَ الصِّيامِ ، أَوْ كَالْأَخْرَسِ مِنْ طولِ الصَّمْتِ وَالسُّكوتِ ، أَوْ هَلْ فيهِمْ مَنْ قَدْ أَدْأَبَ لَيْلَهُ مِنْ طولِ الْقِيامِ ، وَأَدْأَبَ نَهارَهُ مِنَ الصِّيامِ ، أَوْ مَنَعَ نَفْسَهُ لَذّاتِ الدُّنْيا وَنَعيمِها خَوْفاً مِنَ اللهِ ، وَشَوْقاً إِلَيْنا أَهْلَ الْبَيْتِ . . .** » إلى آخر وصيّته ، وقد حفلت بالحثّ على تقوى الله وطاعته ، وفعل الخير(١) .

٢٦٩ ـ مُنَخَّل بن جميل

الأسدي الكوفي . قال فيه ابن الغضائري : « إنّه روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما‌السلام ، وهو كوفي ، ضعيف ، في مذهبه غلوّ ، وقد اتّفق جميع المترجمين له

---

(١) تحف العقول : ٥١٣ ـ ٥١٥ .

على رميه بالغلوّ والضعف ، وله كتاب في التفسير »(١).

٢٧٠ ـ منصور بن أبي بصير

مولى أبي الحسن عليه السلام : عدّه الشيخ في رجاله بهذا العنوان من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام(٢).

٢٧١ ـ منصور بن حازم

أبو أيّوب البَجَليّ الكوفيّ ، ثقة ، عين ، صدوق ، من أجلّاء الشيعة ، ومن عيون الفقهاء . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن موسى عليهما السلام ، ألّف جملة من الكتب ، منها : كتاب « أُصول الشرائع » ، ومنها كتاب « الحجّ »(٣). وظاهره أنّه إمامي مجهول الحال(٤).

وأجمع المترجمون له على توثيقه ، وسعة علمه ، وفقاهته(٥).

٢٧٢ ـ منصور بن يونس

قال فيه النجاشي : « إنّه أبو يحيى ، وقيل : أبو سعيد ، كوفي ، ثقة . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن موسى عليهما السلام ، وله كتاب »(٦).

ورماه الشيخ بالوقف ، وروى الكشّي أنّه دخل على أبي الحسن موسى عليه السلام ، فقال له الإمام : **أما عَلِمْتَ ما أَحْدَثْتُ في يَوْمي هٰذا ؟**

فقال له : لا .

---

(١) رجال النجاشي : ٤٢١/١١٢٧ . فهرست الطوسي : ٢٥١/٧٥٩ . رجال ابن الغضائري : ٨٩.

(٢) رجال الطوسي : ٣٤٣/٥١٢٠.

(٣) رجال النجاشي : ٤١٣/١١٠١.

(٤) جامع الرواة : ٢ : ٢٦٤.

(٥) رجال النجاشي : ٤١٣/١١٠٠.

(٦) رجال الطوسي : ٣٤٣/٥١١٩.

فقال عليه السلام : **قَدْ صَيَّرْتُ عَلِيّاً ابْنِي وَصِيِّي وَالْخَلَفَ مِنْ بَعْدِي ، فَادْخُلْ عَلَيْهِ فَهَنِّئْهُ بِذلِكَ ، وَأَعْلِمْهُ أَنِّي أَمَرْتُكَ بِهذا** .

فدخل على الإمام الرضا عليه السلام فهنّأه بذلك ، وأعلمه بمقالة أبيه .

ولمّا توفّي عليه السلام جحد موته ، والسبب في ذلك أنّه كانت بيده أموال للإمام موسى ، فطمع بها ، فأنكرها وأنكر إمامة الإمام الرضا عليه السلام ، وقد أسقط بعضهم ذلك عن الاعتبار ، وبنى على عدالة الرجل ووثاقته(١) .

٢٧٣ - موسى بن إبراهيم

المروزيّ ، اختصّ بالإمام موسى عليه السلام لمّا كان في سجن الطاغية السندي بن شاهك ، لأنّه كان معلّماً لولده ، وقد فسح له المجال للاتّصال بالإمام ، وقد ألّف كتاباً ممّا سمعه من الإمام عليه السلام(٢) ، وقد أسماه مسند الإمام موسى بن جعفر .

توجد نسخة منه في المكتبة الظاهريّة بدمشق ضمن المجموع رقم (**٣٤ - ٧٠**) وقد استنسخها ، وصوّر بعض فصولها العلّامة الجليل السيّد محمّد الحسين الحسيني الجلالي ، وهي حسب تحقيقه يرجع عهدها إلى القرن السادس للهجرة ، وعليها عدّة تواريخ أقدمها سنة **٥٣١**هـ ، وهي من موقوفات الحافظ المحدّث ضياء الدين أبي عبدالله محمّد بن عبدالله الواحد السعدي المقدسي الصالحي الحنبلي .

وقد عنى العلّامة الجلالي عناية بالغة بتحقيق المسند ، فترجم لمؤلّفه ترجمة وافية ، فذكر شيوخه ، ومن روى عنه ، كما ذكر سند الكتاب حسب ما نصّ عليه الشيخ الطوسي والنجاشي ، وأبو المكارم البادرائي الذي هو سند النسخة وعليها عدّة سماعات قديمة التاريخ ، ويحتوي على **٥٩** حديثاً ، وفيما يلي بعضها :

١ - حدّثنا محمّد بن محمّد خلف ، حدّثنا موسى بن إبراهيم ، حدّثنا موسى بن

---

(١) رجال الكشّي : ٨٩٣/٤٦٨ .

(٢) رجال النجاشي : ١٠٨٢/٤٠٧ .

جعفر ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : « قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : مَنْ أَصْبَحَ مِنْ أُمَّتي وَهَمَّهُ غَيْرُ اللهِ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ » .

٢ ـ وبنفس هذا الإسناد ، قال عليه السلام : « قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : مَنْ روىٰ عَنّي حَديثاً وَهُوَ يَرى أَنَّهُ كَذِبٌ ، فَهُوَ أَحَدُ الْكاذِبينَ » .

٣ ـ قال عليه السلام : « كانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ أَنْ يَكونَ الرَّجُلُ خَفيفَ الصَّوْتِ ، وَيَكْرَهُ أَنْ يَكونَ الرَّجُلُ جَهيرَ الصَّوْتِ » .

٤ ـ قال عليه السلام : « قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : إِنَّ الْعُجْبَ يُفْسِدُ عَمَلَ سَبْعينَ سَنَةً » .

٥ ـ قال عليه السلام : « قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : إِذا أَرَدْتُمْ أَنْ تُزَكّوا صَلاتَكُمْ فَقَدِّموا خِيارَكُمْ » .

٦ ـ قال عليه السلام : « قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : لا طاعَةَ لِمَخْلوقٍ في مَعْصِيَةِ الْخالِقِ » .

٧ ـ قال عليه السلام : « قالَ عَلِيٌّ عليه السلام : قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : مَنِ ادَّعىٰ إِلىٰ غَيْرِ أَبيهِ حَشَرَهُ اللهُ مَعَ الْمُشْرِكينَ » .

٨ ـ قال عليه السلام : « قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : مَنْ آذَى الْمُسْلِمينَ في طُرُقِهِمْ ، وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ » .

٩ ـ قال عليه السلام : « قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : مَنْ حافَظَ عَلَى الصَّلَواتِ الْخَمْسِ في جَماعَةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغافِلينَ » .

١٠ ـ قال عليه السلام : « قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : ما ازْدادَ عَبْدٌ مِنَ الشَّيْطانِ دُخولاً إِلّا ازْدادَ مِنَ اللهِ بُعْداً » .

١١ ـ قال عليه السلام : « قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : اصْنَعِ الْمَعْروفَ إِلىٰ مَنْ هُوَ أَهْلُهُ ، وَإِلىٰ مَنْ لَيْسَ هُوَ أَهْلَهُ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ » .

١٢ ـ وبنفس هذا الإسناد ، قال عليه السلام : « قالَ عَلِيٌّ عليه السلام : الْمُصافَحَةُ أَثْبَتُ لِلْمَوَدَّةِ » .

١٣ ـ قال عليه السلام : « قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : الْمَرْءُ عَلىٰ دينِ خَليلِهِ ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ

مَنْ يُخالِلْ ».

١٤ ـ قال عليه السلام : « قالَ عليه السلام : إنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عليهما السلام كانا لا يَقْبَلانِ جَوائِزَ مُعاوِيَةَ بْنِ أبي سُفْيانَ ».

١٥ ـ قال عليه السلام : « قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : مَنْ أُذِنَ لَهُ بِالدُّعاءِ فُتِحَتْ لَهُ أبْوابُ الرَّحْمَةِ ».

١٦ ـ قال عليه السلام : « قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : ظُلْمُ الأجيرِ أجْرَهُ مِنَ الْكَبائِرِ ».

١٧ ـ قال عليه السلام : « قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : إذا أرادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْراً فَقَّهَهُ في الدِّينِ ، وَبَصَّرَهُ بِعُيوبِ خَلْقِهِ ، وَزَهَّدَهُ في الدُّنْيا ».

١٨ ـ قال عليه السلام : « قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : ما عَلَّمَ عِلْماً والِدٌ وَلَدَهُ أفْضَل مِنْ أدَبٍ حَسَنٍ ».

١٩ ـ قال عليه السلام : « قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : يَوَدُّ قَوْمٌ يَوْمَ الْقِيامَةِ أنَّهُمْ سَقَطوا مِنَ الثُّرَيّا ، وَلَمْ يُؤَمَّروا عَلىٰ شَيْءٍ ».

٢٠ ـ قال عليه السلام : « قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : ثَلاثٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : الإمامُ الْعادِلُ ، وَالصّائِمُ حَتّىٰ يُفْطِرَ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلومِ ».

٢١ ـ قال عليه السلام : « قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : مَنْ قالَ : إنّي عالِمٌ فَهُوَ جاهِلٌ ».

٢٢ ـ قال عليه السلام : « قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : أفْضَلُ أخْلاقِ الْمُؤْمِنينَ الْعَفْوُ ».

٢٣ ـ قال عليه السلام : « قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : مَن عَفا عَنْ أخيهِ الْمُسْلِمِ عَفا اللهُ عَنْهُ ».

٢٤ ـ قال عليه السلام : « قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : الإيمانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ ، وَإقْرارٌ بِاللِّسانِ ، وَعَمَلٌ بِالأرْكانِ ».

هذه بعض أحاديث المسند ، وقد سمعها موسى بن إبراهيم من الإمام عليه السلام ، حينما كان في سجن السندي بن شاهك.

٢٧٤ ـ موسى بن بكر

الواسطي ، كوفي الأصل. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن موسى عليهما السلام ،

وهو من جملة رواة النصّ من الإمام موسى عليه السلام على إمامة ولده الرضا عليه السلام ، ولكنّه بعد وفاة الإمام موسى عليه السلام وقف ولم يقرّ بإمامة الرضا عليه السلام ، وله كتاب[١].

٢٧٥ ـ موسى بن الحسن

عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام موسى عليه السلام[٢]، وظاهره أنّه إمامي مجهول الحال[٣].

٢٧٦ ـ موسى بن سعدان

الحنّاط الكوفي. روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام ، وله كتاب[٤]. قال ابن الغضائري: «إنّه ضعيف، في مذهبه غلوّ»، وكذا ذكر العلّامة في الخلاصة[٥].

٢٧٧ ـ مهران بن أبي بصير

عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام عليه السلام[٦]، والظاهر أنّه إمامي مجهول الحال[٧].

حرف النون

٢٧٨ ـ نجية بن الحارث

القوّاس العطّار: عدّه الشيخ من أصحاب الامام الكاظم عليه السلام[٨].

---

(١) رجال النجاشي: ١٠٨١/٤٠٧١. فهرست الطوسي: ٧١٧/٢٤٢.

(٢) رجال الطوسي: ٥١٣٤/٣٤٤.

(٣) تنقيح المقال: ٣: ٢٥٥.

(٤) رجال ابن الغضائري: ١٢٣/٩٠.

(٥) خلاصة الأقوال: ٤/٤٠٦.

(٦) رجال الطوسي: ٥١٢٧/٣٤٤.

(٧) تنقيح المقال: ١: ٤٢٢ و ٤٣٥.

(٨) رجال الطوسي: ٥١٤٩/٣٤٥.

وروى الكشّي عن محمّد بن عيسى أنّ نجيّة كان شيخاً صادقاً، صديقاً لعليّ بن يقطين[١].

٢٧٩ ـ نشيط بن صالح

ابن لِفافة، مولى بني عجل، ثقة. روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام، وله كتاب[٢].

وروى العلّامة أنّه كان خادماً عند الإمام موسى عليه السلام[٣]، وهو أحد رواة النصّ على إمامة الرضا عليه السلام[٤].

٢٨٠ ـ نصر بن قابوس

اللخميّ، القابوسيّ. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن موسى والإمام الرضا عليهم السلام، وكانت له منزلة عندهم. له كتاب[٥].

وعدّه الشيخ المفيد من خاصّة الإمام الكاظم عليه السلام ومن ثقاته، ومن أهل الورع والعلم من شيعته[٦].

وقال الشيخ الطوسي: «إنّه كان وكيلاً عند الإمام الصادق عليه السلام عشرين سنة»[٧].

وهو أحد رواة النصّ على إمامة الإمام الرضا عليه السلام[٨]، وذلك يكشف عن وثاقته وعدالته.

---

(١) رجال الكشّي: ٨٥٢/٤٥٢.
(٢) رجال النجاشي: ١١٥٣/٤٢٩.
(٣) خلاصة الأقوال: ٢٨٦.
(٤) رجال الكشّي: ٨٥٥/٤٥٣.
(٥) رجال النجاشي: ١١٤٦/٤٢٧.
(٦) الإرشاد: ٢: ٢٤٨.
(٧) الغيبة: ٣٠٢/٣٤٧.
(٨) رجال الكشّي: ٨٤٩/٤٥١.

٢٨١ ـ النضر بن سويد

الصيرفي ،كوفي ، ثقة : عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ، وله كتاب(١) .

٢٨٢ ـ نعيم القابوسي

عدّه الشيخ المفيد من خاصّة الإمام الكاظم عليه السلام ومن ثقاته ، ومن أهل الورع والعلم والفقه من شيعته(٢) .

وروى الكليني أنّه أحد الذين رووا النصّ على إمامة الرضا عليه السلام(٣) .

حرف الواو

٢٨٣ ـ الوليد بن سعيد

مولى أبي الحسن : عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام(٤) ، وظاهره أنّه إمامي مجهول الحال(٥) .

٢٨٤ ـ الوليد بن هشام

المرادي : عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام موسى عليه السلام ، ونقل عنه في التهذيب رواية عن الإمام عليه السلام(٦) .

٢٨٥ ـ وهيب بن حفص

الجُرَيْرِيّ ، مولى بني أسد . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام ، وكان من

---

(١) رجال الطوسي : ٣٤٥/٥١٤٧ .

(٢) الإرشاد : ٢ : ٢٤٨ .

(٣) الكافي : ١ : ٣١١ .

(٤) رجال الطوسي : ٣٤٥/٥١٥١ .

(٥) تنقيح المقال : ٣/٢٨٠ .

(٦) رجال الطوسي : ٣٤٥/٥١٥٢ .

الواقفيّة، وهو ثقة صنّف عدّة من الكتب، منها: كتاب «التفسير»، وكتاب «الشرائع»[(١)].

حرف الهاء

٢٨٦ ـ هشام بن إبراهيم

البغدادي المشرقي. قال فيه الكشّي: «إنّه ثقة. روى الحديث الذي ذكرناه في ترجمة الفضل بن يونس»[(٢)].

٢٨٧ ـ هشام بن أحمر

الكوفي: عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[(٣)]، وظاهره كونه إمامياً مجهول الحال[(٤)].

٢٨٨ ـ هشام بن الحكم

من أفذاذ الأُمّة الإسلاميّة، ومن كبار علمائها، وفي طليعة المنافحين عن مبدأ أهل البيت عليهم السلام، ناضل كثيراً، وجاهد طويلاً في نصرة الحقّ، والذبّ عن كيان الإسلام، خصوصاً في ذلك العصر الذي انعدمت فيه الحريّات العامّة، وكان الذاكر لفضائل أهل البيت عليهم السلام عرضة للانتقام والتنكيل من قِبل السلطة الحاكمة التي بذلت جميع إمكانيّاتها في إضعاف كيان آل الرسول صلى الله عليه وآله، ولكنّ هشاماً لم يعن بذلك، فقد ناظر خصومه، وفاق عليهم، وتحدّثت الأندية العلميّة عن قوّة استدلاله وروعة برهانه الأمر الذي ينمّ عن مدى تعلّقه وحبّه لأهل البيت عليهم السلام، ونعرض فيما يلي

---

(١) رجال النجاشي: ١١٥٨/٤٣١.

(٢) رجال الكشّي: ٩٥٧/٥٠٠.

(٣) رجال الطوسي: ٥١٥٥/٣٤٥.

(٤) تنقيح المقال: ٣: ٢٩٤.

بإيجاز لبعض شؤونه وأحواله.

ولادته: ولد بالكوفة، وقيل: بواسط[١]، وليس عندنا نصّ يعيّن لنا السنة التي ولد فيها.

نشأته: واختلف المترجمون له في نشأته، فقيل: إنّه نشأ بالكوفة[٢].

والمعروف أنّه نشأ في مدينة واسط[٣].

وكان يتعاطى التجارة، وانتقل أخيراً إلى بغداد، فنزل في جانب الكرخ في قصر وضّاح[٤].

وفي فترة شبابه اعتنق فكرة الجهميّة، وهي فكرة تدعو إلى الجبر، وإنّ الإنسان مسلوب القدرة والاستطاعة، وأخيراً رفض ذلك وتبرّأ منه، والسبب في ذلك ما حدث به عمر بن يزيد عمّ هشام، قال: «إنّه أقبل إلى يثرب ليناظر أبا عبدالله الصادق عليه السلام، فطلب منّي أن أدخله عليه، فأعلمته أنّي لا أفعل ما لم أستأذنه، فدخلت على أبي عبدالله فاستأذنته في إدخال هشام عليه، فأذن لي.

فقمت من عنده وخطوت خطوات، فذكرت رداءته وخبثه، فقال لي أبو عبدالله عليه السلام: **أتتخوّف عليّ؟**

فخجلت من قولي، وعلمت أنّي قد عثرت، فخرجت خجلاً، وأعلمت هشاماً بالإذن، فدخل ودخلت معه.

فلمّا استقرّ بنا المجلس سألنا أبو عبدالله عن مسألة، فحار فيها هشام وبقي ساكتاً،

---

(١) تأسيس الشيعة: ٣٦٠.

(٢) ضحى الإسلام: ٣: ٢٦٨.

(٣) تنقيح المقال: ٣: ٢٩٤ ـ ٣٠١. اختيار معرفة الرجال: ٢: ٥٢٦.

(٤) تأسيس الشيعة: ٣٦٠.

فسأله هشام أن يؤجّله ، فأجّله أبو عبدالله ، فذهب هشام فاضطرب في طلب الجواب أيّاماً ، فلم يقف عليه ، فرجع إلى أبي عبدالله فأخبره أبو عبدالله بها ، وسأله الإمام عن مسائل أُخرى بيّن فيها فساد مذهبه ، وبطلان عقيدته ، فلم يطق الجواب ، ولم يتمكّن على حلّ ما أورده الإمام عليه ، فخرج من عنده وقلبه مترع بالألم والحزن والحيرة ، وبقي أيّاماً والهموم قد طافت به .

قال عمر بن يزيد : فسألني أن أستأذن على أبي عبدالله ، فاستأذنت له ، فقال أبو عبدالله عليه‌السلام : **لِيَنْتَظِرْني في مَوْضِعٍ بِالْحِيرَةِ لأَلْتَقي مَعَهُ فيهِ غَداً إنْ شاءَ اللهُ إذا راحَ النَّهارُ** .

قال عمر : فخرجت إلى هشام ، فأخبرته بمقالته وأمره ، فسُرّ بذلك واستبشر ، وسبقه إلى الموضع الذي سمّاه واجتمع بالإمام ، ثمّ رأيت هشاماً بعد ذلك فسألته عمّا كان بينهما ، فأخبرني أنّه سبق أبا عبدالله إلى الموضع الذي كان سمّاه ، فبينما هو بالانتظار ، وإذا بأبي عبدالله قد أقبل على بغلة ، فلمّا بصرت به وقرب منّي هالني منظره وأرعبني ، حتّى بقيت لا أجد شيئاً أتفوّه به ، ولا انطلق لساني لما أردت من مناطقته ، ووقف علَيَّ أبو عبدالله مليّاً ينظر ما أكلّمه ، وكان وقوفه علَيَّ لا يزيدني إلّا تهيّباً وتحيّراً .

فلمّا رأى ذلك منّي ضرب بغلته وسار حتّى دخل في بعض السكك ، وتيقّنت أنّ ما أصابني من هيبته لم يكن إلّا من قِبل الله عزّ وجلّ ، من عظم موقعه ومكانه من الربّ الجليل .

قال عمر : فانصرف هشام إلى أبي عبدالله وترك مذهبه ، ودان بدين الحقّ ، وفاق أصحاب أبي عبدالله كلّهم »[1] .

ودلّت هذه القصّة ـ كما يقول الشيخ عبدالله نعمة ـ على قوّة العنصر الجدلي في هشام ، فالمحدّث لهذه القصّة يعبّر عنه أنّه كان خبيثاً في الجهميّة ، ثمّ هو يتخوّف

---

(١) رجال الكشّي : ٢٥٦ و ٤٧٦/٢٥٧ .

على الإمام الصادق عليه السلام أن ينقطع معه، ويبالغ في رداءته وخبثه، ويقصد بذلك طبعاً شدّة عارضته وقوّة جدله.

وعنصر آخر تجده فيها، هو تعطّشه إلى المعرفة برغبة شديدة يواصل إليها سيره، ويبذل لها جهده، حتّى يلتقي معه في صعيد وما بقاؤه متحيّراً أيّاماً لا يفيق من حيرته على حسب تعبير عمر بن يزيد، ومعاودته للاتّصال بالإمام الصادق عليه السلام الذي انتهى به أمره إلى ترك مذهبه والتحاقه به، إلّا صدى حيّاً لرغبته الملحّة، وحبّه للمعرفة، والتماسها أينما كانت[١].

ومهما يكن من أمر، فإنّه منذ ذلك الوقت اتّصل بالإمام عليه السلام اتّصالاً وثيقاً، وأخذ يتلقّى العلم والمعارف منه حتّى أصبح في طليعة العلماء ومن كبارهم بعد ما كان من مشاهير أصحاب الجهم بن صفوان[٢].

تخرّجه: وانقطع هشام إلى الإمام الصادق عليه السلام وعكف على الاتّصال به حتّى أصبح من أبرز رجال مدرسته، ولمّا انتقل الإمام الصادق عليه السلام إلى دار الخلود اختصّ بولده الإمام موسى عليه السلام، وأخذ يتلقّى منه العلم والفضل، وبذلك فقد أخذ العلم من منبعه الصحيح، ونال شرف التلمذة عند أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

مَن روى عنه: وروى عنه جماعة من كبار الرواة الأحاديث التي سمعها من أهل البيت عليهم السلام، وهم زمرة كبيرة توجد رواياتهم عنه في كتب الفقه والحديث وإلى القرّاء بعضهم:

١ - محمّد بن أبي عمير (المتوفّى سنة ٢١٧هـ).

---

(١) هشام بن الحكم: ٥٥.

(٢) تاريخ الإسلام / الذهبي: ٥: ٥٦ - ٥٨. فِرق الشيعة / النوبختي: ٦ - ٩. فهرست ابن النديم: ٢٢٤.

٢ـ صفوان بن يحيى البجلي الكوفي.

٣ـ النضر بن سويد الصيرفي الكوفي.

٤ـ نشيط بن صالح العجلي الكوفي.

٥ـ يونس بن عبدالرحمن مولى آل يقطين.

٦ـ حمّاد بن عثمان بن زياد الرواسي الكوفي.

٧ـ عليّ بن معبد البغدادي.

٨ـ يونس بن يعقوب[١].

وروى عنه غير هؤلاء من كبار الرواة ممّن اختصّوا به، وتتلمذوا عنده.

اختصاصه: اختصّ هشام في علم الكلام، فكان من كبار المتكلّمين في عصره، فإنّ مناظراته دلّت على تفوّقه في هذا الفنّ، قال ابن النديم في ترجمته: «كان هشام بن الحكم من متكلّمي الشيعة، وممّن فتق الكلام في الإمامة، وهذّب المذهب والنظر، وكان حاذقاً بصناعة الكلام»[٢].

ونظراً لاختصاصه في هذا الفنّ فقد حلّى يحيى بن خالد البرمكي مجلسه به، وجعله قيّماً بمجالس كلامه[٣].

وقد ناظر هشام الفلاسفة في مختلف الميادين العلميّة حتّى تفوّق عليهم، وكانت نوادي بغداد تعجّ بمناظراته القيّمة التي دلّت على مهارته في هذا الفنّ.

مؤلّفاته: كان هشام خصب الانتاج، ألّف في مختلف الفنون والعلوم، وحلّق في جميعها، ولكن من المؤسف أنّ أغلب تراثه العلمي لم يعثر عليه سوى اليسير، وإلى القرّاء بعض مؤلّفاته:

---

(١) تنقيح المقال: ٣: ٢٩٤ ـ ٣٠١.

(٢) و (٣) فهرست ابن النديم: ٢٦٣.

١ـ كتاب الإمامة .

٢ـ كتاب الدلالة على حَدَث الأجسام .

٣ـ كتاب الردّ على الزنادقة .

٤ـ كتاب الردّ على أصحاب الاثنين .

٥ـ كتاب التوحيد .

٦ـ كتاب الردّ على هشام الجَوالبقيّ .

٧ـ كتاب الردّ على أصحاب الطبائع .

٨ـ كتاب الشيخ والغلام في التوحيد .

٩ـ كتاب التدبير في الإمامة .

١٠ـ كتاب الميزان .

١١ـ كتاب الميدان .

١٢ـ كتاب الردّ على مَن قال بإمامة المفضول .

١٣ـ كتاب اختلاف الناس في الإمامة .

١٤ـ كتاب الوصيّة والردّ على من أنكرها .

١٥ـ كتاب في الجبر والقدر .

١٦ـ كتاب الحكمين

١٧ـ كتاب الردّ على المعتزلة في طلحة والزبير .

١٨ـ كتاب القدر .

١٩ـ كتاب الألفاظ .

٢٠ـ كتاب المعرفة .

٢١ـ كتاب الإستطاعة .

٢٢ـ كتاب الثمانية أبواب .

٢٣ ـ كتاب الردّ على شيطان الطاق .

٢٤ ـ كتاب الأخبار كيف تفتح .

٢٥ ـ كتاب الردّ على أرسطاليس في التوحيد .

٢٦ ـ كتاب الردّ على المعتزلة .

٢٧ ـ كتاب المجالس في الإمامة .

٢٨ ـ كتاب الردّ على القدريّة ، وقد اطّلع عليه الإمام موسى عليه السلام ، فقرّضه قائلاً : **« ما تَرَكَ شَيْئاً »** .

٢٩ ـ كتاب علل التحريم .

٣٠ ـ كتاب الفرائض[١] .

وهذه المجموعة الضخمة من المؤلّفات تدلّ على ثروته العلميّة الضخمة وسعة اطّلاعه .

مناظراته : وخاض هشام مع علماء الأديان والمذاهب في ميدان الاحتجاج مستدلّاً على صحّة مبدئه وبطلان أفكارهم ومعتقداتهم ، ونظراً لخطورة استدلاله ، وقوّة حججه ،كان الرشيد يحضر من وراء الستار فيصغي إليها ، ويعجب بها ، وفيما يلي بعضها :

١ ـ مع عمرو بن عبيد : طلب الإمام الصادق عليه السلام من هشام أن يقصّ عليه مناظراته مع عمرو بن عبيد الزعيم الروحي للمعتزلة .

فقال له هشام : إنّي أجلّك ، وأستحيي منك ، فلا يعمل لساني بين يديك .

ـ **إذا أَمَرْتُكَ بِشَيْءٍ فَافْعَلْهُ** .

فامتثل هشام أمر الإمام وأخذ يحدّثه بقصّته مع عمرو قائلاً له : « بلغني ما كان فيه

---

(١) رجال النجاشي : ١١٦٤/٤٣١ .

عمرو بن عبيد، وجلوسه في مسجد البصرة، وعظم ذلك عليّ، فخرجت إليه فدخلت البصرة يوم الجمعة، فأتيت مسجد البصرة، فإذا أنا بحلقة كبيرة، وإذا أنا بعمرو بن عبيد عليه شملة سوداء من صوف متّزر بها، وشملة مرتدي بها، والناس يسألونه، فاستفرجت الناس [فأنفرجوا لي]، ثمّ قعدت آخر القوم على ركبتي ثمّ قلت: أيّها العالم، أنا رجل غريب فأذن لي فأسألك عن مسألة؟

قال: فقال: نعم.

قال: قلت له: ألك عين؟

فأنكر عليه عمرو هذا السؤال، وقال: يا بنيّ، أي شيء هذا من السؤال، أرأيتك شيئاً كيف تسأل؟

فقلت: هكذا مسألتي.

فقال: يا بنيّ، سل وإن كان مسألتك حمقاء.

واستأنف هشام مسألته.

قلت: أجبني فيها؟

قال: فقال لي: سل.

قال: قلت: ألك عين.

قال: نعم.

قلت: فما ترى بها؟

قال: الألوان والأشخاص.

قال: قلت: فلك أنف؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع به؟

قال: أشمّ الرائحة.

قال : قلت : فلك فم ؟

قال : نعم .

قال : قلت : فما تصنع به ؟

قال : أذوق به الطعم .

قال : قلت : ألك قلب ؟

قال : نعم .

قال : قلت : فما تصنع به ؟

قال : أميّز به كلّ ما ورد على هذه الجوارح .

قال : قلت : أليس في هذه الجوارح غنى عن القلب ؟

قال : لا .

قلت : وكيف ذاك وهي صحيحة سليمة ؟

قال : يا بنيّ ، إنّ الجوارح إذا شكّت في شيء شمّته أو رأته أو ذاقته ردّته إلى القلب ، فيتيقّن اليقين ، ويبطل الشكّ .

قال : قلت : وإنّما أقام الله القلب لشكّ الجوارح ؟

قال : نعم .

قال : قلت : فلا بدّ من القلب وإلّا لم تستيقن الجوارح ؟

قال : نعم .

وبعدها أخذ هشام من عمرو هذه المقدّمات كردّ عليه في إبطال ما ذهب إليه من أنّ رسول الله ﷺ مات بلا وصيّ ، فقال له : يا أبا مروان ، إنّ الله لم يترك جوارحك حتّى جعل لها إماماً يصحّح لها الصحيح ، ويتيقّن لها ما شكّت فيه ، ويترك هذا الخلق كلّهم في حيرتهم وشكّهم واختلافاتهم ، لا يقيم لهم إماماً يردّون إليه شكّهم

وحيرتهم ، ويقيم لك إماماً لجوارحك تردّ إليه حيرتك وشكّك ؟

فسكت عمرو ولم يطق جواباً ، فقد سدّ عليه هشام كلّ نافذة يخرج منها ، والتفت إليه بعد أن استولى عليه صمت رهيب قائلاً له : أنت هشام ؟

قال : قلت : لا .

فقال : أجالسته ؟

قال : قلت : لا .

قال : فمن أين أنت ؟

قلت : من أهل الكوفة .

قال : فأنت هو .

قال : ثمّ ضمّني إليه وأقعدني في مجلسه وما نطق حتّى قمت[1].

فسرّ الإمام بذلك سروراً بالغاً ، وأعجبته هذه المناظرة الرائعة أي إعجاب .

٢ ـ مع يحيى بن خالد البرمكي : ووجّه يحيى بن خالد سؤالاً إلى هشام بحضرة هارون الرشيد قائلاً له : يا هشام ، اخبرني عن الحقّ هل يكون في جهتين مختلفتين ؟

ـ لا .

ـ فأخبرني عن نفسين اختصّهما في حكم الدين ، وتنازعا واختلفا ، هل يخلو من أن يكونا محقّين أو مبطلين ، أو يكون أحدهما مبطلاً والآخر محقّاً ؟

ـ لا يخلوان من ذلك ، وليس يجوز أن يكونا محقّين .

---

(١) رجال الكشّي : ٢٧١ ـ ٢٧٣/٤٩٠ . مروج الذهب : ٢ : ٣٨٢ و ٣٨٣ . الأمالي : ٦٨٦ .

- اخبرني عن عليّ والعبّاس لمّا اختصما إلى أبي بكر في الميراث أيّهما كان المحقّ من المبطل ؟

فاستولت الحيرة على هشام ، وحدث عمّا أصابه من الذهول بقوله :

إن قلت : إنّ عليّاً كان مبطلاً كفرت وخرجت عن مذهبي ، وإن قلت : إنّ العبّاس كان مبطلاً ضرب الرشيد عنقي ، حقّاً إنّها لمشكلة ، ولكنّه لم يلبث حتّى استرجع إليه صوابه وتذكّر قول الصادق ﷺ -كما يقول- : **يا هُشامُ ، لَا زِلْتَ مُؤَيَّداً بِروحِ الْقُدُسِ ما نَصَرْتَنا بِلِسانِكَ** ، فعلم عند ذلك أنّه لا يخذل ، وحضر له الجواب .

فقال له : لم يكن من أحدهما خطأ ، وكانا جميعاً محقّين ، ولهذا نظير قد نطق به القرآن في قصّة داود ﷺ حيث يقول الله جلّ اسمه : ﴿ **وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ** ﴾[1] ، فأي الملَكين كان مخطئاً ؟ وأيّهما كان مصيباً ، أم تقول إنّهما كانا مخطئين ، فجوابك في ذلك جوابي بعينه .

فقال يحيى : لست أقول إنّ الملَكين أخطئا ، بل أقول إنّهما أصابا ، وذلك أنّهما لم يختصما في الحقيقة ولا اختلفا في الحكم ، وإنّما أظهرا ذلك لينبّها داود على الخطيئة ويعرّفاه الحكم ويوقفاه عليه .

فقال هشام : كذلك عليّ والعبّاس لم يخلفا في الحكم ، ولا اختصما في الحقيقة ، وإنّما أظهرا الاختلاف والخصومة لينبّها أبا بكر على غلطه ويوقفاه على خطيئته ، ويدلّاه على ظلمه لهما في الميراث ، ولم يكونا في ريب من أمرهما ، وإنّما ذلك منهما على ما كان من الملَكين .

فتحيّر يحيى ولم يطق جواباً ، واستحسن الرشيد هذا البيان الرائع الذي تخلّص

---

(١) ص ٣٨ : ٢١ و ٢٢ .

به هشام[١].

٣ ـ مع النظّام : ويذهب النظّام إلى أنّ أهل الجنّة غير مخلّدين فيها ، وأنّه لا بدّ أن يدركهم الموت ، وقد التقى بهشام فوجّه إليه هذا القول : إنّ أهل الجنّة لا يبقون في الجنّة بقاء الأبد ، فيكون بقاؤهم كبقاء الله ومحال يبقوا كذلك .

فردّ عليه هشام بأبلغ الحجّة قائلاً : إنّ أهل الجنّة يبقون بمبقٍ لهم ، والله يبقى بلا مبقٍ .

وأصرّ النظّام على عقيدته قائلاً : محال أن يبقوا إلى الأبد .

هشام : إلى ما يصيرون ؟

النظّام : يدركهم الخمود .

هشام : بلغك أنّ في الجنّة ما تشتهي الأنفس ؟

النظّام : نعم .

هشام : فإذا اشتهوا وسألوا ربّهم بقاء الأبد ؟

النظّام : إنّ الله لا يلهمهم ذلك .

هشام : « لو أنّ رجلاً من أهل الجنّة نظر إلى ثمرة على شجرة ، فمدّ يده ليأخذها فتدلّت إليه الشجرة والثمار ، ثمّ كانت منه لفتة ، فنظر إلى ثمرة أُخرى أحسن منها ، فمدّ يده ليأخذها فأدركه الخمود ويداه متعلّقتان بشجرتين ، فارتفعت الأشجار وبقي هو مصلوباً ، أفبلغك أنّ في الجنّة مصلوباً ؟

النظام : هذا محال .

هشام : فالذي أتيت به أمحل منه ، أن يكون قوم قد خلقوا وعاشوا وأدخلوا الجنة

---

(١) الفصول المختارة : ٤٩ ، ووردت هذه المناظرة باختصار في أعيان الشيعة : ١٠ : ٢٦٤ . بحار الأنوار : ١٠ : ٢٩٣ ، الحديث ٢ .

أن يموتوا فيها»(١).

وانصرف النظّام مخذولاً لا يجد برهاناً على ما يذهب إليه.

٤ ـ مع ضرار الضبّي: وكان ضرار الضبّي من الجاحدين للإمامة، قد التقى بهشام، فسأله هشام: أتقول إنّ الله عدل لا يجور؟

ـ نعم.

ـ لو كلّف الله المقعد المشي إلى المساجد، والجهاد في سبيل الله، وكلّف الأعمى قراءة المصاحف والكتب، أتراه كان عادلاً أم جائراً؟

ـ ما كان الله ليفعل ذلك.

ـ قد علمنا ما كان يفعل ذلك، ولكن على سبيل الجدل والخصومة أن لو فعل ذلك، أليس كان في فعله جائراً؟ وكلّفه تكليفاً لا يكون له السبيل إلى إقامته وأدائه.

ـ لو فعل ذلك لكان جائراً.

ـ أخبرني عن الله عزّ وجلّ هل كلّف العباد ديناً واحداً لا اختلاف فيه لا يقبل منهم إلّا أن يأتوا به كما كلّفهم؟

ـ بلى.

ـ جعل لهم دليلاً على وجود ذلك الدين أو كلّفهم ما لا دليل على وجوده، فيكون بمنزلة من كلّف الأعمى قراءة الكتب، والمقعد المشي إلى المساجد والجهاد.

ووجم ضرار فلم يجد منفذاً يسلك فيه، وقد أعياه الأمر، والتفت إلى هشام قائلاً: لا بدّ من دليل، وليس بصاحبك ـ يعني الإمام عليّاً عليه السلام ـ.

فضحك هشام وقال له: لا خلاف بيني وبينك إلّا في التسمية.

---

(١) رجال الكشّي: ٢٧٤ و ٢٧٥/٤٩٣.

وطفق ضرار قائلاً: إنّي أرجع إليك في هذا القول.

قال هشام: هات.

ضرار: كيف تعقد الإمامة؟

هشام: كما عقد الله النبوّة.

ضرار: فإذن هو نبيّ.

هشام: لا لأنّ النبوّة يعقدها أهل السماء والإمامة يعقدها أهل الأرض، فعقد النبوّة بالملائكة وعقد الإمامة بالنبيّ، والعقدان جميعاً بإذن الله.

ضرار: ما الدليل على ذلك؟

هشام: الاضطرار في هذا.

ضرار: وكيف ذلك؟

هشام: لا يخلو الكلام في هذا من أحد ثلاثة وجوه، أمّا أن يكون الله رفع التكليف عن الخلق بعد الرسول، فلم يكلّفهم ولم يأمرهم ولم ينههم وصاروا بمنزلة السباع والبهائم التي لا تكليف لها أفتقول: هذا يا ضرار؟

ضرار: لا أقول هذا.

هشام: الوجه الثاني الذي ينبغي أن يكون الناس المكلّفون قد استحالوا بعد الرسول علماءاً في مثل حدّ الرسول في العلم حتّى لا يحتاج أحد إلى أحد فيكونوا كلّهم قد استغنوا وأصابوا الحقّ الذي لا اختلاف فيه، أفتقول هذا يا ضرار؟

ضرار: لا أقول هذا، ولكنّهم يحتاجون إلى غيرهم.

هشام: يبقى الوجه الثالث، لأنّه لا بدّ من علم يقيمه الرسول لهم، لا يسهو، ولا يغلط، ولا يحيف، معصوم من الذنوب، مبرّأ من الخطايا، يُحتاج إليه ولا يحتاج إلى أحد»[1].

---

(١) بحار الأنوار ٤٨: ١٩٧ ـ ٢٠٠، الحديث ٧.

وسكت ضرار أمام هذا المنطق الفيّاض المدعم بالدليل العقلي الذي هو بعيد عن عنصر الجدل والنقاش.

هذه بعض مناظرات هذا العملاق العظيم، وقد فتق بها مباحث الفلسفة الكلاميّة، وبقيت من بعده غذاءاً لمن يخوضون هذه البحوث، فقد «بقي جماعة يناظرون على مبادئه حتّى في عصور متأخّرة، مثل أبي عيسى محمّد بن هارون الورّاق، وأحمد بن الحسين الراوندي وغيرهما، وقد وضع هذا الأخير كتابه (فضيحة المعتزلة) وهاجم فيه الآراء الاعتزاليّة ورجالها مهاجمة شديدة، معتمداً في كثير منها على آراء هشام، كما يظهر تأثيره من كتابه الذي وضعه في حدوث العلم.

ونجد أثر ذلك في دفاع المعتزلة أنفسهم الذين عنوا بردّها ونقضها، ومنهم بشر بن المعتمر من أفضل علماء المعتزلة ـ كما يقول الشهرستاني ـ فقد وضع كتاباً في الردّ على هشام بن الحكم»[١].

الحملات المسعورة: وانتشر اسم هشام في ربوع العالم الإسلامي، وأخذت نوادي بغداد تعجّ في ذكر احتجاجاته، وما مني به خصومه من الاندحار والخذلان، وكان من الطبيعي أن يولّد ذلك حقداً بالغاً في نفوسهم عليه، فاتّهموه بأنواع التهم وشتّى الطعون، وفيما يلي بعضهم:

١ ـ **القاضي عبدالجبّار:** وقد حمل عبدالجبّار على كثير من شخصيّات الشيعة، وقال في خصوص هشام: «إنّه قال في التجسيم، وبحدوث العلم، وبجواز البداء، إلى غير ذلك ممّا لا يصحّ معه التوحيد، وقال بالجبر وما يتّصل بالتكليف بما لا يُطاق، ولا يصحّ معه التمسّك بالعدل»[٢].

---

(١) هشام بن الحكم: ٢٢١.

(٢) الشافي: ١٢، نقلاً عن المغني للقاضي.

٢ ـ محمّد بن أحمد: وتكلّم محمّد بن أحمد الملطي الشافعي عن الشيعة ، فنسب لهم الشبه الباطلة ، وألصق بهم الأكاذيب المزيفة ، وقال فيهم وفي هشام ما نصّه : « الفرقة الثانية عشرة من الإماميّة هم أصحاب هشام بن الحكم يعرفون بالهشاميّة ، وهم الرافضة الذين يرفضون الدين بحبّ عليّ عليه السلام فيما يزعمون ، وكذب أعداء الله وأعداء رسوله وأصحابه ، وإنّما يحبّ عليّاً مَن يحبّ غيره ، وهم أيضاً ملحدون لأنّ هشاماً كان ملحداً دهريّاً ، ثمّ غلبه الإسلام فدخل فيه كارهاً ، فكان قوله فيه بالتشبيه والرفض ، وأمّا قوله بالإمامة فلم نعلم أنّ أحداً نسب إلى عليّ عيباً مثل هشام .

والله نحمده قد نزع عن عليّ وولده العيوب والأرجاس ، وطهّرهم تطهيراً ، وما قصد هشام التشيّع ولا محبّة أهل البيت ، ولكن طلب بذلك هدم أركان الإسلام والتوحيد والنبوّة »[١] .

ولا واقعيّة لهذه الطعون ، ولا تحمل أي طابع من الصحّة ، وهي تنمّ عن حقده ، أو عن عدم وقوفه على حقيقة الشيعة وواقعيّة هشام .

٣ ـ عبدالقاهر البغدادي: قال عبدالقاهر في بيان مذهب المشبّهة ما نصّه : « ومن هذا الصنف هشاميّة منتسبة إلى هشام بن الحكم الرافضي الذي شبّه معبوده بالإنسان ، وزعم لأجل ذلك أنّه سبعة أشبار بشبر نفسه ، وأنّه جسم ذو حدّ ونهاية ، وأنّه طويل عريض عميق ، وذو لون وطعم ورائحة ، وقد روي عنه أنّ معبوده كسبيكة الفضّة المستديرة »[٢] .

٤ ـ ابن حجر: وقال ابن حجر في ترجمة هشام : « وكان من كبار الرافضة ومشاهيرهم ، وكان مجسّماً يزعم أنّ ربّه سبعة أشبار بشبر نفسه ، ويزعم أنّ علم الله

---

(١) الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة : ٢ : ٩١ .

(٢) الفرق بين الفِرق : ١٣٩ .

محدث »[١].

وهذه الحملات المسعورة التي وجّهت ضدّ هذا الفذّ العظيم لم يكن الغرض منها إلّا الحطّ من شأنه ، والتوهين به ، وبعض هذه الطعون كان لها نصيب من الصحّة ، وذلك قبل أن يرجع إلى الإمام ، فقد أثر عنه القول بذلك ، إلّا أنّه تاب إلى الحقّ ـ كما ذكرناه ـ ويتّضح ذلك فيما ذكره المدافعون عنه .

٩ ـ الدفاع عنه : وتعرّض جمع من أعلام الإسلام إلى الدفاع عن هشام ، وردّ هذه الأباطيل والشبه التي حامت حوله ، وفيما يلي بعضهم :

السيّد المرتضى : وفنّد السيّد المرتضى جميع المزاعم التي رُمي بها هشام ، ونحن نسوق كلامه بأسره لما فيه من مزيد الفائدة ، قال ﷺ : « فأمّا ما رُمي به هشام بن الحكم من القول بالتجسيم ، فالظاهر من الحكاية عنه القول : بجسم لا كالأجسام ، ولا خلاف في أنّ هذا القول ليس بتشبيه ، ولا ناقض لأصل ، ولا معترض على فرع ، وأنّه غلط في عبارة يرجع في إثباتها ونفيها إلى اللغة ، وأكثر أصحابنا يقولون : إنّه أورد ذلك على سبيل المعارضة للمعتزلة ، فقال لهم : إذا قلتم إنّ القديم تعالى شيء لا كالأشياء فقولوا : إنّه جسم لا كالأجسام ، وليس كلّ من عارض بشيء وسأل عنه أن يكون معتقداً له ومتديّناً به ، وقد يجوز أن يكون قصد به إلى استخراج جوابهم عن هذه المسألة ، ومعرفة ما عندهم فيها ، أو إلى أن يبيّن قصورهم عن إيراد المرتضى في جوابها ، إلى غير ذلك ممّا لا يتّسع ذكره ، فأمّا الحكاية أنّه ذهب في الله تعالى أنّه جسم له حقيقة أجسام الحاضرة ، وحديث (الأشبار) المدّعى عليه ، فليس نعرفه إلّا من حكاية الجاحظ عن النظّام ، وما فيها إلّا متّهم قائليها وأصحابهم المختصّين بهم ، ومَن هو مأمون في الحكاية عنهم ، ولا يرجع إلى دعاوى الخصوم ، فإنّه إن يرجع إلى ذلك اتّسع الخرق وجلّ الخطب ، ولم نثق بحكاية في مذهب .

---

(١) لسان الميزان : ٦ : ١٩٤ .

ولو كان هشام يذهب إلى ما يدّعونه من التجسيم لوجب أن نعلم ذلك ليزول اللبس فيه كما يعلم قول الخوارزمي في ذلك، ولا نجد له دافعاً، وممّا يدلّ على براءة هشام من هذه التهم ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله: **لَا تَزالُ يا هُشامُ مُؤَيَّداً بِروحِ الْقُدُسِ ما نَصَرْتَنا بِلِسانِكَ**.

وقوله عليه السلام حين دخل عليه وعنده مشايخ الشيعة، فرفعه على جماعتهم وأجلسه إلى جانبه، وهو إذ ذاك حدث السنّ، فقال: **هٰذا ناصِرُنا بِقَلْبِهِ وَلِسانِهِ وَيَدِهِ**»[١].

وقوله عليه السلام: **هُشامُ بْنُ الْحَكَمِ رائِدُ حَقِّنا، وَسائِقُ قَوْلِنا، الْمُؤَيِّدُ لِصِدْقِنا، وَالدّافِعُ لِباطِلِ أَعْدائِنا، مَنْ تَبِعَهُ وَتَبِعَ أَثَرَهُ تَبِعَنا، وَمَنْ خالَفَهُ وَأَلْحَدَ فيهِ فَقَدْ عادانا، وَأَلْحَدَ فينا**.

وأنّه عليه السلام كان يرشد إليه في باب النظر والحجاج، ويحثّ الناس على لقائه ومناظرته، فكيف يتوهّم عاقل ـ مع ما ذكرناه في هشام ـ هذا القول بأنّ ربّه سبعة أشبار بشبره وهل ادّعاء ذلك عليه ـ رضوان الله عليه مع اختصاصه المعلوم بالصادق عليه السلام وقربه منه وأخذه عنه ـ إلّا قدح في أمر الصادق عليه السلام، ونسبته إلى المشاركة في الاعتقاد، وإلّا كيف لم يظهر عنه من النكير عليه والتبعيد له ما يستحقّه المقدم على هذا الاعتقاد المنكر والمذهب الشنيع.

وأمّا حدوث العلم، فهو أيضاً من حكاياتهم المختلقة، وما نعرف للرجل فيه كتاباً ولا حكاه عنه ثقة، فأمّا الجبر وتكليفه بما لا يُطاق ممّا لا نعرفه مذهباً له، ولعلّه لم يتقدّم صاحب الكتاب[٢] في نسبة ذلك إليه غيره.

اللّهمّ إلّا أن يكون شيخه أبو عليّ الجبائي فإنّه يملي ذلك تحاملاً وعصبيّة، وقليل هذه الحكايات ككثيرها في أنّها إذا لم تنقل من جهة الثقة، وكان المرجع فيها إلى قول

---

(١) معالم العلماء: ١٦٣.

(٢) هو القاضي عبدالجبّار.

الخصوم المتّهمين لم يحفل بها ولم يلتفت إليها، وما قدّمناه من الأخبار المرويّة عن الصادق عليه‌السلام، وما يظهر من اختصاصه به وتقريبه له من بين أصحابه يبطل كلّ ذلك ويزيّف حكاية روايته عنه»[1].

وهذا الدفاع الذي أفاده الإمام المرتضى لم يبق أي اتّهام على هشام، فقد دفع جميع الشبه التي طُعن بها.

٢ ـ **المحقّق الفيض**: وأفاد المحقّق الحجّة الشيخ محسن الفيض رحمه‌الله في الدفاع عن هشام، قال: «وكلّ ما نسب إلى الهشامين[2] فظنّي أنّه إنّما نشأ من سوء الفهم لكلامهما، وإلّا فالرجلان أجلّ قدراً من ذلك، وأمّا قول الإمام له: «قاتله الله»، فإنّما ذلك لتكلّمهما بمثل ذلك عند من لا يفهم، وكان لهما ولأمثالهما من موالي أئمّتنا رموز كرموز الحكماء وتجوز كتجوزاتهم لا تصل إليها أفهام الجماهير، ولهذا نُسبوا إلى التجسيم والتصوير، ولعلّ نقلة كلامهما أيضاً تصرّفوا في الألفاظ وحرّفوا الكلم عن مواضعه»[3].

ونكتفي بما أفاده السيّد المرتضى والفيض عن بقيّة ما ذكره بعض الأعلام من الدفاع عنه وتنزيهه عن الشبه التي أُلصقت به، والذي نراه ـ حسب ما ذكرناه ـ أنّ المناظرات التي تكلّم فيها هشام واتّهم في بعضها بالإلحاد والخروج عن الدين تنحلّ إلى قسمين من الناحية الزمنيّة:

الأوّل: التي تتعلّق بالفترة التي كان يذهب فيها مذهب «الجهميّة».

الثاني: يتعلّق بالفترة التي اتّصل فيها بالإمام الصادق والإمام موسى عليهما‌السلام وقد تبرّأ فيها عمّا ذهب إليه أوّلاً من آراء الجهميّة وغيرها من المبادئ التي لا تمتّ إلى

---

(١) الشافي: ١٢ و ١٣.

(٢) الهشامان هما: هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي.

(٣) الوافي: ١: ٨٦.

الإسلام بصلة ، وغنيّ عن البيان أنّه توفّي على مذهب الإماميّة ، صحيح العقيدة ، طاهر الأفكار والآراء ، فلا يؤاخذ بما صدر منه في الفترة الأُولى ، ولا يعتدّ بغير آرائه التي صدرت في فترة اتّصاله بالإمام عليه السلام ، ولم يعلم منه أنّه قد صدر منه في هذه الفترة ما ينافي عقيدته .

وفاته : وجاهد هشام في سبيل الله ، وناضل كثيراً ، وحاجج خصومه في الذبّ عن عقيدته ومبدئه إلى أن لقي الله تعالى وهو مجاهد قد أبلى بلاءاً حسناً في الدفاع عن الإسلام .

أمّا سبب وفاته فتعزوه بعض المصادر إلى يحيى بن خالد البرمكي ، فقد وجد عليه لأنّه قد مال إلى الرشيد ونال إعجابه وتقديره ، فأغرى به الرشيد إلى أنّه يقول بالإمامة وجمع له المتكلّمين بعد أن اختفى الرشيد من وراء الستر ، ولا يعلم بذلك هشام ، فجرت بينه وبين الفلاسفة مجادلة حول الإمامة ، وأخيراً بعد حوار طويل بينه وبينهم صرّح هشام بأنّ الإمام إذا أمره بحمل السيف أذعن لقوله ولبّى طلبه .

ولمّا سمع الرشيد بذلك تغيّرت حالته واستولى عليه الغضب ، فأمر يحيى بإلقاء القبض عليه وعلى أصحابه ، وعلم بما كمن له من الشرّ ، فهام على وجهه فزعاً مرعوباً حتّى انتهى إلى الكوفة واعتلّ بها ، ومات في دار ابن شراف في الكوفة[١] .

وقيل في كيفيّة وفاته غير ذلك .

أمّا سنة وفاته ، فقيل : إنّه توفّي سنة ١٧٩هـ ، وقيل : سنة ١٩٩هـ ، وقيل غير ذلك ، وقد بسط البحث في ذلك العلّامة الشيخ عبدالله نعمة العاملي[٢] .

٢٨٩ ـ هشام بن سالم

الجواليقي الجعفي ، مولى بشر بن مروان ، وهو من عظماء هذه الطائفة ،

---

(١) تنقيح المقال : ٣ : ٢٩٥ و ٢٩٦ ، وقد ذكرنا ملخّص الحادثة .

(٢) هشام بن الحكم : ٣٨ ـ ٤٣ .

ومن عيونها. روى عن أبي الحسن، وقد عيّنه الإمام الصادق عليه السلام للمناظرة في التوحيد مع رجل من أهل الشام.

وفي هذا دلالة على وفور علمه وتقدّمه في الفضل، وقد أُلصقت بالرجل التهم ورُمي بالإلحاد، وقد رماه بذلك حسّاده وأعداؤه والدفاع الذي ذكرناه عن هشام يأتي في رفيقه وسميّه، وقد اعترف له بالفضل والوثاقة كثير من مترجميه[(١)].

٢٩٠ ـ هند بن الحجّاج

عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، وذكر المترجمون له حديثاً مع الإمام سوف نذكره عند التحدّث عن سجن الإمام، وهو يدلّ على وثاقة الرجل ومزيد اختصاصه بالإمام عليه السلام[(٢)].

٢٩١ ـ الهيثم بن عبدالله

الرمّاني الكوفي. روى عن الإمام موسى والرضا عليهما السلام، وله كتاب[(٣)].

حرف الياء

٢٩٢ ـ ياسين الضرير

الزيّات البصري، لقي الإمام عليه السلام بالبصرة حينما سجن فيها، واختصّ به وروى عنه، وصنّف كتاباً[(٤)].

---

(١) رجال النجاشي: ١١٦٥/٤٣٤. التحرير الطاووسي: ٥٩٩. جامع الرواة: ٢: ٣١٤. الوجيزة: ٥٣.

(٢) رجال الطوسي: ٥١٥٦/٣٤٥. خلاصة الأقوال: ٢٩٠.

(٣) رجال النجاشي: ١١٧٢/٤٣٦.

(٤) رجال النجاشي: ١٢٢٧/٤٥٣.

٢٩٣ ـ يحيى بن الحسين

ابن زيد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام ، من أصحاب الإمام عليه السلام ، وكان يرى مذهب الوقف[1].

وهو أحد الشهود في وصيّة الإمام عليه السلام وقد طلب من أبيه أن يدلّه على الموضع الذي اختفى فيه عمّه عيسى ليمضي إليه ويراه ، فأبى أبوه أن يخبره بذلك خوفاً على عيسى من أن يظهر أمره فتعرفه السلطة ، وبعد الالحاح عليه قال له : إنّ هذا أمر يثقل عليه ، وأخشى أن ينتقل عن منزله كراهية للقائك إيّاه فتزعجه ، فتلطّف يحيى بأبيه مدّة من الزمن حتّى طابت نفسه ، فأجابه إلى ذلك وجهّزه إلى الكوفة ، وقال له : إذا صرت إلى الكوفة ، فاسأل عن دور بني حيّ ، فإذا دللت عليها فاقصدها في السكّة الفلانيّة ، وسترى في وسط السكّة داراً لها باب صفته كذا ، فاعرفه واجلس بعيداً منها في أوّل السكّة ، فإنّه سيقبل عليك عند المغرب كهل طويل مسنون الوجه[2]، قد أثّر السجود في جبهته ، عليه جبّة صوف ، يستقي الماء على جمل ، وقد انصرف بسوق الجمل ، ولا يضع قدماً ولا يرفعها إلّا ذكر الله عزّ وجلّ ، ودموعه تنحدر على وجهه ، فقم وسلّم عليه وعانقه ، فإنّه سيذعر منك كما يذعر الوحش ، فعرّفه نفسك ، وانتسب له ، فإنّه يسكن إليك ويحدّثك طويلاً ، ويسألك عنّا جميعاً ، ويخبرك بشأنه ، ولا يضجر بجلوسك معه .

ولا تطل عليه ، وودّعه ، فإنّه يستعفيك من العودة إليه ، فافعل ما يأمرك به من ذلك ، فإنّك إذا عدت إليه توارى عنك ، واستوحش منك ، وانتقل عن موضعه ، وعليه في ذلك مشقّة .

وخرج يحيى قاصداً إلى الكوفة ، فلمّا انتهى إليها قصد سكّة بني حيّ بعد العصر ،

---

(١) خلاصة الأقوال : ٤١٦ . رجال الطوسي : ٥١٧٠/٣٤٦ .

(٢) وفي رواية : « مستور الوجه » .

فجلس خارجها بعد ان تعرّف على البيت ، فلمّا غربت الشمس أقبل عيسى على وصف الحسين لا يرفع قدماً ولا يضعها حتّى يذكر الله تعالى ودموعه تترقرق في عينيه ، فقام إليه يحيى فعانقه ، فذعر عيسى منه ، فقال له : يا عمّ ، أنا يحيى بن الحسين بن زيد ابن أخيك .

فلمّا سمع عيسى ذلك ضمّه إليه وبكى حتّى كاد أن يتلف ، ثمّ أناخ جمله ، وجلس معه ، فجعل يسأله عن أهله رجلاً رجلاً ، وامرأة امرأة ، وصبيّاً صبيّاً ، ويحيى يشرح أخبارهم وعيسى آخذ بالبكاء .

ثمّ قال له : يا بنيّ ، أنا أستقي على هذا الجمل الماء فأصرف ما اكتسب به من أُجرة إلى صاحبه ، وأتقوّت بباقيه ، وربّما عاقني عائق عن استقاء الماء فأخرج إلى البريّة ـ يعني ظهر الكوفة ـ فالتقط ما يرمي الناس به من البقول فأتقوّته .

وقد تزوّجت من هذا الرجل ابنته ، وهو لا يعلم مَن أنا إلى وقتي هذا ، فولدت مني بنتاً ، فنشأت وبلغت ، وهي أيضاً لا تعرفني ولا تدري مَن أنا ، فقالت لها أمّها : زوّج ابنتك من ابن فلان السقّاء ـ رجل من جيراننا يسقي الماء ـ فإنّه أيسر منّا ، وقد خطبها ، وألحّت عليّ ، فلم أقدر على إخبارها بأنّ ذلك الشخص غير كفء لها فيشيع خبري ، فجعلت تلحّ فلم أزل أستكفي الله أمرها حتّى ماتت بعد أيّام ، فما أجدني آسي على شيء من الدنيا أساي على أنّها ماتت ولم تعلم بموضعها من رسول الله ﷺ.

ثمّ أقسم على ابن أخيه يحيى أن ينصرف ولا يعود إليه ، وودّعه(١) .

وهكذا كان أهل البيت ما بين قتيل وسجين ، ومشرّد يطاردهم الرعب والفزع خوفاً من نقمة الظالمين ، ففي ذمّة الله ما لاقوه من الفجائع والمصائب والخطوب .

٢٩٤ ـ يحيى بن عبدالرحمن

الأزرق ، كوفي ، ثقة . روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام . له كتاب يرويه عدّة

---

(١) مقاتل الطالبيّين : ٤٠٨ ـ ٤١٠ .

من أصحابنا[(١)].

ووثّقه جماعة من الأعلام[(٢)].

٢٩٥ ـ يحيى بن عبدالله

البصري: عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[(٣)]، وظاهره أنّه إمامي مجهول الحال[(٤)].

٢٩٦ ـ يحيى بن عمران

ابن عليّ بن أبي شعبة الحلبي. روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، ثقة، صحيح الحديث. له كتاب يرويه جماعة[(٥)].

٢٩٧ ـ يحيى بن الفضل

النوفلي: عدّه الشيخ بهذا العنوان من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[(٦)].

وظاهره أنّه إمامي مجهول الحال.

٢٩٨ ـ يحيى بن القاسم

الحذّاء، يكنّى أبا بصير، وقيل: أبو محمّد من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، اختلف العلماء فيه، فقال الطوسي: «إنّه واقفي»[(٧)].

---

(١) رجال النجاشي: ١٢٠٠/٤٤٤.

(٢) خلاصة الأقوال: ٢٩٤. معجم رجال الحديث: ٢١: ١٣٥٦٦/٦٥.

(٣) رجال الطوسي: ٥١٦٤/٤٤٦.

(٤) طرائف المقال / عليّ البروجردي: ١: ٢٨١٨/٣٧٠.

(٥) رجال النجاشي: ١١٩٩/٤٤٤.

(٦) رجال الطوسي: ٥١٦٨/٣٤٦.

(٧) رجال الطوسي: ٥١٧٢/٣٤٦١.

وروى الكشّي عن محمّد بن مسعود ، قال : « سألت عليّ بن الحسن بن فضّال عن أبي بصير : هل كان متّهماً بالغلوّ ؟

فقال : لا ، ولكن كان مخلّطاً »[(١)].

وقال النجاشي : « يحيى بن القاسم أبو بصير الأسدي ، وقيل : أبو محمّد ، ثقة ، وجيه . روى عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام ، وقيل : يحيى بن أبي القاسم واسم أبي القاسم إسحاق . روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام . له كتاب يوم وليلة . توفّي سنة ١٥٠هـ[(٢)].

وذكر الكشّي عن ابن أبي عمير عن شعيب العقرقوفي ، قال : « قلت لأبي عبدالله عليه السلام : ربّما احتجنا أن نسأل عن الشيء فمن نسأل ؟

فقال عليه السلام : عليك بالأسدي -يعني أبا بصير- وفي هذا دلالة على وثاقته وغزارة علمه[(٣)].

٢٩٩ ـ يحيى الأزرق

عدّه الشيخ بهذا العنوان من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[(٤)].

وظاهره أنّه إمامي مجهول الحال[(٥)].

٣٠٠ ـ يزيد بن خليفة

الحارثي الحلواني ، من أصحاب الإمام عليه السلام ، رُمي بالوقف ، وروى الكشّي عن

---

(١) رجال الكشّي : ٩٠٣/٤٧٦.

(٢) رجال النجاشي : ١١٨٧/٤٤١.

(٣) رجال الكشّي : ٢٩١/١٧١.

(٤) رجال الطوسي : ٥١٥٨/٣٤٥.

(٥) مستدركات علم الرجال : ٨: ١٥٦١٧/٨٣.

النضر بن سويد، قال: «دخل رجل على أبي عبدالله يقال له يزيد بن خليفة، فقال عليه السلام له: مَنْ أَنْتَ؟

فقال: من الحارث بن كعب.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: لَيْسَ مِنْ بَيْتٍ إِلّا وَفِيهِمْ نَجِيبٌ أَوْ نَجِيبانِ، وَأَنْتَ نَجِيبُ بِالحارِثِ بْنِ كَعْبٍ»[١].

وفي هذا الخبر دليل على وثاقته، ونوقش في هذا الخبر واستدلّوا على عدم وثاقته[٢].

٣٠١ـ يزيد بن سليط

الزيدي: عدّه الشيخ في رجاله والكشّي وغيرهما من أصحاب الكاظم عليه السلام، وذكر بعضهم أنّه من خاصّة الإمام ومن ثقاته، ومن أهل الورع والعلم والفقه وأحد الراوين النصّ على إمامة الإمام الرضا عليه السلام، وله حديث طويل مع الإمام عليه السلام[٣].

٣٠٢ـ يعقوب بن جعفر

ابن محمّد: عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام موسى عليه السلام[٤].

٣٠٣ـ يعقوب بن الفضل

ابن يعقوب الهاشمي. روى عن الإمام أبي عبدالله الصادق والإمام أبي الحسن عليهما السلام[٥].

---

(١) رجال الكشّي: ٦١١/٣٣٤.

(٢) تنقيح المقال: ٣: ٣٢٦.

(٣) رجال الطوسي: ٥١٥٩/٣٤٥. رجال الكشّي: ٨٥٤/٤٥٢. تنقيح المقال: ٣: ٣٢٦.

(٤) رجال الطوسي: ٥١٦١/٣٤٥.

(٥) رجال النجاشي: ٥٦ و ١٣١/٥٧، ذكره في ترجمة الحسين بن محمّد.

٣٠٤ ـ يوسف بن يعقوب

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام موسى عليه السلام، وقد رمي بالوقف[١].

٣٠٥ ـ يونس بن عبدالرحمن

مولى عليّ بن يقطين، من أفذاذ الأمّة الإسلاميّة، ومن كبار علمائها، وكان وحيد عصره في تقواه وورعه، تربّى في مدرسة الإمام الكاظم عليه السلام، وأخذ منه العلوم والمعارف، ومن بعده اختصّ بولده الإمام الرضا عليه السلام، وفيما يلي بعض شؤونه وأحواله:

ولادته: كانت ولادته في أيّام هشام بن عبدالملك[٢].

نشأته: نشأ يونس على التقوى والصلاح، وتغذّى من علوم أهل البيت عليهم السلام، وكان في جميع أدوار حياته مثالاً فذّاً للتكامل الإنساني، وقضى حياته في تحصيل العلوم من منبعها ومعدنها، وهم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، حتّى صار وحيد عصره في تقواه وورعه وعلمه.

سموّ منزلته: كان يونس بن عبدالرحمن جليل الشأن، عظيم المنزلة، له المكانة العليا عند أهل البيت عليهم السلام، وقد وردت في حقّه والثناء عليه أخبار كثيرة من الأئمّة عليهم السلام، كما أثنى عليه بعض كبار صحابتهم، وفيما يلي ذلك:

١ ـ الإمام الرضا عليه السلام: روى عبدالعزيز بن المهتدي، قال: «سألت الإمام الرضا عليه السلام فقلت له: إنّي لا ألقاك، فممّن آخذ معالم ديني؟

فقال عليه السلام: **خُذْ عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِالرَّحْمـٰنِ**»[٣].

---

(١) رجال الطوسي: ٥١٧٣/٣٤٦.

(٢) رجال النجاشي: ١٢٠٨/٤٤٦.

(٣) رجال الكشّي: ٩١٠/٤٨٣.

وإشارة الإمام له في الفتيا والعلم آية على وثاقته وتقدّمه في العلم والفضل.

وقال الإمام الرضا عليه السلام في حقّه أيضاً: «**أبو حَمْزَةَ الثُّمالِيّ في زَمانِهِ كَسَلْمانٍ في زَمانِهِ، وَذلِكَ أنَّهُ خَدَمَ مِنّا أرْبَعَةً: عَلِيّ بْنَ الْحُسَيْنِ، وَمُحَمَّدَ بْنَ عَلِيّ، وَجَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ، وَبُرْهَةً مِنْ عَصْرِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، وَيُونُسُ في زَمانِهِ كَسَلْمانٍ في زَمانِهِ**»[١].

٢ ـ **الإمام الجواد عليه السلام**: روى أحمد بن أبي خلف، قال: «كنت مريضاً فدخل علَيّ أبو جعفر عليه السلام يعودني في مرضي وكان عند رأسي كتاب يوم وليلة ـ وهو من مؤلّفات يونس ـ فأخذه الإمام وجعل يتصفّحه ورقة ورقة، حتّى أتى على آخره، وجعل يقول: **رَحِمَ اللهُ يُونُسَ، رَحِمَ اللهُ يُونُسَ**»[٢].

وقد ضمن عليه السلام ليونس الجنّة.

٣ ـ **الفضل بن شاذان**: وقال الفضل في حقّه: «ما نشأ في الإسلام من سائر الناس كان أفقه من سلمان الفارسي، ولا نشأ رجل بعده أفقه من يونس بن عبدالرحمن»[٣].

وهنا طائفة أخرى من الأخبار وكلمات الثناء من الأعلام، وهي تشيد بفضله وسموّ مكانته.

علمه: كان علّامة زمانه ـ كما قال ابن النديم[٤] ـ، واعترف جميع المترجمين له بعلمه الغزير، وسعة اطّلاعه، وإشارة الإمام له بالفتيا والعلم تدلّ على غزارة علمه، ويقال إنّه انتهى علم الأئمّة عليهم السلام إلى أربعة نفر، وهم: سلمان الفارسي، وجابر،

---

(١) رجال الكشّي: ٤٨٥ و ٤٨٦/٩١٩.

(٢) رجال الكشّي: ٩١٣/٤٨٤.

(٣) رجال الكشّي: ٩١٤/٤٨٤.

(٤) فهرست ابن النديم: ٣٢٣.

والسيّد، ويونس بن عبدالرحمن، كما ذكر الكشّي[1].

مؤلّفاته: وألّف يونس كتباً كثيرة دلّت على تضلّعه في كثير من العلوم، فقد روى الفضل بن شاذان، فقال: «إنّه ألّف ألف جلد ردّاً على المخالفين»[2].

وإلى القرّاء بعض تآليفه:

١ـ كتاب يوم وليلة، وقد قرّضه الإمام الجواد عليه السلام بما تقدّم ذكره، وقد عرض الكتاب على أبي محمّد العسكري عليه السلام، فقال عليه السلام: **أَعْطاهُ اللهُ بِكُلِّ حَرْفٍ نُوراً يَوْمَ الْقِيامَةِ**[3].

٢ـ كتاب علل الأحاديث.

٣ـ كتاب الصلاة.

٤ـ كتاب الصيام.

٥ـ كتاب الزكاة.

٦ـ كتاب الوصايا والفرائض.

٧ـ كتاب جامع الآثار.

٨ـ كتاب البداء.

٩ـ كتاب السهو.

١٠ـ كتاب الأدب والدلالة على الخير.

١١ـ كتاب الفرائض.

١٢ـ كتاب الجامع الكبير في الفقه.

---

(١) رجال الكشّي: ٩١٧/٤٨٥.

(٢) رجال الكشّي: ٩١٧/٤٨٥.

(٣) رجال النجاشي: ١٢٠٨/٤٤٧.

١٣ ـ كتاب التجارات .

١٤ ـ كتاب الحدود .

١٥ ـ كتاب تفسير القرآن .

١٦ ـ كتاب الآداب .

١٧ ـ كتاب المثالب .

١٨ ـ كتاب علل النكاح وتحليل المتعة .

١٩ ـ كتاب نوادر البيع .

٢٠ ـ كتاب الردّ على الغلاة .

٢١ ـ كتاب ثواب الحجّ .

٢٢ ـ كتاب النكاح .

٢٣ ـ كتاب الطلاق .

٢٤ ـ كتاب المكاسب .

٢٥ ـ كتاب الوضوء .

٢٦ ـ كتاب البيوع والمزارعات .

٢٧ ـ كتاب اللؤلؤ في الزهد .

٢٨ ـ كتاب الإمامة .

٢٩ ـ كتاب فضل القرآن .

٣٠ ـ كتاب اختلاف الحديث .

٣١ ـ كتاب مسائله عن أبي الحسن موسى عليه السلام[١] .

ودلّت هذه المؤلّفات على إحاطته بمختلف العلوم والفنون .

---

(١) النجاشي : ٤٤٧ و ١٢٠٨/٤٤٨ . فهرست الطوسي : ٨١٢/٢٦٦ . فهرست ابن نديم : ٣٢٣ .

تقواه: كان يونس على جانب عظيم من التقوى والصلاح، فمن مظاهر عبادته وتقواه أنّه حجّ إحدى وخمسين حجّة، وصام عشرين سنة، وسأل ربّه عشرين سنة[١].

مع الواقفيّة: كان يونس بن عبدالرحمن صلب العقيدة، راسخ الإيمان، وقد بذلت الواقفيّة بعد موت الإمام موسى عليه السلام جميع جهودها على ضمّه إليهم، فلم يفلحوا، وقد حدّث يونس عن أسباب تلك الفئة التي حلّت بأصحاب الإمام، ومن إغراء الواقفيّة له، وذكرنا حديثه في الفصول المتقدّمة.

حسّاده: كلّما ازداد شأن الإنسان، وعلت مكانته الاجتماعيّة كثر حسّاده، وما من عبقري أو عظيم إلّا مني بكثرة الحاقدين عليه، وكان يونس بن عبدالرحمن من أولئك الأفذاذ الموهوبين الذين خصّهم الله بمزيد العلم والفضل، وكان بطبيعة الحال أن يكثر حسّاده وأعداؤه، وقد شكا ذلك إلى الإمام موسى عليه السلام، فقال له: إنّهم يقولون لي زنديق، فهدّأ عليه السلام روعه وقال له: **ما يَضُرُّكَ أَنْ يَكونَ في يَدِكَ لُؤْلُؤَةٌ فَيَقولُ النّاسُ: هِيَ حَصاةٌ، وَما يَنْفَعُكَ أَنْ يَكونَ في يَدِكَ حَصاةٌ فَيَقولُ النّاسُ لُؤْلُؤَةٌ**»[٢].

وشكا مرّة إلى الإمام الرضا عليه السلام ما يلقاه من أصحابه، فقال عليه السلام له: **دَارِهِم فَإنَّ عُقولَهُمْ لَمْ تَبْلُغْ**[٣].

وقيل ليونس إنّ كثيراً من هذه العصابة يقعون فيك، ويذكرونك بغير الجميل، فقال: أُشهدكم أنّ كلّ من له في أمير المؤمنين عليه السلام نصيب فهو في حلّ[٤]، لقد عفا

---

(١) رجال الكشّي: ٩١٧/٤٨٥ و: ٩٢٦/٤٨٨.

(٢) رجال الكشّي: ٩٢٨/٤٨٨.

(٣) رجال الكشّي: ٩٢٩/٤٨٨.

(٤) رجال الكشّي: ٩٣٠/٤٨٨.

عن جميع من أساء إليه من أصحابه ، وصفح عمّن أذنب إليه .

وقد اقتبس هذا الخلق الرفيع من أئمّة أهل البيت عليهم السلام الذين عناهم الله في كتابه الكريم بقوله : ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ** ﴾[١] .

وفاته : اختاره الله إلى لقائه وهو نقي الثوب ، قد أبلى بلاءاً حسناً في الدفاع عن الإسلام والتبشير بمبدأ أهل البيت عليهم السلام ، وقد توفّي في يثرب سنة **٢٠٨**هـ[٢] .

ولمّا بلغ موته الإمام الرضا عليه السلام ، قال : **انْظُروا إلىٰ ما خَتَمَ اللهُ لِيُونُسَ قَبَضَهُ بِالْمَدينَةِ مُجاوِراً لِرَسولِ اللهِ** صلى الله عليه وآله[٣] .

رحم الله يونس ، وجزاه عن الإسلام خير الجزاء ، وحشره ﴿ **مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً** ﴾[٤] .

٣٠٦ـ يونس بن يعقوب

ابن قيس ، أبو عليّ البجلي الدُّهْني الكوفي ، اختصّ بأبي عبدالله عليه السلام وأبي الحسن عليه السلام ، وكان يتوكّل لأبي الحسن عليه السلام[٥] .

وعدّه الشيخ المفيد من فقهاء أصحاب الصادقين عليهما السلام ، ومن الأعلام الرؤساء المأخوذ عنهم الحلال والحرام ، والفتيا والأحكام الذين لا يُطعن فيهم ولا طريق إلى ذمّ واحد منهم ، وهم أصحاب الأصول المدوّنة ، والمصنّفات المشهورة[٦] .

---

(١) آل عمران ٣ : ١٣٤ .

(٢) تنقيح المقال : ٣ : ٣٣٩ .

(٣) رجال الكشّي : ٩٢١/٤٨٦ .

(٤) النساء ٤ : ٦٩ .

(٥) رجال النجاشي : ١٢٠٧/٤٤٦ .

(٦) الرسالة العدديّة / الشيخ المفيد : ١٤ .

وممّا يدل على وثاقته أنّه وكّله أبو عبدالله وأبو الحسن عليهما السلام ليشتري لهما بعض الأشياء، فلمّا اشترى ذلك وأوصله إليهما قال له أحدهما: **ما أَنْتَ عِنْدَنا بِمُتَّهَمٍ، إِنَّما أَنْتَ رَجُلٌ مِنّا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَجَعَلَكَ اللهُ مَعَ رَسولِ اللهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَاللهُ فاعِلٌ ذلِكَ إِنْ شاءَ اللهُ**[1].

توفّي في يثرب وتولّى تجهيزه الإمام الرضا عليه السلام، فبعث بحنوطه وكفنه وجميع ما يحتاج إليه، وأمر مواليه وموالي أبيه وجدّه أن يحضروا جنازته، وقال لهم: **هٰذا مَوْلىً لأَبي عَبْدِاللهِ عليه السلام وَكانَ يَسْكُنُ الْعِراقَ**.

وقال لهم: **احْفِروا لَهُ في الْبَقيعِ، فَإِنْ قالَ لَكُمْ أَهْلُ الْمَدينَةِ إِنَّهُ عِراقِيٌّ لا نَدْفِنُهُ في الْبَقيعِ، فَقولوا لَهُمْ: هٰذا مَوْلىً لأَبي عَبْدِاللهِ عليه السلام، وَكانَ يَسْكُنُ الْعِراقَ، فَإِنْ مَنَعْتُمونا أَنْ نَدْفِنَهُ في الْبَقيعِ مَنَعْناكُمْ أَنْ تَدْفِنوا مَواليكُمْ في الْبَقيعِ**.

وأمر عليه السلام محمّد بن الحباب بالصلاة عليه، فصلّى عليه ودفن في البقيع[2].

وقبل أن نلقي الستار على هذا الفصل نذكر بعض أصحاب الإمام الذين عُرفوا بكنيتهم، واشتهروا بها، وهم:

٣٠٧ـ أبو جبل

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام عليه السلام، وهو من الواقفيّة[3]، ضعيف الحديث[4].

٣٠٨ـ أبو جعدة

عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، وقال: «إنّه واقفي»[5]،

---

(١) رجال الكشّي: ٧٢٤/٣٨٨.

(٢) رجال الكشّي: ٧٢١/٢٨٦.

(٣) رجال الطوسي: ٥١٩٣/٣٤٧.

(٤) خلاصة الأقوال: ٤٢٠.

(٥) رجال الطوسي: ٥١٩٢/٣٤٧.

ونصّ العلّامة على ذلك في الخلاصة[١].

٣٠٩ـ أبو خالد

الذيّال، هكذا عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، وأضاف أنّه مجهول[٢].

٣١٠ـ أبو خالد

الزبّالي: عدّه الشيخ من أصحاب الإمام عليه السلام[٣].

وقد ذكرنا في الجزء الأوّل من هذا الكتاب مرور الإمام عليه السلام عليه في زبالة لمّا اعتقله المهدي، وما جرى له من الحديث معه.

٣١١ـ أبو زكريّا

الأعور: عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، مضيفاً إلى ذلك: أنّه ثقة، وأنّه قد روى عن عليّ بن رباط[٤].

٣١٢ـ أبو سعيد

القمّاط: عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٥].

٣١٣ـ أبو سلمة

عدّه الشيخ في رجاله في باب الكنى من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام.

وأضاف إلى ذلك قيل إنّ اسمه خلف بن خلف اللفائفي خادم أبي الحسن[٦]،

---

(١) خلاصة الأقوال: ٤٢٠.

(٢) رجال الطوسي: ٣٤٧/٥١٩٠.

(٣) رجال الطوسي: ٣٤٧/٥١٨٤.

(٤) رجال الطوسي: ٣٤٧/٥١٨٥.

(٥) رجال الطوسي: ٣٤٧/٥١٨١.

(٦) رجال الطوسي: ٣٤٧/٥١٨٦.

وظاهره كونه إمامياً مجهول الحال[١].

٣١٤ـ أبو شعيب

المحاملي، مولى عليّ بن الحكم بن الزبير الأنباري، كوفي، ثقة، من رجال أبي الحسن موسى عليه السلام، وله كتاب[٢].

٣١٥ـ أبو عامر

ابن جناح. روى عن الإمام أبي الحسن والرضا عليهما السلام، وكان ثقة[٣].

٣١٦ـ أبو العلاء

الحضرمي: عدّه الشيخ بهذا العنوان في رجاله في باب الكنى من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٤].

وظاهره كونه إمامياً مجهول الحال[٥].

٣١٧ـ أبو المحتمل

الكوفي، ثقة. روى عن أبي عبدالله عليه السلام، ومن أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٦].

٣١٨ـ أبو مصعب

الزيدي، ثقة: عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٧].

---

(١) انظر أعيان الشيعة: ٦: ٣٣٠.

(٢) رجال النجاشي: ١٢٤٠/٤٥٦.

(٣) رجال النجاشي: ٤٨١/١٨٢، في ترجمة أخيه سعيد بن جناح.

(٤) رجال الطوسي: ٥١٧٩/٣٤٧.

(٥) تنقيح المقال: ٢: ١٤٨.

(٦) رجال الطوسي: ٥١٧٨/٣٤٧.

(٧) رجال الطوسي: ٥١٨٢/٣٤٧.

٣١٩ـ أبو يحيى

عدّه الشيخ في باب الكنى من رجاله من أصحاب الإمام موسى عليه السلام ، وقال في الفهرست : « إنّ له كتاباً »(١).

قال الحائري : « الظاهر أنّه من الإماميّة »(٢).

٣٢٠ـ أبو يحيى

المكفوف : عدّه الشيخ في باب الكنى ، من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام . روى عن أبي عبدالله عليه السلام ، وقال في الفهرست : « له كتاب »(٣).

وكذا قال النجاشي ، واستفاد الحائري من مصاحبته للإمام أنّه محلّ اعتماد(٤).

إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن ذكر بعض أصحاب الإمام ورواة حديثه وحملة علمه ، وكان أكثرهم من عظماء العلماء وكبار المؤلّفين الذين زوّدوا العالم الإسلامي في عصرهم بنتاجهم القيّم ممّا دلّ على أنّ النهضة الفكريّة كانت تستند إلى أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، فهم الذين فجّروا طاقاتها في دنيا العرب والإسلام .

إنّ هذه الكوكبة من الرواة قد كشفت لنا جانباً مهمّاً من حياة الإمام عليه السلام ، ودلّلت على أهمّيّة الدور الذي قام به في رفع منار العلم وتشييد صروحه ، ونشر الوعي الثقافي في ربوع العالم .

إنّ مدرسة الإمام عليه السلام قد بلورت الحياة الفكريّة في العالم الإسلامي ، وعملت على تقديم المسلمين في جميع الميادين ، وكان الانتماء لها من موجبات الاعتزاز

---

(١) رجال الطوسي : ٥١٨٧/٣٤٧ . فهرست الطوسي : ٨٦٩/٢٧٦ ، ويقال أبو يحيى الحنّاط .

(٢) تنقيح المقال : ٣ : ٣٩.

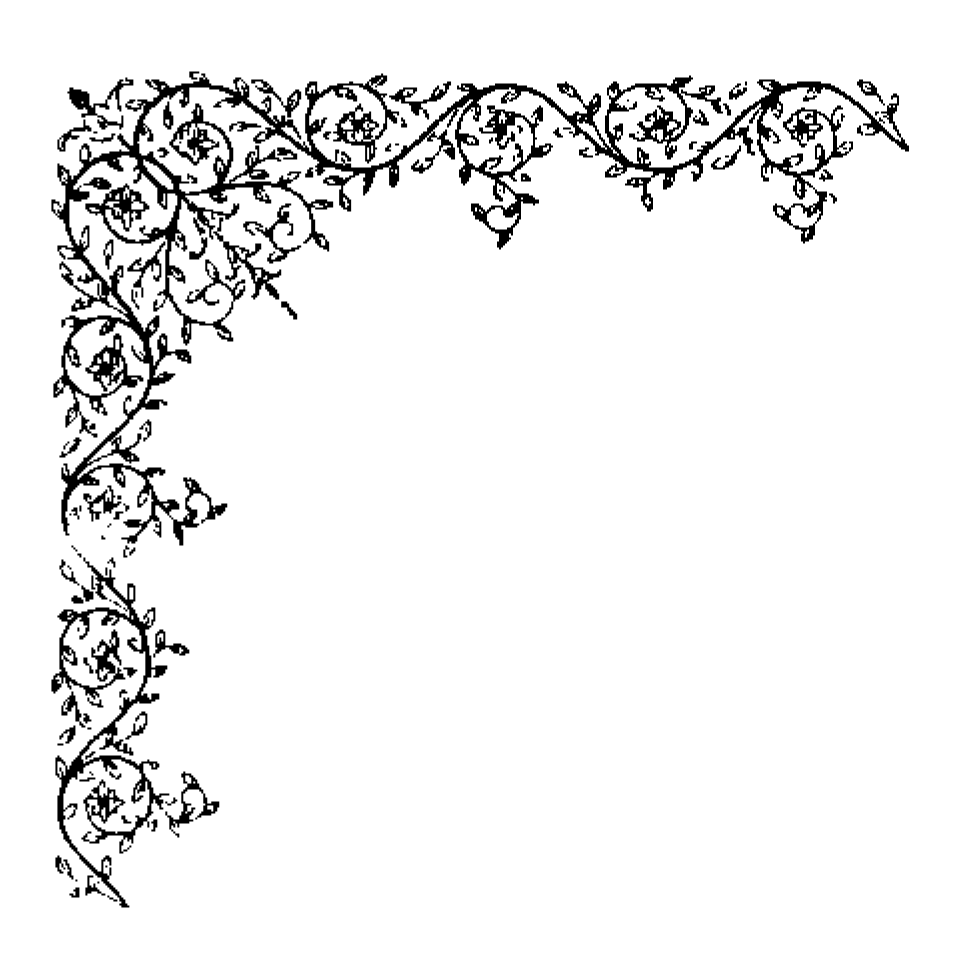
(٣) رجال الطوسي : ٥١٧٧/٣٤٦ . فهرست الطوسي : ٨٢٤/٢٧٠.

(٤) تنقيح المقال : ٣ : ٣٩.

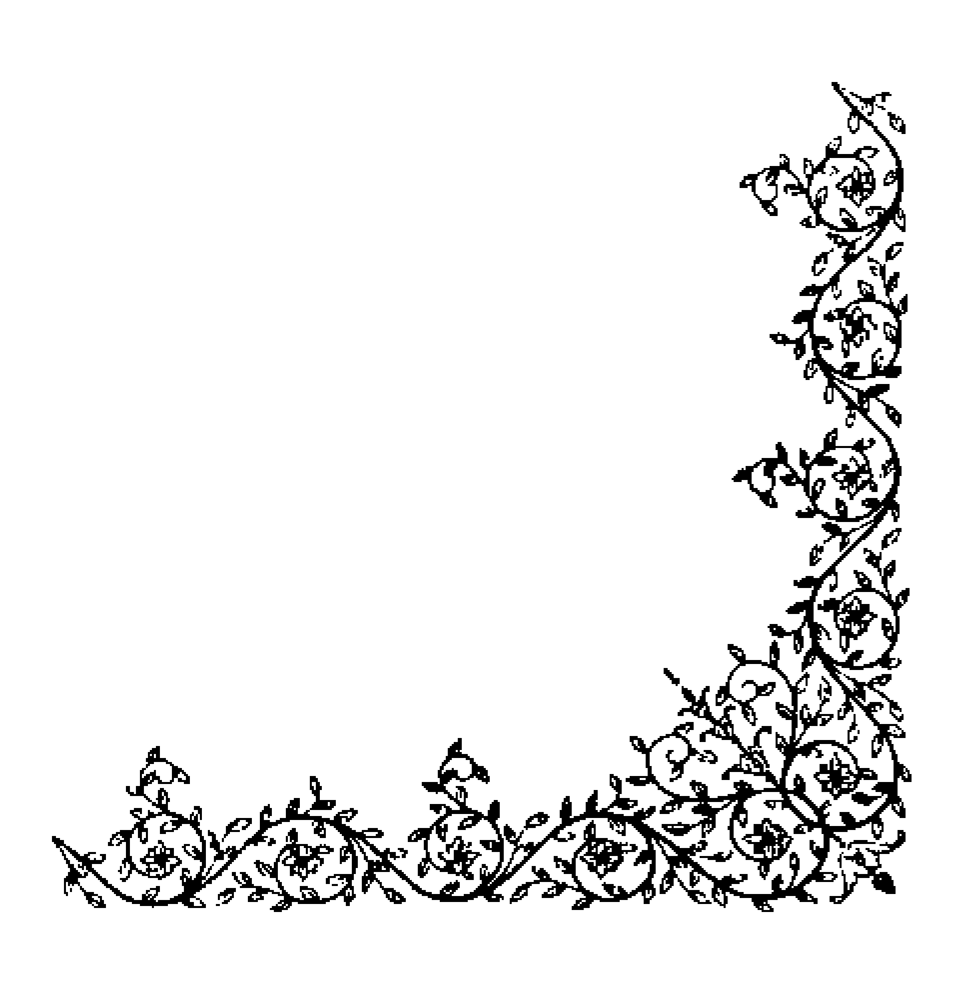
والفخر ، فقد عيب على الإمام مالك ـ أحد رؤساء المذاهب الأربعة ـ لتركه أخذ الرواية عن الإمام[1] ، ومنه يتّضح مدى الأهميّة البالغة لمدرسة الإمام وللرواية عنه في الأوساط العلميّة .

---

(١) لسان الميزان : ٢ : ٢٧٧ .



أبناء الإمام عليه السلام



أنجب الإمام موسى عليه السلام الذرّيّة الطاهرة والنسل الطيّب ، فكانوا من خيرة أبناء المسلمين ـ في ذلك العصر ـ تقوى وصلاحاً وهدياً وورعاً وابتعاداً عن مآثم الحياة وأباطيلها ، وقد نشأ الكثيرون منهم نشأة دينيّة كاملة ، لأنّ الإمام عليه السلام قد وجّههم الوجهة الصالحة ، فسكب في نفوسهم المثل العليا ، والإيمان بالله ، والتفاني في سبيل العقيدة ، والعمل على خدمة الحقّ .

قال ابن الصبّاغ في حقّهم : « إنّ لكلّ واحد من أولاد أبي الحسن موسى عليه السلام فضلاً مشهوداً »[1] .

وقال الشيخ الطبرسي : « إنّ لكلّ واحد من أولاد أبي الحسن موسى عليه السلام فضلاً ومنقبة مشهورة »[2] .

لقد ورثوا الفضل والشرف والمجد عن آبائهم ، فكانوا في سلوكهم وهديهم أمثلة رائعة للفضيلة والكمال .

واندفع بعضهم إلى إعلان الثورة على حكومة بني العبّاس لأجل إسعاد المسلمين ، وإنقاذهم من جور العبّاسيّين واستبدادهم ، كما سنذكر ذلك .

وقبل عرض تراجمهم نعرض إلى أنّ النسّابين ورواة الأثر قد اختلفوا في عددهم

---

(١) الفصول المهمّة : ٢٥٦ .

(٢) إعلام الورى بأعلام الهدى : ٢ : ٣٧ .

اختلافاً كثيراً، وفيما يلي ذلك:

١ ـ إنّهم ثلاثة وثلاثون: الذكور منهم ١٦، والإناث ١٧[١].

٢ ـ سبعة وثلاثون: الذكور ١٨، والإناث ١٩[٢].

٣ ـ أربعون: الذكور منهم ١٨، والإناث ٢٢[٣].

٤ ـ ستّون: الذكور ٢٣، والإناث ٣٧[٤].

وهناك أقوال غير هذه، أمّا أسماء الذكور والإناث منهم، فكما يلي:

الذكور: الإمام الرضا عليه السلام، إسماعيل، جعفر، هارون، حمزة، محمّد، أحمد، قاسم، عبّاس، إبراهيم، حسن، عبدالله، زيد، حسين، الفضل، سليمان، سالم، سعيد[٥]، عقيل، إبراهيم الأكبر، عبدالله[٦].

الإناث: قسيمة، لبابة، أمّ جعفر، أمامة، كلثم، بريهة، أمّ القاسم، محمودة، أمينة الكبرى، عليّة، زينب، رقيّة، حسنة، عائشة، أم سلمة، أسماء، أمّ فروة، آمنة، أمّ أبيها، حليمة، رملة، ميمونة، أمينة الصغرى، أسماء الكبرى، زينب، زينب الكبرى، فاطمة الكبرى، فاطمة، أمّ كلثوم الكبرى، أمّ كلثوم الوسطى، أمّ كلثوم الصغرى.

وزاد الأشناني: عطفة، وعبّاسة، وخديجة الكبرى، وخديجة[٧]، وصرحة[٨]،

---

(١) صحاح الأخبار: ٤٦١.

(٢) كشف الغمّة: ٣: ٢٩. تحفة الأزهار وزلال الأنهار: ٢: ١٢٢. تذكرة الخواص: ٤٣٩.

(٣) تذكرة الخواص: ٤٣٩.

(٤) المجدي: ١٠٦. عمدة الطالب: ١٩٦.

(٥) عمدة الطالب: ١٩٦ و ١٩٧.

(٦) الجريدة في أصول أنساب العلويّين: ٣: ١١٨، الحديث ٣٢. بحار الأنوار: ٤٨: ٢٨٣.

(٧) المجدي في أنساب الطالبيّين / عليّ بن محمّد العلويّ: ١٠٧.

(٨) تحفة الأزهار: ٢: ١٢٣.

وعلى هذا فتكون عدد السيّدات من أبنائه سبعاً وثلاثين ، ونظم الشيخ الأفتوني في أرجوزته أسماءهم بقوله :

وَوُلْدُهُ عَلِيٌّ النِّبْراسُ ... يَتْلوهُ إِبْراهِيمُ وَالْعَبّاسُ
وَقاسِمٌ وَجَعفَرٌ مُحَمَّدٌ ... هارونُ إِسماعِيلُ ثُمَّ أَحْمَدُ
وَحَمزَةُ إِسْحاقُ وَعَبدُاللهِ ... زَيْدٌ سُلَيْمانُ عُبَيدُاللهِ
رُقَيَّتانِ حَسَنٌ ثُمَّ حَسَنْ ... زَيْنَبُ، أمُّ سَلمَةٍ فَاسْتَبْصِرَنْ
أُمُّ أَبِيها وَبِها تَمَّ العَدَدْ ... وَالكُلُّ أَولادُ سَراري لاقُعَدْ[1]

لقد نظم الأفتوني في أرجوزته اثنين وعشرين شخصاً ، وهو ممّن يذهب إلى أنّ ذلك هو تمام عددهم ، وهو قول ضعيف للغاية ، فإنّ عددهم يربو على ذلك بكثير .

ونقدّم عرضاً موجزاً لتراجم من عثرنا على ترجمته منهم :

١ ـ الإمام الرضا عليه السلام

هو الإمام الثامن من أئمّة أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ، وقد أحيى الله به الإسلام ، وأعزّ به المسلمين ، فكان سلام الله عليه من المجدّدين لهذا الدين ، والمنافحين عنه ، والمجاهدين في سبيله .

ونتحدّث بايجاز عن بعض شؤونه وأحواله :

ولادته عليه السلام

ولد عليه السلام في يثرب سنة ١٤٨هـ[2] .

---

(١) وجدنا هذه الأرجوزة بخطّ النراقي على هامش النفحة العنبريّة .

(٢) أصول الكافي : ١ : ٤٨٦ .

وقيل: سنة ١٥٣هـ[١]، لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل[٢]، وحفلت الأُسرة النبويّة في ذلك اليوم الزاهر بالأفراح والمسرّات، فقد أطلّ عليها خير أهل الأرض بعد آبائه، وقام الإمام موسى عليه السلام فأجرى على وليده المبارك مراسيم الولادة، فأذّن في أُذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، وفي اليوم السابع عقّ عنه بكبش، وحلق رأسه، وتصدق بزنته فضّة على المساكين.

نشأته عليه السلام

نشأ عليه السلام في حجر الإسلام، وتربّى في مدرسة الإيمان، وقد تولّى تربيته أبوه الإمام موسى عليه السلام، فسكب في نفسه مثله العليا، وتعاهده بالرعاية والعطف، ورسم له الطريق في سلوكه وهديه، وقد ظفر في سنّه المبكّر بأسمى ألوان التربية الإسلاميّة التي تعنى بغرس روح الفضيلة والكمال في النفوس.

معالي أخلاقه عليه السلام

وضارع الإمام الرضا عليه السلام في أخلاقه أخلاق آبائه من الأئمّة الطاهرين التي امتازوا بها على سائر الناس، وقد تحدّث إبراهيم بن عبّاس عن سموّ أخلاق الإمام عليه السلام، فقال: «ما رأيت ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرضا عليه السلام، ما جفا أحداً قطّ، ولا قطع على أحد كلامه، ولا ردّ أحداً عن حاجة، وما مدَّ رجليه بين جليسه، ولا اتّكأ قبله، ولا شتم مواليه ومماليكه، ولا قهقه في ضحكه، وكان يجلس على مائدته مماليكه ومواليه، قليل النوم بالليل، يحيي أكثر لياليه من أوّلها إلى آخرها، كثير المعروف والصدقة، وأكثر ذلك في الليالي المظلمة، فمن زعم أنّه رأى مثله في

---

(١) وفيات الأعيان: ٢: ٤٣٢.

(٢) كشف الغمّة: ٣: ٨٩.

فضله فلا تصدّقوه »[١].

وهذه الصفات الرفيعة هي السرّ في إجماع المسلمين على إكباره وتعظيمه والقول بإمامته.

علمه عليه السلام

كان الإمام الرضا عليه السلام على غرار آبائه في عبقريّاته ومواهبه العلميّة، وقد أجمع الرواة على أنّه كان أعلم أهل عصره، وقد أفتى الناس بمسجد جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن نيف وعشرين سنة[٢].

وقال عبدالسلام بن صالح الهروي: « ما رأيت أعلم من عليّ بن موسى الرضا، ما رآه عالم إلّا شهد له بمثل شهادتي، ولقد جمع المأمون في مجالس له عدداً من علماء الأديان وفقهاء الشريعة والمتكلّمين، فغلبهم عن آخرهم، حتّى ما بقي منهم أحد إلّا أقرّ له بالفضل، وأقرّ له على نفسه بالقصور، ولقد سمعته يقول: كنت أجلس في (الروضة) والعلماء بالمدينة متوافرون، فإذا عيِيَ الواحد منهم عن مسألة أشاروا إليَّ بأجمعهم، وبعثوا إليَّ المسألة فأُجيب عنها »[٣].

وقد عني محمّد بن عيسى بتدوين المسائل التي سئل عنها الإمام الرضا عليه السلام، فكانت ثمانية عشر ألف مسألة[٤].

وقد أشاد الإمام موسى عليه السلام بمواهب ولده الرضا عليه السلام وعلمه، فقال لبنيه: **هٰذا أُخوكُمْ عَلِيُّ بْنُ موسىٰ عالِمُ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، سَلوهُ عَنْ أَدْيانِكُمْ، وَاحْفَظوا ما يَقولُ لَكُمْ،**

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣: ٤٦٩ و ٤٧٠.

(٢) تهذيب التهذيب: ٧: ٣٨٨. تذكرة الخواص: ١٩٨.

(٣) كشف الغمّة: ٣: ١١١. بحار الأنوار: ٤٩: ١٠٠، الحديث ١٧. إعلام الورى: ٢: ٦٤.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ٣: ٤٦١.

فَإِنّي سَمِعْتُ أَبي جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام يَقولُ لي: إِنَّ عالِمَ آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام لَفي صُلْبِكَ، وَلَيْتَني أَدْرَكْتُهُ، فَإِنَّهُ سَمِيُّ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ»[1].

إنّ الشيعة منذ فجر تأسيسها حتّى يوم الناس هذا تعتقد اعتقاداً جازماً لا يخامره أدنى شكّ أنّ الإمام لا بدّ أن يكون أعلم أهل عصره، ولا بدّ أن يتمتّع بطاقات ضخمة من العلم بحيث لا يجاريه أحد في فضله ومواهبه.

وكان المأمون وهو أعلم ملوك بني العبّاس وأذكاهم لا يؤمن بذلك، ويعتقد بأنّه ضرب من الغلوّ، فرأى أنّ خير وسيلة إلى انقاصه أن يعهد إلى كبار العلماء على اختلاف أديانهم ومذاهبهم بسؤال الإمام في مختلف العلوم والفنون التي اختصّوا بها، لعلّه يعجز عن جوابهم فيتّخذ من ذلك وسيلة إلى إفساد المذهب الشيعي وإبطال فكرة الإمامة، وهو منطق وثيق للغاية.

فأحضر الجاثليق ورأس الجالوت ـ وهما من كبار علماء النصارى ـ وكذلك أحضر علماء الصابئة منهم عمران الصابي والهربذ الأكبر، وأحضر أصحاب زرداشت، وفسطامي، وأحضر علماء الكلام منهم سليمان المروزي، وأمرهم بأن يسألوا الإمام الرضا عليه السلام، فتقدّموا إليه، وسألوه عن أمّهات المسائل الفلسفيّة والكلاميّة وغيرها، فأجابهم عليه السلام عنها بالتفصيل[2].

وقد اعترفوا بعجزهم وقصورهم، وباء المأمون بالخيبة والخزي، فقد اعتقد كثير من أُولئك العلماء بفكرة الإمامة، وزادت الحادثة إيمان الشيعة ووثوقها بما تذهب إليه.

رواة حديثه عليه السلام

وروى عنه ابنه محمّد الجواد عليه السلام، وأبو عثمان المازني النحوي، وعليّ بن عليّ،

---

(١) كشف الغمّة: ٣: ١١١. أعيان الشيعة: ٢: ١٤. بحار الأنوار: ٤٩: ١٠٠، الحديث ١٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣: ٤٦١ ـ ٤٦٣.

وأيّوب بن منصور النيسابوري ، وأبو الصلت عبدالسلام بن صالح الهروي ، والمأمون ابن الرشيد ، وعليّ بن مهدي بن صدقة . له عنه نسخة ، وأبو أحمد داود بن سليمان ابن يوسف القزويني . له عنه نسخة ، وعامر بن سليمان الطائي . له عنه نسخة كبيرة ، وأبو جعفر محمّد بن محمّد بن حيّان التمّار .

وروى عنه من أئمّة الحديث : آدم بن أبي إياس ، ونصر بن عليّ الجهضمي ، ومحمّد بن رافع القشيري ، وغيرهم[١] .

بعض حكمه وآرائه عليه السلام

وللإمام الرضا عليه السلام تراث فكري رائع حافل بالمثل الكريمة والقيم العليا ، وقد احتوت على آداب السلوك ومناهج التربية ، كما أنّ له بحوثاً ممتعة في الفلسفة ، وعلم الكلام ، والتفسير ، والطب ، وغير ذلك .

ونعرض إلى بعض حكمه وآرائه :

١ - قال عليه السلام : « **خَمسٌ مَنْ لَمْ تَكُنْ فيهِ فَلا تَرجوهُ لِشَيءٍ مِنَ الدُّنيا وَالآخِرَةِ : مَنْ لَمْ تَعْرِفِ الوَثاقَةَ في أرومَتِهِ ، وَالْكَرَمَ في طِباعِهِ ، وَالرُّصانَةَ في خُلُقِهِ ، وَالنُّبْلَ في نَفْسِهِ ، وَالْمَخافَةَ لِرَبِّهِ** »[٢] .

٢ - قال عليه السلام : « **لَا يَسْتَكْمِلُ عَبْدٌ حَقيقَةَ الْإيمانِ حَتّى تَكونَ فيهِ خِصالٌ ثَلاثٌ : التَّفَقُّهُ في الدِّينِ ، وَحُسْنُ التَّقْديرِ في الْمَعيشَةِ ، وَالصَّبْرُ عَلَى الرَّزايا** »[٣] .

٣ - قال عليه السلام : « **إنَّ الَّذي يَطْلُبُ مِنْ فَضْلٍ يَكُفُّ بِهِ عِيالَهُ أعْظَمُ أجْراً مِنَ الْمُجاهِدِ في سَبيلِ اللهِ** »[٤] .

---

(١) تهذيب التهذيب : ٧ : ٣٨٧ .

(٢ - ٤) تحف العقول : ٤٤٦ .

٤ ـ قال عليه السلام : «الإِيمانُ أَرْبَعَةٌ : التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ ، وَالرِّضا بِقَضاءِ اللهِ ، وَالتَّسْلِيمُ لأَمْرِ اللهِ ، وَالتَّفْوِيضُ إِلَى اللهِ.

قالَ الْعَبْدُ الصّالِحُ ـ يعني مؤمن آل فرعون ـ ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ ﴾ (١) ﴿ فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ﴾ (٢)» (٣).

٥ ـ قال عليه السلام : «لَيْسَ الْحِمْيَةُ مِنَ الشَّيْءِ تَرْكَهُ ، وَلكِنِ الإِقْلالُ مِنْهُ» (٤).

٦ ـ قال عليه السلام : «أَوْحَشُ ما يَكونُ هـٰذَا الْخَلْقُ في ثَلاثَةِ مَواضِعَ : يَوْمَ يُولَدُ إِلَى الدُّنْيا ، وَيَخْرُجُ الْمَوْلودُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ فَيَرَى الدُّنْيا ، وَيَوْمَ يَموتُ فَيُعايِنُ الآخِرَةَ وَأَهْلَها ، وَيَوْمَ يُبْعَثُ فَيَرىٰ أَحْكاماً لَمْ يَرَها في دارِ الدُّنْيا ، وَقَدْ سَلَّمَ اللهُ تَعالىٰ عَلىٰ يَحْيىٰ في هـٰذِهِ الْمَواطِنِ الثَّلاثَةِ وَآمَنَ رَوْعَتَهُ ، فَقالَ : ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً ﴾ (٥).

وَقَدْ سَلَّمَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلىٰ نَفْسِهِ في هـٰذِهِ الْمَواطِنِ الثَّلاثَةِ فَقالَ : ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً ﴾ (٦)» (٧).

٧ ـ قال عليه السلام : «إِنَّ مَشْيَ الرِّجالِ خَلْفَ الرِّجالِ فِتْنَةٌ لِلْمَتْبوعِ ، وَمَذَلَّةٌ لِلتّابِعِ» (٨).

---

(١) غافر ٤٠ : ٤٤.

(٢) غافر ٤٠ : ٤٥.

(٣) تحف العقول : ٤٤٦.

(٤) معاني الأخبار : ٢٣٨. عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ : ٢٧٦.

(٥) مريم ١٩ : ١٥.

(٦) مريم ١٩ : ٣٣.

(٧) نور الأبصار : ٢١٣.

(٨) تاريخ اليعقوبي : ٢ : ٤٥٣. سنن الدارمي : ١ : ١٣٤.

٨ ـ قال عليه السلام : « اسْتِعْمالُ الْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ مُؤْذِنٌ بِدَوامِ النِّعْمَةِ »(١) .

٩ ـ قال عليه السلام : « لَا يَجْتَمِعُ الْمالُ إِلَّا بِخِصالٍ خَمْسٍ : بِبُخْلٍ شَديدٍ ، وَأَمَلٍ طَويلٍ ، وَحِرْصٍ غالِبٍ ، وَقَطيعَةِ الرَّحِمِ ، وَإِيثارِ الدُّنْيا عَلَى الْآخِرَةِ »(٢) .

١٠ ـ قال عليه السلام : « عَوْنُكَ لِلضَّعيفِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ »(٣) .

١١ ـ قال عليه السلام : « مَنْ أَحَبَّ عاصِياً فَهُوَ عاصٍ ، وَمَنْ أَحَبَّ مُطيعاً فَهُوَ مُطيعٌ ، وَمَنْ أَعانَ ظالِماً فَهُوَ ظالِمٌ ، وَمَنْ خَذَلَ عادِلاً فَهُوَ ظالِمٌ ، إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ قَرابَةٌ ، وَلَا يَنالُ أَحَدٌ وِلايَةَ اللهِ إِلَّا بِالطّاعَةِ ، وَلَقَدْ قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله لِبَني عَبْدِالْمُطَّلِبِ : ائْتوني بِأَعْمالِكُمْ لَا بِأَحْسابِكُمْ وَأَنْسابِكُمْ . قالَ اللهُ تَعالىٰ : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾(٤) »(٥) .

١٢ ـ قال عليه السلام : « إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الْقيلَ وَالْقالَ ، وَإِضاعَةَ الْمالِ ، وَكَثْرَةَ السُّؤالِ »(٦) .

وبهذه الشذرات الموجزة من كلامه ينتهي بنا الحديث عن بعض ما أُثر عنه من الحكم والآداب .

إمامته عليه السلام

وتواترت النصوص من الإمام موسى عليه السلام على إمامة ولده الرضا عليه السلام ، وقد روى

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ : ٢٦ .

(٢) تحف العقول : ٤٤٦ .

(٣) بحار الأنوار : ٧٥ : ٣٢٦ ، الحديث ٣٢ .

(٤) المؤمنون ٢٣ : ١٠١ ـ ١٠٣ .

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ : ٢٦٠ .

(٦) تحف العقول : ٢٤٣ .

عنه النصّ كلّ من داود بن كثير الرقيّ، ومحمّد بن إسحاق بن عمّار، وعليّ بن يقطين، ونعيم القابوسي، والحسين بن المختار، وزياد بن مروان، وداود بن سليمان، ونصر بن قابوس، وداود بن رزين، ويزيد بن سليط، ومحمّد بن سنان المخزومي[١].

ولاية العهد

والشيء المحقّق أنّ الإمام الرضا ﷺ قد أُكره على قبول ولاية العهد، فقد أقسره المأمون على ذلك، وتهدّده بالقتل إن لم يستجب له، فاضطرّ ﷺ على كره إلى إجابته[٢].

وإنّما رشّحه لولاية العهد لعوامل سياسيّة خطيرة ألجأته إلى الإقدام على ذلك، ولم يكن سببه ميله للعلويّين، وشدّة عطفه وحبّه لهم ـ كما يقول بذلك البعض ـ فإنّه لا واقعيّة له، والذي يذهب إليه لا ينظر إلى الأحداث بدقّة وعمق وشمول، فإنّ المأمون لم يقدم على هذا الأمر الخطير إلّا بعد أن اضطرّ إليه.

أمّا العوامل السياسيّة فأهمّها فيما نحسب هي ما يلي:

١ ـ إنّ الدولة العبّاسيّة كانت مهدّدة بالخطر بواسطة الثورات الداخليّة التي تزعّم قيادتها أبناء الإمام موسى ﷺ، وهم إبراهيم الأكبر، وزيد، وغيرهما، فقد أعلنوا الثورة على الحكم العبّاسي بسبب ما عانوه من الظلم والجور والاضطهاد، وقد تولّى قيادة الثورة أبو السرايا، وكان كأبي مسلم الخراساني في عزمه ويقظته وشدّة بأسه، واستجابت أكثر الشعوب الإسلاميّة لهذه الثورة، وسقط قسم كبير من الأقاليم الإسلاميّة كالحجاز واليمن، وقسم من العراق، وغيرها بأيدي الثوّار، وسنبيّن

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣: ٤٧٦. أُصول الكافي: ١: ٣١١ ـ ٣١٩.

(٢) عيون أخبار الرضا ﷺ: ١: ١٥٢. كشف الغمّة: ٣: ٦٩. مناقب آل أبي طالب: ٣: ٤٧٢.

تفصيل ذلك فيما يأتي من البحوث.

وأنفق المأمون لياليه ساهراً، وهو يفتّش عن الوسائل التي يتخلّص بها من هذا الخطر المحدق به، وبعد تفكير جادّ رأى أنّ خير وسيلة لإطفاء نار الحرب والتخلّص من خصومه أن يعهد بالأمر من بعده إلى الإمام الرضا عليه السلام ويشركه في الخلافة ليكتسب بذلك ميل الثوّار، ورجوعهم عن التمرّد والعصيان. كما يكسب بذلك ميل العلويّين الذين أجمعوا على تقديم الإمام عليهم لعلمه وفضله وزهده.

وكانت هذه الخطّة السياسيّة موفّقة إلى أبعد الحدود، فقد فشلت الثورة، وفلّلت جميع قواعدها فور إعلان المأمون لذلك، فقد تراجع الثوّار عن نيّتهم وتصميمهم، وأعلنوا رضاهم وسرورهم بذلك، كما أعلنوا تأييدهم للمأمون، والاذعان لسلطانه وحكمه، وقد استراح المأمون وأمن من أهمّ الأخطار التي كانت محدقة بدولته.

٢ ـ إنّ القوّات المسلّحة التي اعتمد عليها المأمون لمحاربة أخيه الأمين كان القسم الكثير من قوّادها وزعماء فرقها ممّن يميلون إلى العلويّين، وقد شرطوا عليه فيما يقول بعض المؤرّخين أنّهم لا يفتحون نار الحرب على الأمين، إلّا أن يجعل الإمام الرضا عليه السلام وليّاً لعهده، فأجابهم إلى ذلك، فإذا صحّ ذلك فهو مضطرّ إلى إجابتهم خوفاً من الانتفاضة عليه.

٣ ـ إنّ الأحداث الرهيبة التي جرت بين الأمين والمأمون، قد أوجبت إجماع الرأي العامّ على بغض المأمون وكراهته، فقد عاثت جيوشه فساداً في بغداد، فخرّبت كثيراً من قصورها ومساكنها، وفقدت بهجتها وزينتها ومحاسنها، وعملت فيها المراثي، وممّا قيل فيها:

بَكَتْ عَيْني عَلىٰ بَغْدادَ لَمّا ... فَقَدتِ غَضارَةَ العَيْشِ الأَنيقِ
أَصابَتْنا مِنَ الحُسّادِ عَيْنٌ ... فَأَفْنَتْ أَهْلَنا بِالمَنْجَنيقِ[1]

---

(١) تاريخ الخلفاء: ٢٩٩.

وتعرّضت البلاد للمجاعة الشاملة، وفقدان الأمن، وفزع البغداديّون، وداخلهم أعظم الخوف وأقساه، ولم ينسوا محنتهم في تلك الأيّام فظلّوا يتحدّثون عنها بعد عشرات من السنين.

وممّا زاد في نقمة العامّة على المأمون أنّ جيوشه لمّا ظفرت بأخيه الأمين لم ترحمه ولم تعفوا عنه، وإنّما نكّلت به، فعمدت إلى قتله وقتل مؤيّديه، وأبردت برؤوسهم إلى المأمون، وقد نفرت العامّة من قتل الأخ لأخيه، وأجمعت على بشاعة ذلك، وأنّ صاحب هذا العمل لا يملك ذرّة من العاطفة والنبل، ولا يستحقّ أن يتولّى أمر المسلمين، ويكون حاكماً عليهم.

وأراد المأمون بعد هذه الأحداث أن يكسب ودّ الناس، ويبدّل نقمتهم بالمحبّة والرضا، فعهد بالأمر من بعده إلى سليل النبوّة، وعالم آل محمّد ﷺ الذي أجمع المسلمون على حبّه وتعظيمه وإكباره، وأنّه أحقّ بأمر المسلمين من غيره.

وقد نال المأمون بذلك ودّعامة الناس وتقديرهم والثناء عليه، وأنّه قد أوصل أرحاماً قد قُطعت، وآمن نفوساً قد فزعت، وأحيى أسرة النبيّ ﷺ التي أتلفها جور العبّاسيّين وظلمهم.

هذه بعض العوامل التي حفّزت المأمون على تعيينه للإمام وليّاً لعهده، ولم يكد يخفى على الإمام عليه السلام ذلك، فقد امتنع أشدّ الامتناع من قبول الأمر، ولمّا لم يجد سبيلاً إلى الرفض شرط عليه شروطاً ليظهر للناس كراهته وزهده في الحكم، وهي:

١ - لا يأمر ولا ينهى.

٢ - لا يفتي ولا يقضي.

٣ - لا يولّي أحداً ولا يعزل أحداً.

٤ - لا يغيّر شيئاً ممّا هو قائم(١).

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣: ٤٧٢.

وهذه الشروط دلّت على زهده في الحكم ، فقد جعلته بمعزل عنه ، كما جعلته منفصلاً عن الهيئة السياسيّة الحاكمة ، ولو كان الإمام عليه السلام يعلم بواقعيّة ذلك وصدق المأمون لما شرط ذلك عليه ، ولما ابتعد عن الاشتراك بأي عمل إيجابي للدولة .

وعلى أي حال ، فإنّ المأمون أظهر سروره البالغ بذلك ، وأصدر مرسوماً ملكيّاً بإقامة المهرجانات والزينة في جميع أنحاء البلاد ، وأمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام الذي كان شعاراً للعبّاسيّين ، وتبديله باللباس الأخضر الذي هو شعار العلويّين ، وضرب اسم الإمام الرضا عليه السلام على الدرهم والدينار ، وفرّق الجوائز الثمينة ، والهبات الضخمة على الناس ، وعهد إلى الشعراء أن يمدحوا الإمام ويثنوا عليه .

وانبرى العبّاس الخطيب فتكلّم ، وأثنى على المأمون أحسن الثناء ، وختم ذلك بقوله :

لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ شَمْسٍ وَمِنْ قَمَرٍ فَأَنْتَ شَمْسٌ ، وَهٰذا ذٰلِكَ القَمَرُ[1]

وتبارى الشعراء في مدح الإمام الرضا عليه السلام والثناء على المأمون ، ولم يشترك في هذه الحلبات شاعر البلاد أبو نؤاس ، فعاتبه المأمون ، وقال له : قد علمت مكان عليّ بن موسى الرضا وما أكرمته به ، فلماذا أخّرت مدحه وأنت شاعر زمانك ، وقريع دهرك .

فتأمّل أبو نؤاس ، ونظم هذه الأبيات الخالدة التي سارت مع الزمن قائلاً :

قِيلَ لِي أَنتَ أَوْحَدُ النّاسِ طُرّاً فِي فُنونٍ مِنَ الْكَلامِ[2] النَّبيهِ
لَكَ مِنْ جَوهَرِ الْكَلامِ نِظامٌ يُثمِرُ الدُّرَّ فِي يَدَي مُجْتَنيهِ

(١) تذكرة الخواص : ٣٦٤.
(٢) في نسخة : « المقال ».

فَعَلى مَ[1] تَرَكْتَ مَدْحَ ابْنِ موسى   وَالخِصالِ الَّتي تَجَمَّعنَ فيهِ
قُلْتُ لا أَهْتَدي لِمَدحِ إمامٍ   كانَ جِبْريلُ خادِماً لِأَبيهِ

وفازت هذه الأبيات الرائعة على كافّة ما ألقاه الشعراء من قصائد المدح ، واستحسنها المأمون وأعجب بها ـ كما أُعجب بها غيره ـ فأوصله من المال بمثل ما أوصل به كافّة الشعراء ، وفضّله عليهم[2].

ونظر أبو نؤاس إلى الإمام فرأى أنوار الإمامة والتقوى قد علت من الإمام ، فتقدّم إليه وقال له : يابن رسول الله ، قد قلت فيك أبياتاً أحبّ أن تسمعها منّي .

فقال عليه السلام : **هاتها** ، فأنشأ يقول :

مُطَهَّرونَ نَقِيّاتٌ ثِيابُهُمُ   تَجْري الصَّلاةُ عَلَيْهِمْ كُلَّما ذُكِروا
مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَوِيّاً حينَ تَنْسِبُهُ   فَما لَهُ في قَديمِ الدَّهْرِ مُفْتَخَرُ
وَاللهُ لَمّا بَرا خَلْقاً فَصَوَّرَهُ   صَفّاكُمُ وَاصْطَفاكُمْ أَيُّها البَشَرُ
أُولئِكَ الْقَومُ أَهْلُ البَيْتِ عِنْدَهُمُ   عِلْمُ الْكِتابِ وَما جاءَتْ بِهِ السُّوَرُ[3]

فقال له الإمام الرضا عليه السلام : **قَدْ جِئْتَنا بِأَبْياتٍ ما سَبَقَكَ إِلَيْها أَحَدٌ** .

وقال لغلامه : **ما مَعَكَ مِنْ فاضِلِ نَفَقَتِنا ؟**

ـ ثلاثمائة دينار .

ـ **أعطها إيّاه** .

ثمّ قال لغلامه : **لَعَلَّهُ اسْتَقَلَّها ، سُقْ إِلَيْهِ الْبَغْلَةَ** ، فساقها له »[4].

---

(١) في نسخة : « فلماذا » .

(٢) مسند الرضا : ٢٦ . سير أعلام النبلاء : ٩ : ٣٨٩ . وفيات الأعيان : ٢ : ٤٣٣ .

(٣) خلاصة الذهب المسبوك : ٢٠٠ . عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ : ١٥٥ ، الحديث ١٠ .

(٤) الإتحاف بحبّ الأشراف : ٦٠ . نزهة المجالس : ٢ : ١٠٥ . كشف الغمّة : ٣ : ١١١ .

وأخذت البيعة بولاية العهد للإمام عليه السلام في جميع الأقطار الإسلاميّة، وقام الخطباء على المنابر يدعون للإمام، ويشيدون بفضله وعلمه، ورأى بعض الشيعة الإمام وهو لابس الخلع، والألوية تخفق على رأسه، فغمرته موجات من الفرح والسرور، وبان ذلك على سحنات وجهه، فأشار إليه الإمام بالدنوّ منه، فأسرّ إليه قائلاً: **لَا تَشْغَلْ قَلْبَكَ بِشَيْءٍ مِمَّا تَرىٰ مِنْ هٰذَا الْأَمْرِ، وَلَا تَسْتَبْشِرْ فَإِنَّهُ لَا يَتِمُّ**[1].

فكان كما أخبر عليه السلام، فلم يمض قليل من الوقت حتّى تنكّر له المأمون، وأخذ يسعى جاهداً في اغتياله كما سنذكره.

حقد المأمون على الإمام عليه السلام

وحقد المأمون على الإمام حقداً كثيراً، وأترعت نفسه بالبغي والشرّ عليه، وذلك لما ظهر من فضل الإمام، فقد عجّت النوادي بذكر مآثره ومناقبه، وتحدّثت الركبان بمواهبه وعبقريّاته، فصار الناس لا يذكرون إلّا فضله وفضل آبائه.

وممّا زاد في حقد المأمون خروج الإمام عليه السلام إلى صلاة العيد حيث طلب منه المأمون أن يؤمّ الناس، فامتنع عليه السلام من إجابته، وأصرّ عليه المأمون إصراراً شديداً، فاضطرّ إلى إجابته، ولكنّه شرط عليه أن يخرج إلى الصلاة كما كان يخرج جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وجدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

فقال له المأمون: اخرج كيف شئت.

وأوعز المأمون إلى قادة الجيش وسائر الناس أن يتّجهوا إلى أبي الحسن، وأقبلت الجماهير تتقدّمها قادة الجيش إلى باب الإمام الرضا عليه السلام، فلمّا طلعت الشمس قام عليه السلام فاغتسل وتعمّم بعمامة بيضاء وألقى طرفاً منها على صدره، وطرفاً بين كتفيه، وقال لمواليه: «**افْعَلوا مِثْلَ ما فَعَلْتُ**»، وأخذ بيده عكّازاً ومشى، وأبى أن

---

(١) الفصول المهمّة: ٢٣٨.

يركب، وكبّر أربع تكبيرات، وقد تهيّأ الجيش واستعدّ استعداداً رسميّاً، فلبسوا السلاح، وتزيّنوا بأحسن زينة، وطلع عليهم الإمام كأنّه البدر، فوقف على الباب فكبّر أربعاً، وقال: **اللهُ أكْبَرُ عَلىٰ ما هَدانا، اللهُ أكْبَرُ عَلىٰ ما رَزَقَنا مِنْ بَهيمَةِ الأنْعامِ. الحَمْدُ للهِ عَلىٰ ما أبْلانا**....

وضجّت الأرض بالتكبير والبكاء، فقد تذكّر الناس في صورة الإمام وحالته جدّه الرسول ﷺ الذي جاء لإنقاذ العالم، وعرفوا ضلال اُولئك الملوك الذين تجبّروا وتكبّروا.

وكان عليه السلام في كلّ عشر خطوات يكبّر ثلاثاً، وتخيّل الناس أنّ السماء والأرض تجاوبه، وصارت مرو ضجّة واحدة من البكاء، وبلغ المأمون ذلك، فارتاع، فقال له الفضل بن سهل: يا أمير المؤمنين، إن بلغ الرضا المصلّى على هذا السبيل افتتن به الناس، فالرأي أن تسأله أن يرجع.

فرأى المأمون الصواب في رأيه، فبعث للإمام يسأله الرجوع، فقفل عليه السلام راجعاً من دون أن يصلّي بالناس[١].

وقد أظهرت هذه البادرة للناس روحانيّة آل النبيّ ﷺ، وزهدهم في الدنيا، ورفضهم لمباهج الملك والسلطان، وقد أكبرها الناس أي إكبار، وفيها يقول البحتري:

ذَكَروا بِطَلْعَتِكَ النَّبِيَّ فَهَلَّلوا ... لَمّا طَلَعتَ مِنَ الصُّفوفِ وَكَبَّروا
حَتّى انْتَهيتَ إلى المُصَلّى لابِساً ... نورَ الهُدىٰ يَبْدو عَلَيكَ فَيَظهَرُ
وَمَشَيتَ مَشيَةَ خاضِعٍ مُتَواضِعٍ ... للهِ لا يَزْهو وَلا يَتَكَبَّرُ

---

(١) اُصول الكافي: ١: ١٨٩ و ١٩٠. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢: ١٥٠ و ١٥١. مناقب آل أبي طالب: ٣: ٤٧٩ و ٤٨٠.

وَلَـو أَنَّ مُشْـتاقاً تَكَـلَّفَ غَـيرَ ما ... في وُسْعِهِ لَـمَشى إِلَـيكَ المِنْبَرُ[١]

ويقول الرواة : إنّ خروج الإمام إلى الصلاة بهذه الكيفيّة كان من أقوى الأسباب التي أدّت إلى حقد المأمون على الإمام ، وإقدامه على اغتياله .

اغتيال الإمام عليه السلام

وانتشرت فضائل الإمام الرضا عليه السلام وسرت بين الناس كالضوء ، وعجّت النوادي بذكر مآثره ومناقبه ، وازدحمت العلماء من جميع الأقطار على باب داره تستفتيه وتسأله عن أمّهات المسائل على اختلاف أنواعها من الفقه والتفسير وعلم الكلام والفلسفة والطبّ وغيرها .

فكان عليه السلام يجيبهم من فيض علمه الذي ورثه من جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو باب مدينة علم النبيّ صلى الله عليه وآله ، وكانت العلماء تذيع بين العامّة ما تراه من علوم الإمام وفضائله ، حتّى سرى حبّه في القلوب ، وتعلّقت به الناس ، وكانت الاستخبارات تنقل إلى المأمون ذلك ، فكان يتميّز من الغيظ والحقد على الإمام ، فأوعز إلى محمّد بن عمرو الطوسي بطرد الناس عنه ، ومنعهم من الحضور في مجلسه .

وخاف المأمون على ملكه ، وخشي على سلطانه ، وحذر من انتفاضة الناس عليه ، فقدم على أعظم جريمة ، وأفحش موبقة في الإسلام ، فقام باغتيال الإمام ، فأخذ عنباً مسموماً ، ثمّ دعا الإمام ، وناوله العنقود فسمّه ، وقال له : يابن رسول الله ، ما رأيت عنباً أحسن من هذا !

فرمقه الإمام بطرفه ، وقال له : **رُبَّما كانَ عِنَباً حَسَناً مِنْهُ في الْجَنَّةِ** .

وامتنع الإمام من إجابته ، فأصرّ عليه المأمون وأجبره على تناول شيء منه ،

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٣ : ٤٨٠ .

فأخذ منه قليلاً ، ثمّ رمى به ، وقام من مجلسه ، فقال له المأمون : إلى أين ؟

فقال له بصوت خافت : **إلى حَيْثُ وَجَّهْتَني** (١).

ومضى الإمام مسرعاً إلى ثوبه ، وقد أخذ منه الألم القاسي مأخذاً عظيماً ، فقد تقطّعت أمعاؤه من السمّ ، وهو يعاني ألم الغربة ، والبعد عن أهله ووطنه ، ولم يمض قليل من الوقت حتّى وافاه الأجل المحتوم ، فصعدت تلك الروح العظيمة إلى بارئها.

تلك الروح التي هي قبس من نور الله خلقها ليضيء بها غياهب الظلمات ، ويرشد بها الحائر ، ويأمن بها المظلوم ، ويلجأ إليها الخائف والمستجير ، ولكن قوى الشرّ والطغيان قد أطفأت ذلك الكوكب ، وحرمت الإنسان من الاستضاءة بنوره.

لقد رزئ العالم الإسلامي بتلك الفاجعة الكبرى ، وخسر بموته خيراً كثيراً ، لقد انطوى عزّ المسلمين ومجدهم ، وغاب عنهم من كان يحنو عليهم ويعطف ، ومن كان يوجّههم إلى الخير ، ويبعدهم عن الآثام والشرور.

وكان المأمون يترقّب وفاة الإمام بفارغ الصبر ، فلمّا وافاه النبأ بموته انبرى وهو يظهر الحزن ، ويقول أمام الناس لنفي الجريمة عنه : كنت آمل أن أقدّم قبلك ، ولكن أبى الله إلّا ما أراد (٢).

وأخذ المأمون في تجهيز الإمام وتكفينه ، وبعد الفراغ منه حمل إلى مقرّه الأخير ، وقد جرى له تشييع هائل لم تشهد نظيره خراسان في جميع مراحل تاريخها ، ومشى خلف النعش العظيم المأمون وهو حاف حاسر ، رافعاً عقيرته قائلاً : لقد ثُلم الإسلام بموتك ، وغلب القدر تقديري فيك (٣).

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ : ٢٤٣.

(٢) كشف الغمّة : ٣ : ١٢٣ و ١٢٤.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ : ٢٤١.

وجاء بالجثمان المقدس فشقّ له لحداً إلى جانب قبر الرشيد، فواراه فيه، وقد وارى معه الحلم والعلم والسخاء، فقد أودع في أرض فارس مصباح من أئمّة الهدى، وقد تقدّست تلك البقعة الطاهرة، وبلغت القمّة شرفاً ومجداً، فقد أُحيطت بهالة من التكريم والتقديس عند جميع المسلمين.

وسئل المأمون عن السبب في مواراة الإمام إلى جانب أبيه، فقال: ليغفر الله لهارون بسبب جواره للرضا.

وهو منطق هزيل، فإنّ كلّ إنسان يدفن بعمله، ولا يجديه شرف الجوار، وقد انبرى دعبل الخزاعي إلى الردّ عليه بقوله:

أَربِعْ بِطُوسٍ عَلىٰ قَبرِ الزَّكِيِّ بِـها ... إنْ كُنتَ تَربعُ مِنْ دِينٍ عَلىٰ وَطَرِ[1]

ما يَنفَعُ الرِّجسَ مِنْ قُرْبِ الزَّكِيِّ وَلا ... عَلى الزَّكِيِّ بِقُرْبِ الرِّجْسِ مِنْ ضَرَرِ

هَيْهاتَ كُلُّ امْرِىءٍ رَهْنٌ بِما كَسَبَتْ ... لَهُ يَداهُ، فَخُذْ ما شِئْتَ أَوْ فَذَرِ

قَبرانِ في طوسٍ خَيرُ النّاسِ كُلِّهِمُ ... وَقَبرُ شَرِّهِمُ هـٰذا مِنَ العِبَرِ

وهذا هو منطق العدل والحقّ، فماذا يجدي هارون قربه من الإمام وجواره منه، وقد تلطّخت يداه بدماء ذرّيّة النبيّ ﷺ، فأشاع فيهم القتل والإعدام، وأسكن بيوتهم الثكل والحزن والحداد.

وبهذا العرض الموجز ينتهي بنا المطاف عن حياة هذا الإمام العظيم، وعسى أن يساعدنا التوفيق فنتشرّف بالبحث عن شؤونه وأحواله.

٢ ـ إبراهيم الأكبر

والشيء الذي يدعو إلى البحث والاستقصاء هو أنّ طائفة من المؤرّخين ذهبوا

---

(١) أي قف وانتظر.

إلى أنّ المسمّى بإبراهيم من أبناء الإمام إنّما هو شخص واحد، وليس له ابن آخر يسمّى بهذا الاسم، وذهب آخرون إلى التعدّد، ونصّوا على أنّهما اثنان يلقّب أحدهما بالأكبر، والآخر بالأصغر.

وقد حقّق ذلك آية الله المرحوم السيّد مهدي بحرالعلوم في رجاله، قال ما نصّه: «ظاهر الأكثر كالمفيد في الإرشاد، والطبرسي في الإعلام، والسروي في المناقب والإربلي في كشف الغمّة أنّ المسمّى بإبراهيم من أولاد أبي الحسن موسى عليه السلام رجل واحد، فإنّهم ذكروا عدّة أولاد ولم يذكروا غير رجل».

ثمّ قال: «والظاهر تعدّد إبراهيم، كما نصّ عليه صاحب العمدة وغيره من علماء الأنساب، فإنّهم أعلم من غيرهم بهذا الشأن، وليس في كلام غيرهم ما يصرّح بالاتّحاد، فلا يعارض النصّ على التعدّد»(١).

ورأي الحجّة السيّد بحرالعلوم رأي وثيق، فإنّ الأعلام الذين ذكروا إبراهيم لم ينصّوا على عدم التعدّد، كما أنّهم لم يذكروا جميع أبناء الإمام، وإنّما ذكروا بعضهم بالإضافة إلى أنّ علماء النسب قد أثبتوا التعدّد وهم أدرى وأثبت من غيرهم في هذه الأمور، وبعد هذا فلنعد إلى البحث عن شؤون هذا السيّد الزكيّ إبراهيم.

كان إبراهيم سيّداً جليلاً، عظيم الشأن، ومن علماء عصره البارزين، وروى الحديث عن آبائه(٢).

ونقل ابن شدقم عن جدّه أنّ إبراهيم كان عالماً، فاضلاً، كاملاً، من أئمّة الزيديّة، وكان شيخاً جليلاً كبيراً كريماً(٣).

---

(١) رجال بحر العلوم: ١: ٤٢٤ ـ ٤٣٣. أعيان الشيعة: ٢: ٢٢٨.

(٢) غاية الاختصار: ٧٤.

(٣) تحفة الأزهار: ٢: ١٢٤. انظر أعيان الشيعة: ٨: ٥٠.

وقال الشيخ المفيد: «كان إبراهيم شيخاً كريماً»[١].

وممّا يدلّ على نباهة شأنه أنّ الإمام موسى عليه السلام جعله من جملة أوصيائه في الظاهر لأجل التنويه باسمه والتشريف له، وإعلاء مكانته، ونعرض بعض أحواله:

١ ـ مع الواقفيّة

ورماه بعض المترجمين له بالوقف مستنداً إلى رواية بكر بن صالح، قال: «دخلت عليه بعد وفاة أبيه فقلت له: ما قولك في أبيك؟

ـ هو حيّ.

ـ ما قولك في أخيك أبي الحسن؟

ـ ثقة، صدوق.

ـ إنّه يقول: إنّ أباك قد مضى؟

ـ هو أعلم.

وطلب إبراهيم من بكر أن يخبره بقول أخيه الإمام الرضا عليه السلام في ذلك، فأجابه أنّه يذهب إلى وفاته، وبعد ما سمع بذلك قال: إنّه أعلم بما يقول.

فقال له أبو بكر: أفأوصى أبوك؟

ـ نعم.

ـ إلى مَن أوصى؟

ـ إلى خمسة منّا، وجعل عليّاً المقدّم علينا»[٢].

ودلّ هذا الخبر على ميله إلى الواقفيّة، كما دلّ على تقديره وإكباره لأخيه الإمام

---

(١) الإرشاد ٢: ٢٤٥.

(٢) فروع الكافي: ٧: ٥٤. عيون الأخبار: ٢: ٤٦.

الرضا عليه السلام ، واستفاد المحقّق المامقاني من هذا الخبر توثيقه ، وحسن نيّته ، فقال : « وبالجملة فمن أمعن النظر في هذا الخبر علم أنّ الرجل في غاية درجة التقوى ، حيث أنّ الشبهة كانت دينيّة لم توجب رفع اليد عن الحقّ في توثيق أخيه وتصديقه إيّاه ، واعترافه بوصيّة أبيه ، وكون الأوصياء مجموعهم ، وأنّ الإمام الرضا عليه السلام مقدّم عليهم ، بل لو لم يكن في ترجمة الرجل إلّا الخبر هذا لكفى الفطن البصير في عدالته وديانته ، وكون الوقف لشبهة عرضت عنده وزالت »[١].

ومهما يكن من أمر ، فإنّ الكثير من المحقّقين قد صرّحوا بعدالته وبراءته من هذه التهمة .

٢ ـ مع الإمام الرضا عليه السلام

وذكر الكليني أنّ إبراهيم وأخاه العبّاس قد خاصما الإمام الرضا عليه السلام ، كما سنذكر ذلك في ترجمة العبّاس ، ومن المعلوم أنّ ذلك مضرّ بوثاقته وعدالته ، ولكنّه لم ينصّ على أنّه إبراهيم الأكبر أو الأصغر ، ومع هذا الاهمال فلا دلالة فيه على قدحه بوجه من الوجوه .

٣ ـ مع أبي السرايا

ولا بدّ لنا من الاحاطة ـ ولو إجمالاً ـ بحادثة أبي السرايا لأنّها تلتقي مع غير واحد من أولاد الإمام عليه السلام .

لقد فجّر تلك الثورة الخطيرة في بدايتها ، ووضع تصميمها ومخطّطاتها الزعيم العظيم محمّد بن إبراهيم المعروف بالطباطبائي[٢] ، فقد رأى ما مُني به المسلمون

---

(١) تنقيح المقال : ٣ : ٣٤.

(٢) سمّي بذلك لأنّ أباه لقّبه بها للكنة في لسانه أيّام طفولته . ابن خلدون في تاريخه : ٤ : ٨.

من الظلم الفاحش ، وما عاناه العلويّون من صنوف التنكيل والارهاق ، وأنّه كان شديد الرقّة والعطف على الضعفاء والمحرومين ، وقد حفّزته روحه الطاهرة إلى إعلان الثورة .

فقد حدّث المؤرّخون عنه أنّه كان في بعض شوارع الكوفة إذ وقع بصره على عجوز تتبع أحمال الرطب فتلتقط ما يسقط منها ، فتجمعه في كساء رثّ ، فسألها عن ذلك .

فقالت له : إنّي امرأة لا رجل لي ليقوم بمؤونتي ، ولي بنات لا يعدن أنفسهنّ بشيء ، فأنا اتتبّع هذا في الطريق وأتقوّته أنا وولدي .

ولمّا سمع ذلك انفجر باكياً والتفت إليها قائلاً : والله أنت وأشباهك تخرجوني غداً حتّى يسفك دمي[١] .

وكان من الطبيعي أن يدفعه هذا الاحساس والحدب على الفقراء إلى المطالبة بحقوقهم وإعلان الثورة على الظالمين .

وأخذ يدبّر أموره ، فاتّصل بزعماء العرب ، وشخصيّات المسلمين طالباً منهم المساعدة والاشتراك معه في مقاومة الظلم وقلب الحكم القائم آنذاك ، وقد التقى بالزعيم العربي نصر بن شيبث[٢] ، فاندفع يحرّضه على الانتفاضة ، وذكر ما جرى على أهله وشيعته من الظلم والجور قائلاً : حتّى متى توطأون بالخسف ، وتهتضم شيعتكم ، وينزى على حقّكم ؟[٣] .

فألهبت هذه الكلمات قلبه ، ودفعته إلى الاسراع في ثورته ، ومن الأسباب المهمّة التي حفّزته إلى المبادرة في نهضته هو اختلاف العبّاسيّين ، وتفرّق كلمتهم بسبب

---

(١) مقاتل الطالبيّين : ٣٤٦ .

(٢) نصر بن شيبث أحد رؤساء القبائل الساكنة في الجزيرة في العراق ، وكانت له ميول علويّة .

(٣) مقاتل الطالبيّين : ٣٤٥ .

الفتنة التي حدثت بين الأمين والمأمون ، فقد أوجبت فقدان الاستقرار والأمن وشيوع الاضطراب بين الناس ، وتطلّعهم إلى من ينقذهم ممّا هم فيه .

انضمام أبي السرايا إلى الثورة

وممّا زاد في إحكام الثورة وخطورتها انضمام القائد المحنّك أبي السرايا إليها ، وكان علويّ الرأي ، يكنّ في نفسه للعلويّين أعظم الولاء والحبّ ، ويتحرّق على ما أصابهم من العنف والاضطهاد ، ويسعى جاهداً إلى قلب الحكم العبّاسي ، وإعادته إلى العلويّين ، ونتحدّث بايجاز عن شؤون هذا القائد الملهم العظيم .

إنّه السري بن منصور من بني شيبان ، من ولد هاني بن مسعود ، وقيل : من بني تميم القاطنين في الجزيرة ، أقام مدّة من الزمن في شرقي الفرات . خاض في كثير من الحروب ، ومارس عمليّاتها ، اشترك مع القائد يزيد بن مزيد في « أرمينية » لمقاتلة « الخرّميّة » .

ولمّا توفّي يزيد وتولّى ابنه قيادة الجيش انضمّ إليه أبو السرايا ، وصار معه إلى أن عزل . . والتحق بعد ذلك بأحمد بن مزيد ، وقد أرسل الأمين أحمد بن مزيد لحرب هرثمة بعد أن أعلن العصيان والتمرّد ، وقد أوعز إليه أن يجتمع به ليطّلع على شؤونه .

والتقى به أحمد فشرح له هرثمة أسباب خروجه ، وما تعانيه الأمّة من ظلم العبّاسيّين وجورهم ، فمال إليه أحمد ولحق بمعسكره ، وقدم بني شيبان إلى الجزيرة ، فاستخرج لهم الأرزاق من هرثمة ، فانضمّ إليه ما يزيد على ألفي فارس ، وبعد مقتل الأمين نقص هرثمة من عطايا الجيش ومرتّباتهم ، فساء ذلك أبا السرايا ، وعزم على التخلّي عنه ، واستأذنه أن يحجّ ، فأذن له وأعطاه عشرين ألف درهم ، فأخذها وفرّقها بين أصحابه ، وقد استمال بذلك قلوبهم ، وملك عواطفهم ، وأوصاهم باتّباعه إلى (عين التمر) .

فلمّا انتهوا إليها أخذوا عاملها ، ونهبوا أمتعته ، ولقوا عاملاً آخر لبني العبّاس فأخذوا أمواله وقسّموها بينهم .

وأرسل هرثمة جيشاً ليناجز أبا السرايا الحرب ، ولمّا التقى الجيشان انهزم جيش هرثمة ، ومني بالخسائر الفادحة ، وسار أبو السرايا قاصداً نحو الأنبار ، فلمّا انتهى إليها استولى على الإدارة المحلّيّة ، وقتل عاملها إبراهيم الشروري ، وصادر جميع أمواله ، وأخذ يواصل الزحف بجيوشه ويبيد عمّال بني العبّاس وعملائهم ، حتّى انتهى إلى الرقّة ، فالتقى بمحمّد بن إبراهيم ، وصمّما على القضاء على الحكم العبّاسي ، وإعلان البيعة للرضا من آل محمّد »[١] .

لقد مارس أبو السرايا الحروب ، وخاض غمارها ، وعرف أساليبها ، وقد منح قوّة الإرادة والعزم والتصميم ، وقد أسند له محمّد بن إبراهيم القيادة العسكريّة العامّة ، ومنحه ثقته ، وفوّض إليه أمور الثورة وتخطيطها .

إعلان الثورة

واتّفق محمّد وأبو السرايا على إعلان الثورة ، والاطاحة بالحكم العبّاسي ، فزحف أبو السرايا بجيوشه نحو نينوى ، واتّجه إلى قبر سيّد الشهداء عليه السلام ، فزار المرقد العظيم ، وأطال الزيارة ، وجعل يتمثّل بأبيات منصور النمري قائلاً :

نَفْسي فِداءُ الحُسينِ يَومَ غَدا ... إلى المَنايا غَدْوَلاً قافِلِ
ذاكَ يَومَ أنْحى بِشَفْرَتِهِ ... عَلى سَنامِ الإسْلامِ وَالكاهِلِ
كَأنَّما أنْتَ تُعْجِبُني ألّا ... يَنزِلَ بِالْقَومِ نِقْمَةُ الْعاجِلِ
لا يَعجَلُ اللهُ إنْ عَجِلْتَ وَما ... رَبُّكَ عَمّا تَرينَ بِالْغافِلِ
مَظلومَةٌ وَالنَّبِيُّ والِدُها ... يُديرُ أرْجاءَ مُقْلَةٍ حافِلِ

---

(١) تاريخ ابن خلدون : ٤ : ٨ .

أَلَا مَساعيرَ يَغْضَبون لَها بِسِلَّةِ البِيْضِ وَالْقَنا الذابِلِ

ووثب فقال: من كان هاهنا من الزيديّة فليقم إليّ.

فوثب إليه جماعات من الناس فدنوا منه، فخطبهم خطبة طويلة ذكر فيها أهل البيت عليهم السلام وفضلهم، وما خصّوا به، وذكر فعل الأمّة بهم، وظلمها لهم، ثمّ ذكر الإمام الحسين عليه السلام، فقال: «أيّها الناس، هبكم لم تحضروا الحسين فتنصروه، فما يقعدكم عمّن أدركتموه ولحقتموه وهو غداً خارج طالب بثأره وحقّه، وتراث آبائه، وإقامة دين الله، وما يمنعكم من نصرته ومؤازرته، إنّي خارج من وجهي هذا إلى الكوفة للقيام بأمر الله، والذبّ عن دينه، والنصر لأهل بيته، فمن له نيّة في ذلك فليلحق بي».

واتّجه بجيوشه إلى الكوفة، وأمّا محمّد قد أعلن الثورة في اليوم الذي اتّفق فيه مع أبي السرايا، وقد بايعه جمهور غفير من الناس، وظلّ يترقّب بفارغ الصبر قدوم أبي السرايا عليه حتّى يئس منه أصحابه، ولاموا محمّداً على الاستعانة به، واغتمّ محمّد لتأخّره عنه، وبينما هم في قلق واضطراب إذ طلعت عليهم جيوش أبي السرايا، ففرح محمّد وسرّ سروراً بالغاً.

ولمّا بصر به أبو السرايا ترجّل عن فرسه، وأقبل إليه فاعتنقه، وسارا معاً إلى الكوفة، فلمّا انتهى إليها ازدحمت الناس وبايعته بالإجماع، وأظهروا فرحتهم الكبرى بذلك، وكانت بيعتهم في موضع بالكوفة يُعرف بقصر الضرّتين[1].

ولمّا توفّرت الجيوش لمحمّد أعلن ثورته، وكانت في سنة ١٩٩هـ من شهر جمادى الثانية[2].

وزحف الثوّار إلى الكوفة فاحتلّوها، وهجموا على واليها الفضل بن عيسى،

---

(١) مقاتل الطالبيّين: ٣٤٨.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ٣: ٢٤٢.

فنهبوا جميع ما في قصره ، ولكنّ أبا السرايا لم يكن راغباً في ذلك ، وأصدر الأوامر المشدّدة بالكفّ عن السلب والنهب ، ومراقبة العابثين ، كما أصدر أوامره بإرجاع المنهوبات إلى أهلها ، وانهزم الفضل بن عيسى ، فقوى أمر أبي السرايا ، وأحرز نصراً رائعاً ، وقد أرسل والي العراق الحسن بن سهل جيشاً يربو على ثلاثة آلاف فارس بقيادة زهير بن الحسن لحرب أبي السرايا .

فلمّا انتهى الجيش إلى الكوفة قاومه أبو السرايا بقوّة وعزم ، فهزمه وردّه على أعقابه ، وقد مني بالفشل والخسران ، واستولى على جميع أمتعنه[١] .

وانتصر أبو السرايا ، واندحر عدوّه ، وسرى الرعب والفزع في نفوس العبّاسيّين ، فقد أيقن الكثيرون منهم أنّ الثورة قد نجحت .

وفاة محمّد

ومن المؤسف الذي يحزّ في النفس أنّه في تلك الفترة الحاسمة قد مُني الثوّار بوفاة الزعيم محمّد بن إبراهيم ، ونصّت أكثر المصادر أنّه توفّي وفاة طبيعيّة ، وعزت بعض المصادر أنّ أبا السرايا دسّ إليه السمّ فاغتاله ليتخلّص منه ، وأكبر الظنّ أنّه توفّي حتف أنفه ، لأنّ الثورة كانت في بداية أمرها ، وليس من الممكن بأي حال من الأحوال أن يقدم أبو السرايا على اغتياله في تلك الفترة الحرجة التي لم يتيقّن فيها بنجاح ثورته .

ومهما يكن من أمر ، فإنّ أبا السرايا قام بتجهيز الجثمان المقدّس ، وبعدما غسله وأدرجه في أكفانه خرج في غلس الليل البهيم ومعه جماعة من الزيديّة ، فحملوا النعش الطاهر وجاءوا به إلى الغريّ فدفنوه فيه[٢] .

---

(١) المحاضرات : ٢٣٩ ، وجاء في المقاتل : « إنّ الجيش كان بقيادة عدوس بن عبدالصمد » .
(٢) مقاتل الطالبيّين : ٥٣٢ .

ولمّا انبلج نور الصبح جمع الناس فنعى إليهم محمّداً ، وعزّاهم بوفاته ، فارتفعت الأصوات من جميع الجهات بالبكاء والعويل .

ثمّ التفت إليهم قائلاً : « لقد أوصى أبو عبدالله إلى شبيهه ، ومن اختاره ، وهو أبو الحسن عليّ بن عبيدالله ، فإن رضيتم به فهو الرضى ، وإلّا فاختاروا لأنفسكم » .

فجعل الناس ينظر بعضهم إلى بعض ، ولم ينطق أحد منهم ببنت شفة ، وساد عليهم الوجوم ، وانبرى محمّد بن محمّد بن زيد ، وهو غلام حدث السنّ ، فقال : يا آل عليّ ، إنّ دين الله لا يُنصر بالفشل ، وليست يد هذا الرجل ـ يعني أبا السرايا ـ عندنا بسيّئة ، وقد شفى الغليل ، وأدرك الثأر .

والتفت إلى عليّ بن عبيدالله ، فقال له : ما تقول يا أبا الحسن ، فقد وصّانا بك ، امدد يدك نبايعك .

ثمّ قال : إنّ أبا عبيدالله رحمه الله قد اختار ، فلم يعدم الثقة في نفسه ،ولم يألو جهداً في حقّ الله الذي قلّده ، وما ردّ وصيّته تهاوناً بأمره ، ولا أدع هذا نكولاً عنه ، ولكن أتخوّف أن اشتغل به عن غيره ممّا هو أحمد وأفضل عاقبة ، فامض رحمك الله لأمرك ، واجمع شمل بني عمّك ، فقد قلّدناك الرئاسة علينا ، وأنت الرضى عندنا ، الثقة في أنفسنا .

ثمّ قال لأبي السرايا : ما ترى ، أرضيت به ؟

فقال : رضاي من رضاك ، وقولي من قولك .

وجذبوا يد محمّد بن محمّد فبايعوه ، وفي الوقت نظّم شؤونه ، وبعث عمّاله إلى الأقطار الإسلاميّة ، فولّى إسماعيل بن عليّ على الكوفة ، وروح بن الحجّاج على شرطته ، وعاصم بن عامر للقضاء ، وجعل أحمد بن السري على شرطته ، وولّى نصر بن مزاحم السوق ، وعقد لإبراهيم بن موسى على اليمن ، وولّى زيد بن موسى على الأهواز ، وولّى العبّاس بن محمّد على البصرة ، والحسن بن الحسن الأفطس

على مكّة ، وعقد لجعفر بن محمّد بن زيد والحسين بن إبراهيم بن الحسن على واسط[(١)].

وضربت النقود بالكوفة ، وكتب عليها الآية الكريمة : ﴿ **إنّ الله يحبّ الّذين يقاتلون في سبيله صفّاً كأنّهم بنيان مرصوص** ﴾[(٢)].

واستتبّ الأمر إلى أبي السرايا ، وأخذت الثورة تتّسع في مناطق العالم الإسلامي ، وأدرك العبّاسيّون الخطر الذي يهدّدهم بزوال حكمهم بين عشيّة وضحاها ، وقد مُني والي العراق الحسن بن سهل بالفشل الذريع ، فكتب إلى طاهر بن الحسين لينفذه إلى قتال أبي السرايا ، كما كتبت إليه رقعة فيها هذه الأبيات ، وقد أخفى صاحبها اسمه وهي :

قِناعُ الشَّكِّ يَكْشِفُهُ اليَقينُ ... وَأفضَلُ كَيدِكَ الرَّأيُ الرَّصينُ
تَثَبَّتْ قَبلَ يَنفَذُ فيكَ أمْرٌ ... يَهيجُ لِشَرِّهِ داءٌ دَفينُ
اتَنْدِبُ طاهِراً لِقِتالِ قَومٍ ... بِنُصرَتِهِمْ وَطاعَتِهِمْ يَدينُ
سَيُطلِقُها عَلَيكَ مُعَقَّلاتٍ ... تَصُرُّ ودونَها حَربٌ زَبونُ
وَيَبعَثُ كامِناً في الصَّدرِ مِنْهُ ... وَلا يَخْفى إذا ظَهَرَ المَصونُ
فَشَأنُكَ وَاليَقينَ فَقَدْ أنارَتْ ... مَعالِمُهُ وَأظْلَمَتِ الظُّنونُ
وَدونَكَ ما تُريدُ بِعَزمِ رَأْيٍ ... تُدَبِّرُهُ وَدَعْ ما لا يَكونُ[(٣)]

فلمّا قرأها رجع عن رأيه ، وكتب إلى هرثمة بن أعين يسأله التعجيل ، وأوفد إليه السندي بن شاهك ، إلّا أنّه كانت بين الحسن بن سهل وهرثمة شحناء وتنافر ،

---

(١) مقاتل الطالبيّين : ٥٣٢ و ٥٣٣ .

(٢) الصفّ ٦١ : ٤.

(٣) مقاتل الطالبيّين : ٣٥٦.

فلمّا انتهى إليه الكتاب ، قال : نوطئ نحن الخلافة ، ونمهّد لهم أكنافها ، ثمّ يستبدّون بالأمور ويستأثرون بالتدبير علينا ، فإذا انفتق عليهم فتق بسوء تدبيرهم وإضاعتهم الأمور أرادوا أن يصلحوه بنا ، لا والله ، ولا كرامة حتّى يعرف أمير المؤمنين ـ يعني المأمون ـ سوء آثارهم ، وقبيح أفعالهم .

وتباعد السندي عنه حين يئس منه ، ولكن وردته رسالة من المنصور بن المهدي فقرأها وأجاب بعد ذلك ورجع إلى بغداد ، فلمّا صار إلى النهروان خرج لاستقباله البغداديّون والقوّاد والوجوه وترجّلوا جميعاً حينما رأوه حتّى أتى إلى منزله ، وأمر الحسن بن سهل بدواوين الجيش ، فنقلت إليه ليختار من الرجال ما شاء ، وأطلق له بيوت الأموال ، وأخذ يجمع الجيوش حتّى صار عنده ثلاثون ألف مقاتل ما بين فارس وراجل .

ولمّا تمّ له ما أراد من العدد والعدّة زحف بجيشه نحو الكوفة ، فاجتاز على المدائن ، وكانت خاضعة لحكم أبي السرايا ، فاستولى عليها ، وهزم عاملها ، ثمّ زحف نحو الكوفة فالتقى العسكران عند قصر ابن هبيرة ، فوقع بينهما الحرب ، فقتل من أصحاب أبي السرايا خلق كثير ، وألحّ عليه هرثمة بالحرب ، فأجابه إلى ذلك ، حتّى تفتّت جميع قواه ، ولم يعد قادراً على حماية الكوفة التي هي عاصمته ، ومركز ثورته ، فاضطرّ لمغادرتها قاصداً نحو القادسيّة ، واستولى هرثمة على الكوفة ، وترك أبو السرايا القادسيّة منهزماً حتّى أتى إلى (السوس) فأغلق أهله الأبواب ، فطلب منهم أن يفتحوها له ففتحوها ، وطلب منه عاملها مغادرتها ، فأبى ، فوقعت الحرب بينهم ، فقتل جماعة من أصحابه .

وانهزم أبو السرايا قاصداً إلى خراسان ، فنزل قرية يقال لها (برقانا) ، فخرج إليهم عاملها فاجتمع بهم ، وأعطاهم الأمان على أن يرسلهم إلى الحسن بن سهل ، فأجابوه إلى ذلك ، وبالوقت حملهم إليه ، وكان آنذاك مقيماً بالمدائن ، فلمّا وصلت إليه الأسرى أمر بقتل أبي السرايا ، وبعد قتله أمر بصلب رأسه في الجانب الشرقي من

بغداد، كما أمر بصلب بدنه في الجانب الغربي منها[١].

وكانت المدّة بين خروجه وقتله عشرة أشهر[٢].

إنّ حادثة أبي السرايا ترتبط ارتباطاً وثيقاً بزيد وبإبراهيم وبغيرهما من أولاد الإمام، فقد اشترك الكثيرون منهم فيها، إلّا أنّ زيداً وإبراهيم كانا في الطليعة ممّن ساهم فيها، وقد أُسندت لهما الولاية على بعض الأقطار الإسلاميّة.

أمّا ما وقع لإبراهيم بعد فشل الحركة والقضاء عليها، فقد وردت عدّة روايات وهي:

الأُولى: إنّه بعد ما ولّاه أبو السرايا على اليمن مضى إليها، فأذعن له أهلها بعد اصطدام يسير وقع بينهم وبينه[٣].

الثانية: أنّه كان أميراً على مكّة المشرّفة، فلمّا بلغه خبر أبي السرايا ظهر بمكّة سنة ٢٠١هـ، ودعا الناس لنفسه، فاستجاب له جمهور غفير من الناس، فقام بالأمر وقتل خلقاً كثيراً ممّن يرى رأي العبّاسيّة، وأقام الحجّ في تلك السنة، وهو أوّل علويّ أقام فيها الحجّ، فخاف منه المأمون، فخادعه باستخلافه على اليمن، فقدم صنعاء، وكان فيها ابن فاهان فخاذله حتّى أسره[٤].

الثالثة: أنّه كان بمكّة حين مقتل أبي السرايا، فلمّا بلغه ذلك سار إلى اليمن واستولى على كثير من مناطقها، ودعا الناس لنفسه[٥].

الرابعة: إنّه استولى على اليمن، وامتدّت حكومته إلى الساحل وإلى القرن

---

(١) مقاتل الطالبيّين: ٣٦١ ـ ٣٦٦.
(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٧: ١٢٣ و ١٢٤.
(٣) مقاتل الطالبيّين: ٥٣٤.
(٤) أعيان الشيعة: ٢: ٢٢٩.
(٥) أعيان الشيعة: ٢: ٢٢٩ و ٢٣٠.

الشرقي من اليمن ، وحجّ بالناس في عهد المأمون ، وقد خطب في الناس في الحرم الشريف ، فدعا للمأمون ولوليّ عهده الإمام الرضا عليه السلام(١).

الخامسة : أنّه حارب المأمون ، وانكسر جيشه ففرّ هارباً إلى مكّة ، ولمّا جاء المأمون إلى بغداد جاء إبراهيم إليه فآمنه(٢).

هذه بعض الروايات التي وردت فيه ، وأكبر الظنّ أنّه فتح اليمن واستولى عليها ، وبعد فشل حركة أبي السرايا انهار عزمه ، فطلب الأمن من المأمون فآمنه ، وممّا يؤيّد ذلك ما روي أنّ الإمام الرضا قد تشفّع فيه عند المأمون لمّا كان في خراسان فشفّعه فيه وخلى سبيله(٣).

وفاته

انتقل السيّد الزكيّ إبراهيم إلى جوار ربّه في بغداد سنة **٢١٣هـ**(٤).

وقيل سنة ٢١٠هـ(٥)، وقد أجمع المترجمون له أنّه مات مسموماً ، وأنّ المأمون هو الذي دسّ إليه السمّ ، وقد شيّع جثمانه المقدّس بتشييع حافل ، وأنزله في ملحودة قبره الفقيه ابن السمّاك(٦).

---

(١) أعيان الشيعة : ٢ : ٢٢٩. الفوائد الرجاليّة : ١ : ٤١٤.

(٢) أعيان الشيعة : ٢ : ٢٣٠.

(٣) تحفة الأزهار : ٢ : ١٢٤.

(٤) مختصر أخبار الخلفاء : ٢٢٠.

(٥) أعيان الشيعة : ٢ : ٢٢٩.

(٦) ابن السمّاك :

هو أبو العبّاس محمّد بن صبيح ، مولى بني عجل الكوفي الزاهد ، كان حسن الكلام ، صاحب مواعظ ، لقي جماعة من الصدر الأوّل فأخذ عنهم الحديث ، مثل هشام بن عروة ، والأعمش ، وغيرهما. ⇦

وأنشد حينما ألحده:

مَاتَ الإِمامُ المُرتَضى مَسْموماً وَطَوى الزَّمانُ فَضائِلاً وَعُلوما
قَدْ ماتَ في الزَّوراءِ مَظْلوماً كَما أَضْحى أَبوهُ بِكَرْبَلا مَظْلوما
فَالشَّمسُ تَندِبُ مَوتَهُ مُصفَرَّةً وَالبَدرُ يَلطِمُ وَجهَهُ مَغْموما[1]

دفن جثمانه الطاهر بالقرب من قبر أبيه الإمام الكاظم عليه السلام، وقال السيّد الأعرجي: «إنّه دفن في القطيعة، وعليه مشهد وهو ظاهر يزار ويتبرّك به، والعامّة تزعم أنّه قبر المرتضى علم الهدى، وهو وهم، فإنّ المرتضى حمل إلى الحائر الشريف ودفن عند أخيه وأبيه بإجماع العلماء، وإنّما المدفون هناك هو إبراهيم المرتضى ابن الكاظم[2].

٣ـ إبراهيم الأصغر

يلقّب بالمرتضى، وهو أصغر ولد أبيه، وأمّه نوبيّة اسمها نجيّة[3].

⇦ وروى عنه أحمد بن حنبل وغيره، قدم بغداد زمن الرشيد، فمكث فيها مدّة، دخل على الرشيد فقال له: ناشدتك الله، لو منعك الله من شربة ماء ما كنت فاعلاً؟

قال: كنت أفتديه بنصف ملكي.

قال له: ناشدتك الله لو منعك الله من خروج الماء منك ما كنت فاعلاً؟ أعيان الشيعة: ٢: ٢٢٩.

قال: كنت أفتديه بنصف ملكي.

فقال له: إنّ ملكاً يفتدى به بشربة ماء لخليق أن لا ينافس عليه.

توفّي بالكوفة. الكنى والألقاب: ١: ٣٠٥.

(١) أعيان الشيعة: ٢: ٢٣٠.

(٢) أنساب العرب: ٣٩٦.

(٣) عمدة الطالب: ١٩٠.

وذكر العبيدلي النسّابة أنّ إبراهيم الصغير ابن الكاظم كان عالماً عابداً ، وليس هو صاحب أبي السرايا ، وإنّما ذاك أخوه إبراهيم الأكبر[(١)].

ونصّت بعض المصادر أنّه ظهر في اليمن أيّام أبي السرايا[(٢)].

وهو المعقب المكثر جدّ المرتضى والرضي ، وجدّ الأشراف الموسويّة[(٣)].

هذا جميع ما عثرنا عليه في ترجمته . دفن في كربلاء خلف قبر جدّه الحسين عليه السلام بستّة أذرع[(٤)].

وقيل : توفّي في بغداد في الجانب الشرقي ، ودفن في مقبرة باب (راز)[(٥)].

٤ ـ أحمد

أمّه أم ولد ، وهي أمّ أخويه محمّد وحمزة ، وكانت من السيّدات المحترمات تُدعى أمّ أحمد ، وكان الإمام موسى عليه السلام شديد التلطّف بها ، ولمّا توجّه من المدينة إلى بغداد أودع عندها مواريث الإمامة ، وقال لها : كلّ من جاءك وطلب منك هذه الأمانة في أي وقت من الأوقات فاعلمي بأنّي قد استشهدت ، وأنّه هو الخليفة من بعدي ، والإمام المفترض الطاعة عليك وعلى سائر الناس .

وأمر ابنه الرضا عليه السلام بحفظ الدار ، ولمّا سمّه الرشيد في بغداد ، جاء إليها الإمام الرضا عليه السلام فطالبها بالأمانة ، فقالت له أمّ أحمد : لقد استشهد والدك .

فقال : بلى ، والآن فرغت من دفنه ، فأعطيني الأمانة التي سلّمها إليك أبي حين خروجه إلى بغداد وأنا خليفته والإمام بالحقّ على جميع الإنس والجنّ ، فشقّت أمّ

---

(١) أعيان الشيعة : ٢ : ٢٢٧ و : ٣ : ٦١٤.

(٢) النفحة العنبريّة : ٧٥.

(٣) و (٤) أعيان الشيعة : ٢ : ٢٣٠.

(٥) مناهل الضرب في أنساب العرب : ٢٩٧.

أحمد جيبها ، وردّت عليه الأمانة ، وبايعته بالإمامة[١] ، وفيما يلي لمحة عنه :

مكانته عند أبيه

كان الإمام موسى عليه السلام كثير الاعتناء بولده أحمد ، وكانت له المنزلة السامية عنده ، فكان يقدّمه على بعض أولاده ، ووهب له بعض ضياعه[٢] ، وجعله من جملة أوصيائه في الظاهر[٣].

وحدّث إسماعيل ابن الإمام عن مدى اهتمام أبيه بأخيه أحمد ، قال : « خرج أبي بولده إلى بعض أمواله ، وكان مع أحمد عشرون رجلاً من خدم أبي وحشمه ، إن قام أحمد قاموا معه ، وإن جلس جلسوا معه ، وأبي مع ذلك يرعاه ببصره ما يغفل عنه ، وما انقلبا حتّى انشج أحمد[٤] ، إنّ رعاية الإمام له وعدم الغفلة عنه تدلّ على ما يكنّه له من الحبّ والإخلاص .

تقواه وعبادته

كان أحمد من عيون المتّقين والصالحين ، وقد أعتق ألف مملوك[٥] ، متقرّباً بها إلى الله تعالى ، وقد نظم ذلك بعض الشعراء بقوله :

شــاهْ چِـراغِ[٦] أَحـمَدُ بْـنُ كـاظِمِ   أَعــتَقَ أَلْــفا سَـيِّدِ الأَعـاظِمِ[٧]

---

(١) تحفة العالم : ٢ : ٨٧.

(٢) الإرشاد : ٢ : ٢٤٤ و ٢٤٥.

(٣) أعيان الشيعة : ٣ : ١٩١ و ١٩٢.

(٤) الإرشاد : ٢ : ٢٤٥.

(٥) الإرشاد : ٢ : ٢٤٥. شرح إحقاق الحقّ : ٣٣ : ٨٣٣.

(٦) شاه چراغ : كلمة فارسيّة معناها ملك الضياء.

(٧) منظومة نخبة المقال : ١٤.

وممّا يدلّ على صلاحه وورعه أنّه لمّا شاع خبر وفاة الإمام موسى في المدينة اجتمع أهلها على باب أمّ أحمد ، وخرج الناس ومعهم أحمد وقد ظنّوا أنّه الإمام من بعد أبيه وذلك لما عليه من الجلالة ووفور العبادة ، وإظهار تعاليم الإسلام ، فظنّوا أنّه هو الخليفة والإمام بعد أبيه ، فبايعوه بالإمامة فأخذ منهم البيعة ، وصعد المنبر وخطب الناس خطبة بليغة كانت في منتهى البلاغة والفصاحة ، ثمّ قال : « أيّها النّاس ، كما أنّكم جميعاً في بيعتي ، فإنّي في بيعة أخي عليّ بن موسى الرضا ، واعلموا أنّه الإمام والخليفة من بعد أبي وهو وليّ الله ، والفرض عليّ وعليكم من الله والرسول طاعته بكلّ ما يأمرنا » فكلّ مَن كان حاضراً خضع لكلامه ، وخرجوا من المسجد يقدمهم أحمد ، وحضروا عند الإمام الرضا عليه السلام ، فأقرّوا بإمامته[١].

وفي هذا الخبر دلالة على إيمانه وتقواه .

وذهبت بعض فرق الشيعة المنقرضة إلى إمامته ، وادّعت أنّه الإمام بعد أبيه .

علمه

كان من فضلاء عصره ، وقد روى عن أبيه وآبائه أحاديث كثيرة ، وقد كتب المصحف الكريم بيده المباركة[٢].

ولكنّا لم نعثر على تراث له .

مع أبي السرايا

ونصّت بعض المصادر أنّ أحمد كان من جملة الخارجين مع أبي السرايا ، فقد حدّث إبراهيم وإسماعيل ابنا أبي سمّال ، قالا : « لمّا كان من أمر أبي الحسن

(١) بحار الأنوار : ٤٨ : ٣٠٨.

(٢) بحار الأنوار : ٤٨ : ٢٧٨. أعيان الشيعة : ٣ : ١٩١ و ١٩٢.

ما كان كنّا نأتي إلى أحمد ابنه زماناً، فلمّا خرج أبو السرايا خرج أحمد معه، فقصد محمّد بن أحمد بن أسيد، إبراهيم وإسماعيل، فقال لهما: إنّ هذا الرجل قد خرج مع أبي السرايا فما تقولان؟

فأنكرا ذلك منه ورجعا عنه، وقالا: أبو الحسن حيّ نثبت على الوقف[1].

وذهب بعضهم أنّ خروجه مع أبي السرايا قادح في عدالته[2].

ولكنّا نشجب ذلك نظراً لتوثيق الشيخ المفيد وغيره من العلماء الأعلام له.

وفاته

والمشهور أنّه توفّي وفاة طبيعيّة، فقد ذكر معين الدين (المتوفّى حدود ٧٩١هـ) أنّ السيّد الأمير أحمد بن موسى قدم شيراز فتوفّي بها في أيّام المأمون بعد وفاة أخيه عليّ الرضا عليه السلام[3].

وذكرت بعض المصادر أنّه قتل شهيداً، وذلك حينما بلغه غدر المأمون بأخيه الرضا عليه السلام، وكان آنذاك في بغداد، فحزن عليه حزناً شديداً، وخرج من بغداد للطلب بثأره، وكان معه ثلاثة آلاف من أحفاد الأئمّة الطاهرين قاصدين حرب المأمون، ولمّا وصلوا إلى قم حاربهم عاملها، فاستشهد جماعة من أصحابه، فرحل إلى الريّ فحاربه عاملها، فاستشهد جماعة من أصحابه، ففرّوا حتّى وصلوا إلى (اسفراين) إحدى نواحي خراسان، فنزلوا في أرض سبخة بين جبلين، فهجم عليهم عسكر المأمون فحاربهم وقتلهم واستشهد أحمد ودفن هناك، وقبره يزار في ذلك الموضع.

---

(١) رجال الكشّي: ٨٩٨/٤٧٢.

(٢) أعيان الشيعة: ٣: ١٩٢.

(٣) الكنى والألقاب: ٢: ٣١٧.

وعلّق السيّد محسن الأمين ﷺ على ذلك بقوله : « وهذا غريب مخالف للمشهور من أنّ مشهده بشيراز ».

وأضاف يقول : «إنّ هذا الخبر يشبه أن يكون من الأقاصيص والحكايات الموضوعة»[١].

ومهما يكن من أمر ، فإنّ المعروف أنّه توفّي في شيراز ودفن هناك[٢].

ويُعرف قبره قبل بسيّد السادات ، ويُعرف الآن بـ(شاه چراغ)[٣].

وبقي قبره مخفيّاً ، ولكنّه ظهر في عهد الأمير مقرّب الدين مسعود بن بدر ، فبنى عليه بناءاً ، وقيل : وجد في قبره كما هو صحيحاً طريّاً لم يتغيّر ، وفي يده خاتم نقش عليه : « العزّة لله ، أحمد بن موسى » فعرفوه به ، ثمّ بنى عليه الأتابك أبو بكر بناءاً أرفع من البناء الأوّل ، وعمّرته أخيراً الخاتون تاشي ، وكانت امرأة صالحة زاهدة عُرفت بالعبادة والنسك ، فبنت على المرقد الشريف قبّة رفيعة ، وبنت بجنبها مدرسة عالية ، وجعلت مرقدها بجواره ، وذلك في سنة ٧٥٠هـ[٤].

وحدّث الرحّالة الشهير أبو عبدالله الطنجي المعروف بابن بطوطة عن زيارته للمرقد الكريم ، وعن تكريم الشعب الايراني النبيل لذلك الضريح المقدّس ، قال تحت عنوان (ذكر المشاهد بشيراز) : « فمنها مشهد أحمد بن موسى أخي الرضا عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وهو مشهد معظّم عند أهل شيراز يتبرّكون به ، ويتوسّلون إلى الله بفضله ، وبنت عليه طاش خاتون أمّ السلطان أبي إسحاق مدرسة كبيرة وزاوية فيها الطعام

---

(١) أعيان الشيعة : ٣ : ١٩٢ .

(٢) فلك النجاة : ٣٣٧ .

(٣) تذكرة جامع الأنساب : ٧٧ . روضات الجنّات : ١ : ٤٣ . تحفة العالم : ٢ : ٣١ .

(٤) شدّ الإزار : ٢٩٢ .

للوارد والصادر، والقرّاء يقرأون القرآن على التربة دائماً، ومن عادات الخاتون أنّها تأتي إلى هذا المشهد في كلّ ليلة اثنين، ويجتمع في تلك الليلة القضاة والفقهاء والشرفاء، وشيراز من أكثر بلاد الله شرفاء، سمعت من الثقات أنّ الذين لهم بها المرتبات من الشرفاء ألف وأربعمائة ونيف بين صغير وكبير، ونقيبهم عضد الدين الحسيني، فإذا حضر القوم بالمشهد المبارك ختموا القرآن قراءة في المصاحف، وقرأ القرّاء بالأصوات الحسنة، وأوتي بالطعام والفواكه والحلواء، فإذا أكل القوم وعظ الواعظ، ويكون ذلك كلّه من بعد صلاة الظهر إلى العشاء، والخاتون في غرفة مطلّة على المسجد لها شبّاك، ثمّ تضرب الطبول والأنقار والبوقات على باب التربة، كما يفعل ذلك عند أبواب الملوك»[1].

إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن ترجمة هذا السيّد الجليل.

٥ ـ إسحاق

يلقّب بالأمين[2]، عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام[3].

وروى له الكليني في الكافي حديثاً رواه عن عمّه، وعن جدّه الإمام الصادق عليه السلام.

وله بنات منهنّ: السيّدة رقيّة، وقد عمّرت طويلاً، وتوفّيت في بغداد سنة ٣١٦هـ، ومن أحفاده الورع أبو طالب المهلوس، وأبو جعفر محمّد الصوراني الذي قتل في شيراز[4].

توفّي في المدينة المنوّرة سنة ٢٤٠هـ ودفن بها، وذكر حمد الله المستوفي أنّه

---

(١) تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار: ١: ١٢٧.

(٢) مستدركات علم رجال الحديث: ١: ٥٨٦. المجدي في أنساب الطالبيّين: ١١٨.

(٣) تنقيح المقال: ١: ١٣٢. رجال الطوسي: ٥٢١٩/٣٥٢.

(٤) تذكرة جامع الأنساب: ٤٧.

توفّي في (ساوة) ودفن بها [١].

٦ـ إسماعيل

من عيون علماء عصره، وفي طليعة المتّقين والصالحين، كان أميراً على فارس من قِبل أبي السرايا [٢]، وبعد فشل الحركة سكن مصر، وسكنها من بعده أولاده وأحفاده.

وممّا يدلّ على سموّ مكانته وتقواه أنّه لمّا توفّي صفوان بن يحيى أمره الإمام أبو جعفر عليه السلام بالصلاة عليه، والنيابة عنه في ذلك [٣]. ألّف عدّة من الكتب رواها عن آبائه، منها:

١ـ كتاب الطهارة.

٢ـ كتاب الصلاة.

٣ـ كتاب الزكاة.

٤ـ كتاب الصوم.

٥ـ كتاب الحجّ.

٦ـ كتاب الجنائز.

٧ـ كتاب الطلاق.

٨ـ كتاب النكاح.

٩ـ كتاب الحدود.

١٠ـ كتاب الدعاء.

---

(١) و (٢) تذكرة جامع الأنساب: ٤٧.

(٣) الفوائد الرجاليّة / السيّد بحرالعلوم: ٢: ١٢٠.

١١ـ كتاب السنن والآداب.

١٢ـ كتاب الرؤيا[١].

ومن أجلّ كتبه التي يعوّل عليها «الجعفريّات»[٢].

وذكر النوري: أن «الجعفريّات» من الكتب القديمة المعروفة المعوّل عليها[٣].

وقد استدلّ علماؤنا الأعلام على مدحه، وغزارة علمه وفضله بكثرة تآليفه[٤].

توفّي في مصر ودفن بها[٥].

٧ـ جعفر

يكنّى أبا الحسن، أمّه أم ولد[٦]، ويُعرف بالخواري، نسبة إلى خوار، وهي إحدى قرى مكّة المعظّمة، كان ينزلها في أكثر أوقاته، فنسب إليها هو وبنوه، فقيل لهم: «الخواريّون»، ويقال لهم: «الشجريّون» أيضاً، لأنهم ينزلون في المواضع الكثيرة الشجر[٧].

وقد أعقب ١٤ ولداً الذكور ستّة، والإناث ثمان[٨].

---

(١) رجال النجاشي: ٤٨/٢٦. فهرست الطوسي: ٣٢/٤٦.

(٢) تسمّى بالأشعثيّات، والعلويّات.

(٣) مستدرك الوسائل: ١: ١٥.

(٤) رجال أبي داود: ١٩٨/٥٢.

(٥) تحفة العالم: ٢: ٣٤. الفوائد الرجاليّة: ٢: ١٢٠. تذكرة جامع الأنساب: ٣٩.

(٦) تحفة الأزهار: ٢: ٢٠٠. بحار الأنوار: ٤٨: ٢٨٣.

(٧) مناهل الضرب: ٥٦٧.

(٨) عمدة الطالب: ٢١٨. سرّ السلسلة العلويّة: ٤١.

٨ـ الحسن

أمّه أمّ ولد، عقبه قليل جدّاً. قال أبو نصر البخاري: «والحسن بن موسى له ولد يسمّى جعفراً من أمّ ولد، يقال: إنّه أعقب، ويقال غير ذلك، وقال ابن طباطبا وأبو الحسن العمري: «أعقب الحسن بن موسى بن جعفر وحده، وأعقب جعفر من ثلاث: محمّد، والحسن، وموسى»[1].

ولم تعيّن لنا كتب التاريخ والأنساب التي بأيدينا الزمان الذي توفّي فيه، والمحلّ الذي دفن فيه.

٩ـ الحسين

يلقّب بالسيّد علاء الدين[2]، وكان سيّداً جليل القدر، رفيع الشأن، وممّا يدلّ على سموّ مكانته رواية البزنطي، فقد جاء فيها أنّه سئل الإمام الجواد عليه السلام: أيّ عمومتك أبرّ بك؟

فقال: **الْحُسَيْنُ**.

قال الإمام الرضا عليه السلام: **صَدَقَ وَاللهِ، هُوَ وَاللهِ أَبَرُّهُمْ بِهِ وَأَخْيَرُهُمْ**[3].

وحدّث الحسين، قال: «كنّا حول أخي أبي الحسن الرضا عليه السلام ونحن شبّان من بني هاشم، إذ مرّ علينا جعفر بن عمر العلوي، وهو رثّ الهيئة، فنظر بعضنا إلى بعض وضحكنا من هيئته، فقال لنا الإمام الرضا عليه السلام: **لَتَرَوْنَهُ عَنْ قَرِيبٍ كَثِيرَ الْمالِ، كَثِيرَ التَّبَعِ**[4].

---

(١) عمدة الطالب: ١٩٧ و ١٩٨. بحار الأنوار: ٤٨: ٢٨٤.

(٢) تحفة العالم: ٢: ٣١.

(٣) بحار الأنوار: ٤٩: ٢١٩.

(٤) التبع: الأتباع.

قال: فما مضى إلّا شهر حتّى ولي المدينة، وحسنت حاله، وكان يمرّ بنا ومعه الحشم[1].

قال البراقي: «توفّي بالكوفة ودفن بالعبّاسيّة، ويقع قبره بالقرب من (أمّ البعرور)، ويعرف عند المجاورين له بقبر الحسن»[2].

وقال المرحوم السيّد جعفر آل بحرالعلوم: «إنّ قبره بشيراز، ذكره شيخ الإسلام شهاب الدين في تاريخه المعروف (بشيراز نامه)، وملخّص ما ذكره أن قتلغ كان والياً على شيراز، وكان له حديقة في مكان، حيث هي مرقد السيّد المذكور، وكان بوّاب تلك الحديقة رجلاً من أهل الدين والمروءة، وكان يرى في ليالي الجمعة نوراً يسطع من مرتفع في تلك الحديقة، فأبدى حقيقة الحال إلى الأمير قتلغ، وبعد مشاهدته لما كان يشاهده البوّاب، وزيادة تجسّسه وكشفه عن ذلك المكان ظهر له قبر وفيه جسد عظيم في كمال العظمة والجلالة والطراوة والجمال بإحدى يديه مصحف، وبالأخرى سيف مصلت، فبالعلامات والقرائن علموا أنّه قبر الحسين بن موسى، فبنى له قبّة ورواقاً، والظاهر أنّ قتلغ خان هذا غير الذي حارب أخاه السيّد أحمد، ويمكن أن تكون الحديقة باسمه، والوالي الذي أمر ببناء مشهده غيره، فإنّ «قتلغ» لقب جماعة كأبي بكر بن سعد الزنكي.

وقال أيضاً: وكتب بعضهم أنّ السيّد علاء الدين حسين كان ذاهباً إلى تلك الحديقة، فعرفوه أنّه من بني هاشم فقتلوه في تلك الحديقة، وبعد مضيّ مدّة وزوال آثار الحديقة بحيث لم يبق منها إلّا ربوة مرتفعة عرفوا قبره بالعلامات المذكورة، وكان ذلك في دور الدولة الصفويّة.

وجاء رجل من المدينة يقال له ميرزا عليّ فسكن شيراز، وكان مثرياً، فبنى عليه

---

(١) بحار الأنوار: ٤٩: ٢٢٠ و ٢٢١.

(٢) تاريخ الكوفة: ٥٦.

قبّة عالية ، وأوقف عليه أملاكاً وبساتيناً ، ولمّا توفّي دفن بجنب البقعة ، وتولية الأوقاف كانت بيد ولده ميرزا نظام الملك أحد وزراء تلك الدولة ، ومن بعده إلى أحفاده ، والسلطان خليل حاكم شيراز من قِبل الشاه إسماعيل الصفوي رمّم البقعة المذكورة وزاد على عمارتها السابقة في سنة ٨١٠هـ[١].

١٠ـ حمزة

يكنّى أبا القاسم ، أمّه أمّ ولد ، كان عالماً فاضلاً ، كاملاً ، مهيباً ، جليلاً ، رفيع المنزلة ، عالي المرتبة ، مقدّراً عند الخاصّة والعامّة ، سافر مع أخيه الإمام عليّ الرضا عليه السلام إلى خراسان ، وكان واقفاً في خدمته ، ساعياً في مآربه ، طالباً لرضائه ، ممتثلاً لأمره ، فلمّا وصل إلى (سوسعد) إحدى قرى (ترشز) خرج عليهم قوم من أتباع المأمون فقتلوه ، وقبره في (بستان) ، وقد أعقب ولدين : أحدهما عليّ ، والآخر أبا محمّد القاسم . وإليه تنتمي السادة الصفويّة[٢].

وصرّحت بعض المصادر أنّ قبره في الري بالقرب من قبر السيّد الجليل شاه عبدالعظيم[٣]، وقيل : إنّه مدفون في قم .

١١ـ زيد

أمّه أمّ ولد ، ويُعرف بزيد النار ، وكان زيديّاً في رأيه ، أي أنّه يذهب مذهب الزيديّة في الخروج على السلطة ، لا أنّه يعتقد بإمامة الخارج كما هو مذهبهم ، وكان مزّاحاً[٤].

---

(١) تحفة العالم : ٢ : ٣١ ـ ٣٣.

(٢) تحفة الأزهار : ٢ : ٣٢٣.

(٣) فلك النجاة : ٣٢٧.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ : ٢٤٨.

وفيما يلي بعض شؤونه :

١ ـ مع أبي السرايا

وأجمع المترجمون لزيد أنّه ممّن خرج مع أبي السرايا ، وأنّه كان والياً من قِبله على البصرة ، ولكنّ الروايات اختلفت في بيان حاله بعد فشل تلك الثورة ، وهذه بعضها :

الأُولى : إنّه لمّا دخل البصرة ، وغلب عليها ، أحرق دور بني العبّاس ، وأضرم النار في نخيلهم وجميع أسبابهم ، فقيل له (زيد النار) ، وحاربه الحسن بن سهل فظفر به ، وأرسله إلى المأمون ، فأدخل عليه بمرو مقيّداً فأرسله المأمون إلى أخيه الرضا ووهب له جرمه ، فحلف الإمام الرضا عليه السلام أن لا يكلّمه أبداً [١].

الثانية : إنّه لمّا كان من أمر أبي السرايا ما كان ، استتر زيد ، فطلبه الحسن بن سهل فدلّ عليه ، فحبسه ، فلم يزل في الحبس ببغداد حتّى ظهر إبراهيم المهدي المعروف بابن شكلة ، فاجتمع أهالي بغداد على السجن فأخرجوه منه ، فمضى إلى المدينة فأحرق الدور وقتل جماعة ، ودعا لبيعة محمّد بن جعفر بن محمّد ، فبعث إليه المأمون جيشاً فأسره وحمله إليه ، فقال له : يا زيد ، خرجت بالبصرة ، وتركت أن تبدأ بدور أعدائنا من بني أُميّة وثقيف وغني [٢] وباهلة وآل زياد ، وقصدت دور بني عمّك .

فقال له : أخطأت يا أمير المؤمنين من كلّ جهة ، إن عدت للخروج بدأت بأعدائنا .

فضحك المأمون وبعثه إلى أخيه الرضا عليه السلام ، وقال : قد وهبت لك جرمه ، فأحسن

---

(١) عمدة الطالب : ٢٢١.

(٢) غني : حيّ من غطفان.

أدبه .

فلمّا مثل عند الإمام عنّفه وخلّى سبيله ، وحلف أن لا يكلّمه أبداً ما عاش[١] .

الثالثة : إنّه لمّا قتل أبو السرايا تفرّق الطالبيّون ، فتوارى بعضهم ببغداد ، وبعضهم بالمدينة ، وبعضهم بالكوفة ، وكان ممّن توارى زيد ، فطلبه الحسن بن سهل ، فدلّ عليه ، فلمّا جيء به إليه أمر بحسبه ثمّ أخرجه من السجن ، وأمر بضرب عنقه .

فانبرى إليه الحجّاج بن خثيمة ، فقال له : أيّها الأمير ، إن رأيت أن لا تعجل وتدعوني إليك ، فإنّ عندي نصيحة ، فأجابه إلى ذلك ، فقال له : أيّها الأمير ، أتاك بما تريد أن تفعله أمر من أمير المؤمنين ؟

فقال : لا .

فقال : علام تقتل ابن عمّ أمير المؤمنين من غير إذنه وأمره ، واستطلاع رأيه فيه ؟

ثمّ حدّثه بحديث أبي عبدالله بن الأفطس ، وأنّ الرشيد حبسه عند جعفر بن يحيى ، فأقدم عليه جعفر فقتله من غير إذنه ، وبعث برأسه إليه في طبق مع هدايا النيروز ، وأنّ الرشيد لمّا أمر مسرور الكبير بقتل جعفر بن يحيى قال له : إذا سألك جعفر عن ذنبه الذي تقتله به ، فقل له : إنّما أقتلك بابن عمّي ابن الأفطس الذي قتلته من غير أمري .

ثمّ قال الحجّاج للحسن : أفتأمن أيّها الأمير أن تحدث حادثة بينك وبين أمير المؤمنين ، وقد قتلت هذا الرجل فيحتجّ عليك بما احتجّ به الرشيد على جعفر بن يحيى ؟

فقال : جزاك الله خيراً ، ثمّ أمر بردّ زيد إلى محبسه ، فلم يزل محبوساً إلى أن ظهر أمر إبراهيم بن المهدي ، فهجم أهالي بغداد على السجن فأخرجوه منه ، ولكنّ

---

(١) تذكرة جامع الأنساب : ٦٥.

الشرطة قبضت عليه وحُمل إلى المأمون، فبعث به إلى أخيه الرضا فأطلقه[(١)].

الرابعة: لمّا ثار زيد في البصرة أرسل المأمون عليه الحسن بن سهل فظفر به، فأرسله إلى المأمون مقيّداً إلى (مرو).

ثمّ إنّ المأمون قال لأخيه الرضا: قد خرج علينا أخوك، وفعل ما فعل، وقد خرج قبله زيد بن عليّ، والآن قد عفونا عنه إكراماً لك، ووهبناه إيّاك، ولولا عظيم منزلتك لأمرت بصلبه، وليس ما أتاه بحقير.

فقال له الإمام الرضا عليه السلام: **لَا تَقِسْ زَيْداً إلىٰ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، فَإِنَّهُ كانَ مِنْ عُلَماءِ آلِ مُحَمَّدٍ، فَقَدْ غَضِبَ لِدينِ اللهِ، وَخَرَجَ مُجاهِداً الْأَعْداء في سبيلِ اللهِ حَتّىٰ قُتِلَ شَهيداً**.

ثمّ إنّ الإمام أمر بإطلاق زيد وحلف أن لا يكلّمه[(٢)].

هذه بعض الروايات التي بيّنت حاله بعد فشل ثورة أبي السرايا، وهي مختلفة في بيان حاله، ولكنّها متّفقة على أنّ المأمون قد أطلق سراحه وعفا عنه، وأنّه لم ينل عقوبة من السلطان ولم يتعرّض لأي مكروه.

٢ـ مع الإمام الرضا عليه السلام

ولم تكن العلاقة بينه وبين الإمام الرضا عليه السلام على ما يرام، فقد ورد من الإمام الرضا عليه السلام ما يدلّ على انتقاصه والحطّ من شأنه، فقد حدّث الحسن بن موسى بن عليّ الوشّاء البغدادي، قال: «كنت بخراسان عند عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، وكان أخوه زيد في مجلسه وهو يتحدّث مع جماعة ويفخر عليهم ويقول: نحن ونحن، وكان أبو الحسن مشغولاً مع جماعة يحدّثهم، فلمّا سمع مقالة زيد تأثّر وتغيّر حاله والتفت إليه قائلاً: **يا زَيْدُ، أَغَرَّكَ قَوْلُ ناقِلي الْكُوفَةِ أَنَّ فاطِمَةَ أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَحَرَّمَ اللهُ**

---

(١) بحار الأنوار: ٤٨: ٢٨٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١: ٢٥٨.

(٢) تحفة الأزهار: ٢: ٣٧٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢: ٢٢٥ و ٢٢٦.

ذُرِّيَّتها عَلَى النّارِ ، فَلا وَاللهِ إلّا لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَوَلَدِ بَطْنِها خاصَّةً ، أما أنْ يَكُونَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام يُطيعُ اللهَ وَيَصومُ نَهارَهُ ، وَيَقومُ لَيْلَهُ ، وَتَعْصيهِ أنْتَ ، ثُمَّ تَجيئانِ يَوْمَ الْقِيامَةِ سَواءً لأنْتَ أعَزُّ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ ؟

إنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ كانَ يَقولُ : لِمُحْسِنِنا كِفْلانِ مِنَ الأجْرِ ، وَلِمُسيئِنا ضِعْفانِ مِنَ الْعَذابِ .

ثمّ التفت عليه السلام إلى الحسن فقال له : كَيْفَ تَقْرَأونَ هٰذِهِ الآيَةَ : ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾[1].

فقال الحسن : من الناس من يقرأ إنّه عمل غير صالح ، ومنهم من يقرأ إنّه عمل غير صالح ، فمن قرأ إنّه عمل غير صالح فقد نفاه عن أبيه .

فقال عليه السلام : كَلّا لَقَدْ كانَ ابْنَهُ ، وَلكِنْ لَمّا عَصَى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ نَفاهُ عَنْ أبيهِ ، كَذا مَنْ كانَ مِنّا وَلَمْ يُطِعِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَلَيْسَ مِنّا ، وَأنْتَ إذا أطَعْتَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَأنْتَ مِنّا »[2].

وحدّث الحسن بن جهم ، قال : « كنت عند الرضا عليه السلام وعنده زيد بن موسى أخوه ، وقد أقبل الإمام عليه يؤنّبه قائلاً له : يا زَيْدُ ، اتَّقِ اللهَ ، فَإنَّهُ بَلَغْنا ما بَلَغْنا بِالتَّقْوىٰ ، فَمَنْ لَمْ يَتَّقِ اللهَ وَلَمْ يُراقِبْهُ فَلَيْسَ مِنّا وَلَسْنا مِنْهُ .

يا زَيْدُ ، إيّاكَ أنْ تُهينَ مَنْ بِهِ تَصولُ مِنْ شيعَتِنا فَيَذْهَبَ نورُ وَجْهِكَ .

يا زَيْدُ ، إنَّ شيعَتَنا إنَّما أبْغَضَهُمُ النّاسُ وَعادَوهُمْ وَاسْتَحَلّوا دِماءَهُمْ وَأمْوالَهُمْ لِمَحَبَّتِهِمْ لَنا ، وَاعْتِقادِهِمْ لِوَلايَتِنا ، فَإنْ أنْتَ أسَأْتَ إلَيْهِمْ ظَلَمْتَ نَفْسَكَ ، وَبَطَّلْتَ حَقَّكَ »[3].

---

(١) هود ١١ : ٤٦.

(٢) بحار الأنوار : ٤٣ : ٢٣٠ و ٢٣١. عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ : ٢٥٧ و ٢٥٨.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ : ٢٦٠.

وقد وردت أخبار أخرى عنه عليه السلام دلّت على تذمّره منه ، وعدم رضائه عنه .

٣ـ وفاته

واختلف المترجمون له في زمن وفاته ، فقيل : إنّه توفّي في أيّام المأمون ، وأنّه هو الذي سقاه السمّ ، فمات منه[١] .

وقيل : إنّه عاش إلى آخر خلافة المتوكّل ، ومات بسرّ من رأى[٢] .

وأمّا قبره فعند أهل القول الأوّل يقع في (صلهد) إحدى قرى أصفهان وعليه قبّة من زجاج[٣] .

١٢ـ العبّاس

عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ، وقال : إنّه ثقة ، وشجب بعضهم وثاقته وعدالته نظراً لمخاصمته للإمام الرضا عليه السلام ومنازعته له بغير حقّ .

فقد روى الكليني في أصول الكافي ، في باب النصّ على إمامة الإمام الرضا عليه السلام وصيّة أبيه الإمام موسى عليه السلام له ، وسنذكر نصّها في الفصول الآتية من هذا الكتاب ، وقد الزم الإمام أبناءه فيها بعدم فضّها .

ولمّا توفي عليه السلام تقدّم بعض أبنائه بالشكاية على الإمام الرضا عليه السلام عند قاضي المدينة ، فأمر بإحضار الإمام الرضا عليه السلام مع إخوانه ، فلمّا حضروا انبرى العبّاس فخاطب القاضي بقوله : « أصلحك الله ، وأمتع بك ، إن في أسفل هذا الكتاب كنزاً وجوهراً يريد أن يحتجبه ويأخذه دوننا ولم يدع أبونا شيئاً إلّا وجعله لنا ، وتركنا

---

(١) عمدة الطالب : ٢٢١ .

(٢) عيون أخبار الرضا : ١ : ٢٥٨ . بحار الأنوار : ٤٩ : ٢١٧ .

(٣) تحفة الأزهار : ٢ : ٣٧٣ .

عالة ، ولولا إنّي أكفّ نفسي لأخبرتك بشيء على رؤوس الملأ .

فوثب إليه إبراهيم بن محمّد وقد غاظه هذا الكلام القاسي ، فقال له : إذاً والله تخبر بما لا نقبله منك ، ولا نصدّقك عليه ، ثمّ تكون عندنا ملوماً مدحوراً ، نعرفك بالكذب صغيراً وكبيراً ، وكان أبوك أعرف بك لو كان فيك خير ، وقد كان أبوك عارفاً بك في الظاهر والباطن ، وما كان ليأمنك على تمرتين .

ووثب إليه إسحاق بن جعفر عمّه ، فأخذ بتلابيبه وقال له : إنّك لسفيه ، ضعيف ، أحمق . هذا مع ما كان منك بالأمس .

وأجمع القوم على لومه وتقريعه ، فالتفت القاضي إلى الإمام الرضا عليه السلام قائلاً له : قم يا أبا الحسن ، حسبي لا يلعنني أبوك[1] اليوم ، ولا والله ما أحد أعرف بالولد من والده ، ولا والله ما كان أبوك عندنا بمستخفّ في عقله ولا ضعيف في رأيه .

التفت إليه العبّاس قائلاً له : أصلحك الله ، فضّ الخاتم واقرأ ما تحته .

- حسبي لا يلعنني أبوك .

- أنا أفضّه .

- ذاك إليك .

فقام العبّاس بلا حياء ، فأخذ الوصيّة ففتحها ، فإذا فيها إخراجهم من الوصيّة والتنصيص على انفراد الإمام الرضا عليه السلام بوصيّته ، فافتضح العبّاس ، وأصابه الذلّ والهوان ، فالتفت الإمام الرضا عليه السلام فقال له ولإخوته : **يا أخي ، إنّي أعْلَمُ إنّما حَمَلَكُمْ عَلىٰ هٰذِهِ الْغَرائِمُ وَالدُّيونُ الّتي عَلَيْكُمْ .**

والتفت عليه السلام إلى مولاه سعيد فأمره بأن يسدّد ديون إخوته وينفق عليهم ، وقال لهم : **وَاللهِ لا أَدَعُ مُواساتَكُمْ وَبِرَّكُمْ ما مَشِيتُ عَلَى الْأَرْضِ ، فَقولوا ما شِئْتُمْ .**

---

(١) نظراً إلى أنّ وصيّة الإمام قد جاء فيها اللعن على مَن فضّها .

فقال له العبّاس : ما تعطينا إلّا من فضول أموالنا ، وما لنا عندك أكثر .

فانبرى إليه الإمام ﷺ فأجابه بمنطق الحلم والرأفة والعفو قائلاً له : **قُولوا ما شِئْتُمْ ، فَالْعَرْضُ عَرْضُكُمْ ، فَإِنْ تُحْسِنوا فَذاكَ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ ، وَإِنْ تُسيئوا فَإِنَّ اللهَ غَفورٌ رَحيمٌ ، وَاللهِ إِنَّكُمْ لَتَعْرِفونَ أَنَّهُ ما لي في يَوْمي هٰذا وَلَدٌ وَلا وارِثٌ غَيْرُكُمْ ، وَلَئِنْ حَبَسْتُ شَيْئاً مِمّا تَظُنّونَ أَوِ ادَّخَرْتُهُ ، فَإِنَّما هُوَ لَكُمْ وَمَرْجِعُهُ إِلَيْكُمْ ، وَاللهِ ما مَلَكْتُ مُنْذُ مَضىٰ أبوكُمْ شَيْئاً إِلّا وَقَدْ سَيَّبْتُهُ حَيْثُ رَأَيْتُمْ .**

فوثب إليه العبّاس قائلاً : والله ما هو كذلك ، وما جعل الله لك من رأي علينا ، ولكن حسداً بيننا لنا ، وتكلّم بكلام تمثّلت فيه الجفوة .

فقال له الإمام ﷺ : **لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظيمِ ، أَما أَنا يا إِخْوَتي فَحَريصٌ عَلىٰ مَسَرَّتِكُمْ .**

اللّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنّي مُحِبٌّ صَلاحَهُمْ ، بارٌّ بِهِمْ ، واصِلٌ إِلَيْهِمْ ، رَفيقٌ عَلَيْهِمْ ، مَعْني بِأُمورِهِمْ لَيْلاً وَنَهاراً ، فَأَجْزِني بِهِ خَيْراً ، وَإِنْ كُنْتُ عَلىٰ غَيْرِ ذٰلِكَ فَأَنْتَ عَلّامُ الْغُيوبِ ، فَاجْزِني بِهِ ما أَنا أَهْلُهُ ، إِنْ كانَ شَرّاً فَشَرّاً ، وَإِنْ كانَ خَيْراً فَخَيْراً .

اللّهُمَّ اصْلِحْهُمْ ، وَأَصْلِحْ لَهُمْ ، وَاخْسِئْ عَنّا وَعَنْهُمُ الشَّيْطانَ ، وَأَعِنْهُمْ عَلىٰ طاعَتِكَ ، وَوَفِّقْهُمْ لِرُشْدِكَ ، أَما أَنا يا إِخْوَتي فَحَريصٌ عَلىٰ مَسَرَّتِكُمْ ، جاهِدٌ عَلىٰ صَلاحِكُمْ ، وَاللهُ عَلىٰ ما نَقولُ وَكيلٌ .

فوثب إليه العبّاس ، فردّ عليه بصلافة ووقاحة قائلاً : ما أعرفني بلسانك ، وليس لمسحاتك عندي طين »[1] .

هكذا ذكر الرواة عنه ، والله العالم بحقيقة الحال .

---

(١) تنقيح المقال : ٢ : ١٣٠ .

وأعقب العبّاس القاسم ، وأمّه أمّ ولد تدعى ندام ، وقد اختفى من السلطة في (سورى) ، وأخذ يزرع البقل ويتقوّت من ثمنه ، ولم يكن أحد هناك يعرفه ، وقد احتفّ به الناس نظراً لزهده وعبادته ، وكلّما حاولوا أن يخبرهم باسمه ونسبه فيمتنع أشدّ الامتناع ، وقد تزوّج بامرأة ، وولدت له بنتاً ، وجاء إليه شخص يدعى عيسى وهو يريد الحجّ ، فجاء ليودّعه ، فسأله عن حاجته ، فقال له : إنّ لي إليك حاجة !

- وما هي ؟

- تحمل ابنتي هذه إلى المدينة ، فإذا وصلت إليها فسل عن الطريق الفلاني ـ وعيّن له الطريق ـ فإذا دخلته فاترك هذه الصبيّة هناك ، واذهب لشأنك .

وسافر عيسى إلى الحجّ ، فلمّا انتهى إلى يثرب ترك الطفلة في المحلّ الذي عيّنه له ، فجاءت إلى دار فطرقت بابها ففتحت لها الباب ، فدخلت ، وبأسرع ما يكون علا الصراخ والعويل من داخل الدار ، فسأل عيسى عن سبب ذلك .

فقيل له : قد وصل الخبر بوفاة القاسم بن العبّاس ، وأنّ هذه الطفلة ابنته ، فتعجّب عيسى ، وبعد رجوعه إلى بلده أخبره الناس بوفاة القاسم ، فأعلمهم عيسى بأنّه حفيد الإمام موسى ، وحدّثهم بشأن طفلته ، فانبرى طائفة من المؤمنين فبنوا على جدثه الطاهر قبّة ، وهو يزار حتّى الآن[١] .

١٣ ـ عبدالله

أمّه أمّ ولد ، ويُعرف بالعوكلاني ، ويقال لولده العوكلانيّة ، وحدّث عنه عليّ بن إبراهيم ، قال : « لمّا توفّي الإمام الرضا عليه السلام حججنا فدخلنا على أبي جعفر ، وقد حضر خلق من الشيعة من كلّ بلد لينظروا إلى أبي جعفر ، فدخل عمّه عبدالله بن

---

(١) ذكر ذلك البراقي على هامش تحفة الأزهار الذي استنسخه بيده ، وجاء في سبك الذهب لابن معية : « أنّ القاسم بن العبّاس مدفون بشوش » .

موسى ، وكان شيخاً كبيراً نبيلاً ، عليه ثياب خشنة ، وبين عينيه أثر السجود ، فجلس وخرج أبو جعفر وعليه قميص قصب[(١)] ، ورداء قصب ، وفي رجليه نعل أبيض .

فقام إليه عبدالله فاستقبله ، وقبّل ما بين عينيه ، وقامت إليه الشيعة تكريماً وإجلالاً له ، فجلس أبو جعفر على كرسي ونظر الناس بعضهم إلى بعض نظراً لحداثة سنّ الإمام ، فقد كان عمره آنذاك تسع سنين .

وانبرى رجل من القوم فتقدّم إلى عبدالله فقال له : ما تقول أصلحك الله في رجل أتى بهيمة ؟

فأجابه عبدالله : تقطع يمينه ، ويضرب الحدّ .

ولمّا سمع الإمام الجواد عليه السلام بهذه الفتوى التي لا تتّفق مع الشريعة الإسلاميّة غضب ، وقال له : **يا عَمّ ، اتّقِ اللهَ ، إنّهُ لَعَظيمٌ أنْ تَقِفَ يَوْمَ الْقِيامَةِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيقولَ لَكَ : لِمَ أفْتَيْتَ النّاسَ بِما لا تَعْلَمُ** .

فقال له عبدالله : أليس قال هذا أبوك ؟

فقال أبو جعفر : **إنَّما سُئِلَ أبي عَنْ رَجُلٍ نَبَشَ قَبْرَ امْرَأةٍ فَنَكَحَها ، فَقالَ أبي : تُقْطَعُ يَمينُهُ لِلنَّبْشِ ، وَيُضْرَبُ حَدَّ الزِّنا ، فَإنَّ حُرْمَةَ الْمَيِّتَةِ كَالْحَيَّةِ** .

فقال عبدالله : صدقت يا سيّدي ، استغفر الله ، وتعجّب الناس ، وأقبلوا على الإمام يسألونه وهو يجيبهم[(٢)] .

وهذه الرواية وإن دلّت على تسرّع عبدالله وخطئه في المسألة الفقهيّة ، ولكن إظهاره الندم وتصاغره أمام الإمام يرفع عنه ذلك القدح ، ويرفعه إلى مدارج الأولياء والمتّقين ، هذا ولم تعيّن لنا المصادر التي بأيدينا الزمان الذي توفّي فيه ، والمحلّ

---

(١) القصب : الثياب الرقيقة الناعمة من الكتّان .

(٢) بحار الأنوار : ٥٠ : ٨٥ و ٨٦ .

الذي دفن فيه.

١٤ ـ عبيدالله

أمّه أمّ ولد، وقد أعقب ثلاث بنات، وهنّ: أسماء، وزينب، وفاطمة، وثمانية رجال، وهم: محمّد اليمامي، وجعفر، والقاسم، وعليّ، وموسى، والحسن، والحسين، وأحمد(١).

وإليه ينتمي كثير من البيوتات العلويّة الرفيعة الشأن، الجليلة القدر، وقد توفّي بالكوفة ودفن بها(٢).

١٥ ـ القاسم

فرع زاك من فروع الإمامة، ونفحة قدسيّة من نفحات النبوّة، وحيد عصره في تقواه وصلاحه، ومحنته وبلائه، ونعرض فيما يلي إلى بعض شؤونه:

حبّ الإمام عليه السلام له

كان الإمام موسى عليه السلام يكنّ في نفسه أعظم الحبّ والود لولده القاسم لما يراه منه من الهدي والصلاح، وما يتمتّع به من الفضل والقابليّات الفذّة، فكان عليه السلام يثني عليه ويشيد به، ويقدّمه على سائر أبنائه، ما عدا ولده الإمام الرضا عليه السلام، فقد روى يزيد بن سليط، قال: «طلبت من الإمام موسى عليه السلام أن يعيّن لي الإمام من بعده.

فقال عليه السلام: **أُخْبِرُكَ يا أبا عِمارَةَ إنّي خَرَجْتُ فَأَوْصَيْتُ إلى ابْني عَلِيٍّ، وَلَوْ كانَ الْأَمْرُ لي لَجَعَلْتُهُ في الْقاسِمِ ابْني لِحُبّي وَرَأْفَتي عَلَيْهِ، وَلكِنَّ ذلِكَ إِلَى اللهِ تَعالى**»(٣).

---

(١) بحار الأنوار: ٤٨: ٢٨٥.

(٢) تاريخ الكوفة: ٥٦.

(٣) أصول الكافي: ١: ٣١٤. بحار الأنوار: ٤٨: ٣١٠.

ولم يمنح الإمام موسى عليه السلام هذا الحبّ للقاسم إلّا لأنه رآه من خيرة أبنائه ورعاً وتقوى وتحرّجاً في الدين.

ومن مظاهر تكريمه له أنّه كان ينتدبه للقيام ببعض مهامّه، فقد روى سليمان الجعفري، قال: «رأيت أبا الحسن يقول لابنه القاسم: **قُمْ يا بُنَيّ، فَاقْرَأْ عِنْدَ رَأْسِ أخيكَ سُورَةَ الصّافاتِ حَتّىٰ تُتِمَّها**.

فأخذ القاسم في قراءتها، فلمّا بلغ قوله تعالى: ﴿ **أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَا** ﴾[1] لفظ الفتى نفسه الأخير، وأخذ القوم في تجهيزه.

فانبرى يعقوب بن جعفر إلى الإمام فقال له: كنّا نعهد الشخص إذا نزل به الموت يقرأ عنده سورة يس، فصرت تأمرنا بقراءة سورة الصافّات؟

فقال عليه السلام: **لَمْ تُقْرَأْ عِنْدَ مَكْروبٍ مِنْ مَوْتٍ قَطُّ إلّا عَجَّلَ اللهُ راحَتَهُ**»[2].

ويدلّل هذا الحديث على مزيد ثقة الإمام عليه السلام به وتقديمه على غيره، ومن الطبيعي أنّ ذلك ناشئ عن فضائله ومآثره.

هربه من السلطة

ولمّا أمعن هارون في تتبّع العلويّين وقتلهم وإرهاقهم نزح القاسم من يثرب مختفياً كاتماً لاسمه حتّى لا يُعرف، فانتهى إلى (سورى) فأقام فيها غريباً مشرّداً عن أهله ووطنه، خائفاً على نفسه، وقد كتم أمره لئلّا يعرفه أحد، ولم تعطنا المصادر الموثوق بها شيئاً عن سيرته، وما جرى عليه في غربته.

---

(١) الصافّات ٣٧: ١١.

(٢) أصول الكافي: ٣: ١٢٦. بحار الأنوار: ٤٨: ٢٨٩.

وفاته

وأقام القاسم في (سورى) طيلة حياته القصيرة الأمد، وهو يعاني ألم الغربة والخوف من السلطة، وقد أحاطت به الهواجس، وراودته الآلام القاسية التي جرت على أهله وأسرته، وكان أعظم ما يحزّ في نفسه ما حلّ بأبيه موسى عليه السلام من الرزء القاصم، واعتقاله في ظلمات السجون، وتشريد إخوانه، وغير ذلك من النكبات والأرزاء، وقد نخر الحزن قلبه، وأضناه السقام، حتّى دنا إليه الموت وهو في فجر الصبا وريعان العمر.

ولمّا شعر بدنوّ الأجل المحتوم والقدوم على الله، عرّف نفسه، فقد فات ما كان يحذر منه، ثمّ لفظ أنفاسه الأخيرة، فوا لهفتاه على ما عاناه أبناء النبيّ صلى الله عليه وآله من المحن والخطوب التي لم يعهد لها نظير في فظاعتها ومرارتها.

وقام المسلمون في تلك المنطقة وهم يذرفون الدموع على تقصيرهم تجاه حفيد نبيّهم الذي لم يوفّوه حقّه لجهلهم به، وواروا جثمانه الطاهر في مقرّه الأخير، وقد واروا معه العلم والتقوى والصلاح.

أمّا سنة وفاته فلم نعثر عليها، والمظنون قويّاً أنّه توفّي في عهد هارون، وليس من المقطوع به أنّه توفّي في عهد المأمون، وذلك لعدم اختفاء العلويّين في عهده.

مرقده

أمّا مرقده الشريف فيقع في (سورى) وتُعرف البقعة الطيّبة في هذا الوقت بناحية القاسم، فقد نسبت إلى اسمه الشريف، وهي إحدى نواحي قضاء الهاشميّة التابع إلى محافظة بابل ـ الحلّة سابقاً ـ.

وذكر الحموي: «أنّ المرقد الشريف يقع في (شوشة)، وقال في تعيينها: إنّها تقع بأرض بابل أسفل من حلّة بني سعد، وبها يقع قبر القاسم بن موسى بن جعفر،

وبالقرب منها قبر ذي الكفل»[١].

وتبعه على ذلك صفي الدين[٢]، والزبيدي[٣]، وهو اشتباه محض، فإنّ المدفون في هذه البقعة هو القاسم بن العبّاس بن الإمام موسى ﷺ، كما نصّ على ذلك جمال الدين أحمد بن عنبة النسّابة[٤]، والحجّة السيّد القزويني[٥].

وممّا لا شبهة فيه أنّ هؤلاء السادة من النسّابين أعرف بقبور آبائهم.

وما ذكره المجلسي[٦] من أنّ قبر القاسم بالقرب من الغري، فمراده القرب المجازي لا الحقيقي، كما أفاد ذلك الشيخ المامقاني[٧].

وقد جدّد القبة الشريفة، ونوّرها بالمصابيح الكهربائيّة فقيد العلم والفضيلة العلّامة الكبير المرحوم الشيخ قاسم محيي الدين.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّه لا عقب للقاسم، كما نصّ على ذلك غير واحد من علماء النسب[٨].

استحباب زيارته

ونصّ السيّد الجليل عليّ بن طاووس على استحباب زيارة المرقد الطاهر، وقرنه بزيارة قبر العبّاس بن أمير المؤمنين ﷺ، وبزيارة عليّ الأكبر نجل الإمام

(١) معجم البلدان: ٣: ٣٧٢.

(٢) مراصد الاطّلاع: ٢: ٨١٩.

(٣) تاج العروس: ٩: ١٣٢، مادّة «شاش».

(٤) عمدة الطالب: ٢٣٠.

(٥) فلك النجاة: ٣٣٦.

(٦) بحار الأنوار: ٩٩: ٢٧٦.

(٧) تنقيح المقال: ٢: ٢٦، باب القاف.

(٨) بحر الأنساب: ٥٣.

الحسين عليه السلام ، وذكر له زيارة خاصّة[1].

ونسب إلى الإمام الرضا عليه السلام ، أنّه قال في فضل زيارة القاسم : « **مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلىٰ زِيارَتي فَلْيَزُرْ أخِيَ القاسِمَ** » ، ونظم هذا الحديث السيّد عليّ بن يحيى بن حديد الحسيني بقوله :

أيُّها السَّيِّدُ الَّذي جاءَ فيهِ ... قَولُ صِدقٍ ثُقاتُنا تَرويهِ
بِصَحيحِ الإِسْنادِ قَدْ جاءَ حَقّاً ... عَنْ أخيهِ لأُمِّهِ وَأبيهِ
إنّني قَدْ ضَمِنتُ جَنّاتِ عَدْنٍ ... لِلَّذي زارَني بِلا تَمويهِ
وَإذا لَمْ يَطِقْ زِيارَةَ قَبْري ... حَيثُ لَمْ يَستَطِعْ وُصولاً إلَيهِ
فَلْيَزُرْ إنْ أطاقَ قَبْرَ أخي ... القاسِمِ وَلْيُحْسِنِ الثَّناءَ عَلَيهِ[2]

وبهذا العرض الموجز ينتهي بنا الحديث عن حياة هذا السيّد العظيم ، فإنّ المصادر التي بأيدينا قد ضنّت علينا بإعطاء صورة مفصّلة عن حياته الكريمة .

١٦ ـ محمّد

يكنّى أبا إبراهيم ، كان كريماً جليلاً ، موقّراً ، يُعرف بالعابد لكثرة وضوئه وصلاته ، فكان في كلّ ليلة يتوضّأ ويصلّي ، ويرقد قليلاً ثمّ يقوم لعبادة الله تعالى حتّى ينبلج نور الصبح ، قال بعض شيعة أبيه : « ما رأيته قطّ إلّا وذكرت قول الله تعالى : ﴿ **كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ** ﴾[3] .

وقال الرواة : إنّه دخل شيراز واختفى بها ، وأخذ يستنسخ القرآن الكريم ،

(١) مفتاح الجنّات / السيّد محسن العاملي : ٢ : ١٥١ .
(٢) مشاهد العترة الطاهرة / السيّد عبدالرزّاق كمّونة رحمه الله : ٦ ، نقلاً عن أعيان الشيعة : ٨ : ٣٧٠ و ٣٧١ . البابليّات : ١ : ١٦٢ .
(٣) الذاريات ٥١ : ١٧ .

ومن أُجرته أعتق ألف مملوك[١].

أعقب سبعة أولاد، منهم أربع بنات، وهنّ: السيّدة حكيمة، وكلثم، وبريهة، وفاطمة، والرجال: جعفر، ومحمّد، وإبراهيم[٢] الذي يُعرف بالمجاب، وسبب تلقيبه بذلك ـ فيما يقول المؤرّخون ـ إنّه سلّم على قبر جدّه الإمام الحسين عليه السلام، فسمع صوت من القبر الشريف: وعليك السلام يا ولدي[٣].

وقد ظهر على العبّاسيّين واستولى على الجزيرة، وقد دفن بجوار جدّه الإمام الحسين عليه السلام. وفيه يقول بعض ولده مفتخراً به وبجدّه الإمام موسى عليه السلام:

مِنْ أَيْنَ لِلنَّاسِ مِثْلُ جَدِّيَ ... مُوسى وَابْنِهِ المُجابِ
إِذْ خاطَبَ السِّبْطَ وَهوَ رَمْسٌ ... أَجابَهُ أَكْرَمَ الجَوابِ

وعقب محمّد من إبراهيم[٤].

توفّي السيّد الزكيّ محمّد بشيراز، ودفن فيها، وكان قبره مخفيّاً إلى زمان بك بن سعد بن زنكي، فبنى له قبّة في محلّة (باغ قتلغ)، وقد جدّد بناؤه عدّة مرّات في زمان السلطان نادر خان.

وفي سنة ١٢٩٦هـ رمّمه النوّاب أويس بن النوّاب الأعظم الشاه زاده فرهاد القاجاري[٥].

وفي الوقت الحاضر له مزار يتبرّك به، وتسكنه السادة الأخيار والصلحاء الأبرار،

(١) تحفة العالم: ٢: ٣١.
(٢) تنقيح المقال: ٣: ١٩٢.
(٣) أعيان الشيعة: ٢: ٤٠٧/٢٢٤.
(٤) تنقيح المقال: ٣: ١٩٢.
(٥) تحفة العالم: ٢: ٣١.

وتعقد له النذور(١).

١٧ ـ هارون

أمّه أمّ ولد، أعقب ثمانية لم يعقب أحد منهم غير ولده أحمد(٢).

وقيل: إنّه لم يعقب(٣).

قيل: إنّ الحكومة العبّاسيّة ضغطت عليه، ووقعت بينه وبين الشرطة مصادمة أدّت إلى إصابته ببعض الجراحات، ففرّ هارباً إلى شهرستان، فلجأ إلى قرية هناك فيها مزارع، وقد أصابه الضعف، فقام صاحب المزرعة بمعالجته حتّى برئ، وأقام هناك مدّة من الزمن حتّى شاع أمره.

فبينما هو يتناول الطعام إذ هجمت عليه شرطة المأمون فقتلوه، ودفن هناك(٤).

والمشهور أنّه توفّي في إحدى قرى طالقان، ودفن هناك، وله مرقد يزار، وقد أسّس سنة ٨٥٣هـ وكتب على ضريحه: «هذا قبر امام زاده هارون ابن سلطان الأتقياء، وإمام الأولياء موسى الكاظم»(٥).

هذا مجموع ما عثرنا عليه من تراجم بعض أولاد الإمام عليه السلام، ولم تذكر الكتب التي بأيدينا تراجم الباقين منهم، ونصّت بعض المصادر على ذكر أسماء أُخر من أولاد الإمام غير الذين ذكرناهم، وقد أُهملت أسماءهم وتراجمهم أكثر كتب الأنساب، وفيما يلي أسماؤهم مع عرض موجز لبعض أحوالهم:

---

(١) جامع الأنساب: ١٠٨.

(٢) المجدي في أنساب الطالبيّين: ١٠٧.

(٣) و (٤) تذكرة جامع الأنساب: ٥٥.

(٥) زندگاني حضرة موسى بن جعفر: ٢٦٠.

١٨ـ عون

ذكره الشبلنجي ، وقال : «إليه يرجع نسب سيّدنا ومولانا الشيخ الكبير المقرّب ، جامع الشرفين : شرف النسب وشرف المعرفة بالله ، والأدب ذي الكرامات الظاهرة أبي الحسن ، وأبي الأشبال عليّ الأهدل بن عمر بن محمّد بن سليمان بن عبيد بن عيسى بن علوي بن محمّد بن حمحام بن عون بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام .

وقد نظم ذلك بعض الفضلاء :

عَلِيٌّ بْنُ فاروقٍ أبو مُحَمَّدُ ... ثُمَّ سُلَيْمانُ الرِّضا الْمُسَدَّدُ

عُبَيْدُ عِيسىٰ عَلَوِي مُحَمَّدُ ... حَمْحامُ عَونٌ كاظِمُ المُؤَيَّدُ

جَعفَرُ الصّادِقُ قُلْ مُحَمَّدٌ ... زَيْنٌ حُسَيْنٌ وَعَلِيٌّ السَّيِّدُ[(١)]

١٩ـ إدريس

وإليه ينتمي السيّد خواجة معين الدين السنجري[(٢)].

٢٠ـ شمس

ذكره النسّابة أحمد بن محمّد الجيلاني النجفي[(٣)].

وذكر السيّد الروضاتي شجرة لعقبه[(٤)].

---

(١) نور الأبصار : ١٣٨ ، نقلاً عن بغية الطالب / السيّد محمّد بن طاهر اليماني ، جاء ذلك أيضاً في إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون : ١ : ١٨٨ .

(٢) كنز الأنساب : ٧٤ .

(٣) سراج الأنساب : ٤٤ .

(٤) تذكرة جامع الأنساب : ٩ .

٢١ـ شرف الدين

وإليه ينتمي السادة الخلخاليّة ، وقد أثبتت شجرة لهم[١].

٢٢ـ صالح

أعقب السادة الشهيرين بالشجعان ، ولهم شجرة ، وقد توفّي في تجريش ، وقبره مشيّد وعليه بناية ضخمة[٢].

إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن تراجم السادة من أولاد الإمام عليه السلام ، وبقي علينا أن نشير إلى تراجم بعض السيّدات من بناته :

١ ـ آمنة

توفّيت في مصر ، وقبرها هناك يزار ، وحكى سادن روضتها عن كرامة لها ، وهي أنّ شخصاً جاء له بمقدار من الزيت وطلب منه أن يوقده للضياء في ليلة واحدة ، فجعله السادن في القناديل ، فلم يوقد منه شيء ، فتعجّب من ذلك ، ورأى في منامه السيّدة آمنة تقول له : « ردّ عليه زيته ، واسأله من أين اكتسبه ؟ فإنّا لا نقبل إلّا الطيّب » ، فلمّا أصبح الصبح جاء صاحب الزيت فقال له السادن : خذ زيتك .

ـ لِمَ ؟

ـ إنّه لم يوقد منه شيء ، ورأيتها في المنام فقالت : لا نقبل إلّا الطيّب .

ـ صدقت السيّدة ، إنّي رجل مكّاس[٣].

---

(١) تذكرة جامع الأنساب : ٤٤.

(٢) كنز الأنساب : ٧٤.

(٣) المكّاس : هو ما يأخذه أعوان الدولة عن أشياء معيّنة عند بيعها ، وهي التي تؤخذ بغير وجه مشروع .

ثمّ أخذ الزيت وانصرف[١].

٢ـ حكيمة

أمرها أخوها الإمام الرضا عليه السلام بأن تحضر عند الخيزران أمّ الإمام الجواد عليه السلام عند ولادتها به، وقد روت كيفيّة ولادته، وما جرى له من المعجز آنذاك[٢].

٣ـ فاطمة

وهي الشهيرة بالسيّدة معصومة، وقد روت هي وأُختاها زينب وأمّ كلثوم حديثاً في فضل جدّهنّ أمير المؤمنين عليه السلام، وفي فضل شيعته[٣].

وكانت تحبّ أخاها الرضا حبّاً شديداً، ولمّا حمله المأمون إلى مرو ليعهد له بولاية العهد خرجت فاطمة في أثره، وذلك في سنة ٢٠١هـ، فلمّا وصلت إلى (ساوة) مرضت، فسألت عن المسافة التي بينها وبين قم، فقالوا لها عشرة فراسخ، فأمرت بحملها إلى قم، فحملت إليها، ونزلت في بيت موسى بن خزرج الأشعري.

وقيل: إنّ أهالي قم استقبلوها، فلمّا وصلت أخذ موسى بن خزرج بزمام ناقتها وأقدمها إلى داره، وكانت عنده سبعة عشر يوماً ثمّ توفّيت، فأمر بتغسيلها وتكفينها، وصلّى عليها ودفنها في أرض كانت له، وبنى على مرقدها سقيفة من البواري إلى أن بَنت عليها زينب بنت محمّد بن عليّ الجواد عليها قبّة[٤].

وحدّث الحسن بن محمّد القمّي عن فضل زيارتها، قال: «كنت عند الإمام

(١) نور الأبصار: ١٨٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣: ٤٩٩. بحار الأنوار: ٤٨: ٣١٦.

(٣) سفينة البحار: ٨: ٢٦١ ـ ٢٦٣.

(٤) بحار الأنوار: ٤٨: ٢٩٠. تاريخ قم: ٢١٣.

الصادق عليه السلام ، فقال : **إنَّ لِلّهِ حَرَماً وَهُوَ مَكَّةَ ، وَلِرَسولِهِ حَرَماً وَهُوَ الْمَدِينَةُ ، وَلأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَرَماً وَهُوَ الْكوفَةُ ، وَلَنا حَرَماً وَهُوَ قُم ، وَسَتُدْفَنُ فيهِ امْرَأَةٌ مِنْ وُلْدِي تُسَمّى فاطِمَةُ ، مَنْ زارَها وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ** .

قال عليه السلام ذلك قبل ولادة الإمام موسى(١) .

وفي بعض كتب التاريخ : أنّ القبّة التي على ضريحها المقدّس قد بنيت سنة **٥٢٩هـ** بأمر المرحومة السيّدة شاه بيكم بنت عماد بيك ، وأمّا تذهيب القبّة مع بعض الجواهر الموضوعة على القبر فهي من آثار السلطان فتح علي شاه القاجاري(٢) .

٤ـ فاطمة الصغرى

قبرها في (بادكوبه) يقع في وسط مسجد بناؤه قديم(٣) .

هذا مجموع ما عثرنا عليه من تراجم السادة والسيّدات من أبنائه عليه السلام .

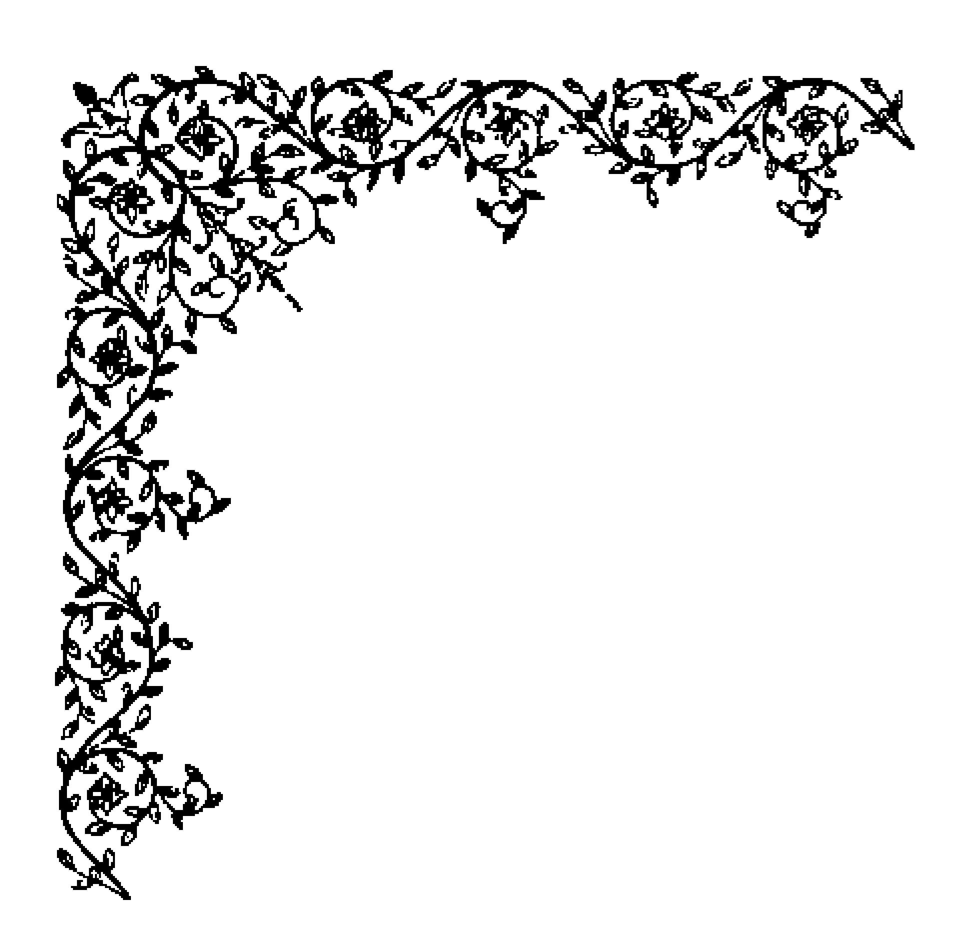
إنّ في سيرة أبناء الإمام ملتقى أصيل لكلّ فضيلة ومأثرة ، فقد أُترعت حياة بعضهم بالثورة والنقمة على الظالمين ، فاندفعوا إلى ساحات الجهاد والنضال لإنقاذ الأُمّة ممّا هي فيه من واقع مرير ، ومن استبداد فظيع بشؤونها واقتصادها ، ولكن لم تحالفهم الظروف ، فباءت بالفشل ، إلّا أنّ المأمون لم يتّخذ معهم موقفاً حاسماً ، وإنّما عفا عنهم إرضاءاً للعامّة التي تعطف كثيراً على ذرّيّة نبيّها صلى الله عليه وآله ، وتكنّ لها أعظم الودّ والولاء .

وبذلك ينتهي بنا المطاف في شرح أحوال أولاد الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في هذا الفصل .

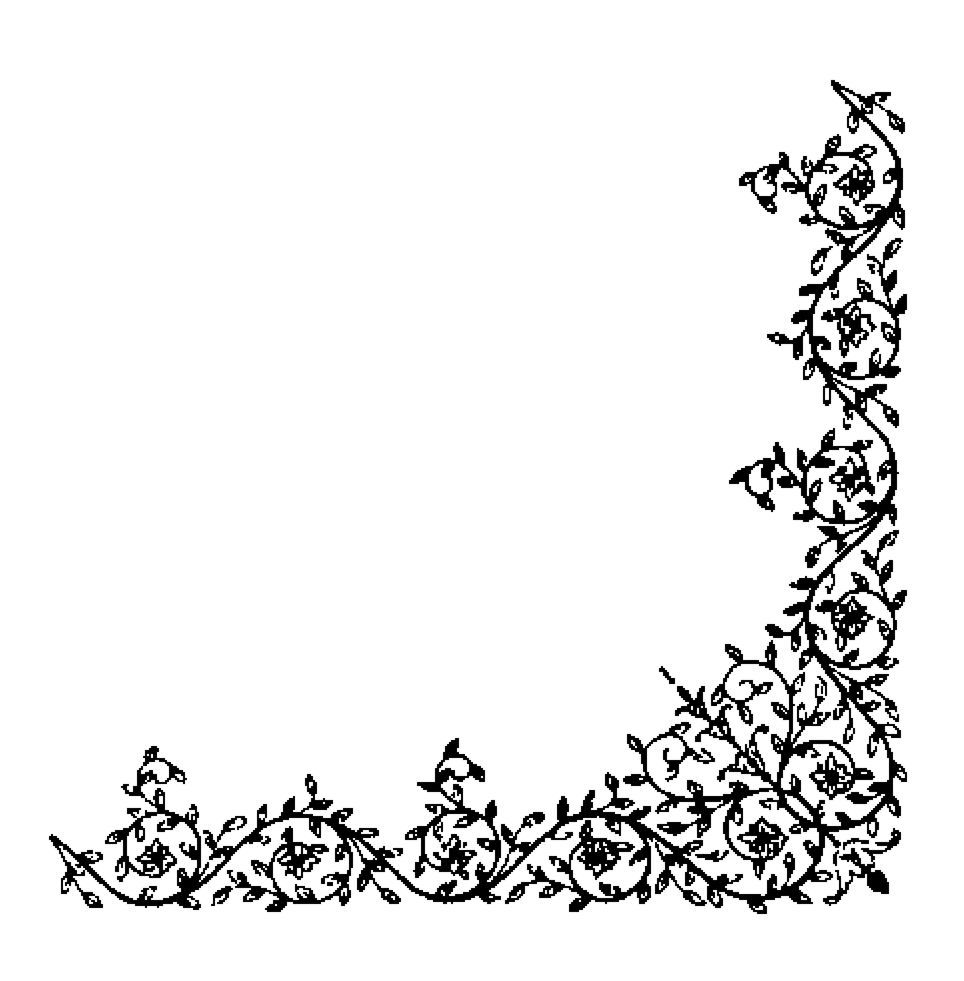
---

(١) تحفة العالم : ٣٦ . بحار الأنوار : ٤٨ : ٣١٧ . مستدرك سفينة البحار : ٨ : ٢٦٢ .

(٢) و (٣) تحفة العالم : ٣٧ .



أسباب سجنه عليه السلام



ولا بدّ لنا من الحديث عن الأسباب التي دعت الرشيد لسجن الإمام موسى عليه السلام ، واعتقاله في غياهب السجون ، وظلمات الطوامير بعيداً عن أهله ووطنه ، ومحروماً من الالتقاء بشيعته ، ولعلّ ذلك ـ فيما نحسب ـ من أقسى المحن والخطوب التي عاناها في حياته .

لقد أطلنا الحديث عن ملوك عصره ، ودراسة شؤونهم ، وما أثر عنهم في الميادين السياسيّة والاجتماعيّة ، وما قاموا به من الاضطهاد البالغ لعموم المسلمين وللشيعة بصورة خاصّة ، كما أسهبنا بعض الاسهاب في بيان ما اتّسم به عصر الإمام من المشاكل الجسام والأحداث ، فإنّ اطالة البحث في ذلك قد يعدّ خروجاً عن الموضوع ، ولكنّا لم نر بدّاً من عرض ذلك ، فإنّ الإحاطة به أمر لا بدّ منه لمن يريد دراسة شخصيّة تعدّ في القمّة من المجتمع الإسلامي ، ومن الطبيعي أنّ الوقوف على ذلك يكشف لنا جانباً كبيراً من حياة الإمام عليه السلام .

ونعتقد بأنّ القرّاء يهمّهم الاطّلاع ـ قبل كلّ شيء ـ على الأسباب التي سجن من أجلها الإمام ، والتعرّف على دور محنته الكبرى أيّام اضطهاده في سجن الطاغية هارون ، وسنذكر ذلك كلّه مشفوعاً بالتفصيل ، وفيما يلي بعض علل اعتقاله :

١ ـ سموّ شخصيّة الإمام عليه السلام

الإمام موسى عليه السلام من ألمع الشخصيّات الإسلاميّة في ذلك العصر ، فهو من أئمّة

المسلمين، وأحد أوصياء الرسول ﷺ على أمّته، كما دان بإمامته جمهور كبير من المسلمين، وقد أجمع المسلمون على اختلاف مذاهبهم على إكبار الإمام وتقديره، وقد ذكرنا في الجزء الأوّل من هذا الكتاب سيلاً من أقوال كبار المؤلّفين والعلماء على تبجيل الإمام، والثناء عليه.

وقد تحدّث الناس في عصره عن علومه وتقواه وورعه ومكارمه، وكان هارون نفسه ممّن يجلّه ويعتقد بأنّ الإمام أوْلى بالخلافة الإسلاميّة منه كما حدّث بذلك المأمون، فقد قال لندمائه: أتدرون مَن علّمني التشيّع؟

فانبروا جميعاً قائلين: لا والله ما نعلم؟

- علّمنيه الرشيد.

فقالوا كيف ذلك، والرشيد كان يقتل أهل البيت؟!

قال: كان يقتلهم على الملك؛ لأنّ الملك عقيم.

ثمّ أخذ يحدّثهم عن ذلك قائلاً: لقد حججت معه سنة، فلمّا انتهى إلى المدينة قال: لا يدخلنّ عليّ رجل من أهلها أو من المكّيين، سواء كانوا من أبناء المهاجرين والأنصار، أو من بني هاشم، حتّى يعرّفني بنسبه وأسرته.

فأقبلت إليه الوفود تترى وهي تعرّف الحاجب بأنسابها، فيأذن لها، وكان يمنحها العطاء حسب مكانتها ومنزلتها.

وفي ذات يوم أقبل الفضل بن الربيع حاجبه وهو يقول له: رجل على الباب، زعم أنّه موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام.

فلمّا سمع ذلك هارون أمر جلساءه بالوقار والهدوء، ثمّ قال لرئيس تشريفاته: ائذن له، ولا ينزل إلّا على بساطي.

وأقبل الإمام عليه السلام وقد وصفه المأمون، فقال: إنّه شيخ قد أنهكته العبادة، كأنّه

شن بال[١] قد كلم[٢] السجود وجهه .

فلمّا رآه هارون قام إليه ، وأراد الإمام أن ينزل عن دابّته ، فصاح الرشيد : لا والله ، إلّا على بساطي ، فمنعه الحجّاب من الترجّل ، ونظرنا إليه بالإجلال والإعظام ، وسار راكباً إلى البساط ، والحجّاب وكبار القوم محدقون به ، واستقبله هارون ، فقبّل وجهه وعينيه ، وأخذ بيده حتّى صيّره في صدر مجلسه ، وأقبل يسأله عن أحواله ويحدّثه ، ثمّ قال له : يا أبا الحسن ، ما عليك من العيال ؟

قال الإمام عليه السلام : **يَزيدونَ عَلَى الْخَمْسِمائَةِ** .

قال هارون : أولاد كلّهم ؟

قال الإمام : **لا أَكْثَرُهُمْ مَوالي وَحَشَمٌ ، فَأَمّا الْوَلَدُ فَلي نَيِّفٌ وَثَلاثون** ، ثمّ بيّن له عدد الذكور والإناث

فقال هارون : لِمَ لا تزوّج النسوة من بني عمومتهنّ ؟

- **اليَدُ تَقْصُرُ عَنْ ذلِكَ** .
- فما حال الضيعة ؟
- **تُعْطي في وَقْتٍ ، وَتَمْنَعُ في آخَرَ** .
- فهل عليك دَين ؟
- **نَعَمْ** .
- كم ؟
- **نَحْوٌ مِنْ عَشَرَةِ آلافِ دينارٍ** .

---

(١) الشن البال : القربة البالية .

(٢) كلم : أي جرح .

ـ يابن العمّ ، أنا أعطيك من المال ما تزوّج به أولادك ، وتعمر به الضياع .

ـ **وَصَلَتْكَ رَحِمٌ يابْنَ الْعَمِّ ، وَشَكَرَ اللهُ هٰذِهِ النِّيَّةَ الْجَميلَةَ وَالرَّحِمُ ماسَّةٌ ، وَالْقَرابَةُ واشِجَةٌ ، وَالنَّسَبُ واحِدٌ ، وَالْعَبّاسُ عَمُّ النَّبِيِّ ﷺ ، وَصِنْوُ أَبيهِ ، وَعَمُّ عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ عليه السلام وَصِنْوُ أَبيهِ ، وَما أَبْعَدَكَ اللهُ مِنْ أَنْ تَفْعَلَ ذٰلِكَ ، وَقَدْ بَسَطَ يَدَكَ ، وَأَكْرَمَ عُنْصُرَكَ ، وَأَعْلَىٰ مَحْتِدَكَ[1]** .

فقال هارون : افعل ذلك يا أبا الحسن ، وكرامة .

فقال له الإمام عليه السلام : **إِنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلىٰ وُلاةِ الْعَهْدِ أَنْ يُنْعِشوا فُقَراءَ الأُمَّةِ ، وَيَقْضوا عَنِ الْغارِمينَ ، وَيُؤَدُّوا عَنِ الْمُثْقَلِ ، وَيَكْسو الْعارِيَ ، وَيُحْسِنوا إِلَى الْعاني[2] ، فَأَنْتَ أَوْلىٰ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ** .

قال هارون : افعل ذلك يا أبا الحسن .

ثمّ انصرف الإمام عليه السلام ، فقام هارون تكريماً له ، فقبّل ما بين عينيه ووجهه ، ثمّ التفت إلى أولاده فقال لهم : قوموا بين يدي عمّكم وسيّدكم ، وخذوا بركابه ، وسوّوا عليه ثيابه ، وشيّعوه إلى منزله ، فانطلقوا مع الإمام بخدمته .

وأسرّ عليه السلام إلى المأمون فبشّره بالخلافة ، وأوصاه بالإحسان إلى ولده ، ولمّا فرغوا من القيام بخدمة الإمام وإيصاله إلى داره ، قال المأمون : كنت أجرأ ولد أبي عليه ، فلمّا خلا المجلس قلت له : يا أمير المؤمنين ، مَن هذا الرجل الذي قد عظّمته وقمت من مجلسك إليه ، فاستقبلته وأقعدته في صدر المجلس ، وجلست دونه ، ثمّ أمرتنا بأخذ الركاب له .

قال هارون : هذا إمام الناس ، وحجّة الله على خلقه ، وخليفته على عباده .

---

(١) المحتد : الأصل .

(٢) العاني : الفقير .

قال المأمون: يا أمير المؤمنين، أوليست هذه الصفات كلّها لك وفيك؟

قال هارون: أنا إمام الجماعة في الظاهر بالغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام حقّ، والله يا بنيّ! إنّه لأحقّ بمقام رسول الله ﷺ منّي ومن الخلق جميعاً، ووالله لو نازعتني هذا الأمر لأخذت الذي فيه عينيك، فإنّ الملك عقيم.

وبقي هارون في يثرب مدّة من الأيّام، فلمّا أزمع على الرحيل منها أمر للإمام بصلة ضئيلة قدرها مائتا دينار، وأوصى الفضل بن الربيع أن يعتذر له عند الإمام.

فانبرى إليه المأمون وهو مستغرب من قلّة صلته مع كثرة تعظيمه وتقديره له قائلاً: يا أمير المؤمنين، تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر قريش وبني هاشم، ومَن لا يُعرف نسبه خمسة آلاف دينار، وتعطي موسى بن جعفر وقد عظّمته وأجللته مائتي دينار أخسّ عطيّة أعطيتها أحداً من الناس.

فثار هارون وصاح في وجهه قائلاً: اسكت لا أمّ لك، فإنّي لو أعطيت هذا ما ضمنته له، ما كنت آمنه أن يضرب وجهي غداً بمائة ألف سيف من شيعته ومواليه، وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم[1].

ودلّت هذه الرواية بوضوح على اعتقاد هارون بإمامة الإمام موسى عليه السلام، وأنّه خليفة الله في أرضه وحجّته على عباده، وأنّ الخلافة الإسلاميّة من حقوقه الخاصّة، وأنّه ليس هناك أحد أوْلى بها منه، ولكنّ الذي دعاه ودعا غيره إلى سلبها منه من آبائه هو حبّ الدنيا، فالملك عقيم، كما كشف هارون بحديثه عن السبب في حرمانه للإمام من عطائه حسب منزلته، وهو خوفه من انتفاضة الإمام وخروجه عليه إن تحسّنت حالته الاقتصاديّة، وهذه هي الحرب الاقتصاديّة التي تستعملها بعض الدول مع خصومها لأجل انهاكها وإضعافها.

لقد كان الرشيد يعلم بمكانة الإمام، ويعتقد أنّه خليفة الله على عباده، وأنّه وارث

(١) بحار الأنوار: ٤٨: ١٣٠ و ١٣١.

علوم الأنبياء ، وكان يسأله عمّا يجري بعده من الأحداث ، فكان عليه السلام يخبره بذلك ، وقد سأله عن الأمين والمأمون ، فأخبره بما يقع بينهما ، فحزّ ذلك في نفسه ، وتألّم أشدّ الألم وأقساه .

فقد روى الأصمعي ، قال : « دخلت على الرشيد ، وكنت قد غبت عنه بالبصرة حولاً ، فسلّمت عليه بالخلافة ، فأومأ لي بالجلوس قريباً منه ، فجلست قريباً ، ثمّ نهضت ، فأومأ لي أن اجلس ، فجلست حتّى خفّ الناس ، ثمّ قال لي : يا أصمعي ، ألا تحبّ أن ترى محمّداً وعبدالله ابني ؟

قلت : بلى يا أمير المؤمنين ، إنّي لأحبّ ذلك ، وما أردت القصد إلّا إليهما لأسلّم عليهما .

وأمر الرشيد بإحضارهما ، فأقبلا حتّى وقفا على أبيهما وسلّما عليه بالخلافة ، فأومأ لهما بالجلوس ، فجلس محمّد عن يمينه ، وعبدالله إلى يساره ، ثمّ أمرني بمطارحتهما الأدب ، فكنت لا ألقي عليهما شيئاً في فنون الأدب إلّا أجابا فيه وأصابا .

فقال الرشيد : كيف ترى أدبهما ؟

- يا أمير المؤمنين ، ما رأيت مثلهمافي ذكائهما ، وجودة فهمهما وذهنهما ، أطال الله بقاءهما ، ورزق الله الأمّة من رأفتهما ومعطفتهما .

فأخذهما الرشيد وضمّهما إلى صدره ، وسبقته عبرته فبكى ، حتّى انحدرت دموعه على لحيته ، ثمّ أذن لهما في القيام ، فنهضا ، وقال : يا أصمعي ،كيف بهما إذا ظهر تعاديهما ، وبدا تباغضهما ، ووقع بأسهما بينهما ، حتّى تسفك الدماء ، ويودّ كثير من الأحياء أنّهما كانا موتى ؟

فبهر الأصمعي من ذلك وقال له : يا أمير المؤمنين ، هذا شيء قضى به المنجّمون عند مولدهما ، أو شيء أثرته العلماء في أمرهما ؟

فقال الرشيد وهو واثق بما يقول : لا بل شيء أثرته العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء في أمرهما .

قال المأمون : كان الرشيد قد سمع جميع ما يجري بيننا من موسى بن جعفر »[١] .

إنّ علم الرشيد بمنزلة الامام ، وبما تذهب إليه طائفة من المسلمين من القول بإمامته هو الذي أثار أحقاده وأضغانه عليه ، ودعاه إلى زجّه في ظلمات سجونه .

٢ ـ حقد هارون

كان الحقد من مقوّمات ذات الرشيد ، ومن أبرز صفاته النفسيّة ، فكان يحمل حقداً لكلّ شخصيّة مرموقة لها المكانة العليا في عصره ، فلم يرق له بأي حال أن يسمع الناس أو يتحدّثوا عن أي شخص يتمتّع بمكانة عليا في المجتمع ، والسبب في ذلك لئلا يزهد الناس فيه ، وقد حاول أن يحتكر الذكر الحسن لنفسه ولذاته .

لقد حسد الرشيد البرامكة لمّا ذاع اسمهم ، وتحدّث الناس عن مكارمهم ، فقد أخذ الحقد ينخر في قلبه حتّى أنزل بهم العقاب الأليم ، فمحا وجودهم ، وأزال ظلّهم في الأرض .

وكان من الطبيعي أن يحقد على الإمام موسى عليه السلام لأنه ألمع شخصيّة في عصره ، فقد تناقل الناس فضائله ، وتحدّثت جميع الأوساط عن علمه ومواهبه ، وذهب جمهور غفير من المسلمين إلى إمامته ، وأنّه أحقّ بمنصب الخلافة منه ، وكان يذهب إلى فكرة الإمامة كبار الموظّفين في سلك دولته ، كعليّ بن يقطين ، وابن الأشعث ، وغيرهما .

وكان هارون نفسه من الذين يؤمنون بأنّ الإمام هو أوْلى منه بهذا المنصب

---

(١) حياة الحيوان / الدميري : ١ : ٧٧ .

الخطير، كما أدلى بذلك.

لم يرق لهارون أن يرى في المجتمع من هو أفضل منه، ولم يهدأ له فكر أن ينظر إلى الجماهير وسائر الأوساط الشعبيّة وهي تؤمن بأنّ الإمام هو أوْلى بالأمر من غيره، وأنّه في القمّة العليا علماً وفضلاً ومآثراً، وأنّ المسلمين قد أجمعوا على تعظيمه وتناقلوا فضائله وعلومه، فساءه ذلك، فقدم على ارتكاب الجريمة، فأودع الإمام في ظلمات السجون وغيّبه عن الناس.

٣ ـ حرصه على الملك

كان هارون حريصاً على ملكه، متفانياً في حبّ سلطانه، فهو يضحّي في سبيله جميع المقدّسات والقيم، وقد عبّر عن مدى حرصه على سلطته بكلمته المعروفة التي تناقلتها الأجيال والأحقاب، وهي: «لو نازعني رسول الله ﷺ لأخذت الذي فيه عيناه».

أجل، إنّه لو نازعه رسول الله ﷺ في ملكه لأخذ الذي فيه عيناه، ومع هذا الحرص الشديد والتهالك على السلطة، كيف يطلق سراح الإمام، وكيف تطيب نفسه وقد رأى الناس قد أجمعوا على حبّ الإمام وتقديره.

لقد كان هارون يقظاً، فكان يخرج بغير زيّه متنكّراً ليسمع أحاديث العامّة، ويقف على اتّجاهاتهم ورغبتهم، فكان لا يسمع إلّا الذكر العاطر للإمام والثناء عليه، وحبّ الناس له، ورغبتهم في أن يتولّى شؤونهم، فلذلك أقدم على ارتكاب الموبقة، وأنهى به الحرص والحقد إلى قتله له.

٤ ـ بغضه للعلويّين

لقد أُترعت نفس هارون ببغض العلويّين، فقد ورث عداءهم من آبائه وسلفه الذين نكّلوا بالعلويّين، وصبّوا عليهم وابلاً من العذاب الأليم، وساقوهم إلى القبور

والسجون ، وطاردوهم حتّى هربوا هائمين على وجوههم خائفين يلاحقهم الرعب والفزع .

وزاد هارون على أسلافه في إرهاق العلويّين ، فدفنهم وهم أحياء ، وأشاع في بيوتهم الثكل والحزن والحداد ، واستعمل جميع إمكانيّاته للبطش بهم ، ففرض عليهم الإقامة الجبريّة في بغداد ، وجعلهم تحت المراقبة ، ولم يسمح الاتّصال بهم ، وحرمهم من جميع حقوقهم الطبيعيّة .

وكان أبغض شيء عليه أن يرى عميد العلويّين وسيّدهم الإمام موسى عليه السلام في دعة واطمئنان وأمان ، فلم يرق له ذلك دون أن ينكّل به ، فدفعه لؤمه وعداؤه الموروث إلى سجنه وحرمان الأُمّة الإسلاميّة من الاستفادة من علومه ونصائحه وتوجيهاته .

٥ ـ الوشاية به

وعمد فريق من باعة الضمير والدين الذين انعدمت من نفوسهم الإنسانيّة إلى السعي بالإمام عليه السلام والوشاية به عند الطاغية هارون ليتزلّفوا إليه بذلك ، وينالوا من دنياه ، وقد بلي بهم الإسلام والمسلمون ، وبهؤلاء الأوغاد يستعين الظالمون في جميع مراحل التاريخ على تنفيذ خططهم الرامية إلى إشاعة الظلم والجور والفساد في الأرض .

وكانت وشاية هؤلاء المجرمين بالإمام ذات طوابع متعدّدة ، وهي :

جباية الأموال له

وانطلق بعض الأشرار فأخبر هارون بأنّ الإمام تجبى له الأموال الطائلة من شتّى الأقطار الإسلاميّة ، وأنّه قد اشترى بها ضيعة تسمّى (البسريّة) اشتراها بثلاثين ألف دينار ، فأثار ذلك كوامن الغيظ والحقد في نفس هارون ، فإنّ سياسته كانت تجاه

العلويّين تقضي بفقرهم ووضع الحصار الاقتصادي عليهم ، فإنّ فقرهم أحبّ إليه من غناهم ـ كما قال لولده المأمون ـ وقد ذهب ابن الصبّاغ إلى أنّ الوشاية من جملة الأسباب التي دعت لسجن الإمام[1].

طلبه للخلافة

لقد بلي المجتمع الإسلامي منذ فجر تاريخه بطائفة من باعة الضمير الذين لا يقدّسون سوى المادة وما يحقّق رغباتهم الرخيصة ، فنكّلوا بالمسلمين وأضرّوهم إلى حدّ بعيد ، وذلك بنكايتهم بالمصلحين الذين يطالبون بالصالح العامّ لأوطانهم وأمّتهم .

لقد كان تاريخ الإسلام حافلاً بالشيء الكثير من أعمال هؤلاء المخرّبين الذين هم من أقوى عوامل الشرّ والفساد ، ولولاهم لما تمكّنت السلطة على الظلم والجور ، وقد سعى فريق من هؤلاء بالإمام موسى عليه السلام إلى هارون ، فأوغروا صدره عليه ، وأثاروا كوامن الحقد عليه ، فقد قالوا : إنّه يطالب بالخلافة ، ويكتب إلى سائر الأقطار والأمصار الإسلاميّة يدعوهم إلى نفسه ، ويحفّزهم إلى الثورة ضدّ حكومته .

وكان في طليعة هؤلاء الوشاة يحيى البرمكي ، وكان السبب في وشايته ـ فيما يقول الرواة ـ هو أنّ الرشيد قد جعل وليّ عهده محمّد بن زبيدة عند جعفر بن محمّد بن الأشعث ، فساء ذلك يحيى ، وأحاطت به هواجس مريرة ، وخاف أن تنقضي دولته ودولة ولده إذا أفضى الأمر إلى محمّد ، وأنّ زمام الدولة سيكون بيد جعفر ، وكان يحيى قد عرف ميوله واتّجاهه نحو العلويّين ، وأنّه يذهب إلى إمامة موسى عليه السلام ، فاختلى به وعرّفه بفكرته ، وأنّ له ميولاً نحو العلويّين فسرّ جعفر بذلك ، وعرّفه بفكرته .

---

(١) الفصول المهمّة : ٢٥٢ .

ولمّا علم يحيى ذلك منه سعى به إلى الرشيد فتأثّر منه ، ولكنّه لم يوقع به أي مكروه لأنّه تذكّر أياديه وجميل آبائه على العبّاسيّين .

ودخل جعفر على الرشيد فوسّع له في مجلسه ، وجرى بينهما حديث استطابه هارون ، فأمر له بعشرين ألف دينار ، فغضب يحيى ، فلمّا كان اليوم الثاني دخل عليه فقال له : يا أمير المؤمنين ، كنت قد أخبرتك عن جعفر ومذهبه ، فتكذب ذلك ، وهاهنا أمر فيه الفيصل .

قال الرشيد : ما هو ؟

قال يحيى : إنّه لا يصل إليه مال من جهة من الجهات إلّا أخرج خمسه ، فوجّه به إلى موسى بن جعفر ، ولست أشكّ في العشرين ألف دينار أنّه وجّه خمسها إليه .

قال هارون : إنّ في هذا لفيصلاً .

فأرسل في الوقت خلف جعفر ، فلمّا انتهى إليه الرسول عرف سعاية يحيى به ، فلم يشكّ في أنّ هارون إنّما دعاه في غلس الليل ليقتله ، فأفاض عليه الماء ، واغتسل غسل الأموات ، وأقبل إلى الرشيد ، فلمّا وقع بصره عليه وشمّ منه رائحة الكافور ، قال له : ما هذا ؟

- يا أمير المؤمنين ، قد علمت أنّه قد سعي بي عندك ، فلمّا جاءني رسولك في هذه الساعة لم آمن من أن يكون قد انقدح في نفسك ما يقال عليَّ ، فأرسلت إليَّ لتقتلني .

قال هارون : كلّا ، ولكن قد أخبرت أنّك تبعث إلى موسى بن جعفر من كلّ ما يصير إليك بخمسه ، وأنّك قد فعلت ذلك في العشرين ألف دينار التي وهبتها لك ، فأحببت أن أعلم ذلك ؟

قال جعفر : الله أكبر يا أمير المؤمنين ، تأمر بعض خدمك ليذهب فيأتيك بها بخواتيمها .

فأمر الرشيد بعض خدمه فأتاه بها على ما هي عليه لم يؤخذ منها شيء ، فبدا السرور على سحنات وجهه ، وقال له : هذا أوّل ما نعرف كذب من سعى بك إليّ ، صدقت يا جعفر ، انصرف آمناً ، فإنّي لا أقبل فيك قول أحد .

فخجل يحيى ، وباء بالخزي والخسران ، وازداد غيظه وحنقه ، وأخذ يعمل جاهداً في إسقاط مكانة جعفر وزوال نعمته ، فرأى أن يسعى بالإمام موسى عليه السلام ليتوصّل بذلك إلى النكاية به ، فقال ليحيى بن أبي مريم : ألا تدلّني على رجل من آل أبي طالب له رغبة في الدنيا فأوسّع له منها ؟

فقال له : نعم ، ذاك عليّ بن إسماعيل بن جعفر ، فأرسل خلفه يحيى ، وكان آنذاك في الحجّ ، فلمّا اجتمع به قال له يحيى : اخبرني عن عمّك موسى ، وعن شيعته ، وعن المال الذي يُحمل إليه ؟

فقال : عندي الخبر ، وحدّثه بما يريد ، فطلب منه أن يرحل معه إلى بغداد ليجمع بينه وبين الرشيد ، فأجابه إلى ذلك ، فلمّا سمع الإمام موسى عليه السلام بسفره مع يحيى بعث خلفه فقال له : **بَلَغَني أنَّك تُريدُ السَّفَرَ ؟**

- نعم .
- **إلىٰ أيْنَ ؟**
- إلى بغداد .
- **ما تَصْنَعُ ؟**
- عليَّ دَين وأنا مملق .
- **أنا أقْضي دَيْنَكَ ، وَأكْفِيكَ اُمورَكَ .**

فلم يلتفت إلى الإمام ، ووسوست له نفسه ، وأجاب داعي الهوى ، فترك الإمام وقام من عنده .

قال عليه السلام له : **لَا تُيْتِمْ أوْلادي .**

ثمّ أمر عليه السلام له بثلاثمائة دينار وأربعة آلاف درهم ، وقال عليه السلام : **وَاللهِ لَيَسْعىٰ في دَمي وَيُؤْتِمَ أَوْلادي** .

فقال له أصحابه : جعلنا الله فداك ، فأنت تعلم هذا من حاله وتعطيه ؟ !

فقال عليه السلام : **نَعَمْ ، حَدَّثَني أَبي عَنْ آبائِهِ ، عَنْ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ، أَنَّهُ قالَ : إِنَّ الرَّحِمَ إِذا قُطِعَتْ فَوُصِلَتْ قَطَعَها اللهُ** .

وخرج عليّ يطوي البيداء حتّى انتهى إلى بغداد ، فدخل على الرشيد ، فقال له بعد السلام عليه : ما ظننت أنّ في الأرض خليفتين حتّى رأيت عمّي موسى بن جعفر يسلّم عليه بالخلافة .

وقيل : إنّه قال له : إنّ الأموال تحمل إليه من المشرق والمغرب ، وأنّه له بيوت أموال ، وأنّه اشترى ضيعة بثلاثين ألف دينار ، وسمّاها (البسريّة) .

فلمّا سمع ذلك الرشيد فقد صوابه وأحرقه الغيظ ، وأمر لعليّ بمائتي ألف درهم على أن يستحصلها من بعض نواحي المشرق ، فمضت الرسل لجباية المال إليه ، فدخل بيت الخلاء فزحر فيه وسقطت أمعاؤه ، فأُخرج منه وهو يعاني آلام الموت ، فقيل له : إنّ الأموال قد وصلتك .

فقال : ما أصنع بها وقد أتاني الموت .

وقيل : إنّه رجع إلى داره فهلك فيها في تلك الليلة التي اجتمع بها مع هارون[1] .

وقد باع آخرته بدنياه ، ولم ينتفع بها ، وباء بالخزي والعذاب الأليم .

وذكرت بعض المصادر أنّ من جملة الوشاة بالإمام يعقوب بن داود[2] .

وهذا القول ضعيف للغاية ، فإنّ يعقوب قد سجنه المهدي في المطبق لاطلاقه

---

(١) كشف الغمّة : ٣ : ٢٤ . مناقب آل أبي طالب : ٣ : ٤٢٤ .

(٢) بحار الأنوار : ٤٨ : ٢١٠ .

بعض العلويّين ، وبقي في السجن طيلة خلافة المهدي والهادي .

فلمّا ولي هارون الخلافة توسّط في إطلاق سراحه البرامكة ، فأُخرج من السجن وقد فقد بصره ، فخيّره الرشيد بين المقام في بغداد أو السكنى في بعض الأقاليم الإسلاميّة ، فاختار سكنى يثرب ، فمكث فيها بعيداً عن السياسة مشغولاً بنفسه حتّى وافاه الأجل المحتوم ، وبعد هذا فكيف يظنّ بوشايته بالإمام ؟!

٦ ـ احتجاج الإمام عليه السلام

من الأسباب التي حفّزت هارون لاعتقال الإمام وزجّه في غياهب السجون احتجاجه عليه السلام عليه بأنّه أولى بالنبيّ العظيم صلى الله عليه وآله من جميع المسلمين ، فهو أحد أسباطه ووريثه ، وأنّه أحقّ بالخلافة من غيره ، وقد جرى احتجاجه عليه السلام معه في مرقد النبيّ صلى الله عليه وآله وذلك حينما زاره هارون وقد احتفّ به الوجوه والأشراف وقادة الجيش وكبار الموظّفين في الدولة ، فقد أقبل بوجهه على الضريح المقدّس وسلّم على النبيّ صلى الله عليه وآله قائلاً : السلام عليك يابن العمّ .

وقد اعتزّ بذلك على من سواه ، وافتخر على غيره برحمه الماسّة من النبيّ صلى الله عليه وآله ، وأنّه إنّما نال الخلافة لقربه من الرسول صلى الله عليه وآله ، وكان الإمام آنذاك حاضراً فسلّم على النبيّ صلى الله عليه وآله قائلاً : **السَّلامُ عَلَيْكَ يا أبَتِ** ، ففقد الرشيد صوابه ، واستولت عليه موجات من الاستياء حيث قد سبقه الإمام إلى ذلك المجد والفخر ، فاندفع قائلاً بنبرات تقطر غضباً : لِمَ قلت إنّك أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله منّا ؟

فأجابه عليه السلام بجواب لم يتمكّن الرشيد من الردّ عليه أو المناقشة فيه : **لَوْ بُعِثَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله حَيّاً وَخَطَبَ مِنْكَ كَريمَتَكَ هَلْ كُنْتَ تُجيبُهُ إلىٰ ذٰلِكَ ؟**

فقال هارون : سبحان الله ! وكنت أفتخر بذلك على العرب والعجم .

فانبرى الإمام مبيّناً له الوجه في قربه من النبيّ صلى الله عليه وآله دونه قائلاً : **لٰكِنَّهُ لا يَخْطِبُ مِنّي**

وَلَا أَزْوَجُهُ ، لأَنَّهُ والِدُنا لَا والِدُكُمس ، فَلِذلِكَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ .

وأراد عليه السلام أن يدعم قوله ببرهان آخر فقال لهارون : هَلْ كانَ يَجوزُ لَهُ أَنْ يَدْخُلَ عَلىٰ حَرَمِكَ وَهُنَّ مُكَشَّفاتٍ ؟

فقال هارون : لا .

فقال الإمام : لكِنْ لَهُ أَنْ يَدْخُلَ عَلىٰ حَرَمي ، وَيَجوزُ لَهُ ذلِكَ ، فَلِذلِكَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ[1] .

وكان دليل الإمام عليه السلام حجّة دامغة أذهل به خصمه ، ولم يترك له منفذاً يسلك فيه للدفاع عنه ، فقد ألبسه ثوب الفشل والخزي وأبان لمن حوله بطلان ما ذهب إليه هارون ، فالإمام عليه السلام أوْلى بالنبيّ منه وأحقّ بالخلافة فهو سبطه ووارثه .

واندفع هارون بعد ما أعياه الدليل إلى منطق العجز ، فأمر باعتقال الإمام عليه السلام وزجّه في السجن .

٧ـ تعيينه لفدك

ومن الأسباب التي ملأت نفس هارون بالحقد على الإمام عليه السلام ودعته إلى اعتقاله والعزم على قتله ، تعيينه عليه السلام لفدك بأنّها تشمل أكثر المناطق الإسلاميّة ، وذلك حينما

---

(١) أخبار الدول : ١١٣ .

وجاء في وفيات الأعيان : ١ : ٣٩٤ ومرآة الجنان : ١ : ٣٩٥ : « أنّ الإمام عليه السلام لمّا سلّم على النبيّ صلى الله عليه وآله بقوله : يا أَبَتِ تغيّر وجه هارون ولم يطق جواباً ، وقال : هذا هو الفخر حقّاً يا أبا الحسن » .

وجاء في الاتحاف بحبّ الأشراف : ٥٥ : « أنّ هارون بعد ما سمع كلام الإمام ودليله على القرب من النبيّ صلى الله عليه وآله قال له : لله درّك إنّ العلم شجرة نبتت في صدوركم ، فكان لكم ثمرها ولغيركم الأوراق » .

سأله هارون عنها ليرجعها إليه ، فأبى عليه السلام أن يأخذها إلّا بحدودها .

فقال الرشيد : ما حدودها ؟

فقال عليه السلام : إن حدّدتها لم تردّها .

فأصرّ هارون عليه أن يبيّنها له قائلاً : بحقّ جدّك إلّا فعلت .

ولم يجد الإمام بدّاً من إجابته ، فقال له : **أَمّا الْحَدُّ الأَوَّلُ : فَعَدَنْ** .

فلمّا سمع الرشيد ذلك تغيّر وجهه ، واستمر الإمام عليه السلام في بيانه قائلاً : **وَالْحَدُّ الثّاني سَمَرْقَنْد** ، فأربد وجه الطاغيه ، واستولت عليه موجة من الغضب الهائل ، ولكنّ الإمام عليه السلام لم يعتن به ، فقد أخذ يستمرّ في بيانه قائلاً : **وَالْحَدُّ الثّالِثُ أفْرِيقيا** ، فاسودّ وجه هارون ، وقال بنبرات تقطر غيظاً : هيه ، وانطلق الإمام يبيّن الحدّ الأخير قائلاً : **وَالْحَدُّ الرّابِعُ فَسَيْفُ الْبَحْرِ مِمّا يَلي الْجُزُرَ وَأَرْمِينيا** .

فثار الرشيد ولم يملك أعصابه دون أن قال : لم يبق لنا شيء .

ـ **قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ لا تَرُدُّها** .

وتركه الإمام والكمد يحزّ في نفسه ، فعزم حينئذٍ على التنكيل به[1] .

لقد بيّن عليه السلام له أنّ العالم الإسلامي بجميع أقاليمه من عدن إلى سيف البحر ترجع سلطته له ، وأنّ هارون ومن سبقه من الخلفاء قد استأثروا بالأمر وغصبوا الخلافة من أهل البيت عليهم السلام .

٨ـ صلابة موقف الإمام عليه السلام

كان موقف الإمام موسى عليه السلام من الطاغية هارون موقفاً سلبيّاً تمثّلت فيه صرامة الحقّ وصلابة العدل ـ كما بيّناه في بعض فصول هذا الكتاب ـ فقد حرّم على شيعته

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٣ : ٤٣٥ .

التعاون مع السلطة الحاكمة بأي وجه من الوجوه ، فكره لصاحبه صفوان الجمّال أن يكري جماله لهارون مع أنّها تكرى لحجّ بيت الله الحرام .

فاضطرّ صفوان لبيع جماله ، ففهم هارون فملئ قلبه بالحقد على صفوان وهمّ بقتله ، وكذلك منع زياد بن أبي سلمة من وظيفته ، وقد شاعت في الأوساط الإسلاميّة فتوى الإمام بحرمة الولاية من قِبل هارون وأضرابه من الحكّام الجائرين ، فأوغر ذلك قلب هارون وساءه إلى أبعد الحدود .

إنّ الإمام عليه السلام لم يصانع هارون ولم يتسامح معه ، فكان موقفه معه صريحاً واضحاً ، فقد دخل عليه في بعض قصوره المشيدة الجميلة التي لم يُر مثلها في بغداد ولا في غيرها ، فانبرى إليه هارون وقد أسكرته نشوة الحكم قائلاً : ما هذه الدار ؟

فأجابه الإمام غير معتن بسلطانه وجبروته قائلاً له : **هٰذِهِ دارُ الْفاسِقينَ** . قالَ الله تعالىٰ : **﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾**[1] .

ومشت الرعدة في جسم هارون ، واستولت عليه موجة من الاستياء ، فقال للإمام : دار مَن هي ؟

- **هِيَ لِشيعَتِنا فَتْرَةٌ ، وَلِغَيْرِهِمْ فِتْنَةٌ .**
- ما بال صاحب الدار لا يأخذها .
- **اُخِذَتْ مِنْهُ عامِرَةً ، وَلَا يَأْخُذَها إلّا مَعْمورَةً .**
- أين شيعتك ؟

---

(١) الأعراف ٧ : ١٤٦ .

فتلا الإمام عليه السلام قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ (١).

فثار هارون، وقال بصوت يقطر غضباً: أنحن كفّار؟

ـ لا، وَلكِنْ كَما قالَ اللهُ تَعالى: ﴿ الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ (٢).

فغضب هارون وأغلظ في كلامه على الإمام (٣).

إنّ موقف الإمام عليه السلام كان مع هارون موقفاً لا لين فيه، فإنّه يراه غاصباً لمنصب الخلافة ومختلساً للسلطة والحكم.

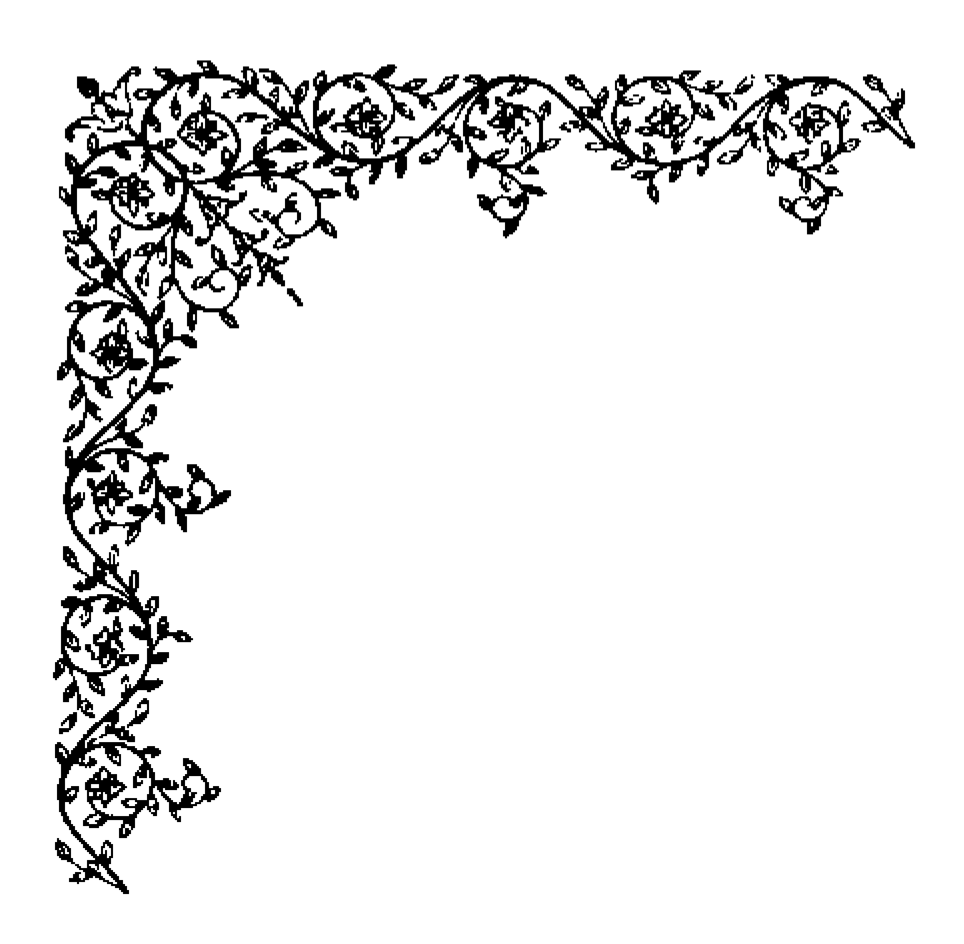
إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن بيان بعض الأسباب التي دعت الرشيد إلى اعتقال الإمام عليه السلام.

---

(١) البيّنة ٩٨: ١.

(٢) إبراهيم ١٤: ٢٨.

(٣) بحار الأنوار: ٤٨: ١٣٨.



فِي ظُلُمَاتِ السُّجُونِ



لعلّ من أقسى المحن وأفجعها هي التي ألمّت بالإمام موسى شبيه عيسى بن مريم في تقواه وورعه وصلاحه.

فقد قضى زهرة حياته في ظلمات السجون محجوباً عن أهله وشيعته، ومحروماً من نشر علومه.

وقد جهد هارون في ظلمه وإرهاقه وأمعن في التنكيل به مع علمه أنّ الإمام لم يكن يبغي الحكم والسلطان، وإنّما كان يبغي نشر العدل والحقّ والدعة بين الناس، وينعى على أُولئك الحكّام ظلمهم وجورهم واستبدادهم بأُمور المسلمين.

لقد حفل تاريخ الإنسانيّة قديماً وحديثاً بالثورات الصاخبة التي قام بها المصلحون على حكّام الظلم والجور في سبيل إسعاد أوطانهم وأبناء نحلتهم حتّى عانوا في سبيل ذلك جميع ضروب الأذى وأنواع الاضطهاد والتنكيل.

وفي طليعة المجاهدين والمنافحين عن كرامة المسلمين أئمّة أهل البيت عليهم السلام، فقد قدّموا أروع التضحيات وخاضوا أقسى ألوان النضال في سبيل الله، ورفع كلمة المسلمين، وإنقاذهم من الجور السياسي والاستبداد السياسي الذي تمثّل على مسرح سياسة خصومهم من حكّام الأمويّين والعبّاسيّين، تلك السياسة الجائرة التي لم يتحقّق فيها ظلّ للعدل لا قليل ولا كثير، والتي قضت على التلاعب في مقدّرات المجتمع، وسلب أموال المسلمين، وصرفها بسخاء على المجون والدعارة، وبذلها للعملاء الذين يساندونها ويضفون عليها سيماء العدالة والحقّ.

وكان الواجب الديني يحتّم على أئمّة أهل البيت عليهم السلام باعتبارهم مسؤولين عن رعاية الدين وحماية المسلمين أن يناهضوا ذلك الحكم وينفروا في وجه الظلم، وينقذوا المجتمع الإسلامي من الاستبداد والجور اللذين حلّا فيه، وفعلاً قد قاموا بما يجب عليهم من أداء رسالتهم الإنسانيّة، والذبّ عن كرامة الإسلام وحماية المسلمين.

وكان الإمام موسى عليه السلام زعيم المعارضين لسياسة هارون، وقد ذكرنا ـ غير مرّة ـ موقفه السلبي تجاهه، وعمل هارون ما وسعه في إرهاق الإمام والانتقام منه، اعتقله في سجونه وحجبه عن شيعته، وقضى زمناً طويلاً في السجون حتّى لفظ أنفاسه الأخيرة فيها، وهو غريب شهيد، عانى أمرّ الآلام وأدهى الخطوب، ونقدّم عرضاً سريعاً حسب تتبّعنا لبيان ما جرى عليه في ظلمات السجون.

١ ـ القبض على الإمام عليه السلام

وثقل الإمام موسى عليه السلام على هارون، وضاق صدره منه، وأزعجه إلى أبعد الحدود انتشار اسمه، وذيوع فضله، وتحدّث الناس عن مآثره وعلمه، فجاء الطاغية إلى قبر النبيّ صلى الله عليه وآله، وكان آنذاك في يثرب، فسلّم على النبيّ صلى الله عليه وآله وخاطبه قائلاً:

«بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، إنّي أعتذر إليك من أمر عزمت عليه، إنّي أُريد أن آخذ موسى بن جعفر فاحبسه لأنّي قد خشيت أن يلقي بين أُمّتك حرباً يسفك فيها دماءهم»[١].

والغريب أن يعتذر إلى النبيّ صلى الله عليه وآله في انتهاك حرمته، والتنكيل بفلذة كبده، وقد حسب أنّ الاعتذار من ارتكاب الجريمة يجديه عن المسؤوليّة في يوم يخسر فيه المبطلون.

---

(١) بحار الأنوار: ٤٨: ٢١٣.

وفي اليوم الثاني أصدر أوامره بإلقاء القبض على الإمام ، فألقت الشرطة القبض عليه القبض وهو قائم يصلّي لربّه عند رأس جدّه النبيّ ﷺ ، فقطعوا عليه صلاته ولم يمهلوه من إتمامها ، فحمل من ذلك المكان الشريف ، وقيّد وهو يذرف الدموع ويوجّه شكواه إلى جدّه الرسول ﷺ قائلاً : إليك أشكو يا رسول الله[١] .

ولم يحترم هارون قداسة القبر الشريف ، فهتك حرمته ، وحرمة أبنائه التي هي أوْلى بالرعاية والمودّة من كلّ شيء ، كما لم يحترم الصلاة التي هي أقدس عبادة في الإسلام ، فقطع عليه صلاته ، وأمر بتقييده ، وحمل إليه الإمام وهو يرسف في ذلّ القيود ، فلمّا مثل عنده جفاه وأغلظ له في القول ، وكان اعتقاله في سنة ١٧٩هـ في شهر شوّال لعشر بقين منه[٢] .

٢ ـ فزع المسلمين

ولمّا اعتقل الإمام عليه السلام جزع المسلمون وفزعوا ، فلم يبق قلب إلّا تصدّع من الأسى والحزن ، فقد حجب عنهم من كان يحنّ على فقرائهم ، ويعول بأيتامهم وأراملهم ، ومن كان يتعهّدهم بالرعاية والعطف والحنان ، ومَن كان مفزعاً لهم عند الكوارث والخطوب .

وخاف الرشيد من وقوع الفتنة وحدوث الاضطراب ، فأمر بتهيئة قبّتين ، فأوعز بحمل إحداهما إلى الكوفة والأُخرى إلى البصرة ليوهم على الناس أمر الإمام ويخفي عليهم خبر اعتقاله بأي مكان ، وأمر بحمل الإمام عليه السلام إلى البصرة في غلس الليل البهيم ، فحُمل إليها وقد خيّم على يثرب الحزن واللوعة والمصاب .

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٣ : ٤٤٠ .

(٢) بحار الأنوار : ٤٨ : ٣٢١ .

٣ـ اعتقاله عليه السلام في البصرة

وسيّر الإمام عليه السلام معتقلاً إلى البصرة ، قد أحاطت به الآلام والهموم ، ووكّل حسّان السروي بحراسته والمحافظة عليه[(١)].

وقبل أن يصل إلى البصرة تشرّف بالمثول بين يديه عبد الله بن مرحوم الأزدي ، فدفع له الإمام كتباً ، وأمره بإيصالها إلى وليّ عهده الإمام الرضا عليه السلام وعرّفه بأنّه الإمام من بعده[(٢)].

وسارت القافلة تطوي البيداء حتّى انتهت إلى البصرة ، وذلك قبل التروية بيوم[(٣)].

فأخذ حسّان الإمام ودفعه إلى عيسى بن أبي جعفر فحبسه في بيت من بيوت المحبس ، وأقفل عليه أبواب السجن ، فكان لا يفتحها إلّا في حالتين : إحداهما في خروجه إلى الطهور ، والأُخرى لإدخال الطعام له[(٤)].

أمّا شؤونه في سجن البصرة ، فهي :

تفرّغه عليه السلام للعبادة

وأقبل الإمام عليه السلام على عبادة الله ، فحيّر الألباب ، وأبهر العقول بعبادته وانقطاعه إلى الله ، فكان يصوم في النهار ، ويقوم في الليل ، يقضي أغلب أوقاته في الصلاة والسجود والدعاء لم يضجر ولم يسأم من السجن ، واعتبر تفرّغه للعبادة من أعظم

---

(١) بحار الأنوار : ٤٨ : ٢٢١.

(٢) مستدركات علم رجال الحديث : ٥ : ١٠٦.

(٣) بحار الأنوار : ٤٨ : ٢٢١. منتخب التواريخ : ٥١٨.

(٤) بحار الأنوار : ٤٨ : ٢٢١. عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ : ٨٢.

النعم التي منحها الله له، فكان يشكر ربّه على ذلك، ويدعو بهذا الدعاء: «اللّهمّ، إنّك تعلم أنّي كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك، اللّهمّ وقد فعلت، فلك الحمد»[١].

وكشف لنا هذا الدعاء جانباً كبيراً من صبر الإمام عليه السلام ورضائه بقضاء الله كما دلّ على مدى حبّه وشوقه إلى العبادة والطاعة.

اتّصال العلماء به

ولمّا شاع اعتقال الإمام عليه السلام في البصرة أقبل علماؤها ورواة الحديث إلى الإمام فاتّصلوا به من طريق خفيّ، وقد رووا عنه بعض العلوم والأحكام، فاتّصل به ياسين الزيّات، وروى عنه[٢]، واتّصل به جماعة آخرون من العلماء البارزين فرووا عنه الشيء الكثير ممّا يتعلّق بالتشريع الإسلامي.

الايعاز لعيسى باغتياله

وانتشر خبر سجن الإمام عليه السلام في البصرة، وتناقل الناس حديثه مقروناً بالحسرة واللوعة، فخاف هارون من حدوث الفتن والاضطرابات، فأوعز إلى عيسى يطلب منه فوراً القيام باغتيال الإمام عليه السلام ليستريح منه ويهدأ باله بذلك.

استعفاؤه عن ذلك

ولمّا وصلت أوامر الرشيد لعيسى باغتيال الإمام عليه السلام ثقل عليه الأمر، فجمع خواصّه وثقاته، فعرض عليهم الأمر، فأشاروا عليه بالحذر من ارتكاب الجريمة، فاستصوب رأيهم، وكتب إلى الرشيد رسالة يطلب فيها إعفاءه عن ذلك، وهذا

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣: ٤٣٣. الإرشاد: ٢: ٢٣٩.

(٢) رجال النجاشي: ١٢٢٧/٤٥٣.

نصّها :

« يا أمير المؤمنين ، كتبت إليّ في هذا الرجل ، وقد اختبرته طول مقامه في حبسي بمن حبسته معه عيناً عليه ، لينظروا حيلته ، وأمره وطويّته ممّن له المعرفة والدراية ، ويجري من الإنسان مجرى الدم ، فلم يكن منه سوء قطّ ، ولم يذكر أمير المؤمنين إلّا بخير ، ولم يكن عنده تطلّع إلى ولاية ، ولا خروج ، ولا شيء من أمر الدنيا ، ولا دعا قطّ على أمير المؤمنين ، ولا على أحد من الناس ، ولا يدعو إلّا بالمغفرة والرحمة له ولجميع المسلمين مع ملازمته للصيام والصلاة والعبادة ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني من أمره ، أو ينفذ من يتسلّمه منّي وإلّا سرّحت سبيله ، فإنّي منه في غاية الحرج »[١].

ودلّت هذه الرسالة على إكبار عيسى وتقديره البالغ للإمام عليه السلام ، فقد راقبه ووضع العيون عليه ، فلم يره إلّا مشغولاً بذكر الله وطاعته ، ولم يتعرّض لذكر أحد بسوء حتّى الظالمين له ، لذا خاف عيسى ، وراقب الله من اغتياله ، وقد بقي عليه السلام في سجن عيسى سنة كاملة[٢] ، وقد عانى فيها آلام السجن ومرارة القيود .

٤ـ حمله إلى بغداد

واستجاب الرشيد لطلب عيسى ، وخاف منه أن يطلق سراح الإمام عليه السلام ويخلي سبيله ، فأمره بحمله إلى بغداد ، وفرح عيسى بذلك لأنّ الله قد أنقذه من ارتكاب الموبقة ، وفي الوقت أمر عيسى بحمله إلى بغداد ، فحمل مقيّداً تحفّ به الشرطة والحرّاس ، وساروا به مسرعين حتّى انتهوا به إلى بغداد ، فعرفوا الرشيد بذلك ، فأمر باعتقاله ، أمّا ما جرى عليه في بغداد فهو كما يلي :

---

(١) الإرشاد : ٢ : ٢٣٩ و ٢٤٠ . الفصول المهمّة : ٢٣٦ و ٢٣٧ .

(٢) الفصول المهمّة : ٢٣٦ .

اعتقاله عند الفضل

ولمّا انتهى الإمام عليه السلام إلى بغداد أمر الرشيد باعتقاله عند الفضل بن الربيع[١]، فأخذه الفضل وحبسه في بيته.

وإنّما حبسه هارون في بيوت وزرائه، ولم يعتقله في السجون العامّة كالمطبق وغيره، نظراً لخطورة الإمام عليه السلام وسموّ مكانته، وعظم شخصيّته، فإنّ الشخصيّات النابهة كانت لا تعتقل في السجون العامّة، فقد سجن عبدالملك بن صالح لمّا غضب عليه الرشيد عند الفضل بن الربيع[٢].

وكذلك سجن إبراهيم بن المهدي عند أحمد بن أبي خالد[٣]، ولذلك سجن الإمام في بيوت الوزراء وكبار رجال الدولة.

انشغاله في العبادة

وأقبل الإمام عليه السلام على طاعة ربّه، فكان يقضي أغلب أوقاته في الصلاة والسجود والابتهال إلى الله والتضرّع إليه حتّى فاق بطاعته جميع الأولياء، وقد بهر الفضل

---

(١) الفضل بن الربيع بن يونس:
يكنّى أبا العبّاس، كان حاجباً لهارون الرشيد ومحمّد الأمين، وكان أبوه حاجب المنصور والمهدي، ولمّا أفضت الخلافة إلى الأمين قدم عليه الفضل من خراسان ـ وكان في صحبة الرشيد إلى أن توفّي بطوس ـ فأكرمه الأمين، وألقى أزمّة الأمور إليه، وعوّل عليه في مهمّاته، وقد روى عن أبيه أنّه روى عن المنصور عن جدّه عن ابن عبّاس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مولاهُ». توفي سنة ٢٠٧هـ، وقيل: ٢٠٨هـ. تاريخ بغداد: ١٢: ٣٤٣ و ٣٤٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢: ٤٥٨. تاريخ الإسلام: ١٤: ٢٩.

(٣) تاريخ الأمم والملوك: ٦: ٤٩٧.

بعبادته ، فكان يحدّث عنها ونفسه مترعة بالإكبار والتقديس للإمام ، فقد حدّث عبدالله القزويني ، قال : « دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على سطح داره ، فقال لي : ادن منّي ، فدنوت منه حتّى حاذيته فقال لي : اشرف على الدار .

فأشرف عبدالله على الدار ، فقال له الفضل : ما ترى في البيت ؟

- أرى ثوباً مطروحاً .

- انظر حسناً .

فتأمّل عبدالله في نظره ، فقال له : رجل ساجد .

- هل تعرفه ؟

- لا .

- هذا مولاك .

- مَن مولاي ؟ !

- تتجاهل علَيَّ .

- ما أتجاهل ، ولكن لا أعرف لي مولى .

- هذا أبو الحسن موسى بن جعفر .

وأخذ الفضل يحدّث عبدالله عن عبادة الإمام وطاعته لله قائلاً : إنّي أتفقّده الليل والنهار فلم أجده في وقت من الأوقات إلّا على الحال التي أخبرك بها إنّه يصلّي الفجر ، فيعقّب ساعة في دبر صلاته إلى أن تطلع الشمس ، ثمّ يسجد سجدة فلا يزال ساجداً حتّى تزول الشمس ، وقد وكّل من يترصّد له الزوال ، فلست أدري متى يقول الغلام قد زالت الشمس ، إذ يثب فيبتدئ بالصلاة من غير أن يجدّد الوضوء ، فاعلم أنّه لم ينم في سجوده ولا أغفى ، فلا يزال كذلك إلى أن يفرغ من صلاة العصر ، فإذا صلّى العصر سجد سجدة فلا يزال ساجداً إلى أن تغيب الشمس ، فإذا غابت

وثب من سجدته فصلّى المغرب من غير أن يحدث حدثاً ، ولا يزال في صلاته وتعقيبه إلى أن يصلّي العتمة ، فإذا صلّى العتمة أفطر على شوي[١] يؤتى به ، ثمّ يجدّد الوضوء ، ثمّ يسجد ، ثمّ يرفع رأسه فينام نومة خفيفة ، ثمّ يقوم فيجدّد الوضوء ، ثمّ يقوم ، فلا يزال يصلّي في جوف الليل حتّى يطلع الفجر ، فلست أدري متى يقول الغلام إنّ الفجر قد طلع ، إذ قد وثب هو لصلاة الفجر فهذا دأبه منذ حوّل إليّ .

ولمّا رأى عبدالله إكبار الفضل للإمام عليه السلام حذّره من أن يستجيب لداعي الهوى فينفّذ رغبة الرشيد باغتياله ، فقال له : اتّق الله ، ولا تحدث في أمره حدثاً يكون منه زوال النعمة ، فقد تعلم أنّه لم يفعل أحد بأحد سوءاً إلّا كانت نعمته زائلة .

وكان الفضل مؤمناً بذلك ، فقال له : قد أرسلوا إليّ غير مرّة يأمرونني بقتله ، فلم أجبهم إلى ذلك ، وأعلمتهم أنّي لا أفعل ذلك ، ولو قتلوني ما أجبتهم إلى ما سألوني[٢] .

وهكذا كان الإمام عليه السلام من أروع أمثلة التقوى والإيمان بالله ، قد طبع حبّ الله في قلبه ومشاعره ، وهامت نفسه بطاعته وعبادته .

إشراف هارون عليه

كان هارون يتوجّس في نفسه الخوف من الإمام عليه السلام فلم يثق بالعيون التي وضعها عليه في سجنه ، فكان بنفسه يراقبه ، ويتطلّع على شؤونه خوفاً من أن يتّصل به أحد من الناس ، أو يكون الفضل قد رفّه عليه ، فأطلّ من أعلى القصر على السجن فرأى ثوباً مطروحاً في مكان خاصّ لم يتغيّر عن موضعه ، فقال للفضل : ما ذاك الثوب

---

(١) شوي ـ تصغير شواء ـ : أي شواء قليل .

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ : ٩٩ . بحار الأنوار : ٤٨ : ٢١١ . أمالي الصدوق : ٢١١ .

الذي أراه كلّ يوم في ذلك الموضع ؟

- يا أمير المؤمنين ، ما ذاك بثوب ، وإنّما هو موسى بن جعفر ، له في كلّ يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال .

فتبهّر هارون وقال : أما إنّ هذا من رهبان بني هاشم !

والتفت إليه الربيع بعد ما سمع منه اعترافه بزهد الإمام قائلاً له : يا أمير المؤمنين ، ما لك قد ضيّقت عليه في الحبس ؟ !

فأجابه هارون بما انطوت عليه نفسه من الشرّ وفقدان الرأفة قائلاً : هيهات ، لا بدّ من ذلك[١] .

إنّ هارون يعلم منزلة الإمام وعزوفه عن الدنيا ، وإقباله على الله ، ولكنّ حبّه للدنيا وحسده له هو الذي دفعه إلى ذلك .

سأم الإمام عليه السلام

وسأم الإمام عليه السلام من السجن وضاق صدره من طول المدّة ، وقد أحاطت به آلام مرهقة ، وخطوب مريرة ، فقد حجب عن عياله وأطفاله وشيعته ، ينقل من حبس إلى حبس ، تراقبه الشرطة والعيون خوفاً من اتّصال أحد من شيعته به ، وقد لجأ عليه السلام إلى الله تعالى في أن يخلّصه من هذه المحنة .

دعاؤه عليه السلام

ولمّا طالت مدّة الحبس على الإمام عليه السلام وهو رهين السجون ، قام في غلس الليل البهيم فجدّد طهوره وصلّى لربّه أربع ركعات ، وأخذ يناجي الله ويدعوه بهذا الدعاء :

---

(١) بحار الأنوار : ٤٨ : ٢٢٠ و ٢٢١ .

« يا سَيِّدي ، نَجِّني مِنْ حَبْسِ هارونَ ، وَخَلِّصْني مِنْ يَدِهِ ، يا مُخَلِّصَ الشَّجَرِ مِنْ بَيْنِ رَمْلٍ وَطينٍ ، وَيا مُخَلِّصَ النّارِ مِنْ بَيْنِ الْحَديدِ وَالْحَجَرِ ، وَيا مُخَلِّصَ اللَّبَنِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ، وَيا مُخَلِّصَ الْوَلَدِ مِنْ بَيْنِ مَشيمَةٍ وَرَحِمٍ ، وَيا مُخَلِّصَ الرُّوحِ مِنْ بَيْنِ الْأَحْشاءِ وَالْأَمْعاءِ ، خَلِّصْني مِنْ يَدِ هارونَ »[1].

إطلاق سراحه

واستجاب الله دعاء العبد الصالح ، فأنقذه من سجن الطاغية هارون وأطلقه في غلس الليل ، وذلك بسبب رؤيا رآها ، فحدّث عبدالله بن مالك الخزاعي ، وكان على دار الرشيد وشرطته ، قال : « أتاني رسول الرشيد في وقت ما جاءني فيه قطّ ، فانتزعني من موضعي ، ومنعني من تغيير ثيابي ، فراعني ذلك ، فلمّا صرت إلى الدار سبقني الخادم ، فعرف الرشيد خبري ، فأذن لي في الدخول ، فدخلت ، فوجدته جالساً على فراشه ، فسلّمت ، فسكت ساعة ، فطار عقلي وتضاعف جزعي ، ثمّ قال لي : يا عبدالله ، أتدري لِمَ طلبتك في هذا الوقت ؟

- لا والله يا أمير المؤمنين .

- إنّي رأيت الساعة في منامي كأنّ حبشيّاً قد أتاني ، ومعه حربة ، فقال : إن لم تخل عن موسى بن جعفر الساعة ، وإلّا نحرتك بهذه الحربة ، اذهب فخلّ عنه .

ولم يطمئنّ عبدالله بأمر الرشيد بإطلاق سراح الإمام ، فقال له : أطلق موسى بن جعفر ؟ قال له ذلك ثلاث مرّات .

فقال الرشيد : نعم ، امض الساعة حتّى تطلق موسى بن جعفر ، وأعطه ثلاثين

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٣ : ٤٢٢ . عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ : ٨٧ و ٨٨ .

ألف درهم ، وقل له إن أحببت المقام قِبلنا فلك عندي ما تحبّ ، وإن أحببت المضي إلى المدينة فالإذن في ذلك إليك .

ومضى عبدالله مسرعاً إلى السجن يقول : لمّا دخلت وثب الإمام عليه السلام قائماً ، وظنّ أنّي قد اُمرت فيه بمكروه ، فقلت له : لا تخف ، قد أمرني أمير المؤمنين بإطلاقك ، وأن أدفع إليك ثلاثين ألف درهم ، وهو يقول لك : إن أحببت المقام قِبلنا فلك ما تحبّ ، وإن أحببت الانصراف فالأمر في ذلك مطلق لك ، وأعطيته الثلاثين ألف درهم[1] وقلت له : لقد رأيت من أمرك عجباً .

وأخذ الإمام عليه السلام يحدّثه عن السبب في إطلاق سراحه قائلاً : « بَيْنَما أنا نائِمٌ إذْ أتاني رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله فَقالَ لي : يا مُوسى ، حُبِسْتُ مَظْلوماً ، قُلْ هٰذِهِ الْكَلِماتِ فَإنَّكَ لَا تَبِيتُ هٰذِهِ اللَّيْلَةَ في الْحَبْسِ .

فَقُلْتُ لَهُ : بِأبي أنْتَ وَاُمّي ، ما أقولُ .

فَقالَ : قُلْ :

يا سامِعَ كُلِّ صَوْتٍ ، وَسابِقَ الْفَوْتِ ، وَيا كاسِيَ الْعِظامِ لَحْماً وَمُنْشِرَها بَعْدَ الْمَوْتِ ، أسْأَلُكَ بِأسْمائِكَ الْحُسْنىٰ ، وَبِاسْمِكَ الْأعْظَمِ الْأكْبَرِ الْمَخْزونِ الْمَكْنونِ الَّذي لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أحَدٌ مِنَ الْمَخْلوقِينَ ، وَيا حَلِيماً ذا أناةٍ لَا يَقْوىٰ عَلىٰ أناتِهِ ، يا ذا الْمَعْروفِ الَّذي لَا يَنْقَطِعُ أبَداً ، وَلَا يُحْصىٰ عَدَداً ، فَرِّجْ عَنّي فَكانَ ما تَرىٰ[2] .

وفرّج الله عن الإمام ، فخلّى هارون سبيله ، وقد مكث في سجن الفضل مدّة

---

(١) مروج الذهب : ٣ : ٢٦٥ .

وجاء في مناقب آل أبي طالب : ٢ : ٣٧٠ : « أنّ الإمام عليه السلام رفض الهدايا والخلع التي قدّمت له » .

(٢) وفيات الأعيان : ٤ : ٣٩٤ . شذرات الذهب : ١ : ٣٠٤ .

طويلة من الزمن لم يعيّنها لنا التاريخ .

وبقي الإمام بعد إطلاق سراحه في بغداد لم ينزح عنها إلى يثرب ، وكان يدخل على الرشيد في كلّ اسبوع مرّة في يوم الخميس[١] ، وكان يحتفي به إذا رآه .

وقد دخل عليه يوماً ، وقد استولى الغضب على هارون من أجل رجل ارتكب جرماً ، فأمر أن يضرب ثلاثة حدود ، فنهاه الإمام عليه‌السلام عن ذلك وقال : إنّما تغضب لله ، فلا تغضب له بأكثر ممّا غضب لنفسه[٢] .

وربّما جرت بينهما بعض المناظرات ، فقد دخل عليه في بعض الأيّام فانبرى إليه الرشيد قائلاً : أتقولون إنّ الخمس لكم ؟

- نَعَمْ .
- إنّه لكثير .
- **إنَّ الّذي أعْطاهُ لَنا عَلِمَ أنَّهُ غَيْرُ كَثِيرٍ**[٣] .

وطلب منه الرشيد في بعض اجتماعاته به في بغداد أن يكتب له كلاماً موجزاً يحتوي على أصول الدين وفروعه ، فأجابه الإمام إلى ذلك ، وكتب بعد البسملة هذه الرسالة :

أُمورُ الدُّنيا أمْرانِ : أمْرٌ لا اخْتِلافَ فيهِ ، وَهُوَ إجْماعُ الأُمَّةِ عَلَى الضَّرورَةِ الَّتي يَضْطَرّونَ إلَيْها ، وَالأَخْبارُ الْمُجْتَمَعُ عَلَيْها ، الْمَعْروضُ عَلَيْها شُبْهَةٌ ، وَالْمُسْتَنْبَطُ مِنها كُلُّ حادِثَةٍ ، وَأمْرٌ يَحْتَمِلُ الشَّكَّ وَالإنْكارَ ، وَسبيلُ ذلِكَ اسْتِنْصاحُ أهْلِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ ، فَما ثَبَتَ لِمُنْتَحِليهِ مِنْ كِتابٍ مُسْتَجْمَعٍ عَلىٰ

---

(١) بحار الأنوار : ٤٨ : ٢٢٠ . أمالي الصدوق : ٣٧٧ . أمالي الطوسي : ٢٦٩ .

(٢) وسائل الشيعة : ١٦ : ١٤٧ ، باب الأمر بالمعروف ، الحديث ٤ .

(٣) بحار الأنوار : ٤٨ : ١٢٤ .

تَأْويلِهِ أَوْ سُنَّةٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا اخْتِلافَ فِيها ، أَوْ قِياسٍ تَعْرِفُ الْعُقولُ عَدْلَهُ ضاقَ عَلىٰ مَنِ اسْتَوْضَحَ تِلْكَ الْحُجَّةَ رَدُّها ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ قَبولُها ، وَالْإِقْرارُ وَالدِّيانَةُ بِها ، وَما لَمْ يَثْبُتْ لِمُنْتَحِليهِ بِهِ حُجَّةٌ مِنْ كِتابٍ مُسْتَجْمَعٍ عَلىٰ تَأْويلِهِ أَوْ سُنَّةٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا اخْتِلافَ فيها أَوْ قِياسٍ تَعْرِفُ الْعُقولُ عَدْلَهُ وَسِعَ خاصَّ الْأُمَّةِ وَعامَّها الشَّكُّ فيهِ ، وَالْإِنْكارَ لَهُ ، كَذٰلِكَ هٰذانِ الْأَمْرانِ مِنْ أَمْرِ التَّوْحيدِ ، فَما دونَهُ إِلىٰ أَرْشِ الْخَدْشِ ، فَما دونَهُ فَهٰذا الْمَعْروضُ الَّذي يُعْرَضُ عَلَيْهِ أَمْرُ الدّينِ ، فَما ثَبَتَ لَكَ بُرْهانُهُ اصْطَفَيْتَهُ ، وَما غَمَضَ عَنْكَ ضَوْؤُهُ نَفَيْتَهُ وَلَا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ ، وَحَسْبُنا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكيلُ » .

وعرض هذا الكتاب على هارون ، فقال : هو كلام موجز جامع[1] .

وجرت مناظرات أُخرى بينهما ذكرناها في الجزء الأوّل من هذا الكتاب ، وقد طلب الإمام من هارون أن يمسح له بالرحيل إلى يثرب لرؤية عياله وأطفاله ، وذكر المجلسي في بحاره أنّه أذن له بذلك[2] .

وذكر مرّة أُخرى أنّه قال انظر في ذلك ولم يجبه إلى شيء حتّى حبسه عند السندي بن شاهك[3] .

وأكبر الظنّ أنّ الرشيد فرض عليه الإقامة الجبريّة في بغداد ولم يسمح له بالسفر إلى وطنه ، فمكث عليه السلام في بغداد مدّة من الزمن لم يتعرّض له هارون بسوء ، وقد ذهب لذلك السيّد مير عليّ الهندي ، فقال : « وقد حدث مرّتين أن سمح الرشيد لهذا

(١) بحار الأنوار : ٤٨ : ١٢٤ و ١٢٥ .

(٢) بحار الأنوار : ٤٨ : ١٢٥ .

(٣) مختصر تاريخ العرب : ٢٠٩ ، وانظر : بحار الأنوار : ٤٨ : ٢١٣ و ٢١٥ .

الإمام الوديع بالرجوع إلى الحجاز ، ولكن شكوكه كانت في كلتا المرّتين تتغلّب على طيبة قلبة فيبقيه في الحبس »[1].

ومهما يكن من أمر فإنّه في تلك الفترة قد بذل جهوده لإرشاد الناس وهدايتهم إلى طريق الحقّ ، فقد اهتدى بشر الحافي وتاب على يده حتّى صار من عيون الصالحين والمتّقين ، وذكرنا حديثه مشفوعاً بالتفصيل في الجزء الأوّل من هذا الكتاب ، كما أنّه توسّط لهارون في بعض القضايا الخاصّة التي كلّفه بها بعض شيعته فقضاها له .

وعلى أي حال ، فإنّ التاريخ ضنّ بتعيين المدّة التي خلّي فيها عن سبيل الإمام ، والذي أظنّ أنّها فترة قصيرة ، لذا لم يذكرها قسم كبير من المؤرّخين ، فذكروا أنّه انتقل من سجن الفضل بن الربيع إلى سجن الفضل بن يحيى ، وأهملوا إطلاق سراحه .

٥ ـ عزم هارون على قتله

ولمّا شاع ذكر الإمام وانتشرت فضائله ومآثره في بغداد ضاق الرشيد من ذلك ، وخاف منه ، فعزم على قتله ، لولا أنّه رأى برهاناً من ربّه فعفا عنه ، فقد حدّث الفضل ، قال : «كنت حاجباً عند الرشيد ، فأقبل علَي يوماً وهو غضبان وبيده سيف يقلبه فقال لي : بقرابتي من رسول الله ﷺ لئن لم تأتني بابن عمّي ، لأخذت الذي فيه عيناك .

فخاف الفضل ومشت الرعدة في أوصاله وقال لي : بمن أجيئك ؟

- بهذا الحجازي .

- وأي الحجازيّين ؟

---

(١) مختصر تاريخ العرب : ٢٠٩.

ـ موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، فخاف الفضل من الله أن يكون الشرّ على يده ، ولكنّه فكّر في نقمة هارون وبطشه به ، فاستجاب لأمره ، وطلب منه أن يحضر له سوطين ، وهسارين وجلّادين ، فأحضر ذلك ، قال : ومضيت إلى منزل أبي إبراهيم فأتيت إلى خربة فيها كوخ من جريد النخل ، وإذا بغلام أسود ، فقلت له : استأذن لي على مولاك ، يرحمك الله .

فقال لي : لج ، فليس له حاجب ولا بوّاب .

فولجت إليه ، فإذا بغلام أسود بيده مقصّ يأخذ اللحم من جبينه وعرنين أنفه من كثرة سجوده ، فسلّمت عليه ، وقلت : أجب الرشيد .

ـ **ما لِلرَّشيدِ وَما لي أما تَشْغَلُهُ نِعْمَتُهُ عَنّي !**

ووثب مسرعاً ، وهو يقول : **لَوْلا أَنّي سَمِعْتُ في خَبَرٍ عَنْ جَدّي رَسولِ اللهِ ﷺ أَنَّ طاعَةَ السُّلْطانِ لِلتَّقِيَّةِ واجِبَةٌ ما جِئْتُ .**

وانطلق عليه السلام مع الفضل فقال له : استعدّ للعقوبة يا أبا إبراهيم .

ـ **أَلَيْسَ مَعي مَنْ يَمْلِكُ الدُّنْيا وَالآخِرَةَ ، وَلَنْ يَقْدِرَ الْيَوْمَ عَلى سُوءٍ بي إِنْ شاءَ اللهُ .**

قال الفضل : رأيت الإمام وقد أدار يده يلوّح بها على رأسه الشريف ثلاث مرّات ، ولمّا وصل الفضل استقبله الرشيد وهو مذهول قد استولى عليه الخوف والذعر ، فقال له : يا فضل .

ـ لبّيك .

ـ جئتني بابن عمّي ؟

ـ نعم .

ـ لا تكن أزعجته ؟

ـ لا .

- لم تعلمه أنّي عليه غضبان ، فإنّي قد هيّجت على نفسي ما لم أرده . ائذن له بالدخول .

ودخل الإمام عليه السلام ، فلمّا رآه وثب إليه قائماً وعانقه ، وقال له : مرحباً بابن عمّي وأخي ووارثي ، ما الذي قطعك عن زيارتنا ؟

فأجابه الإمام عليه السلام غير معتن به قائلاً : **سَعَةُ مُلْكِكَ ، وَحُبُّكَ لِلدُّنيا .**

وأمر الرشيد أن يؤتى بغالية ، فأُتي بها ، فطيّب الإمام بيده وأمر أن يحمل بين يديه خلع وبدرتان ودنانير .

فقال الإمام عليه السلام : **لَوْلا أنّي أرىٰ أنْ أُزَوِّجَ بِها مِنْ عُزّابِ بَني أبي طالِبٍ لَـئلا يَـنْقَطِعَ نَسْلُهُ ما قَبِلْتُها أبداً .**

وانصرف عليه السلام وهو يقول : **الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعالَمِينَ** ، والتفت هارون إلى الفضل قائلاً له : يا فضل ، إنّك لمّا مضيت لتجيئني به رأيت أقواماً قد أحدقوا بداري بأيديهم حراب قد غرسوها في أصل الدار ، يقولون : إن آذى ابن رسول الله خسفنا به وبداره الأرض ، وإن أحسن إليه انصرفنا عنه وتركناه .

وانطلق الفضل مسرعاً نحو الإمام قائلاً له : ما الذي قلت حتّى كُفيت أمر الرشيد ؟

- **دُعاءُ جَدّي عَلِيِّ بْنِ أبي طالِبٍ عليه السلام ، كانَ إذا دَعا بِهِ ما بَرَزَ إلىٰ عَسْكَرٍ إلّا هَزَمَهُ ، وَلَا إلىٰ فارِسٍ إلّا قَهَرَهُ ، وَهُوَ دُعاءُ كِفايَةِ الْبَلاءِ ، وَهُوَ :**

اللّـهُمَّ بِكَ أُساوِرُ ، وَبِكَ أُحاوِرُ ، وَبِكَ أُجاوِرُ ، وَبِكَ أُصولُ ، وَبِكَ أَنْتَصِرُ ، وَبِكَ أموتُ ، وَبِكَ أَحْيىٰ . أَسْلَمْتُ نَفْسي إلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ أمْري إلَيْكَ ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

اللّهُمَّ إنَّكَ خَلَقْتَني وَرَزَقْتَني وَسَتَرْتَني عَنِ الْعِبادِ ، بِلُطْفِ ما خَوَّلْتَني أغْنَيْتَني ، فَإذا هَوَيْتُ رَدَدْتَني ، وَإذا عَثَرْتُ قَوَّمْتَني ، وَإذا مَرِضْتُ

شَفَيْتَني ، وَإذا دَعَوْتُ أَجَبْتَني .

يا سَيِّدي ، ارْضَ عَنّي ، فَقَدْ أَرْضَيْتَني(١) .

ولكن هارون لم يؤمن بما يراه من الآيات والمعجزات التي ظهرت للإمام عليه السلام ، فقد أعماه حبّ الملك والسلطان إلى الإصرار على الجريمة والتنكيل بالإمام عليه السلام .

٦ ـ اعتقاله عند الفضل

وألقى هارون القبض على الإمام ثانياً ، فأمر باعتقاله عند الفضل بن يحيى ، ونشير إلى بعض شؤونه عند سجنه في بيت الفضل :

الترفيه عليه

ولمّا رأى الفضل عبادة الإمام عليه السلام وإقباله على الله ، وانشغاله بذكره أكبر الإمام ورفه عليه ، ولم يضيّق عليه ، وكان في كلّ يوم يبعث له بمائدة فاخرة من الطعام ، وقد رأى عليه السلام من السعة في سجن الفضل ما لم يرها في بقيّة السجون .

الايعاز باغتياله

وأوعز الرشيد للفضل باغتيال الإمام عليه السلام ، فامتنع من ذلك ولم يجبه وخاف من الله .

إنّ الفضل كان ممّن يذهب إلى الإمامة ويدين بها ، وهذا هو السبب في اتّهام البرامكة بالتشيّع ، وقد امتنع أشدّ الامتناع عن تنفيذ رغبات الرشيد في قتل الإمام .

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ : ٧٤ ـ ٧٦ ، الحديث ٥ . الدرّ النظيم : ٦٥٧ . بحار الأنوار : ٤٨ : ٢١٦ و ٢١٧ .

التنكيل بالفضل

وانطلق بعض الأوغاد إلى هارون ، فأخبره بترفيه الفضل على الإمام عليه السلام .

ولمّا سمع ذلك الطاغية تحرّق من الغيظ والغضب ، وكان آنذاك في الرقّة ، فأنفذ في الوقت مسرور الخادم إلى بغداد ليكشف له حقيقة الحال ، فإن كان الأمر على ما بلغه مضى إلى العبّاس بن محمّد وأوصله رسالة يأمره فيها بجلد الفضل ، وكذلك أمره بالوصول إلى السندي بن شاهك مدير شرطته ليكون منفّذاً لأوامره .

وقدم مسرور إلى بغداد ، فنزل دار الفضل بن يحيى لا يدري أحد ما يريده ، ثمّ دخل على الإمام موسى عليه السلام فوجده مرفّهاً عليه ، كما بلغ الرشيد فمضى من فوره إلى العبّاس وأمره بتنفيذ أمر الرشيد ، وكذلك سار إلى السندي فأمره بإطاعة العبّاس ، وأرسل العبّاس بالفور الشرطة إلى الفضل ، فأخرجوه من داره وهو يهرول والناس من حوله ، فدخل على العبّاس فأمر بتجريده ، ثمّ ضربه مائة سوط .

وخرج الفضل متغيّراً ، قد انهارت قواه وأعصابه ، فجعل يسلّم على الناس يميناً وشمالاً ، وهو لا يشعر بذلك .

وكتب مسرور إلى الرشيد بما فعله ، فأمره بأخذ الإمام عليه السلام واعتقاله عند السندي ابن شاهك ، وجلس الرشيد مجلساً حافلاً ضمّ جمهوراً غفيراً من الناس ، فرفع صوته قائلاً : أيّها الناس ، إنّ الفضل بن يحيى قد عصاني ، وخالف طاعتي ، ورأيت أن ألعنه ، فالعنوه .

فارتفعت الأصوات من جميع جنبات الحفل باللعن والسباب والشتم على الفضل ، حتّى اهتزّت الأرض من أصوات اللعن .

وبلغ يحيى بن خالد ذلك ، فأسرع إلى الرشيد فدخل عليه من غير الباب الذي يدخل منه الناس ، حتّى جاءه من خلفه فأسرّه قائلاً : يا أمير المؤمنين ، إنّ الفضل حدث ، وأنا أكفيك ما تريد .

فسرّ الرشيد بذلك، وظهر السرور على وجهه، وذهب عن نفسه ما يحمله من الحقد على الفضل، فأراد يحيى أن يستعيد كيان ولده ويردّ له كرامته، فقال للرشيد: يا أمير المؤمنين، قد غضضت من الفضل بلعنك إيّاه، فشرّفه بإزالة ذلك.

وأقبل هارون بوجهه على الناس، فرفع عقيرته قائلاً: إنّ الفضل قد عصاني في شيء فلعنته، وقد تاب وأناب إلى طاعتي فتولّوه.

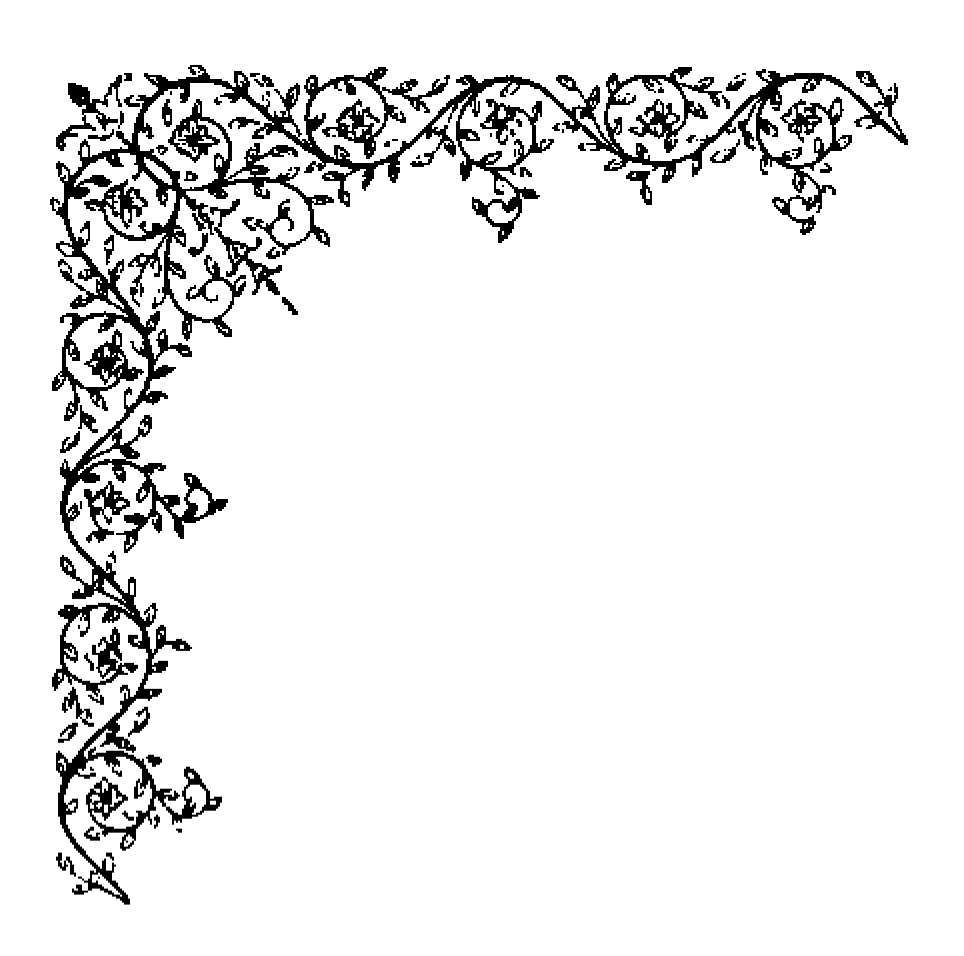
وارتفعت الأصوات من جميع جنبات الحفل وهي تعلن التأييد الشامل لتلك السياسة المتناقضة، وهي ذات لهجة واحدة أعلنها أُولئك الناس الذين لا يؤمنون بالقيم ولا بالمثل العليا قائلين: يا أمير المؤمنين، نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت، وقد تولّيناه[1].

ودلّت هذه البادرة على ما منيت به الجماهير الإسلاميّة في ذلك العصر من فقدان الوعي والانحراف عن المبادئ الأُصيلة، ولو كان عندهم أي شعور ديني لما سجن الإمام، وما نكل به، ويعود السبب في ذلك كلّه إلى عبث السياسة الملتوية في الأوساط الاجتماعيّة، ونشرها الفساد والتسيّب في ربوع ذلك المجتمع، حتّى كان من نتائجه مواقفه المذمومة التي لا يحمد عليها بحال، كما كشفت لنا هذه البادرة مدى الحقد والكراهية التي يكنّها هارون في نفسه للإمام عليه السلام، فقد نكّل بالفضل وهو أعزّ الناس عنده، وأقربهم إليه، وأعلن سبّه وشتمه لأنّه رفّه على الإمام ولم يضيّق عليه في مأكله ومشربه. أمّا المدّة التي قضاها عليه السلام في سجن الفضل فكانت قصيرة للغاية، وذكر الرواة أنّها كانت أيّاماً.

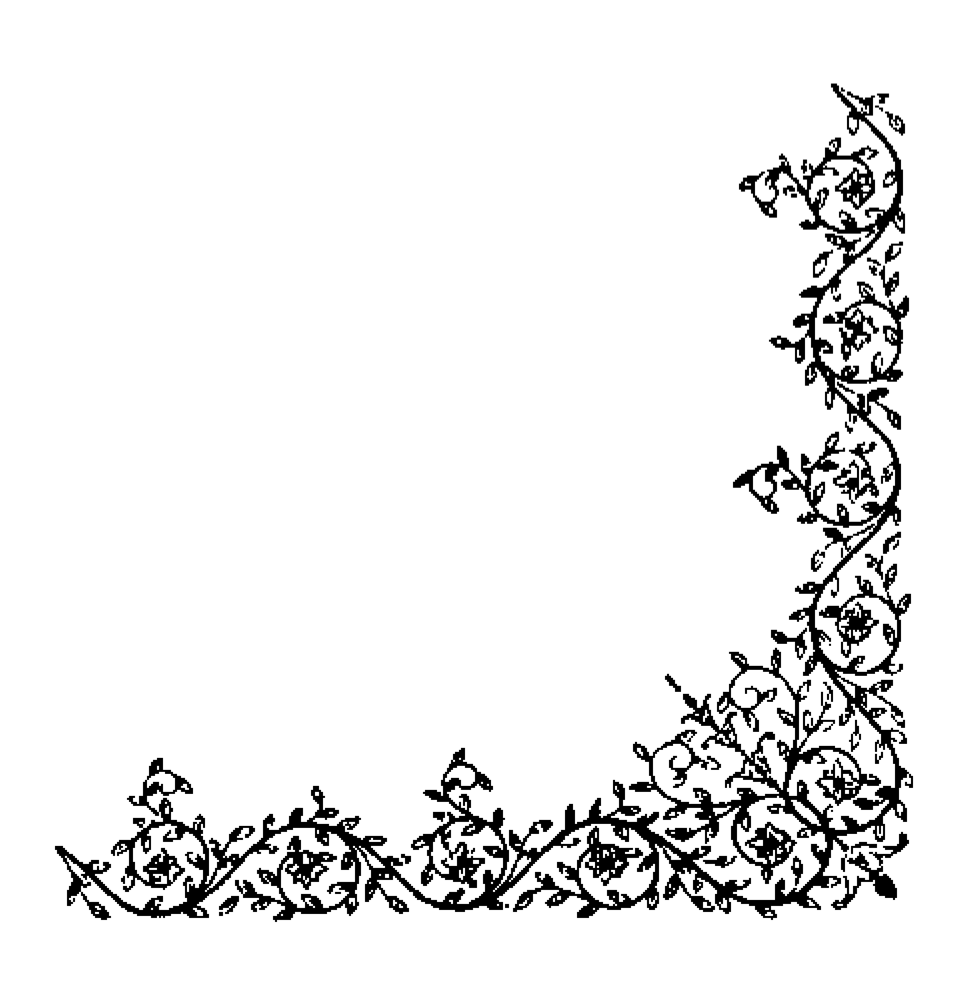
وقبل أن ننهي المطاف عن هذا الفصل نودّ التنبيه إلى أنّه قد شاع أنّ الإمام سجن في واسط سنة كاملة، ولكنّ المصادر التي بأيدينا لم تنصّ على ذلك، ولعلّه ذُكر ولم نعثر عليه.

---

(١) مقاتل الطالبيّين: ٥٠٣ و ٥٠٤.



إِلَى جَنَّةِ الْمَأْوَى



أي خطب مريع هذا الذي حلّ بسبط النبيّ ﷺ ووديعته في أُمّته ، وشبيه المسيح عيسى بن مريم في تقواه وورعه ، فقد سدّت عليه نوافذ الحياة ، وحفّت به جميع ألوان المصاعب والمكاره ، وصبّ عليه الطاغية هارون جام غضبه ، فأذاقه جميع صنوف الهوان والتنكيل ، فكبّله بالقيود ، وزجّه في السجون ، وأرصد عليه العيون خوفاً من العطف أو الترفيه عليه ، فأخذ ينقله من سجن إلى سجن ، ونكّل بكلّ من أكرمه ورعى جانبه ، فجلد ابن يحيى ، وأعلن سبّه ، وشهّر به لأنّه لم يضيّق عليه .

لقد أعيا الرشيد أمر الإمام عليه السلام ، وأقضّ مضجعه انتشار اسمه ، وذيوع فضله ، وتحدّث الناس عن محنته واضطهاده ، فأوعز إلى كبار رجال دولته باغتياله ، فلم يجيبوه لذلك ، لما رأوه من كرامات الإمام عليه السلام ، وانقطاعه إلى الله ، وإقباله على العبادة ، فخافوا على نعمتهم من الزوال إن تعرّضوا له بمكروه .

وأخيراً لم يجد شريراً ينفّذ رغباته سوى السندي بن شاهك[1] الوغد الأثيم الذي

---

(١) السندي بن شاهك :

هو أبو المنصور ، ومولى المنصور الدوانيقي ، ولي دمشق من قِبل موسى بن عيسى في خلافة الرشيد ، ذكر ذلك الصفدي في كتابه أمراء دمشق : ٣٩ ، ونظمه أيضاً في أُرجوزته التي ذكر فيها أُمراء دمشق : ١٢٢ ، بقوله :

وَكانَ قَدْ وَلّى بِها ابْنَ شاهِكِ ... خِلافَةً وَلَمْ يَكُنْ بِمالِكِ

وذكر الجاحظ في حياة الحيوان : ٥ : ٢٩٢ حديثاً عنه حينما ولي الشام يتعلّق ⇐

لا يؤمن بالآخرة ولا يرجو لله وقاراً، فنقله إلى سجنه وأمره بالتضييق عليه، فاستجاب الأثيم لذلك، فقابل الإمام بكلّ جفوة وقسوة، والإمام صابر محتسب، قد كظم غيظه، وأوكل أمره إلى الله.

يا لهول الفادحة الكبرى التي مني بها الإمام حينما نقل إلى سجن السندي بن شاهك، فقد جهد في ارهاقه وتنكيله، وبالغ في أذاه، والتضييق عليه في مأكله ومشربه، وتكبيله بالقيود، وما رآه إلّا سبّه وشتمه، كلّ ذلك ليتقرّب لهارون وينال من دنياه.

ونعرض لما جرى عليه في هذا الدور الرهيب الذي هو آخر أدوار حياته وأقساها، كما نذكر بعض شؤونه الأُخرى كوصاياه وأوقافه، وغيرها ممّا يرتبط بالموضوع:

١ ـ محلّ سجنه

سجن عليه السلام في المحبس المعروف بدار المسيّب الواقع قرب باب الكوفة[1].

⇐ في تسويته بين القحطانيّة والعدنانيّة، وذكر الجهشياري في الوزراء والكتّاب: ١٨٨: أنّ السندي في أيّام الرشيد كان يلي الجسرين في بغداد، وأنّه وكّل بحراسة دور البرامكة لمّا أراد الرشيد الانتقام منهم.

وجاء في المصايد والمطارد: ٧، كان له ولدان: أحدهما الحسين والآخر إبراهيم، وأنّ حفيده كشاجم الشاعر المشهور والكاتب المعروف، إنّه من ألمع شخصيّات عصره في علمه وأدبه، وأفاد المحقّق القمّي في الكنى والألقاب: ٣: ٩٣: «أنّ كشاجم من شعراء أهل البيت عليهم السلام المجاهرين، وله قصائد في مدح آل محمّد، وذكر ابن شهرآشوب في مناقب آل أبي طالب أنّ الله انتقم من السندي في اليوم الذي توفّي فيه الإمام، فقد نفر به فرسه، وألقاه في نهر دجلة فمات فيه.

ولكنّ المسعودي ذكر في مروج الذهب: ٣: ٣٢٢ أنّه بقي إلى أيّام المأمون، وذكر له حديثاً يتعلّق في حصار بغداد.

(١) باب الكوفة: هو أحد الأبواب الأربعة الرئيسيّة لمدينة بغداد حينما بناها المنصور، ⇐

وفيه كانت وفاته (١)، وقال بعض المؤرّخين إنّه حبس في بيت السندي، وأنّه كان مع أهله وعياله، ولم نعلم أنّ دار السندي هل هي دار المسيّب أم غيرها؟

٢ـ التضييق عليه

وأمر الرشيد جلّاده السندي أنّ يضيق على الإمام، وأن يقيّده بثلاثين رطلاً من الحديد، ويقفل الباب في وجهه، ولا يدعه يخرج إلّا للوضوء(٢)، وامتثل بمحافظته بشّاراً مولاه، وكان من أشدّ الناس بغضاً لآل أبي طالب، ولكنّه لم يلبث أن تغيّر حاله، وثاب إلى طريق الحقّ، وذلك لما رآه من كرامات الإمام عليه السلام ومعاجزه، وقام ببعض الخدمات له(٣).

إنّ السندي لم يرع حرمة الإمام وتعرّض لاساءته، فقد حدّث أبو الأزهر بن ناصح البرجمي، قال: «اجتمعت مع ابن السكّيت(٤) في مسجد يقع بالقرب من دار

⇐ وقد بني على كلّ باب قبّة مذهّبة، وحولها مجالس ومرتفعات يجلس فيها فيشرف على كلّ ما يعمل به، وباب الكوفة هو الطريق الذي يسلك فيه إلى الحجّ، وكان باباً عظيماً لا يغلقه إلّا جماعة من الناس، ولما غرقت بغداد في فيضان ٣٣٠هـ هدمت طاقات باب الكوفة، جاء ذلك في دليل خارطة بغداد، وجاء في خارطة بغداد أنّ باب الكوفة تقع في قرية الوشّاش الحديثة في محلّة الكرخ، وسمعت من بعض الأفواه أنّ المحلّ الذي سجن فيه الإمام معروف عند بعض الأوساط البغدادية، وهو أحد قصور آل الباچچي.

(١) بحار الأنوار: ٤٨: ٢٣٩، نقله عن مناقب ابن شهرآشوب: ٣: ٤١٤.

(٢) الهداية الكبرى / الحسن بن حمدان الخصيبي: ٢٦٥.

(٣) بحار الأنوار: ٤٨: ٢٤١.

(٤) ابن السكّيت:

ـ بكسر السين وتشديد الكاف ـ: أبو يوسف، يعقوب بن إسحاق الدورقي الأهوازي الإمامي، النحوي، اللغوي. كان ثقة جليلاً من عظماء الشيعة، ويعدّ من خواصّ الإمامين النقيّين، وكان حامل لواء علم العربيّة والأدب والشعر. له تصانيف كثيرة، منها: ⇐

السندي ، فدارت بيننا مذاكرة في علم العربيّة ، وكان في الجامع رجل لا نعرفه ، فالتفت إلينا قائلاً : يا هؤلاء ، أنتم إلى إقامة دينكم أحوج منكم إلى إقامة ألسنتكم .

وأخذ الرجل يدلي علينا بالأدلّة الوافرة على ضرورة الإمامة ، ثمّ قال : ليس بينكم وبين امام العصر غير هذا الجدار ـ وأشار إلى جدار السندي ـ .

- لعلّك تعني هذا المحبوس ؟

- نعم .

يقول أبو الأزهر : فعرفنا الرجل من الشيعة ، وأنّه يذهب إلى الإمامة ، فقلنا له : قد سترنا عليك ، وطلبنا منه أن يذهب عنّا لئلّا نبتلي بسببه ، فانبرى الرجل لنا وقال : والله لا يفعلون ذلك أبداً ، والله ما قلت لكم إلّا بأمره ، وإنّه ليرانا ويسمع كلامنا ،

⇦ تهذيب الألفاظ ، وكتاب إصلاح المنطق .

قال ابن خلّكان : « قال بعض العلماء ما عبر على جسر بغداد كتاب من اللغة مثل إصلاح المنطق ، ولا شكّ أنّه من الكتب النافعة الممتعة الجامعة لكثير من اللغة ، ولا نعرف في حجمه مثله في بابه ، وقد عني به جماعة ، واختصره الوزير المغربي ، وهذّبه الخطيب التبريزي .

وقال ثعلب : أجمع أصحابنا أنّه لم يكن يعدّ ابن الأعرابي أعلم باللغة من ابن السكّيت ، قتله المتوكّل في خامس رجب سنة ٢٤٤هـ ، وسبب قتله أنّه قال له يوماً : أيّهما أحبّ إليك ابناي هذان ـ أي المعتزّ والمؤيّد ـ أم الحسن والحسين .

فقال ابن السكّيت : والله إنّ قنبر خادم عليّ بن أبي طالب عليه السلام خير منك ومن ابنيك .

فقال المتوكّل للأتراك : سلّوا لسانه من قفاه ، ففعلوا ذلك ، فمات .

ومن الغريب أنّه قبل قتله بقليل قال :

يُصابُ الفَتى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسانِهِ   وَلَيْسَ يُصابُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجلِ
فَعَثْرَتُهُ فِي الْقَوْلِ تُذْهِبُ رَأْسَهُ   وَعَثْرَتُهُ فِي الرِّجْلِ تَبْرَأُ عَنْ مَهْلِ

الكنى والألقاب : ١ : ٣٠٣ و ٣٠٤ .

ولو شاء أن يكون ثالثنا لكان.

يقول أبو الأزهر: وفي أثناء الحديث دخل علينا رجل من باب المسجد تكاد العقول أن تذهب لهيبته ووقاره، علمنا أنّه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، فبادرنا قائلاً: **أنا ذلِكَ الرَّجُلُ الَّذي حَدَّثَكُمْ عَنّي صاحِبي**، وفي الوقت أقبل السندي ومعه جماعة من شرطته فقال للإمام بغير حياء ولا خجل: يا ويحك! كم تخرج بسحرك وحيلتك من وراء الأبواب والأغلاق، فلو كنت هربت كان أحبّ إليّ من وقوفك هاهنا، أتريد يا موسى أن يقتلني الخليفة؟

قال: فقال موسى ونحن نسمع كلامه: **كَيْفَ أَهْرُبُ والله في أيديكم موقت لي يسوق إليها أقداره وَكَرامَتي** -أي نيلي الشهادة- **عَلىٰ أَيْديكُمْ**.

ثمّ أخذ بيد الإمام وأودعه السجن[1].

وهكذا كان يبتلي هذا الطاغية الإمام عليه السلام بكلّ ما يسوءه ويؤلمه ويزعجه، والإمام عليه السلام صابر محتسب قد كظم غيظه، وبثّ همومه وأشجانه إلى الله.

٣ـ تفرّغه عليه السلام للعبادة

وأقبل الإمام عليه السلام على عبادة الله، فكان يصوم في النهار، ويقوم في الليل، ويقضي أغلب أوقاته بالسجود والعبادة، لا يفتر عن ذكر الله، وقد ذكرنا حديث أخت السندي عن عبادته في الجزء الأوّل من هذا الكتاب، وأنّها لمّا رأت إقبال الإمام على الطاعة والعبادة أثّر ذلك في نفسها، وأصبحت من الصالحات، فكانت تعطف على الإمام وتقوم بخدمته، وإذا نظرت إليه أرسلت ما في عينيها من دموع وهي تقول: «خاب قوم تعرّضوا لهذا الرجل»[2].

---

(١) بحار الأنوار: ٤٨: ٢٣٨. مناقب آل أبي طالب: ٣: ٤١٥.

(٢) تاريخ بغداد: ١٣: ٣٣.

٤ ـ اتّصال العلماء به

واتّصل جماعة من العلماء والرواة بالإمام عليه السلام من طريق خفي ، فانتهلوا من نمير علومه ، فمنهم موسى بن إبراهيم المروزي ، وقد سمح له السندي بذلك لأنّه كان معلّماً لولده ، وقد ألّف موسى بن إبراهيم كتاباً ممّا سمعه من الإمام[1].

وقد ذكرنا ذلك عند عرض أصحابه ورواة حديثه .

واتّصل به هند بن الحجّاج وغيره من قادة الفكر الإسلامي ، كما دخل عليه في غلس الليل أبو يوسف ومحمّد بن الحسن[2].

وقد أرادا اختباره في بعض المسائل المهمّة ليطّلعا على مدى علمه ، ولمّا استقرّ بها المجلس جاء إلى الإمام بعض الموظّفين في السجن ، فقال له : إنّ نوبتي قد فرغت ، وأريد الانصراف ، فإن كانت لك حاجة فامرني أن آتيك بها غداً .

---

(١) رجال النجاشي : ٣١٩.

(٢) محمّد بن الحسن الشيباني :

مولاهم الكوفي الفقيه . ولد بواسط ، ونشأ بالكوفة ، أخذ الفقه من أبي يوسف ثمّ من أبي حنيفة ، وسمع مالك بن أنس ، وأخذ عنه الشافعي وأبو عبيد ، وكان فقيهاً ، محدّثاً . النجوم الزاهرة : ٢ : ١٣٠ .

وفي انباه الرواة : ٢ : ٢٦٨ أنّه توفّي سنة ١٨٠هـ ، وقيل : سنة ١٨٣هـ ، توفّي هو والكسائي في يوم واحد ، ودفنهما الرشيد ، وقال اليوم دفنت الفقه والنحو ، ورثاهما اليزيدي بقصيدة جاء فيها :

تَصَرَّمَتِ الدُّنيا فَلَيسَ خُلودُ ... وَما قَدْ تَرىٰ مِنْ بَهجَةٍ سَيَبيدُ
سَيُفْنيكَ ما أَفْنى القُرونَ الَّتي مَضَتْ ... فَكُنْ مُسْتَعِداً فَالفَناءُ عَتيدُ
أَسِيتُ عَلىٰ قاضي القُضاةِ مُحَمَّدٍ ... فَأَذْرَيتُ دَمْعي وَالفُؤادُ عَميدُ
وَقُلتُ إذا ما الخَطْبُ أَشْكَلَ مَنْ لَنا ... بِإيضاحِهِ يَوماً وَأَنْتَ فَقيدُ
وَأَوْجَعَني مَوتُ الكِسائيِّ بَعدَهُ ... وَكادَتْ بِيَ الأَرْضُ الفَضاءُ تَميدُ

فقال عليه السلام : **ليس لي حاجة ، انصرف** ، فلمّا انصرف التفت عليه السلام إلى أبي يوسف وصاحبه فقال لهما : **إنّي لأعجب من هذا الرجل يسألني أن أكلّفه حاجة يأتيني بها غداً إذا جاء وهو ميّت في هذه الليلة** ، فأمسكا عن سؤاله وقاما ، وقد استولى عليهما الذهول وجعل كلّ واحد منهما يقول لصاحبه : أردنا أن نسأله عن الفرض والسنّة ، فأخذ يتكلّم معنا في علم الغيب ! والله لنرسلنّ خلف الرجل من يبيت على باب داره لينظر ماذا يكون من أمره ؟

وأرسلا في الوقت شخصاً فجلس على باب دار الرجل يراقبه ، فلمّا استقرّ في مكانه سمع الصراخ والعويل قد علا من الدار ، فسأل عن الحادث ، فأُخبر بأنّ الرجل قد توفّي ، فقام مبادراً وأخبرهما بالأمر ، فتعجّبا من علم الإمام عليه السلام .

وقد روى هذه القصّة الكثيرون من رواة الأثر[1] .

وهي إن دلّت على شيء فإنّما تدلّ على علم الإمام بالمغيّبات ، وانكشاف الحجاب له ، وهذا ما تعتقده الشيعة في الإمام ، وقد أقامت على ذلك الأدلّة الوافرة .

إنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام قد أخبروا بالملاحم والأمور الغيبيّة التي تحقّقت جميعها ، وأنّهم من دون شكّ ورثة علم النبيّ صلى الله عليه وآله ، قد ألهمهم الله جميع أنواع العلوم ، وأطلعهم على خفايا الأمور .

٥ ـ إرسال الفتاوى إليه

وكانت بعض الأقاليم الإسلاميّة التي تدين بالإمامة ترسل عنها مبعوثاً خاصّاً إلى

---

(١) نور الأبصار : ١٢٦ و ١٢٧ . الاتحاف بحبّ الأشراف : ٥٧ و ٥٨ . بحار الأنوار : ٤٨ : ٦٥ .

وجاء فيه زيادة على ذلك أنّهما رجعا إلى الإمام فقالا له : « قد علمنا أنّك أدركت العلم في الحلال والحرام ، فمن أين أدركت أمر هذا الرجل الموكّل بك أنّه يموت في هذه الليلة ؟

فقال عليه السلام : **مِنَ الْبابِ الَّذي عَلَّمَهُ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله عَلِيَّ بْنَ أَبي طالِبٍ** ، فلمّا ردّ عليهما بذلك بقيا حائرين لا يطيقان الجواب ، وكذلك ذكره الإربلي في كشف الغمّة : ٣ : ٤٢ .

الإمام عليه السلام حينما كان في سجن السندي فتزوّده بالفتاوى والرسائل ، فكان عليه السلام يجيبهم عنها ، وممّن جاءه عليّ بن سويد ، فقد اتّصل بالإمام وسلّم إليه الكتب والفتاوى ، فأجابه عليه السلام عنها ، وسوف نذكر حديثه .

٦ - نصب الوكلاء

وأقام الإمام عليه السلام جماعة من تلاميذه وأصحابه ، فجعلهم وكلاء له في بعض المناطق الإسلاميّة ، وأرجع إليهم شيعته لأخذ الأحكام الدينيّة منهم ، كما وكّلهم في قبض الحقوق الشرعيّة ، لصرفها على الفقراء والبائسين من الشيعة ، وإنفاقها في وجوه البرّ والخير .

فقد نصب المفضّل بن عمر وكيلاً له في قبض الحقوق ، وأذن له في صرفها على مستحقّيها .

وكذلك أقام له كلاً من حيّان السرّاج وزياد بن مروان القندي وعليّ بن أبي حمزة وغيرهم .

وقد وصلت لهؤلاء أموال ضخمة من الشيعة ، إلّا أنّهم خانوا الله ورسوله ، فاشتروا بها الضياع والقصور ، وذهبوا إلى الوقف ، وأنكروا إمامة الرضا عليه السلام .

٧ - تعيينه لولي عهده

ونصب الإمام عليه السلام من بعده ولده الإمام الرضا عليه السلام ، فجعله علماً لشيعته ، ومرجعاً لأمّة جدّه ، فقد حدّث الحسين بن المختار ، قال : « لمّا كان الإمام موسى عليه السلام في السجن خرجت لنا ألواح من عنده وقد كتب فيها : **عَهْدي إلىٰ أكْبَرِ وَلَدي** »[1] .

لقد عيّن ولده الرضا من بعده ، وذلك قبل أن يعتقله الطاغية هارون ، وقلّده

---

(١) بحار الأنوار : ٤٩ : ١٩ . أصول الكافي : ١ : ٣١٣ . عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ : ٣٩ و ٤٠ .

منصب الإمامة ، ودلّ عليه الخواصّ من شيعته .

فقد روى حيدر بن أيّوب ، عن محمّد بن زيد بن عليّ بن الحسين ، قال : « دعانا أبو إبراهيم ونحن سبعة عشر من ولد عليّ وفاطمة عليهما السلام ، فأشهدنا لعليّ ابنه بالوصيّة والوكالة في حياته وبعد موته »[1] .

لقد بيّن عليه السلام لهم الحجّة من بعده ، ولم يهمل أمر الإمامة ، فهدى الشيعة إلى طريق الحقّ والصواب .

٨ـ وصيّته عليه السلام

وأوصى الإمام عليه السلام ولده الإمام الرضا عليه السلام ، وعهد إليه بالأمر من بعده ، وقد أوصاه بوصيّتين ، وهما يتضمّنان ولايته على صدقاته ، ونيابته عنه في شؤونه الخاصّة والعامّة ، وقد أشهد عليهما جماعة من المؤمنين .

أمّا الوصيّة الأُولى فلم أعثر عليها ، وأمّا الثانية فقد ذكرها جماعة من الأعلام ، وقبل أن يدلي بها ويسجّلها أمر بإحضار الشهود ، وهم كلّ من : إبراهيم بن محمّد الجعفري ، وإسحاق بن محمّد الجعفري ، وإسحاق بن جعفر بن محمّد ، وجعفر بن صالح ، ومحمّد الجعفري ، ويحيى بن الحسين بن زيد ، وسعد بن عمران الأنصاري ، ومحمّد بن الحارث الأنصاري ، ويزيد بن سليط الأنصاري ، ومحمّد بن جعفر بن سعد الأسلمي ـ وهو كاتب وصيّته الأُولى ـ .

فلمّا حضر هؤلاء ، شرع عليه السلام بذكر وصيّته ، وهذا نصّها : **إنَّ مُوسىٰ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَريكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسولُهُ ، وَأَنَّ السّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فيها ، وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ في الْقُبورِ ، وَأَنَّ الْبَعْثَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ**

---

(١) زيد الشهيد : ١٩٩.

حَقٌّ ، وَأَنَّ الْوَعْدَ حَقٌّ ، وَأَنَّ الْحِسابَ حَقٌّ ، وَالْقَضاءَ حَقٌّ ، وَأَنَّ الْوقوفَ بَيْنَ يَدَي اللهِ حَقٌّ ، وَأَنَّ ما جاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ ، وَأَنَّ ما نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمينُ حَقٌّ . عَلىٰ ذلِكَ أَحْيىٰ وَعَلَيْهِ أَمُوتُ ، وَعَلَيْهِ أُبْعَثُ إِنْ شاءَ اللهُ .

وَأُشْهِدُهُمْ أَنَّ هٰذِهِ وَصِيَّتي بِخَطِّي ، وَقَدْ نَسَخْتُ وَصِيَّةَ جَدّي أَميرِ الْمُؤْمِنينَ عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ عليه السلام ، وَوَصِيَّةَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قَبْلَ ذلِكَ نَسَخْتُها حَرْفاً بِحَرْفٍ ، وَوَصِيَّةَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلىٰ مِثْلِ ذلِكَ ، وَإِنّي قَدْ أَوْصَيْتُ بِها إِلىٰ عَلِيٍّ وَبَنِيَّ بَعْدَهُ مَعَهُ إِنْ شاءَ وَآنَسَ مِنْهُمْ رُشْداً ، وَأُحِبَّ أَنْ يُقِرَّهُمْ فَذاكَ لَهُ ، وَلا أَمْرَ لَهُمْ مَعَهُ ، وَأَوْصَيْتُ إِلَيْهِ بِصَدَقاتي وَأَمْوالي وَمَوالِيَّ وَصِبْياني الَّذينَ خَلَّفْتُ ، وَوَلَدي إِلىٰ إِبْراهِيمَ وَالْعَبّاسِ وَقاسِمٍ وَإِسْماعيلَ وَأَحْمَدَ وَأُمِّ أَحْمَدَ ، وَإِلىٰ عَلِيٍّ أَمْرُ نِسائي دونَهُمْ ، وَثُلُثُ صَدَقَةِ أَبي ، وَثُلُثي يَضَعُهُ حَيْثُ يَرىٰ ، وَيَجْعَلُ فيهِ ما يَجْعَلُ ذو الْمالِ في مالِهِ ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَبيعَ أَوْ يَهَبَ أَوْ يَنْحَلَ أَوْ يَتَصَدَّقَ بِها عَلىٰ مَنْ سَمَّيْتُ لَهُ ، وَعَلىٰ غَيْرِ مَنْ سَمَّيْتُ فَذاكَ لَهُ .

وَهُوَ أَنا في وَصِيَّتي في مالي ، وَفي أَهْلي وَوَلَدي ، وَإِنْ يَرى أَنْ يُقِرَّ إِخْوَتَهُ الَّذينَ سَمَّيْتَهُمْ في كِتابي هٰذا أَقَرَّهُمْ ، وَإِنْ كَرِهَ فَلَهُ أَنْ يُخْرِجَهُمْ غَيْرَ مَثْرَبٍ عَلَيْهِ[1] وَلا مَرْدودٌ ، فَإِنْ آنَسَ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذي فارَقْتُهُمْ عَلَيْهِ فَأَحَبَّ أَنْ يَرُدَّهُمْ في وَلايَةٍ فَذاكَ لَهُ ، وَإِنْ أَرادَ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ يُزَوِّجَ أُخْتَهُ فَلَيْسَ لَهُ

---

(١) مثرب : مأخوذ من التثريب ، وهو التوبيخ والتعيير .

أَنْ يُزَوِّجَها إِلّا بِإِذْنِهِ وَأَمْرِهِ ، فَإِنَّهُ أَعْرَفُ بِمَناكِحِ قَوْمِهِ ، وَأَيُّ سُلْطانٍ أَوْ أَحَدٍ مِنَ النّاسِ كَفَّهُ عَنْ شَيْءٍ أَوْ حالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَيْءٍ مِمّا ذَكَرْتُ فَهُوَ مِنَ اللهِ وَمِنْ رَسولِهِ بَرِيءٌ ، وَاللهُ وَرَسولُهُ مِنْهُ بُراءٌ ، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَغَضَبُهُ وَلَعْنَةُ اللّاعِنينَ وَالْمَلائِكَةِ الْمُقَرَّبينَ وَالنَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلينَ وَجَماعَةِ الْمُؤْمِنينَ ، وَلَيْسَ لأَحَدٍ مِنَ السَّلاطِينِ أَنْ يَكُفَّهُ عَنْ شَيْءٍ ، وَلَيْسَ لي عِنْدَهُ تَبِعَةٌ ، وَلَا تَباعَةٌ ، وَلا لأَحَدٍ مِنْ وَلَدي وَلَهُ قِبلي مالٌ ، فَهُوَ مُصَدَّقٌ فيما ذَكَرَ ، فَإِنْ أَقَلَّ فَهُوَ أَعْلَمُ ، وَإِنْ أَكْثَرَ فَهُوَ الصّادِقُ كَذلِكَ .

وَإِنّما أَرَدْتُ بِإِدْخالِ الَّذينَ أَدْخَلْتُهُمْ مَعَهُ مِنْ وَلَدي التَّنْوِيهَ بِأَسْمائِهِمْ ، وَالتَّشْريفَ لَهُمْ ، وَأُمَّهاتُ أَوْلادي مَنْ أَقامَتْ مِنْهُنَّ في مَنْزِلِها وَحِجابِها فَلَها ما كانَ يَجْري عَلَيْها في حَياتي ، إِنْ رَأىٰ ذلِكَ ، وَمَنْ خَرَجَتْ مِنْهُنَّ إِلىٰ زَوْجٍ فَلَيْسَ لَها أَنْ تَرْجِعَ إِلىٰ مَحْوايَ[1] ، إِلّا أَنْ يَرىٰ عَلِيٌّ غَيْرَ ذلِكَ ، وَبَناتي بِمِثْلِ ذلِكَ ، وَلَا يُزَوِّجُ بَناتي أَحَدٌ مِنْ إِخْوَتِهِنَّ مِنْ أُمَّهاتِهِنَّ ، وَلَا سُلْطانٌ وَلَا عَمٌّ إِلّا بِرَأْيِهِ وَمَشورَتِهِ ، فَإِنْ فَعَلوا غَيْرَ ذلِكَ فَقَدْ خالَفوا اللهَ وَرَسولَهُ ، وَجاهَدوهُ في مُلْكِهِ ، وَهُوَ أَعْرَفُ بِمَناكِحِ قَوْمِهِ ، فَإِنْ أَرادَ أَنْ يُزَوِّجَ زَوَّجَ ، وَإِنْ أَرادَ أَنْ يَتْرُكَ تَرَكَ ، وَقَدْ أَوْصَيْتُهُنَّ بِما ذَكَرْتُ في كِتابي هٰذا ، وَجَعَلْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِنَّ شَهيداً ، وَهُوَ وَأُمُّ أَحْمَدَ شاهِدانِ وَلَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يَكْشِفَ وَصِيَّتي ، وَلَا يَنْشُرَها ، وَهُوَ مِنْها عَلىٰ غَيْرِ

---

(١) المحوى : اسم المكان الذي يحوي الشيء ، أي يضمّه ويجمعه .

ما ذَكَرْتُ وَسَمَّيْتُ ، فَمَنْ أساءَ فَعَلَيْهِ ، وَمَنْ أَحْسَنَ فَلِنَفْسِهِ ، وَما رَبُّكَ بِظَلّامٍ لِلْعَبيدِ ، وَصَلَّى اللهُ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، وَلَيْسَ لأَحَدٍ مِنْ سُلْطانٍ وَلا غَيْرِهِ أَنْ يَفُضَّ كِتابي هٰذَا الَّذي خَتَمْتُ عَلَيْهِ الأَسْفَلَ ، فَمَنْ فَعَلَ ذٰلِكَ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَغَضَبُهُ وَلَعْنَةُ اللاعِنينَ ، وَالْمَلائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ ، وَجَماعَةِ الْمُرْسَلينَ وَالْمُؤْمِنينَ ، وَعَلىٰ مَنْ فَضَّ كِتابي هٰذا »[١].

ووقّع عليه السلام الوصيّة وختمها ، وكذلك وقّع عليها الشهود السالفة أسماؤهم ، وقد دلّت بوضوح على أنّ وصيّه والحجّة من بعده ولده الإمام الرضا عليه السلام ، فقد فوّض إليه جميع شؤونه ، وألزم أبناءه باتّباعه والانصياع لأوامره ، كما أمر عليه السلام أن يكون زواج كريماته بيد الإمام الرضا عليه السلام وتحت مشورته ورأيه ، فإنّه أعرف بمناكح قومه من غيره ، فإنّهنّ ودائع رسول الله صلى الله عليه وآله وكريماته ، فينبغي أن لا يتزوّجن إلّا بمؤمن تقي يعرف مكانتهنّ ، ويقدّر منزلتهنّ ، ولا يعرف الكفوء لهنّ إلّا ولده الرضا .

وأكبر الظنّ أنّه إنّما أمر بإخفاء وصيّته وعدم ذيوعها خوفاً على ولده من السلطة العبّاسيّة التي لم تأل جهداً في محاربة الأئمّة وإرهاقهم ، فأراد عليه السلام إخفاءها خوفاً على ولده من نقمتهم وتنكيلهم به .

وذكر اليعقوبي أنّ الإمام أوصى أن لا تتزوّج بناته من بعده ، فلم تتزوّج واحدة منهنّ إلّا أمّ سلمة ، فإنّها تزوّجت بمصر ، تزوّجها القاسم بن محمّد بن جعفر بن محمّد ، فجرى في هذا بينه وبين أهله شيء شديد حتّى حلف أنّه ما كشف لها كنفاً ، وأنّه ما أراد إلّا أن يحجّ بها[٢].

وهذا القول لا يمكن المساعدة عليه بوجه من الوجوه ، فإنّ وصيّة الإمام عليه السلام التي

---

(١) أصول الكافي : ١ : ٣١٦ و ٣١٧. بحار الأنوار : ٤٩ : ٢٢٤ و ٢٢٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي : ٢ : ٤١٥.

ذكرناها لم تنصّ على منع بناته من الزواج ، وإنّما جعلت أمر ذلك بيد الإمام الرضا عليه السلام ، وهذا القول من الغرابة بمكان ، لم يذكره أحد سواه وهو من الموضوعات إذ كيف يمنع الإمام بناته من الاقتران الذي حثّ عليه الإسلام وندب إليه .

٩ ـ أوقافه وصدقاته عليه السلام

وتصدّق الإمام عليه السلام ببعض أراضيه على أولاده ، وسجّل ذلك في وثيقة وألزم أبناءه بتنفيذ مضامينها ، والعمل على وفقها . كتب عليه السلام بعد البسملة ما نصّه :

هٰذا ما تَصَدَّقَ بِهِ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ ، تَصَدَّقَ بِأَرْضِهِ مَكانَ كَذا وَكَذا ـ وقد عيّن ذلك ـ **كُلِّها ، نَخْلِها وَأَرْضِها ، وَمائِها وَأَرْجائِها ، وَحُقوقِها وَشِرْبِها من الْماءِ ، وَكُلِّ حَقٍّ هُوَ لَها في مَرْفَعٍ[١] ، أَوْ مَظْهَرٍ[٢] ، أَوْ عِيصٍ[٣] ، أَوْ مَرْفَقٍ ، أَوْ ساحَةٍ ، أَوْ مَسيلٍ ، أَوْ عامِرٍ ، أَوْ غامِرٍ[٤] تَصَدَّقَ بِجَميعِ حَقِّهِ مِنْ ذلِكَ عَلىٰ وَلَدِهِ مِنْ صُلْبِهِ الرِّجالِ وَالنِّساءِ يَقْسِمُ واليها ما أَخْرَجَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ غِلَّتِها بَعْدَ الَّذي يَكْفيها مِنْ عِمارَتِها وَمَرافِقِها وَبَعْدَ ثَلاثِينَ عِذْقاً يُقْسَمُ في مَساكينِ أَهْلِ الْقَرْيَةِ ، بَيْنَ وَلَدِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ، فَإِنْ تَزَوَّجَتِ امْرَأَةٌ مِنْ وَلَدِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ فَلا حَقَّ لَها في هٰذِهِ الصَّدَقَةِ حَتّىٰ تَرْجِعَ إِلَيْها بِغَيْرِ زَوْجٍ ، فَإِنْ رَجَعَتْ كانَ لَها مِثْلُ حَظِّ الَّتي**

---

(١) المرفع : المكان المرتفع .

(٢) المظهر : ما ارتفع من الأرض .

(٣) العيص ـ بالكسر ـ : الشجر الكثير .

(٤) الغامر : الأرض الخراب .

لَمْ تَتزَوَّجْ مِنْ بَناتِ مُوسىٰ.

وَمَنْ تُوُفِّي مِنْ وَلَدِ مُوسى وَلَهُ وَلَدٌ، فَوَلَدُهُ عَلىٰ سَهْمِ أبيهِمْ، لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ عَلىٰ مِثْلِ ما شَرَطَ مُوسىٰ بَيْنَ وَلَدِهِ مِنْ صُلْبِهِ، وَمَنْ تُوُفِّيَ مِنْ وَلَدِ مُوسىٰ وَلَمْ يَتْرُكْ وَلَداً رُدَّ حَقُّهُ عَلىٰ أهْلِ الصَّدَقَةِ، وَلَيْسَ لِـوَلَدِ بَناتِي في صَدَقَتي هٰذِهِ حَقٌّ، إلّا أنْ يَكونَ آباؤُهُمْ مِنْ وَلَدي وَلَيْسَ لأحَدٍ في صَدَقَتي حَقٌّ مَعَ وَلَدي وَولَدِ وَلَدي وَأعْقابِهِمْ ما بَقِيَ مِنْهُمْ أحَدٌ، فَإنِ انْقَرَضوا وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أحَدٌ فَصَدَقَتي عَلىٰ وَلَدِ أبي مِنْ أمّي ما بَقِيَ مِنْهُمْ أحَدٌ، ما شَرَطْتُ بَيْنَ وَلَدي وَعَقبي، فَإنِ انْقَرَضَ وَلَدُ أبي مِنْ أمّي وَأوْلادُهُمْ فَصَدَقَتي عَلىٰ وَلَدِ أبي وَأعْقابِهِمْ ما بَقِيَ مِنْهُمْ أحَدٌ، فَإنْ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أحَدٌ فَصَدَقَتي عَلَى الأولىٰ فَالْأَوْلىٰ حَتّىٰ يَرِثَ اللهُ الَّذي يَرِثُها وَهُوَ خَيْرُ الْوارِثينَ.

تَصَدَّقَ مُوسى بْنُ جَعْفَرٍ بِصَدَقَتِهِ هٰذِهِ وَهُوَ صَحيحٌ، صَدَقَةً حَبِيساً بَتّاً بَتْلاً لا مَثْنَوِيَّةَ فيها[1]، وَلا رَدّاً إلّا ابْتِغاءَ وَجْهِ اللهِ تَعالَى وَالدّارِ الْآخِـرَةِ، وَلا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أنْ يَبيعَها أوْ يَبْتاعَها أوْ يَنْحِلَها، أوْ يُغَيِّرَ شَيْئاً مِمّا وَضَعْتُها عَلَيْهِ حَتّىٰ يَرِثَ اللهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْها، وَجَعَلَ صَدَقَتَهُ هٰذِهِ إلىٰ عَلِيٍّ وَإبْراهيمَ، فَإنِ انْقَرَضَ أحَدُهُما دَخَلَ الْقِسْمُ مَعَ الْباقي في مَكانِهِ، فَإنِ انْقَرَضَ أحَدُهُما دَخَلَ إسْماعيلُ مَعَ الْباقي مِنْهُما، فَإنِ انْقَرَضَ

---

(١) لا مثنوية فيها: أي لا استثناء.

أَحَدُهما دَخَلَ الْعَبّاسُ مَعَ الْباقي مِنْهُما ، فَإِنِ انْقَرَضَ أَحَدُهُما فَالْأَكْبَرُ مِنْ وَلَدي يَقومُ مَقامَهُ ، فَإِنْ لَمْ يَبْقَ مِنْ وَلَدي إِلّا واحِدٌ فَهُوَ الَّذي يَقومُ بِهِ »[1].

إنّ هذا الوقف الذري هو بعض مبرّاته وخيراته ، وقد خصّ به أبناءه وذرّيّته لأجل أن تقوم تلك الغلّة بشؤونهم وتغنيهم عمّا في أيدي الناس .

١٠ - ترفّعه عن المطالبة بإطلاقه

وبعد ما مكث الإمام عليه السلام زماناً طويلاً في سجن هارون تكلّم معه جماعة من خواصّ شيعته فطلبوا منه أن يتكلّم مع بعض الشخصيّات المقرّبة عند الرشيد ليتوسّط في إطلاق سراحه ، فامتنع عليه السلام وترّفع عن ذلك وقال لهم :

حَدَّثني أبي ، عَنْ آبائِهِ : أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحىٰ إِلىٰ داودَ : يا داودُ ، إِنَّهُ ما اعْتَصَمَ عَبْدٌ مِنْ عِبادي بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقي دوني ، وَعَرَفْتُ ذٰلِكَ مِنْهُ ، إِلّا قَطَعْتُ عَنْهُ أَسْبابَ السَّماءِ ، وَأَسَخْتُ الأَرْضَ مِنْ تَحْتِهِ[2].

ودلّت هذه البادرة على مدى إيمانه بالله ، وانقطاعه إليه ، ورضائه بقضائه ، وترفّعه من سؤال أي أحد من المخلوقين .

١١ - كتابه عليه السلام لهارون

وأرسل الإمام عليه السلام وهو في السجن رسالة لهارون أعرب فيها عن سخطه البالغ عليه ، وهذا نصّها :

إِنَّهُ لَنْ يَنْقَضِيَ عَنّي يَوْمٌ مِنَ الْبَلاءِ حَتّىٰ يَنْقَضِيَ عَنْكَ يَوْمٌ مِنَ الرَّخاءِ ،

---

(١) بحار الأنوار : ٤٨ : ٢١٨ ، الحديث ٢ .

(٢) تاريخ اليعقوبي : ٢ : ٤١٤ .

حَتّىٰ يَفْضي بِنا ذٰلِكَ إِلىٰ يَوْمٍ يَخْسَرُ فيهِ الْمُبْطِلونَ، إِلىٰ يَـوْمٍ لَـيْسَ لَـهُ انْقِضاءٌ، وَهُناكَ يَخْسَرُ الْمُبْطِلونَ»[1].

ودلّت هذه الرسالة على مدى الآلام المرهقة التي حلّت به، وجزعه من السجن، وأنّه سيحاكم خصمه الطاغي عند الله تعالى في يوم يخسر به المبطلون والظالمون.

١٢ - إرسال جارية له

وأنفذ هارون إلى الإمام عليه السلام جارية وضّاءة بارعة في الجمال والحسن، أرسلها بيد أحد خواصّه لتتولّى خدمة الإمام ظانّاً أنّه سيفتتن بها، فلمّا وصلت إليه قال عليه السلام لمبعوث هارون: **قُلْ لِهارونَ: بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحونَ**[2]**، لا حاجَةَ لي في هٰذِهِ وَلا في أَمْثالِها.**

فرجع الرسول ومعه الجارية، وأبلغ هارون قول الإمام، فالتاع غضباً وقال له: ارجع إليه وقل له: ليس برضاك حبسناك، ولا برضاك أخدمناك، واترك الجارية عنده وانصرف.

فرجع ذلك الشخص وترك الجارية عند الإمام وأبلغه بمقالته، وأنفذ هارون خادماً له إلى السجن ليتفحّص عن حال الجارية، فلمّا انتهى إليها رآها ساجدة لربّها لا ترفع رأسها وهي تقول في سجودها: «قدّوس قدّوس»، فمضى الخادم مسرعاً فأخبره بحالها، فقال هارون: سحرها والله موسى بن جعفر، عليَّ بها.

فجيء بها إليه وهي ترتعد قد شخصت ببصرها نحو السماء، وهي تذكر الله وتمجّده، فقال لها هارون: ما شأنك؟

---

(١) البداية والنهاية: ١٠: ١٩٧ و ١٩٨. كشف الغمّة: ٣: ٣. بحار الأنوار: ٤٨: ١٤٨. تاريخ بغداد: ١٣: ٣٣. تهذيب الكمال: ٢٩: ٥٠.

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ النمل ٢٧: ٣٦.

- شأني الشأن البديع ، إنّي كنت عنده واقفة ، وهو قائم يصلّي ليلته ونهاره ، فلمّا انصرف من صلاته قلت له : هل لك حاجة أعطيكها ؟

فقال الإمام : **وَما حاجَتي إِلَيْكِ ؟**

قلت : إني أُدخلت عليك لحوائجك .

قال الإمام : **فَما بالُ هٰؤلاءِ** ـ وأشار بيده إلى جهة ـ فالتفت ، فإذا روضة مزهرة لا أبلغ آخرها من أوّلها بنظري ، ولا أوّلها من آخرها ، فيها مجالس مفروشة بالوشي والديباج ، وعليها وصائف ووصايف لم أرَ مثل وجوههم حسناً ، ولا مثل لباسهم لباساً ، عليهم الحرير الأخضر ، والأكاليل والدرّ والياقوت ، وفي أيديهم الأباريق والمناديل ، ومن كلّ الطعام ، فخررت ساجدة حتّى أقامني هذا الخادم ، فرأيت نفسي حيث كنت .

فقال لها هارون وقد أُترعت نفسه بالحقد : يا خبيثة ، لعلّك سجدت فنمت فرأيت هذا في منامك ؟

- لا والله يا سيّدي ، رأيت هذا قبل سجودي ، فسجدت من أجل ذلك .

فالتفت الرشيد إلى خادمه ، وأمره باعتقال الجارية ، وإخفاء الحادث لئلّا يسمعه أحد من الناس ، فأخذها الخادم واعتقلها عنده ، فأقبلت على العبادة والصلاة ، فإذا سئلت عن ذلك قالت : هكذا رأيت العبد الصالح ، وقالت : إنّي لمّا عاينت من الأمر نادتني الجواري : يا فلانة ، ابعدي عن العبد الصالح حتّى ندخل عليه ، فنحن له دونك ، وبقيت عاكفة على العبادة حتّى لحقت بالرفيق الأعلى [١] .

لقد كان هارون يشاهد أنواع الكرامات من الإمام عليه السلام ، ولكنّه لم يؤمن بها لأنّه قد زاغ قلبه ، واستولت على نفسه دكنة قاتمة أنسته ذكر الله وأبعدته عن اليوم الآخر .

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٣ : ٤١٦ . مدينة المعاجز : ٦ : ٤٢٤ . بحار الأنوار : ٤٨ : ٢٣٨ و ٢٣٩ .

١٣ ـ فشل اغتياله عليه السلام

ولمّا انتشرت مناقب الإمام عليه السلام وفضائله، وتحدّث الناس عن علمه وحلمه، وصبره وبلواه، ضاق هارون من ذلك، فعزم على قتله، فدعا برطب فأكل منه، ثمّ أخذ إناءاً فوضع فيه عشرين رطبة، وأخذ سكّيناً فعركه في السمّ، وأدخله في سمّ الخياط، وأخذ رطبة من ذلك الرطب فوضع فيها ذلك السلك وأخرجه منها حتّى تكلّلت بالسمّ، ووضعها في ذلك الرطب، وقال لخادمه: احمله إلى موسى بن جعفر، وقل له: إنّ أمير المؤمنين أكل من هذا الرطب، ولا تتركه يبقي منه شيئاً، ولا يُطعم منه أحداً.

فحمل الخادم الرطب وجاء به إلى الإمام، وأبلغه برسالة هارون، فأمره عليه السلام أن يأتيه بخلال، فجاء به إليه، وقام بازائه، فأخذ الإمام يأكل من الرطب، وكانت للرشيد كلبة عزيزة عنده، فجذبت نفسها وخرجت تجرّ بسلاسلها الذهبيّة حتّى حاذت الإمام، فبادر عليه السلام بالخلال إلى الرطبة المسمومة ورمى بها إلى الكلبة، فأكلتها فلم تلبث أن ضربت بنفسها الأرض وماتت، واستوفى الإمام باقي الرطب وحمل الغلام الإناء إلى الرشيد، فلمّا رآه بادره قائلاً: قد أكل الرطب عن آخره؟

- نعم يا أمير المؤمنين.

- كيف رأيته؟

- ما أنكرت منه شيئاً، ثمّ قصّ عليه حديث الكلبة وموتها، فاضطرب الرشيد وقام بنفسه فأشرف عليها فرآها وقد تهرّأت وتقطّعت من السم، فوقف مذهولاً قد مشت الرعدة بأوصاله، وقال: ما ربحنا من موسى إلّا أن أطعمناه جيّد الرطب، وضيّعنا سمّنا، وقتلنا كلبتنا، ما في موسى حيلة»[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٤٨: ٢٢٤.

لقد باء بالفشل والخيبة فلم تنجح محاولته في اغتيال الإمام عليه السلام ، فأنقذه الله منه وصرف عنه السوء .

١٤ـ توسّط يحيى في إطلاقه

ولمّا انتشرت معاجز الإمام ومناقبه تحيّر هارون من أمره ، فكلّ وسيلة يسلكها للقضاء عليه تبوء بالفشل ، فاستدعى وزيره يحيى بن خالد ، فقال له : يا أبا عليّ ، أما ترى ما نحن فيه من هذه العجائب ؟ ألا تدبر في أمر هذا الرجل تدبيراً تريحنا من غمّه .

فأشار عليه بالصواب وأرشده إلى الخير ، فقال له : الذي أراه لك يا أمير المؤمنين أن تمنّ عليه وتصل رحمه ، فقد والله أفسد علينا قلوب شيعتنا .

فاستجاب الرشيد لنصحه ، وقال له : انطلق إليه وأطلق عنه الحديد ، وأبلغه عنّي السلام ، وقل له : يقول لك ابن عمّك : إنّه قد سبق منّي فيك يمين أنّي لا أخليك حتّى تقرّ لي بالإساءة ، وتسألني العفو عمّا سلف منك ، وليس عليك في إقرارك عار ، ولا في مسألتك إيّاي منقصة ، وهذا يحيى بن خالد ثقتي ووزيري وصاحب أمري ، فاسأله بقدر ما أخرج من يميني .

وقد أراد هارون بذلك أن يأخذ من الإمام اعترافاً بالإساءة والذنب ليصدر مرسوماً ملكيّاً بالعفو عنه ، فيتّخذ من ذلك وسيلة إلى التشهير به ، كما أنّه يكون مبرّراً في نفس الوقت على سجنه له ، ولم يخف على الإمام عليه السلام ذلك ، فإنّه لمّا مثل يحيى عنده وأخبره بمقالة هارون انبرى إليه أوّلاً ، فأخبره بما يجري عليه وعلى أسرته من زوال النعمة على يد هارون ، وحذّره من بطشه ، ثمّ ردّ ثانياً على مقالة هارون ، فقال له :

يا أبا عَلِيٍّ ، أبْلِغْهُ عَنّي ، يَقولُ لَكَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ يَأْتي رَسولي يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَيُخْبِرُكَ بِما تَرىٰ -أي بموته - **وَسَتَعْلَمُ غَداً إذا جاثَيْتُكَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ مَنِ الظّالِمُ وَالْمُعْتَدي عَلىٰ صاحِبِهِ ؟**

يا لمهزلة الزمن من فقدان المقاييس ، وضياع الحقيقة ، أمثل الإمام موسى عليه السلام فريد عصره في تقواه وورعه يريد أن يلبسه هارون ثوب الإساءة إليه ، ويتبرّأ من الذنب .

وخرج يحيى وهو لا يبصر طريقه من الألم والجزع قد احمرّت عيناه من البكاء لما رأى الإمام عليه السلام بتلك الحالة ، فأخبر هارون بمقالته ، فقال مستهزئاً وساخراً : إن لم يدع النبوّة بعد أيّام فما أحسن حالنا ؟ !

ولم تمض الجمعة حتّى التحق الإمام بالرفيق الأعلى ، فكان كما أخبر عليه السلام(١) .

١٥ ـ الإمام ينعى نفسه

ولمّا علم الإمام موسى عليه السلام أنّ لقاءه بربّه لقريب نعى نفسه لبعض شيعته ، وعزّاهم بمصيبته ، وأوصاهم بالتمسّك بالعروة الوثقى من آل محمّد صلى الله عليه وآله ، وذلك في جوابه عن المسائل التي بعثها عليّ بن سويد ، فقد حدّث أنّه بعث له حينما كان في السجن ببعض المسائل يسأله عنها ، فتأخّر الجواب عنه أشهراً ، وبعد ذلك أجابه بهذا الجواب ، وقد جاء فيه بعد البسملة ما نصّه :

أمّا بَعْدُ : فَإِنَّكَ امْرُؤٌ أَنْزَلَكَ اللهُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ بِمَنْزِلَةٍ خاصَّةٍ ، وَحَفِظَ مَوَدَّةَ ما اسْتَرْعاكَ مِنْ دينِهِ ، وَما أَلْهَمَكَ مِنْ رُشْدِكَ ، وَبَصَّرَكَ مِنْ أَمْرِ دينِكِ بِتَفْضيلِكَ إِيّاهُمْ ، وَبِرَدِّكَ الأُمورَ إِلَيْهِمْ .

كَتَبْتَ إِلَيَّ تَسْأَلُني عَنْ أُمورٍ كُنْتَ مِنْها في تَقِيَّةٍ ، وَمِنْ كِتْمانِها في سَعَةٍ ، فَلَمّا انْقَضىٰ سُلْطانُ الْجَبابِرَةِ ، وَجاءَ سُلْطانُ ذي السُّلْطانِ الْعَظيمِ بِفِراقِ

---

(١) بحار الأنوار : ٤٨ : ٢٣ .

الدُّنيا الْمَذْمومَةِ إلىٰ أَهْلِها ، الْعُتاةِ عَلىٰ خالِقِهِمْ ، رَأَيْتُ أَنْ أُفَسِّـرَ لَكَ مـا سَأَلْتَني عَنْهُ مَخافَةَ أَنْ تَـدْخُلَ الْـحَيْرَةُ عَـلىٰ ضِـعافِ شِـيعَتِنا مِـنْ قِـبَلِ جُهّالِهِمْ .

فَاتَّقِ اللهَ عَزَّ ذِكْرُهُ ، وَخَصَّ بِذلِكَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ ، وَاحْذَرْ أَنْ تَكونَ سَبَبَ بَلِيَّةٍ عَلَى الْأَوْصياءِ ، أَوْ حارِشاً عَلَيْهِمْ[1] بِـإِفْشاءِ مـا اسْـتَوْدَعْتُك ، وَإِظْـهارِ ما اسْتَكْتَمْتُكَ ، وَلَنْ تَفْعَلَ إِنْ شاءَ اللهُ .

إِنَّ أَوَّلَ ما أُنْهي إِلَيْكَ أَنّي أَنْعىٰ نَفْسي في لَيالِيَّ هٰذِهِ غَيْرُ جازِعٍ وَلَا نادِمٍ وَلَا شاكٍّ فيما هُوَ كائِنٌ مِمّا قَدْ قَضَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَخَتَمَ ، فَاسْتَمْسِكْ بِعُرْوَةِ الدِّينِ ، آلِ مُحَمَّدٍ وَالْعُرْوَةِ الْوثْقَى الْوَصِيِّ بَعْدَ الْوَصِيِّ ، وَالْمُسالَمَةِ لَهُمْ ، وَالرِّضا بِما قالوا ، وَلَا تَلْتَمِسْ دِينَ مَنْ لَيْسَ مِنْ شِيعَتِكَ ، أَوَ تَـدْري مـا خانوا أَمانَتَهُمْ ؟ ائْتُمِنوا عَلىٰ كِتابِ اللهِ فَحَرَّفوهُ وَبَدَّلوهُ ، وَدُلُّوا عَلىٰ وُلاةِ الْأَمْرِ مِنْهُمْ فَانْصَرَفوا عَنْهُمْ ، فَأَذاقَهُمُ اللهُ لِباسَ الْجوعِ وَالْخَوْفِ بِما كانوا يَصْنَعونَ .

وَسَأَلْتُ عَنْ رَجُـلَيْنِ اغْـتَصَبا رَجُـلاً مـالاً كـانَ يُـنْفِقُهُ عَـلَى الْـفُقَراءِ وَالْمَساكِينِ وَأَبْناءِ السَّبيلِ ، وَفي سَبيلِ اللهِ ، فَلَمّا اغْتَصَباهُ ذلِكَ لَمْ يَرْضَيا حَيْثُ غَصَباهُ حَتّىٰ حَمَّلاهُ إِيّاهُ كُرْهاً فَوْقَ رَقَبَتِهِ إِلىٰ مَنازِلِهِما ، فَلَمّا أَحْرزاهُ تَوَلَّيا إِنْفاقَهُ أَيَبْلُغانِ بِذلِكَ كُفْراً ؟

---

(١) التحريش : هو إغراء بعض القوم ببعض .

فَلَعَمْري لَقَدْ نافَقا قَبْلَ ذلِكَ وَرَدّا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كَلامَهُ، وَهَزِئا بِرَسولِهِ ﷺ وَهُما الْكافِرانِ عَلَيْهِما لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنّاسِ أَجْمَعينَ، وَاللهِ ما دَخَلَ قَلْبَ أَحَدٍ مِنْهُما شَيْءٌ مِنَ الْإيمانِ مُنْذُ خُروجِهِما مِنْ حالَتَيْهِما، وَما زادا إِلّا شَكّاً، كانا خَدّاعَيْنِ مُنافِقَيْنِ حَتّىٰ تَوَفَّتْهُما مَلائِكَةُ الْعَذابِ إِلىٰ مَحَلِّ الْخِزْيِ في دارِ الْمَقامِ.

وَسَأَلْتَ عَمَّنْ حَضَرَ ذلِكَ الرَّجُلَ وَهُوَ يُغْصَبُ مالُهُ وَيوضَعُ عَلىٰ رَقَبَتِهِ مِنْهُمْ عارِفٌ وَمُنْكِرٌ، فَأُولٰئِكَ أَهْلُ الرِّدَّةِ الْأُولىٰ مِنْ هٰذِهِ الْأُمَّةِ، فَعَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنّاسِ أَجْمَعينَ.

وَسَأَلْتَ عَنْ مَبْلَغِ عِلْمِنا، وَهُوَ عَلىٰ ثَلاثَةِ وُجوهٍ: ماضٍ وَغابِرٍ وَحادِثٍ، فَأَمّا الْماضي فَمُفَسَّرٌ، وَأَمّا الْغابِرُ فَمَزْبورٌ[1]، وَأَمّا الْحادِثُ فَقَذْفٌ في الْقُلوبِ، وَنَقْرٌ في الْأَسْماعِ، وَهُوَ أَفْضَلُ عِلْمِنا، وَلا نَبِيَّ بَعْدَ نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَسَأَلْتَ عَنْ أُمَّهاتِ أَوْلادِهِمْ وَعَنْ نِكاحِهِمْ وَعَنْ طَلاقِهِمْ، فَأَمّا أُمَّهاتُ أَوْلادِهِمْ فَهُنَّ عَواهِرُ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ، نِكاحٌ بِغَيْرِ وَلِيٍّ وَطَلاقٌ في غَيْرِ عِدَّةٍ، وَأَمّا مَنْ دَخَلَ في دَعْوَتِنا فَقَدْ هَدَمَ إيمانُهُ ضَلالَهُ، وَيَقينُهُ شَكَّهُ.

وَسَأَلْتَ عَنِ الزَّكاةِ فيهِمْ، فَما كانَ مِنَ الزَّكاةِ فَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ، لِأَنّا قَدْ أَحْلَلْنا ذلِكَ لَكُمْ مَنْ كانَ مِنْكُمْ وَأَيْنَ كانَ.

---

(١) في بعض النسخ: «فمرموز».

وَسَأَلْتَ عَنِ الضُّعَفاءِ، فَالضَّعيفُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ إِلَيْهِ حُجَّةٌ، وَلَمْ يَعْرِفِ الْإِخْتِلافَ، فَإِذا عَرَفَ الْإِخْتِلافَ فَلَيْسَ بِضَعيفٍ.

وَسَأَلْتَ عَنِ الشَّهادَةِ لَهُمْ، فَأَقِمِ الشَّهادَةَ لِلّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَوْ عَلىٰ نَفْسِكَ وَالْوالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبينَ فيما بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، فَإِنْ خِفْتَ عَلىٰ أَخيكَ ضَيْماً فَلا وَادْعُ إِلىٰ شَرائِطِ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ مَنْ رَجَوْتَ إِجابَتَهُ، وَلَا تَحَصَّنْ بِحِصْنِ رِياءٍ[1].

وَوالِ آلَ مُحَمَّدٍ وَلَا تَقُلْ لِما بَلَغَكَ عَنّا وَنُسِبَ إِلَيْنا هٰذا باطِلاً، وَإِنْ كُنْتَ تَعْرِفُ مِنّا خِلافَهُ فَإِنَّكَ لَا تَدْري لِما قُلْناهُ، وَعَلىٰ أَيِّ وَجْهٍ وَضَعْناهُ، آمِنْ بِما أُخْبِرُكَ، وَلَا تُفْشِ بِما اسْتَكْتَمْناكَ مِنْ خَبَرِكَ، إِنَّ مِنْ واجِبِ حَقِّ أَخيكَ أَنْ لَا تَكْتُمَهُ شَيْئاً تَنْفَعُهُ بِهِ لِأَمْرِ دُنْياهُ وَآخِرَتِهِ، وَلَا تَحْقِدْ عَلَيْهِ وَإِنْ أَساءَ، وَأَجِبْ دَعْوَتَهُ إِذا دَعاكَ.

وَلَا تُخَلِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ مِنَ النّاسِ وَإِنْ كانَ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْكَ، وَعُدْهُ في مَرَضِهِ، لَيْسَ مِنْ أَخْلاقِ الْمُؤْمِنِ الْغِشُّ وَلَا الْأَذىٰ، وَلَا الْخِيانَةُ، وَلَا الْكِبْرُ، وَلَا الْخَنا، وَلَا الْفُحْشُ، وَلَا الْأَمْرُ بِهِ.

فَإِذا رَأَيْتَ الْمُشَوَّهَ الْأَعْرابِيَّ في جَحْفَلٍ جَرّارٍ فَانْتَظِرْ فَرَجَكَ وَلِشيعَتِكَ الْمُؤْمِنينَ، وَإِذا انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ فَارْفَعْ بَصَرَكَ إِلَى السَّماءِ وَانْظُرْ ما فَعَلَ اللهُ بِالْمُجْرِمينَ، فَقَدْ فَسَّرْتُ لَكَ جُمَلاً مُجْمَلاً، وَصَلَّى اللهُ عَلىٰ مُحَمَّدٍ

---

(١) في بعض النسخ: «ولا تحضر حصن زنا».

وَآلِهِ الأَخْيارِ »[1].

وقد احتوت هذه الرسالة على أمور خطيرة ، قد ذكرت بالتفصيل في مرآة العقول .

١٦ ـ اغتياله عليه السلام

لقد عانى الإمام أقسى ألوان الخطوب والتنكيل ، فتكبيل بالقيود ، وتضييق شديد ، وأذى مرهق ، وبعد ما صبّ عليه الرشيد جميع النكبات الموجعة دسّ إليه سمّاً فاتكاً ، فقضى عليه ، ومضى لربّه شهيداً سعيداً .

١٧ ـ الأقوال في سمّه

واتّفق أكثر المؤرّخين أنّ الإمام لم يمت حتف أنفه ، وإنّما توفّي مسموماً ، وأنّ الرشيد هو الذي أوعز في سمّه واغتياله ، ولكنّهم اختلفوا فيمن تولّى ذلك ، وهذه بعض الأقوال :

يحيى بن خالد

واعتقدت القطعيّة أن يحيى بن خالد دسّ إلى الإمام سمّاً في رطب وعنب فقتله[2] ، وممّا يؤيّد ذلك ما رواه عبدالله بن طاووس ، قال : « سألت الإمام الرضا عليه السلام قلت له : هل أنّ يحيى بن خالد سمّ أباك موسى بن جعفر ؟

فقال الإمام : **نَعَمْ ، سَمَّهُ في ثَلاثِينَ رُطَبَةً مَسْمومَةً** »[3].

وذكر أبو الفرج الاصفهاني أنّ الرشيد لمّا غضب على الفضل بن يحيى لترفيهه

---

(١) روضة الكافي : ١٢٤ ـ ١٢٦ .

(٢) فِرق الشيعة : ٨٩.

(٣) رجال الكشّي : ١١٢٣/٦٠٤ .

على الإمام حينما كان في سجنه ، وأمر بجلده خرج يحيى من عند الرشيد وقد ماج الناس واضطرب أمرهم ، فجاء إلى بغداد ودعا السندي بن شاهك وأمره بقتل الإمام ، فاستدعى السندي الفرّاشين وكانوا من النصارى فأمرهم بلفّ الإمام في بساط وهو حيّ ، فجلس عليه الفرّاشون حتّى توفّي[1].

وذكر ابن المهنّا أنّ الرشيد لمّا سافر إلى الشام أمر يحيى بن خالد السندي بقتله فقتله[2].

وهذه الروايات قد اتّفقت على أنّ يحيى هو الذي أمر بقتل الإمام عليه السلام ، ولكنّها مخالفة لما عليه المشهور في أنّ الرشيد عهد إلى السندي بقتله .

الفضل بن يحيى

ونصّت بعض المصادر أنّ الفضل بن يحيى هو الذي سمّ الإمام وذلك حينما نقل إلى سجنه ، فكان الفضل بن الربيع يبعث له في كلّ يوم مائدة من الطعام ، وفي اليوم الرابع قدّم له الفضل بن يحيى مائدة ، فرفع الإمام عليه السلام يده إلى السماء وقال : **يا رَبِّ ، إنَّك تَعْلَمُ أنّي لَوْ أكَلْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ كُنْتُ قَدْ أعَنْتُ عَلى نَفْسي** ، ثمّ أكل الإمام من تلك المائدة ، فمرض منها .

فلمّا كان اليوم الثاني ألمّ به المرض ، فجيء له بطبيب ليسأله عن علّته ، فقال له : ما حالك ؟

فتغافل الإمام عن إجابته ، فألحّ عليه الطبيب بالسؤال ، فأخرج له الإمام راحته ، ثمّ قال له : **هٰذِهِ عِلَّتي** .

وكانت يده الشريفة قد اخضرّ وسط راحتها من السمّ ، فلمّا رآها الطبيب انصرف

---

(١) مقاتل الطالبيّين : ٥٠٤ .

(٢) عمدة الطالب : ١٨٥ .

وقال له: والله لهو أعلم بما فعلتم به منكم[١].

وهذه الرواية لا يمكن المساعدة عليها، وذلك لما عرف به الفضل من الميل للعلويّين، وأنّه قد رفّه على الإمام حينما كان في سجنه، فاستحقّ بذلك التنكيل والجلد والتشهير من قِبل الرشيد، ومع هذا فكيف يتصوّر إقدامه على اغتيال الإمام وقتله.

السندي بن شاهك

وذهب أكثر المؤرّخين والمترجمين للإمام إلى أنّ الرشيد أوعز إلى السندي بن شاهك الوغد الأثيم في قتل الإمام، فاستجابت نفسه الخبيثة لذلك، وأقدم على تنفيذ أفظع جريمة في الإسلام، فاغتال سبط النبيّ ﷺ وأزكى ذات خلقت في دنيا الوجود بعد آبائه الطيّبين، فعلى السندي لعنة اللاعنين، وله الخزي والعذاب الأليم.

١٨ ـ كيفيّة سمّه

والمشهور أنّ الرشيد عمد إلى رطب فوضع فيه سمّاً فاتكاً، وأمر السندي أن يقدّمه إلى الإمام ويحتّم عليه أن يتناول منه[٢].

وقيل إنّ الرشيد أوعز إلى السندي في ذلك، فأخذ رطباً ووضع فيه السمّ، وقدّمه للإمام، فأكل منه عشر رطبات.

فقال له السندي: زد على ذلك.

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١: ١٠٦، الحديث ١٠. بحار الأنوار: ٤٨: ٢١٠، الحديث ٩. أمالي الطوسي: ٢١٢.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢: ٩٤. بحار الأنوار: ٤٨: ٢٢٢.

فرمقه الإمام بطرفه وقال له: **حَسْبُكَ، قَدْ بَلَغْتَ ما تَحْتاجُ إلَيْهِ**(١).

ولمّا تناول الإمام عليه السلام تلك الرطبات المسمومة تسمّم بدنه، وأخذ يعاني آلاماً مبرحة وأوجاعاً قاسية، وأحاط به الأسى والحزن، قد حفّت به الشرطة القساة، ولازمه السندي بن شاهك الوغد الخبيث، فكان يسمعه في كلّ فترة أخشن الكلام وأغلظه وأقساه، ومنع عنه جميع الاسعافات ليعجّل له النهاية المحتومة، وعانى الإمام العظيم في تلك الفترات الرهيبة ما لم يعانه أي إنسان، فآلام السمّ قد أذابت قلبه، وقطّعت أوصاله، وأحزنه أي حزن انتهاك حرمته وغربته، وعدم مشاهدة أعزائه وأحبّائه، وهو قد أشرف على مفارقة الحياة.

١٩ ـ اضطراب السندي

ولمّا أقدم السندي على ارتكاب الجريمة الخطيرة اضطرب اضطراباً شديداً، وخاف خوفاً بالغاً من المسؤوليّة أمام الشيعة والعلويّين، فاستدعى الشخصيّات والوجوه إلى قاعة السجن، وكانوا ثمانين شخصاً ـ كما حدّث بذلك بعض شيوخ العامّة ـ يقول: «أحضرنا السندي، فلمّا حضرنا انبرى إلينا فقال: انظروا إلى هذا الرجل هل حدث به حدث؟ فإنّ الناس يزعمون أنّه قد فعل به مكروه، ويكثرون من ذلك، وهذا منزله وفراشه موسّع عليه غير مضيّق، ولم يرد به أمير المؤمنين ـ يعني هارون ـ سوءاً، وإنّما ينتظره أن يقدم فيناظره، وها هو ذا موسّع عليه في جميع أموره فاسألوه.

يقول ذلك الشيخ: ولم يكن لنا همّ سوى مشاهدة الإمام ومقابلته، فلمّا دنونا منه لم نر مثله قطّ في فضله ونسكه، فانبرى إلينا وقال لنا: **أمّا ما ذُكِرَ مِنَ التَّوْسِعَةِ، وَما أَشْبَهَ ذلِكَ، فَهُوَ عَلىٰ ما ذُكِرَ، غَيْرَ أَنّي أُخْبِرُكُمْ أَيُّها النَّفَرُ أَنّي قَدْ سُقِيتُ السُّمَّ في تِسْعِ**

---

(١) بحار الأنوار: ٤٨: ٢٤٧. عيون المعجزات: ٩٥.

تَمْراتٍ ، وَإِنّي أَصْفَرُّ غَداً ، وَبَعْدَ غَدٍ أَموتُ .

ولمّا سمع السندي ذلك انهارت قواه ، ومشت الرعدة بأوصاله ، واضطرب مثل السعفة التي تلعب بها الرياح العاصفة[1] ، فقد أفسد عليه الإمام ما رامه من الحصول على البراءة من المسؤوليّة في قتله .

وروى أنّه على أثر ذلك أمر بالإمام عليه السلام فلفّ في بساط وأجلس الفرّاشين عليه حتّى فارق الحياة .

٢٠ ـ مع المسيّب بن زهير

كان المسيّب بن زهير موكّلاً بحراسة الإمام عليه السلام أو أنّه نقل من حبس السندي إلى داره على ما يستفاد من بعض المصادر ، وكان الرجل من دعاة الدولة العبّاسيّة ، فقد ولي شرطة بغداد أيّام المنصور والمهدي والرشيد ، كما ولي خراسان أيّام المهدي[2] ، وكان على جانب من الغلظة والشدّة ، فكان أبو جعفر المنصور إذا أراد

---

(١) روضة الواعظين : ١٨٥ و ١٨٦ . عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ : ٩٦ ، الحديث ٢ . بحار الأنوار : ٤٨ : ٢٤٨ . الأمالي : ٢١٣ ، الحديث ٢١ .

وجاء في بحار الأنوار : «أنّ الإمام عليه السلام التفت إلى الشهود ، فقال لهم : اشْهَدوا عَلىٰ أَنّي مَقْتولٌ بِالسُّمِّ مُنْذُ ثَلاثَةِ أَيّامٍ ، اشْهَدوا أَنّي صَحيحُ الظّاهِرِ ، لَكِنّي مَسْمومٌ وَسَأَحْمَرُّ في هذا الْيَوْمِ حُمْرَةً شَديدَةً ، وَأَبْيَضُّ بَعْدَ غَدٍ ، وَأَمْضي إِلىٰ رَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوانِهِ .

فمضى عليه السلام كما قال في آخر اليوم الثالث » .

وجاء في قرب الإسناد للحميري أنّه عليه السلام قال للشهود : «إِنّي سُقيتُ السُّمَّ في سَبْعِ تَمْراتٍ » .

(٢) تاريخ بغداد : ١٣ : ١٣٧ .

وجاء فيه : «أنّ وفاته كانت سنة ٢٧٥هـ ، وقيل : سنة ٢٧٦هـ ، وهذا لا يتّفق مع ما ذكر من أنّ الإمام كان في سجنه أو كان موكّلاً بحراسته ، فإنّ الإمام عليه السلام توفّي سنة ١٨٣هـ ، ⇦

بأحد خيراً أمر بتسليمه إلى الربيع ، وإذا أراد برجل شرّاً أمر بتسليمه إلى المسيّب[١].

ولمّا حبس الإمام عنده أو وكّل بحبسه أثّر عليه الإمام وهيمن على مشاعره ، فاهتدى إلى طريق الحقّ والصواب ، فكان من خلّص الشيعة ومن حملة أسرار الأئمّة[٢].

وقد استدعاه الإمام قبل وفاته بثلاثة أيّام ، فلمّا مثل عنده قال له : **يا مُسَيَّبُ**.

- لبّيك يا مولاي.

- **إنّي ظاعِنٌ في هٰذِهِ اللَّيْلَةِ إلَى الْمَدينَةِ ، مَدِينَةِ جَدّي رَسولِ اللهِ ﷺ لأَعْهَدَ إلىٰ عَلِيٍّ ابْني ما عَهِدَهُ إلَيَّ آبائي ، وَأَجْعَلَهُ وَصيِّي وَخَليفَتي ، وَآمُرَهُ بِأَمْري.**

- يا مولاي ، كيف تأمرني أن أفتح لك الأبواب وأقفالها والحرس معي على الأبواب ؟ !

- **يا مُسَيَّبُ ، ضَعُفَ يَقِينُكَ في اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَفينا ؟**

- لا ، يا سيّدي ادع الله أن يثبّتني.

- **اللّٰهُمَّ ثَبِّتْهُ.**

ثمّ قال : **اُدْعو اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بِاسْمِهِ الْعَظيمِ الَّذي دَعا بِهِ آصِفُ حَينَ جاءَ بِسَريرِ بَلْقيسَ فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَي سُلَيْمانَ قَبْلَ ارْتِدادِ طَرْفِهِ إلَيْهِ ، حَتّىٰ يَجْمَعَ بَيْني وَبَيْنَ عَلِيٍّ ابْني بِالْمَدينَةِ.**

قال المسيّب : فسمعته يدعو ، ففقدته عن مصلّاه ، فلم أزل قائماً على قدمي

⇦ والصحيح أنّه توفّي سنة ١٨٥هـ أو ١٨٦هـ ، ويدلّ على ذلك أنّه كان والياً على شرطة بغداد أيّام الرشيد ، فلا بدّ أن تكون وفاته قريبة ممّا ذكرناه ، ولعلّ ما ذكر كان اشتباهاً مطبعيّاً.

(١) الوزراء والكتّاب : ٩٧.

(٢) تنقيح المقال : ٣ : ٢١٧.

حتّى رأيته قد عاد إلى مكانه ، وأعاد الحديد إلى رجليه ، فوقعت على وجهي ساجداً شاكراً لله على ما أنعم به علَيّ من معرفته .

والتفت الإمام عليه السلام إلى المسيّب فقال : **يا مُسَيَّبُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَاعْلَمْ أَنّي راحِلٌ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ في ثالِثِ هٰذَا الْيَوْمِ** .

قال المسيّب : فبكيت ، فلمّا رآني الإمام عليه السلام وأنا باك حزين قال لي : **لَا تَبْكِ يا مُسَيَّبُ ، فَإِنَّ عَلِيّاً ابْني هُوَ إِمامُكَ وَمَوْلاكَ بَعْدِي ، فَاسْتَمْسِكْ بِوَلايَتِهِ فَإِنَّكَ لَنْ تَضِلَّ ما لَزِمْتَهُ** .

قال المسيّب : الحمد لله على ذلك[١] .

٢١ ـ إلى الرفيق الأعلى

وسرى السمّ في جميع أجزاء بدن الإمام عليه السلام ، فأخذ يعاني أشدّ الآلام والأوجاع ، وقد علم عليه السلام أنّ لقاءه بربّه لقريب فاستدعى السندي ، فلمّا مثل عنده أمره أن يحضر مولى له ينزل عند دار العبّاس بن محمّد في مشرعة القصب ليتولّى غسله ، وسأله السندي أن يأذن له في تكفينه ، فأبى عليه السلام ، وقال : **إِنّا أَهْلُ بَيْتٍ مُهورُ نِسائِنا ، وَحَجُّ صَرورَتِنا ، وَأَكْفانُ مَوْتانا ، مِنْ طاهِرِ أَمْوالِنا ، وَعِنْدي كَفَني**[٢] .

وأحضر له السندي مولاه ، وثقل حال الإمام وأشرف على النهاية المحتومة ، فأخذ يعاني آلام الموت ، فاستدعى المسيّب بن زهرة فقال له : **إِنّي عَلىٰ ما عَرَّفْتُكَ مِنَ الرَّحيلِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِذا دَعَوْتُ بِشُرْبَةٍ مِنْ ماءٍ فَشَرِبْتُها وَرَأَيْتَني قَدِ انْتَفَخْتُ ، وَاصْفَرَّ لَوْني وَاحْمَرَّ وَاخْضَرَّ وَتَلَوَّنَ أَلْواناً فَأَخْبِرِ الطّاغِيَةَ بِوَفاتي** .

قال المسيّب : فلم أزل أراقب وعده حتّى دعا عليه السلام بشربة فشربها ، ثمّ استدعاني ،

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ : ٩٥ . بحار الأنوار ٤٨ : ٢٢٤ .

(٢) مقاتل الطالبيّين : ٥٠٤ . بحار الأنوار ٤٨ : ٢٣٤ ، الحديث ٣٨ و ٧٨ : ٣٣٠ .

فقال لي : يا مُسَيَّبُ ، إنَّ هٰذَا الرِّجْسَ السِّنْدِيَّ بْنَ شاهِكٍ سَيَزْعَمُ أنَّهُ يَتَولّى غُسْلي وَدَفْني ، وَهَيْهاتَ هَيْهاتَ أنْ يَكونَ ذٰلِكَ أبَداً ، فَإذا حُمِلْتُ إلَى الْمَقْبَرَةِ الْمَعْروفَةِ بِمَقابِرِ قُرَيْشٍ فَأَلْحِدوني بِها ، وَلَا تَرْفَعوا قَبْري فَوْقَ أرْبَعِ أصابِعَ مُفَرَّجاتٍ ، وَلَا تَأْخُذوا مِنْ تُرْبَتي شَيْئاً لِتَتَبَرَّكوا بِهِ ، فَإنَّ كُلَّ تُرْبَةٍ لَنا مُحَرَّمَةٌ إلّا تُرْبَةَ جَدّي الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام ، فَإنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَها شِفاءً لِشيعَتِنا وَأوْلِيائِنا .

قال المسيّب : ثمّ رأيت شخصاً أشبه الأشخاص به جالساً إلى جانبه ، وكان عهدي بسيّدي الرضا عليه السلام وهو غلام ، فأردت أن أسأله ، فصاح بي سيّدي موسى ، وقال : ألَيْسَ قَدْ نَهَيْتُكَ .

ثمّ إنّ ذلك الشخص قد غاب عنّي ، فجئت إلى الإمام وإذا به جثّة هامدة قد فارق الحياة فأنهيت الخبر إلى الرشيد بوفاته[١] .

لقد لحق الإمام بالرفيق الأعلى ، وفاضت نفسه الزكيّة إلى بارئها ، فأظلمت الدنيا لفقده ، وأشرقت الآخرة بقدومه ، وقد خسر الإسلام والمسلمون المع شخصيّة كانت تذبّ عن كيان الإسلام ، وتنافح عن كلمة التوحيد ، وتطالب بحقوق المسلمين ، وتشجب كلّ اعتداء غادر عليهم .

لقد مات أبرّ الناس بالناس ، وأعطفهم على الضعفاء والفقراء ، الذي أثلج قلوبهم بصراره وهباته وعطاياه ، وكشف عنهم شقاء الحياة ومرارة العيش .

لقد مات أحلم الناس ، وأكظمهم للغيظ والمكروه ، وقد طويت بموته صفحة من أروع صفحات العقيدة الإسلاميّة ، ولفّ علم من أعلام الجهاد والكفاح .

ففي ذمّة الله أيّها الإمام العظيم ، لقد مضيت إلى الله شهيداً سعيداً قد تلفّعت بثوب الشهادة والكرامة ، وقد لحقت بالله وأنت مظلوم مقهور ، قد صبّ عليك

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ : ٩٦.

الطاغية الأثيم جام غضبه، وأذاقك جميع ضروب الأذى وأنواع الارهاق، لأنك لم تجاره ولم تصانعه، بل كنت من أقوى خصومه تنعى عليه ظلمه، وتندّد بإسرافه وتبذيره بأموال المسلمين، وتشجب استبداده وجوره.

لقد مضيت إلى الله وأنت شهيد سعيد قد فزت برضاء الله لأنك لم توارب ولم تخادع، بل رفعت راية الحقّ، وهتفت بالعدل، وأردت الخير والسعادة لجميع المسلمين، وقد خسر خصمك، وبطل سعيه، وأخمد ذكره، فها هو لا يذكر إلّا قرين الخيبة والخسران.

فسلام عليك يابن رسول الله يوم ولدت، ويو متّ، ويوم تبعث حيّاً.

٢٢ ـ زمن شهادته عليه السلام

والمشهور أنّ شهادة الإمام عليه السلام كانت سنة ١٨٣هـ لخمس بقين من شهر رجب[١].

وقيل: سنة ١٨١هـ[٢].

وقيل: سنة ١٨٦هـ[٣].

وكانت وفاته في يوم الجمعة وعمره الشريف كان يوم وفاته أربعاً وخمسين سنة[٤]، وكان مقامه منها مع أبيه عشرين سنة، وبعد أبيه خمساً وثلاثين سنة[٥].

---

(١) ابن خلّكان: ٢: ١٧٣. تاريخ بغداد: ١٣: ٣٢. الكامل في التاريخ: ٦: ٥٤. تاريخ اليعقوبي: ٢: ٤١٤. الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ٢٢٨. تاريخ الخميس: ٢: ٢٧١. البداية والنهاية: ٢: ١٧. تهذيب التهذيب: ١٠: ٣٤٠. ميزان الاعتدال: ٣: ٢٠٩. عمدة الطالب: ٨٥. الدروس: ٢: ١٣.

(٢) الدروس: ٢: ١٣.

(٣) مروج الذهب: ٣: ٢٧٣.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ٣: ٤٣٧ و ٤٣٨.

(٥) الفصول المهمّة: ٢: ٢٢٨.

٢٣ـ محلّ شهادته عليه السلام

والمشهور أنّ وفاته كانت في حبس السندي بن شاهك، وقيل: إنّه توفّي في دار المسيّب بن زهير بباب الكوفة الذي تقع فيه السدرة(١).

وقيل: إنّ وفاته في مسجد هارون، وهو المعروف بمسجد المسيّب، ويقع في الجانب الغربي من باب الكوفة لأنّه نقل من دار تعرف بدار عمرو(٢).

٢٤ـ تحقيق الشرطة في الحادث

وقامت الشرطة بدورها في التحقيق في هذا الحادث الخطير لتبرأ ساحة هارون من المسؤوليّة، أمّا التحقيق فقد قام به السندي أوّلاً، والرشيد ثانياً، أمّا ما قام به السندي فكان في مواضع ثلاثة:

الأوّل: ما حدّث به عمرو بن واقد، قال: «أرسل إليّ السندي بن شاهك في بعض الليل وأنا ببغداد يستحضرني، فخشيت أن يكون لسوء يريده بي، فأوصيت عيالي بما احتجت إليه، وقلت إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ثمّ ركبت إليه، فلمّا رآني مقبلاً قال لي: يا أبا حفص، لعلّنا أرعبناك وأزعجناك؟

- نعم.
- ليس هنا إلّا الخير.
- فرسول تبعثه إلى منزلي ليخبرهم خبري.
- نعم.
- ولمّا هدأ روعه وذهب عنه الخوف، قال له السندي: يا أبا حفص، أتدري

---

(١) بحار الأنوار: ٤٨: ٢٣٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣: ٤٣٨.

لِمَ أرسلت إليك ؟

- لا .

- أتعرف موسى بن جعفر ؟

- إي والله إنّي أعرفه وبيني وبينه صداقة منذ دهر .

- هل ببغداد ممّن يقبل قوله تعرفه أنّه يعرفه ؟

- نعم .

ثمّ إنّه سمّى له أشخاصاً ممّن يعرفون الإمام ، فبعث خلفهم ، فقال لهم : هل تعرفون قوماً يعرفون موسى بن جعفر ؟

فسمّوا له قوماً ، فأحضرهم وقد استوعب الليل بفعله حتّى انبلج نور الصبح ، ولمّا كمل عنده من الشهود نيف وخمسون رجلاً أمر بإحضار كاتبه ـ ويعرف اليوم بكاتب الضبط ـ فأخذ في تسجيل أسمائهم ومنازلهم وأعمالهم وصفاتهم ، وبعد انتهائه من الضبط دخل على السندي فعرّفه بذلك ، فخرج من محلّه ، والتفت إلى عمرو فقال له : قم يا أبا حفص ، فاكشف الثوب عن وجه موسى بن جعفر .

قال عمرو : فكشفت الثوب عن وجه الإمام وإذا به قد مات ، والتفت السندي إلى الجماعة فقال لهم : انظروا إليه ، فدنا واحد بعد واحد فنظروا إليه ، ثمّ قال لهم : تشهدون كلّكم أنّ هذا موسى بن جعفر ؟

- نعم .

- ثمّ أمر غلامه بتجريد الإمام من ملابسه ، ففعل الغلام ذلك ثمّ التفت إلى القوم فقال لهم : أترون به أثراً تنكرونه ؟

فقالوا : لا ، ثمّ سجّل شهادتهم وانصرفوا »[1] .

---

(١) بحار الأنوار : ٤٨ : ٢٢٦ . عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ : ٩٢ .

الموضع الثاني : إنّه استدعى الفقهاء ووجوه أهل بغداد وفيهم الهيثم بن عدي[١] وغيره ، فنظروا إلى الإمام وهو ميّت لا أثر به ، وشهدوا على ذلك[٢].

الثالث : إنّه لمّا وضع الجثمان المقدّس على حافّة القبر جاء رسول من قِبل السندي فأمر بكشف وجه الإمام للناس ليروه أنّه صحيح لم يحدث به حدث[٣].

وهذه الاجراءات المهمّة التي اتّخذها السندي بن شاهك إنّما جاءت لتبرير ساحة الحكومة من المسؤوليّة ، وتنزيهها عن ارتكاب الجريمة ، ولكنّ الإمام عليه السلام قد أفسد عليه صنعه وكشف للناس أنّ هارون هو الذي اغتاله بالسمّ ، كما ذكرناه سابقاً.

وأمّا ما اتّخذه هارون من الاجراءات لرفع الشبهة التي حامت حوله ، فإنّه جمع شيوخ الطالبيّين والعبّاسيّين ، وسائر أهل مملكته ، والحكّام ، فقال لهم : هذا موسى بن جعفر قد مات حتف أنفه ، وماكان بيني وبينه ما استغفر الله منه ـ يعني في قتله ـ فانظروا إليه.

فدخل على الإمام سبعون رجلاً من شيعته ، فنظروا إليه وليس به أثر جراحة

---

(١) **الهيثم بن عدي الطائي** :

أبو عبدالرحمن المنيحي. قال البخاري : « ليس بثقة ، كان يكذب. وقال النسائي وغيره : إنّه متروك الحديث ، وحدّثت جارية له ، فقالت : إنّ مولاي كان يقوم عامّة الليل يصلّي ، فإذا أصبح جلس يكذّب ». ميزان الاعتدال : ٣ : ٢٦٥ و ٢٦٦.

وقيل : إنّه كان يرى رأي الخوارج ، وكان له اختصاص بالمنصور والمهدي والرشيد ، دخل عليه أبو نؤاس فسأله عن مسألة فتقاعس عن جوابه ، فقال في هجائه :

يا هَيْثَمَ بْنَ عَدِيٍّ لَسْتَ لِلعَرَبِ ... وَلَستَ مِنْ طَيِّءٍ إلاّ عَلى شَغَبِ
إذا نَسَبْتَ عَدِيّاً مِنْ بَني ثُعَلٍ ... فَقَدِّمِ الدّالَ قَبلَ العَيْنِ في النَّسَبِ

توفّي سنة ٢٠٨هـ. الوافي بالوفيات : ٢٧ : ٢٣٧. وفيات الأعيان وأنباء الزمان : ٦ : ١١٢.

(٢) مقاتل الطالبيّين : ٥٠٤.

(٣) بحار الأنوار : ٤٨ : ٢٢٦ و ٢٢٧.

ولا خنق[١].

ولم يجد ذلك هارون فإنّ الحقّ لا بدّ أن يظهر ، ولا يخفيه الدجل ولا يستره الخداع والتضليل ، فقد عرف الخاصّ والعامّ أنّه هو الذي اغتال الإمام وهو المسؤول عن دمه ، وأنّ جميع ما اتّخذه من الاجراءات والتدابير لتبرير ساحته قد باءت بالفشل .

٢٥ ـ وضعه على الجسر

يا لله وللمسلمين ، مثل الإمام موسى عليه السلام سبط النبيّ صلى الله عليه وآله ، وإمام المسلمين ، وسيّد المتّقين والعابدين ، وعملاق الفكر الإسلامي يلقى على جسر الرصافة وهو ميّت ينظر إليه القريب والبعيد ، وتتفرّج عليه المارّة ، قد أحاطت بجثمانه المقدّس الشرطة ، وكشفت وجهه للناس قاصدين بذلك انتهاك حرمته ، والحطّ من كرامته ، والتشهير به ، ولم يرع هارون الرحم الماسّة التي بينه وبين الإمام ، ولا حرمته وهو ميّت ، وقد قيل :

وَاحْتِرامُ الأَمْواتِ حَتْمٌ وَإِنْ كا ... نـوا بُـعاداً فَكَـيفَ بِـالقُرَباءِ

لقد حاول الرشيد بفعله هذا إذلال الشيعة وإهانتهم ، وقد أثر ذلك في نفوسهم أي تأثير ، فظلّوا يذكرونه في جميع مراحل تأريخهم مقروناً باللوعة والحزن ، واندفع شعراؤهم إلى نظم هذا الحادث المفجع مقروناً بالأسى والحسرات .

يقول المرحوم الشيخ محمّد ملّة :

مَـنْ مُـبْلِغِ الإِسْـلامَ أَنَّ زَعـيمَهُ ... قَدْ ماتَ في سِجْنِ الرَّشيدِ سَميما

فَالغَيُّ باتَ بِـمَوتِهِ طَـرِبَ الحَشـا ... وَغَـدا لِـمَأْتَمِهِ الرَّشـادُ مُـقيما

مُلْقىً عَلىٰ جِسرِ الرَّصـافَةِ نَـعشُهُ ... فـيهِ المَـلائِكُ أَحْـدَقوا تَـعْظيما

---

(١) بحار الأنوار : ٤٨ : ٢٢٨ . تاريخ اليعقوبي : ٢ : ٤١٤ . الإرشاد : ٢ : ٢٤٣ .

وقال الخطيب الفذّ المرحوم الشيخ محمّد عليّ اليعقوبي :

مِثْلُ مُوسى يُرْمىٰ عَلى الْجِسْرِ مَيْتاً ... لَـمْ يُشَيِّعْهُ لِلْقُبورِ مُوَحِّدْ

حَمَلوهُ وَلِلْحَديدِ بِرِجْلَيْهِ هزيجٌ لَهُ الأَهاضِيبُ تَنْهَدُّ

لقد ملأ الرشيد قلوب الشيعة بالحقد والحنق ، وتركهم يتذكّرون ذلك الاعتداء الصارخ على كرامة إمامهم في جميع مراحل تاريخهم .

٢٦ ـ النداء الفظيع

يا لروعة الخطب ، يا لهول المصاب ! لقد انتهك السندي حرمة الإسلام ، وكرامة أهل البيت عليهم السلام ، فقد أمر جلاوزته أن ينادوا على جثمان الإمام بذلك النداء المؤلم الذي تذهب النفوس لهوله أسىً وحسرات ، فبدل أن يأمرهم بالحضور لجنازة الطيّب ابن الطيّب أمرهم أن ينادوا بعكس ذلك[١] .

وانطلق أُولئك العبيد يجوبون في الشوارع والطرقات رافعين عقيرتهم بذلك النداء القذر الموحش ، وأمرهم مرّة ثانية أن يهتفوا بنداء آخر وهو : « هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنّه لا يموت ، فانظروا إليه ميّتاً »[٢] .

ومن الطبيعي أنّ السندي لم يقدم على ذلك من تلقاء نفسه ، وإنّما أوعزت إليه السلطة العليا للنكاية بالشيعة وإذلالها ، والنيل من كرامة أهل البيت عليهم السلام .

٢٧ ـ أسبابه

وعلينا أنّ نذكر بعض العوامل التي دعت السلطة إلى القيام بمثل هذه الأعمال

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ : ٩٣ . بحار الأنوار : ٤٨ : ٢٢٧ .

(٢) الفصول المهمّة : ٢٣٧ .

وجاء فيه : أنّ يحيى بن خالد هو الذي أمر أن ينادى على جثمان الإمام بذلك النداء .

المنكرة ، وهي :

معرفة الشيعة

وأرادت السلطة بوضع جثمان الإمام على الجسر ، والنداء عليه بذلك النداء المحقّر أن تقف على العناصر الفعّالة عند الشيعة ، وتعرف مدى نشاطها وحماسها بهذا الاعتداء الصارخ على كرامة إمامها لينساقوا إلى القبور والسجون ، وأكبر الظنّ أنّ الشيعة قد عرفت هذا القصد ، فلذا لم تقم بأي عمل إيجابي ضدّه .

التشهير بهم

واتّخذت السلطة الحاكمة من اندساس الواقفيّة في صفوف الشيعة وسيلة للتشهير بهم ، فقد ذهبت الواقفيّة إلى أنّ الإمام حيّ لم يمت ، وأنّه رفع إلى السماء كما رفع المسيح عيسى بن مريم ، وقد رأت حكومة هارون أن تنسب هذا الرأي الفاسد لعموم الشيعة لتشوّه بذلك حقيقتهم أمام الرأي العامّ .

التقرّب لهارون

وإنّما نفّذ السندي بن شاهك ما أُمر به ، مع علمه بفظاعته وخطورته ليحرز بذلك رضا هارون وطاعته حتّى ينال من دنياه ، ويتقرّب إليه ، ولم يحفل السندي بما يلاحقه من العار والخزي في سبيل ذلك .

٢٨ ـ بقاؤه ثلاثة أيّام

وبقي الإمام ثلاثة أيّام لم يوار جثمانه المقدّس[١] ، فتارة موضوع في قاعة السجن ، قد أجرت عليه الشرطة التحقيق في حادث وفاته ، وأُخرى ملقى على جسر

---

(١) عمدة الطالب : ١٨٥ .

الرصافة تتفرّج عليه المارّة ، كلّ ذلك للاستهانة به ، والتوهين بمركزه .

٢٩ ـ قيام سليمان بتجهيزه

وانبرى سليمان بن أبي جعفر المنصور[1] فتولّى تجهيز الإمام وتشييعه ، فقد كان قصره مطلّاً على نهر دجلة ، فسمع الصياح والضوضاء ، ورأى بغداد قد ماجت واضطربت ، فهاله ذلك ، فالتفت إلى ولده وغلمانه قائلاً : ما الخبر ؟

فقالوا له : هذا السندي بن شاهك ينادي على موسى بن جعفر ، وأخبروه بذلك النداء القاسي الفظيع .

فثارت عواطفه وتغيّر حاله ، واستولت عليه موجة من الغيظ ، فصاح بولده قائلاً : انزلوا مع غلمانكم فخذوه من أيديهم ، فإن مانعوكم فاضربوهم ، وخرّقوا ما عليهم

---

(١) سليمان بن أبي جعفر المنصور :

أُمّه فاطمة بنت محمّد من ولد طلحة بن عبيدالله التيمي ، كما في تاريخ الأُمم والملوك : ٦ : ٣٤١ . الكامل في التاريخ : ٦ : ٢٣ .

كان أميراً على دمشق من قِبل الرشيد ، ووليها من قِبل الأمين مرّتين ، وولي إمرة البصرة مرّتين ، ولمّا ولي إمرة دمشق قال لإبراهيم بن المهدي : خلا لك الجوّ فبيضي واصفري .

فقال له إبراهيم : لك والله خلا الجوّ لأنّك تقعد في صدر مجلسك وتأكل إذا اشتهيت ليس مَن هو يأكل على شبع ويلف على جوع ، ويخدم على كسل . تاريخ دمشق : ٢٢ : ٣٣٦ .

وقد نظم الصفدي في أرجوزته تولية سليمان لإمرة دمشق بقوله :

ثُمَّ سُلَيمانُ بْنُ عَبدِاللهِ   مَنْ ذا لَهُ في مَجْدِهِ يُباهي
أُخْرِجَ مِنْها خائِفاً ما عَقَّبا   فَرَدَّ مِنَ السُّفيانِ إذ تَوَثَّبا
وَقَدْ وَلِيَها بَعدُ للأَمينِ   في مَرَّتَينِ فَاسْتَمِعْ تَبْيِيني

أمراء دمشق : ١٢٣

وجاء في تاريخ بغداد : ٩ : ٢٥ : أنّه توفّي سنة ١٩٩هـ .

من سواد ـ وهو لباس الشرطة والجيش ـ.

وانطلق أبناء سليمان وغلمانه مسرعين إلى الشرطة ، فأخذوا جثمان الإمام منهم ، ولم تبد الشرطة معهم أيّة معارضة ، فسليمان عمّ الخليفة ، وأهمّ شخصيّة لامعة في الأُسرة العبّاسيّة ، وأمره مطاع عند الجميع ، وحمل الغلمان نعش الإمام فجاءوا به إلى سليمان ، فأمر بالوقت أن ينادي في شوارع بغداد بنداء معاكس لنداء السندي ، فانطلق غلمانه رافعين أصواتهم بهذا النداء : ألا من أراد أن يحضر جنازة الطيّب ابن الطيّب موسى بن جعفر فليحضر(١).

وخرج الناس على اختلاف طبقاتهم لتشييع جثمان إمام المسلمين ، وسيّد المتّقين ، وخرجت الشيعة وهي تذرف الدموع ، وتلطم الصدور ، قد استولى عليها الأسى والحزن ، ففرّج عنها سليمان الكروب ، وكشف عنها الآلام.

أمّا الأسباب التي حفّزت سليمان لقيامه بمواراة الإمام وتشييعه بذلك التشييع الحافل الذي لم تُشاهد بغداد نظيراً له ، فهي :

١ ـ محو العار عن أسرته

كان سليمان قد حنّكته التجارب ، وقام على تكريمه عقل متّزن ، فرأى أنّ الأعمال التي قام بها الرشيد تجاه الإمام إنّما هي لطخة سوداء في جبين الأُسرة العبّاسيّة ، فإنّ هارون كان يكفيه اغتيال الإمام ودسّ السمّ إليه عن القيام بهذه الأعمال البربريّة التي إن دلّت فإنّما تدلّ على نفس لا عهد لها بالشرف والنبل ،

---

(١) وجاء في مناقب ابن شهرآشوب : ٣ : ٤٤١ : «إنّ سليمان كان في دهليزه في يوم ممطر إذ مرّت به جنازته عليه السلام فقالوا : سلوا هذه جنازة مَن ؟

فقيل : هذا موسى بن جعفر مات في الحبس قد أمر الرشيد أن يدفن بحاله.

فقال سليمان : موسى بن جعفر يدفن هكذا ؟ فإنّ في الدنيا مَن كان يخاف على الملك في الآخرة لا يوفّى حقّه ؟

كما تدلّ في نفس الوقت على فقدان المعروف والإنسانيّة عند العبّاسيّين، فقام سليمان بما يفرضه الواجب للحفاظ على سمعته وسمعة أُسرته ولمحو العار عنهم.

٢ـ الرحم الماسّة

إنّها الرحم الماسّة التي تربط بينه وبين الإمام هي التي هزّت مشاعره، وأثارت عواطفه، فلم يستطع صبراً أن يسمع أُولئك العبيد وهم ينادون بذلك النداء المنكر على جثمان عميد العلويّين وزعيم الهاشميّين، بالإضافة إلى ذلك فإنّه لم يكن بينه وبين الإمام ما يوجب البغضاء والشحناء، فلذا أثّرت فيه أواصر الرحم، وانطلق إلى إنقاذ جثمان ابن عمّه من أيدي الجلاوزة وصنع ما صنع له من الحفاوة والتكريم.

٣ـ الخوف من انتفاضة الشيعة

وأكبر الظنّ أنّ سليمان خاف من انتفاضة الشيعة وتمرّد الجيش وحدوث الاضطرابات والفتن الداخليّة، فإنّ ذلك الاعتداء الصارخ على كرامة الإمام عليه السلام إنّما هو طعنة نجلاء في صميم العقيدة الشيعيّة، فكان من الطبيعي أن يثير ذلك عواطفهم ويحفّزهم على الثورة، والانتقام من خصومهم.

ولم تكن الشيعة قلّة في ذلك العصر، فقد اعتنق عقيدتهم خلق كثير من رجال الدولة، وقادة الجيش، وكبار الموظّفين والكتّاب، ولذا تدارك الموقف وقام بالواجب، وأنقذ حكومة هارون من الفتن والاضطراب، كما أسدى في نفس الوقت يداً بيضاء على عموم الشيعة تذكر له بالخير والثناء.

٣٠ـ تجهيز الإمام عليه السلام

وقام سليمان بتجهيز الإمام عليه السلام فغسّله، وكفّنه، ولفّه بحبرة قد كُتب عليها القرآن

الكريم بأسره كلّفته ألفين وخمسمائة دينار[١].

وحدّث المسيّب بن زهير يقول: «والله لقد رأيت القوم بعيني وهم يظنّون أنّهم يغسّلونه فلا تصل أيديهم إليه، ويظنّون أنّهم يحنّطونه ويكفّنونه وأراهم أنّهم لا يصنعون شيئاً، ورأيت ذلك الشخص الذي حضر وفاته ـ وهو الإمام الرضا عليه السلام ـ هو الذي يتولّى غسله وتحنيطه وتكفينه، وهو يظهر المعاونة لهم، وهم لا يعرفونه، فلمّا فرغ من أمره التفت إليّ فقال:

يا مُسَيَّبُ، مَهما شَكَكْتَ في شَيْءٍ فَلا تَشُكَّنَّ فيَّ، فَإِنّي إمامُكَ وَمَوْلاكَ وَحُجَّةُ اللهِ عَلَيْكَ بَعْدَ أبي.

يا مُسَيَّبُ، مَثَلي مَثَلُ يُوسُفَ الصِّدّيقِ، وَمَثَلُهُمْ مَثَلُ إخْوَتِهِ حينَ دَخَلوا عَلَيْهِ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرونَ»[٢].

وبعد انتهاء الغسل حمل الإمام إلى مقرّه الأخير.

٣١ ـ مواكب التشييع

وهرعت بغداد إلى تشييع الإمام، فكان يوماً مشهوداً لم ترَ مثله في أيّامها، فقد خرج البرّ والفاجر، والصالح والطالح لتشييع سبط النبيّ صلى الله عليه وآله والفوز بحمل جثمانه، وسارت المواكب وهي تجوب الشوارع والطرقات، وتردّد أهازيج اللوعة والحزن، ويتقدّم جماهير المشيّعين الرشيد ـ فيما يروي بعض المؤرّخين ـ وهو واجم حزين يترحّم على الإمام، ويظهر البراءة من دمه، وخلفه البرامكة[٣] وكبار الموظّفين

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٢: ٣٨٧. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٩. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢: ٩٣، الحديث ٥. بحار الأنوار: ٤٨: ٢٢٧، الحديث ٢٩.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢: ٩٥ و ٩٦. بحار الأنوار: ٤٨: ٢٢٤ و ٢٢٥.

(٣) حضارة الإسلام في دار السلام: ١٢٦.

⇦

والمسؤولين من رجال الحكم يتقدّمهم سليمان وهو حافي القدمين أمام النعش مجامير العطور، وحمل الجثمان العظيم على أطراف الأنامل، قد أحاطته الهيبة والجلال، وجيء به فوضع في سوق سمّي بعد ذلك بسوق الرياحين، كما بني على الموضع الذي وضع فيه الجثمان المقدّس بناء لئلّا تطأه الناس بأقدامهم تكريماً له[١].

وانبرى بعض الشعراء فأنشد هذه الأبيات:

قَدْ قُلتُ للرَّجُلِ المُوَلّى غُسْلَهُ ... هَلّا أَطَعتَ وَكُنتَ مِنْ نُصحائِهِ

جَنِّبْهُ ماءَكَ ثُمَّ غَسِّلْهُ بِما ... أَذْرَتْ عُيونُ المَجْدِ عِندَ بُكائِهِ

وَأَزِلْ أَفاوِيهَ الحُنوطِ وَنَحِّها ... عَنهُ وَحَنِّطْهُ بِطيبِ ثَنائِهِ

وَمُرِ المَلائِكَةَ الكِرامَ بِحَمْلِهِ ... كَرَماً أَلَسْتَ تَراهُمُ بِإِزائِهِ

لاتُوهِ أَعْناقَ الرِّجالِ بِحَمْلِهِ ... يَكفي الَّذي حَمَلوهُ مِنْ نَعْمائِهِ[٢]

وسارت المواكب متّجهة إلى محلّة باب التين[٣]، وقد ساد عليها الوجوم والحزن، وخيّم عليها الأسى والمصاب.

⇦ والمشهور أنّ الرشيد لم يحضر جنازة الإمام عليه السلام، وأنّه كان بالرقّة.

(١) الأنوار البهيّة: ٩٩.

وجاء فيه: «أنّه حكى عن صاحب تاريخ مازندران أنّه قال في كتابه: إنّه مرّ بذلك المكان عدّة مرّات وقبّل الموضع الشريف».

(٢) الاتحاف بحبّ الأشراف: ٥٧.

(٣) باب التبن: اسم محلّة كبيرة كانت ببغداد، تقع بإزاء قطيعة أمّ جعفر، وفيها قبر عبدالله بن أحمد بن حنبل، وهي قريبة من مقابر قريش. معجم البلدان: ٢: ١٤.

وقد ذكرت شؤون هذه البقعة بالتفصيل في دليل خارطة بغداد: ١٠٢.

٣٢- في مقرّه الأخير

وأحاطت الجماهير بالجثمان المقدّس وهي تتسابق إلى حمله والتبرّك به ، فجاءت به إلى مقابر قريش ، فحفر له قبر هناك وأنزله في مقرّه الأخير سليمان بن أبي جعفر ، وهو مذهول اللبّ ، خائر القوى ، وبعد فراغه من مراسيم الدفن أقبلت إليه الناس وهي تعزّيه وتواسيه بالمصاب الأليم ، وهو واقف يشكرهم على ذلك .

وانصرف المشيّعون وهم يعدّدون فضائل الإمام ومناقبه ، ويذكرون ما عاناه من المحن والخطوب ، وكان فقده من أعظم النكبات التي مني بها العالم الإسلامي في ذلك العصر ، فقد فقد المسلمون علماً من أعلام العقيدة الإسلاميّة ، وغصناً يانعاً من دوحة النبوّة ، وإماماً من أئمّة المتّقين والمنيبين .

لقد عاش الإمام عليه السلام في حياته عيشة المتّقين والصالحين ، فآثر طاعة الله على كلّ شيء ، وعمل جاهداً على رفع كلمة الحقّ وتحطيم الباطل ، فلم يجار هارون ، ولم يصانعه ، بل كان من أقوى الجبهات المعادية له ، وقد تحمّل في سبيل ذلك جميع ضروب الأذى والآلام ، حتّى لفظ أنفاسه الأخيرة وهو في ظلمات السجون ، ففاز بالشهادة ، وجعل الله ذكره خالداً وحياته قدوة ، ومرقده ملجأً للمنكوبين ، وملاذاً للملهوفين ، كما منّ عليه فجعله من أئمّة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً .

وبعد : فإنّي قد فرغت من تأليف هذا الكتاب ، وأتمّت المطبعة صفحاته الأخيرة ، وأودّ أن أسجّل شيئاً من الخير أن لا يضيع ، وهو أنّ هذا الكتاب ما هو إلّا صفحة من تاريخ هذا الإمام العظيم ، وترجمة موجزة لحياته ، ولا أزعم أنّي قد ألممت بسيرته ، أو ترجمت له ترجمة صوّرت جميع أبعاد حياته ، فذاك أمر غير ممكن ، فإنّ العشرات من أمثال هذا الكتاب بصورة جازمة لا يمكن أن تحكي واقعه أو تلمّ بسيرته وبجميع ما أثر عنه .

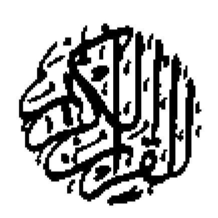
لا أقول ذلك لأغضّ من هذا الجهد الشاقّ الذي أنفقته ، ولا لأصنع التواضع ، ولا أنا مدفوع بدافع الغلوّ والافراط في الحبّ ، وإنّما الواقع يمليه علَيَّ ، فإنّ ما روي عنه من الأخبار المتعلّقة بأحكام الدين وفروعه من العبادات والمعاملات والعقود والإيقاعات تستدعي وضع عدّة كتب لها ، فموسوعات الحديث وموسوعات الفقه الاستدلالي قد حفلت بالشيء الكثير من رواياته التي هي من مدارك الفتيا في الفقه الشيعي .

مضافاً إلى ما أُثر عنه من الحكم والآداب وقواعد السلوك والأخلاق ، وآرائه في السياسة والاقتصاد ، والفلسفة وعلم الكلام ، وغيرها ممّا لم نذكر منه إلّا النزر اليسير ، فإذن ليس هذا الكتاب كما كنت أعتقد ـ واستغفر الله ـ أنّه ملمّ بحياة الإمام عليه السلام ، ومستوعب لسيرته وشؤونه ، وإنّما يصوّر لحظة من حياته ، ويعطي مثلاً موجزاً عنها .

لقد أصبحت وأنا مؤمن أشدّ الإيمان أنّ هذا الإمام العظيم كنز من كنوز الإسلام التي لا تنفد ، وأنّه ملأ فم الدنيا بفضائله ومناقبه ومآثره ، وأنّ سموّ شخصيّته العظيمة التي ملكت قلوب المسلمين فآمنوا بإمامته ، هي التي أثارت عليه أحقاد هارون الرشيد وأضغانه ، فقدم على ترويعه ، وزجّه في ظلمات السجون ، وقتله مع علمه أنه لم يحرّض عليه ، ولم يوجب على شيعته الخروج على سلطانه .

وإنّي أعود إلى الاعتذار من سيّدي العظيم خوفاً من أن أكون قد جافيت الواقع ، أو ابتعدت عن القصد في بعض ما كتبته عنه ، راجياً أن يمنحني القبول ، وأن يتلطّف علَيَّ بالرضا ، وأن تنالني شفاعته يوم الوفادة على الله .

المصادر



أبو نؤاس قصّة حياته .... عبد الرحمن صدقي

الاتحاف بحبّ الأشراف .... الشبراوي

إثبات الوصيّة .... العلّامة

أثر الأسرة والمجتمع في الأحداث .... مؤسّسة اليونسكو

الاثنا عشريّة .... محمّد بن قاسم الحسيني

الاحتجاج .... الشيخ الطبرسي

أحسن القصص .... السيّد علي فكري

أحسن الكبار .... السيّد محمّد عربشاه الحسيني

الأحكام السلطانيّة .... الماوردي

أخبار الحكماء .... القفطي

أخبار الدول .... القرماني

الاختصاص .... الشيخ المفيد

أخلاق الملوك .... الجاحظ

اختيار معرفة الرجال = رجال الكشّي .... الشيخ الطوسي

الإدارة الإسلاميّة في عزّ العرب .... محمّد كرد علي

أدب المرتضى .... عبدالرزّاق محيي الدين

الارشاد .... الشيخ المفيد

الأرض والتربة الحسينيّة .... الإمام كاشف الغطاء

أساس البلاغة .... الزمخشري

الاستقصاء .... أبو الفضل جعفر بن حرب السلاوي

أسد الغابة .... ابن الأثير

إسعاف الراغبين .... محمّد الصبّان

الإسلام .... الشيخ محمّد أمين زين الدين

الإسلام والحضارة العربيّة .... محمّد كرد علي

أصل الشيعة وأصولها .... الإمام كاشف الغطاء

أصول الكافي .... الشيخ الإسلام الكليني

اعتقاد فرق المسلمين .... الرازي

الأعلام .... الزركلي

إعلام الورى في أعلام الهدى .... الشيخ الطبرسي

أعيان الشيعة .... السيّد محسن الأمين العاملي

الأغاني .... أبو الفرج الأصفهاني

الإقبال .... السيّد ابن طاووس

الله والعلم الحديث .... عبدالرزّاق نوفل

الله يتجلّى في عصر العلم .... جماعة من العلماء الغربيّين

الأمالي .... أبو عليّ القالي

الإمام الصادق والمذاهب الأربعة .... الشيخ أسد حيدر

الإمامة والسياسة .... ابن قتيبة

أمراء دمشق .... الصفدي

انباه الرواة .... الزبيدي

الانتقاء .... ابن عبدالبرّ

الأنساب .... القلقشندي

الأنوار البهيّة .... الشيخ عبّاس القمّي

....

بحار الأنوار .... العلّامة المجلسي

بحر الأنساب .... عميد الدين النجفي

البداية والنهاية .... ابن كثير

براءة العبّاسة .... الطنطاوي

بغية الطالب .... محمّد اليماني

البلغة .... البحراني

البيان في تفسير القرآن .... السيّد الخوئي

البيان والتبيين .... الجاحظ

بين الخلفاء والخلعاء .... غي استرانج ، تعريب: رشيد فرنسيس

....

التاج .... الجاحظ

تاج العروس .... محمّد مرتضى الحسيني

تاريخ ابن خلدون .... ابن خلدون

تاريخ الاسلام .... الذهبي

تاريخ الإسلام السياسي .... حسن إبراهيم حسن

تاريخ الأمم والملوك = تاريخ الطبري .... الطبري

تاريخ بغداد .... الخطيب البغدادي

تاريخ التمدّن الإسلامي .... جرجي زيدان

تاريخ الحركات الفكريّة في الإسلام .... بندلي جوزه

تاريخ الخلفاء .... السيوطي
تاريخ الخميس .... الحسين بن محمّد الدياربكري
تاريخ الدعوة الإسماعيليّة .... مصطفى غالب
تاريخ العلويّين .... محمّد أمين غالب
تاريخ كربلاء .... عبدالجواد الكليدار
تاريخ الكوفة .... البراقي
تاريخ مدينة دمشق .... ابن عساكر الشافعي
تاريخ اليعقوبي .... ابن واضح
تأسيس الشيعة .... السيّد الصدر
التبصير في الدين .... الاسفراييني
التبيان .... الشيخ الطوسي
التحرير .... العلّامة الحلّي
تحف العقول .... ابن شعبة
تحفة الأزهار وزلال الأنهار .... ابن شدقم
تحفة العالم .... جعفر آل بحرالعلوم
تحفة العروس .... محمّد التيجاني
تحفة النظار في غرائب الأمصار .... ابن بطوطة
تذكرة الحفّاظ .... الذهبي
تذكرة الخواص .... سبط ابن الجوزي
تزيين الأسواق .... داود الأنطاكي
التعليقات .... محمّد باقر البهبهاني
تفسير القرآن العظيم .... ابن كثير
تفسير الجواهر .... الطنطاوي الجواهري

تفسير الطبري .... الطبري

التفسير الكبير .... الرازي

التقريب .... ابن حجر

تقريرات آية الله الخوئي .... المؤلّف

التكامل في الإسلام .... أحمد أمين

تلخيص الشافي .... الشيخ الطوسي

تلخيص المستدرك .... الذهبي

التنبيه .... ابن الحسن الملطي

تنقيح المقال .... الشيخ المامقاني

التوسّل والوسيلة .... ابن تيميّة

تهذيب التهذيب .... ابن حجر

....

ثمار القلوب .... عبدالملك الثعالبي

....

جامع الأنساب .... السيّد إبراهيم

جامع الرواة .... محمّد بن عليّ الأردبيلي

جامع الكرامات .... النبهاني

الجذور التاريخيّة للشعوبيّة .... الدوري

جعفر بن محمّد .... عبدالعزيز سيّد الأهل

الجماهير .... أبو ريحان البيروني

جمهرة أنساب العرب .... عليّ بن سعيد الأندلسي

جواهر الكلام .... الفقيه الشيخ محمّد حسن النجفي

جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام .... القراغولي

الحاوي .... عبدالنبيّ الجزائري
حديث الأربعاء .... طه حسين
حركات الشيعة .... محمّد جابر عبدالعال
حضارة الإسلام في دار السلام .... جميل نخلة
الحضارة الإسلاميّة .... ميتز آدم
حقيقة النفس وأمراضها .... عبدالرحمن فرّاج
حلية الأولياء .... أبو نعيم
حياة الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام .... المؤلّف
حياة الحيوان .... الجاحظ
حياة الحيوان .... الدميري
خارطة بغداد .... مصطفى جواد
الخصائص الكبرى .... السيوطي
خصائص النسائي .... النسائي
الخصال .... الشيخ الصدوق
خطط المقريزي .... المقريزي
خلاصة الأقوال = رجال العلامة .... العلّامة الحلّي
خلاصة تهذيب الكمال .... أحمد الخزرجي
خلاصة الذهب المسبوك .... عبدالرحمن الإربلي
دائرة معارف القرن العشرين .... محمّد فريد وجدي
الدرّ النظيم في مناقب الأئمّة .... يوسف بن حاتم الشامي
دعائم الإسلام .... أبو حنيفة المغربي
دلائل الإمامة .... محمّد بن جرير بن رستم الطبري الآملي
دولة القرآن .... طه عبدالباقي سرور

الديارات .... الشابشتي

الديارات النصرانيّة في الإسلام .... حبيب الزيّات

ديوان بحرالعلوم .... مهدي آل بحرالعلوم

ديوان الجواهري .... محمّد مهدي الجواهري

ديوان العمري .... عبدالباقي العمري

....

الذريعة .... المحقّق آقا بزرك الطهراني

الذكرى .... الشهيد الأوّل

....

ربيع الأبرار .... الزمخشري

رجال ابن داود .... ابن داود

رجال بحرالعلوم .... السيّد مهدي آل بحر العلوم

رجال البرقي .... البرقي

رجال الخاقاني .... علي الخاقاني

رجال النجاشي .... النجاشي

رسائل الجاحظ .... السندوبي

روح المعاني .... محمود الآلوسي البغدادي

روضات الجنات .... محمّد باقر الخوانساري

روضة الواعظين .... النيسابوري

الرياض النضرة .... محبّ الدين الطبري

....

زندگاني حضرة موسى بن جعفر .... أبو القاسم سحاب

زهر الآداب .... إبراهيم القيرواني

زهر الربيع .... نعمة الله الجزائري
زيد بن علي .... السيّد المقرّم
الزينة .... أبو حاتم الرازي

....

سبائك الذهب .... الآلوسي
سبك الذهب في سبك النسب .... ابن معية
سراج الأنساب .... أحمد النسّابة
سرّ السلسلة العلويّة .... أبو نصر البخاري
سفينة البحار .... الشيخ عبّاس القمّي
سقط الزند .... المعرّي
السنن الكبرى .... البيهقي
السيادة العربيّة .... فان فلوتن
السياسة الشرعيّة .... ابن تيميّة
سيّدات البلاط العبّاسي .... مصطفى جواد

....

الشافعي .... محمّد أبو زهرة
الشافي .... السيّد المرتضى
شذرات الذهب .... ابن العماد
شرح الإرشاد .... سليمان الكاشاني
شرح أصول الكافي .... ملّا صدرا
شرح توحيد المفضّل .... محمّد الخليلي
شرح زهر الآداب .... زكي مبارك
شرح شافية أبي فراس .... أمير الحاج

شرح قصيدة ابن عبدون .... ابن بدرون
شرح الموطّأ .... الزرقاني
شرح نهج البلاغة .... ابن أبي الحديد
شعراء الغدير .... المحقّق الأميني
الشعر في بغداد .... جواري
الشيعة في التاريخ .... محمّد حسين الزين

....

صبح الأعشى .... القلقشندي
الصحاح .... الجوهري
صحاح الأخبار .... الرفاعي
صحيح البخاري .... البخاري
صحيح الترمذي .... الترمذي
صحيح مسلم .... مسلم
صحيفة الأبرار .... محمّدتقي التبريزي
صفوة الصفوة .... أبو الفرج ابن الجوزي
الصواعق المحرقة .... ابن حجر الهيتمي

....

ضحى الإسلام .... أحمد أمين

....

طبقات الشعراء .... ابن المعتزّ
طبقات الفقهاء .... الرازي
الطبقات الكبرى .... ابن سعد

....

العرب .... فيليب حتّي

العصبيّة القبيليّة .... إحسان النصّ

العصر العبّاسي .... الدوري

عصر المأمون .... الرفاعي

عقائد الإماميّة .... المظفّر

عقائد الزيديّة .... المؤلّف

العقد الفريد .... ابن عبدربّه الأندلسي

عقيدة الشيعة .... روايت م. رونلدس

العقيدة والشريعة في الإسلام .... اجناس جولد

علم النفس في الحياة .... ماندر

العلم يدعو للإيمان .... ا. كرس موريسون

العمدة .... ابن رشيق

عمدة الأخبار في مدينة المختار .... أحمد بن عبدالحميد العبّاسي

عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب .... ابن المهنّا

العمل وحقوق العامل في الإسلام .... المؤلّف

عيون الأخبار .... ابن قتيبة

عيون أخبار الرضا عليه السلام .... الشيخ الصدوق

....

غاية الاختصار .... تاج الدين

....

فجر الإسلام .... أحمد أمين

الفرج بعد الشدّة .... التنوخي

فِرق الشيعة .... النوبختي

الفرق بين الفرق .... البغدادي
الفصول المختارة .... المرتضى
الفصول المهمّة .... ابن الصبّاغ
الفقه الإسلامي في مدخل نظام المعاملات .... محمّد يوسف
الفكرة الأفريقيّة الآسيويّة في مؤتمر باندونج .... مالك الجزائري
فلك النجاة .... مهدي القزويني
فوات الوفيات .... ابن شاكر الكتبي
....
القاموس المحيط .... الفيروزآبادي
قرب الاسناد .... عبدالله بن جعفر الحميري
....
الكافي .... الشيخ الكليني
الكامل في التاريخ .... ابن الأثير
كشف الغمّة .... عليّ بن عيسى الإربلي
كشف المحجّة .... السيّد عليّ بن طاووس
كنز العلوم .... محمّد فريد وجدي
كنز العمّال .... علي المتّقي الهندي
كنوز الحقائق .... المناوي
الكنى والألقاب .... الشيخ عبّاس القمّي
الكواكب الدرّيّة .... المناوي
....
لسان العرب .... ابن منظور
لسان الميزان .... ابن حجر العسقلاني

مآثر الإنافة في مقام الخلافة .... القلقشندي
المجالس السنيّة .... السيّد محسن العاملي
مجالس الطوسي .... الشيخ الطوسي
المجتمع العربي ومناهضة الشعوبيّة .... عليّ حسن الخربوطلي
المجدي .... عليّ بن محمّد الصوفي
مجلّة حياتك .... مقال للبروفسور ثورندك
مجمع البيان .... الشيخ الطبرسي
مجمع الزوائد .... الهيثمي
مجموعة ورّام .... ورّام
المجوس والمجوسيّة .... عليّ الخربوطلي
المحاسن والمساوي .... البيهقي
المحاضرات .... محمّد الخضري
المحصل .... الرازي
مختار صفة الصفوة .... ابن الجوزي
مختصر أخبار الخلفاء .... ابن الساعي
مختصر تاريخ العرب .... السيّد مير عليّ الهندي
مختصر التحفة الاثني عشرية .... الآلوسي
المذاهب الإسلاميّة .... محمّد أبو زهرة
المراجعات .... الإمام شرف الدين
مراصد الاطّلاع .... الحموي
مرآة العقول .... الجزائري
مرآة النجاة .... اليافعي
مروج الذهب .... المسعودي

المسالك .... الشهيد الثاني
المسامرات .... ابن العربي
مستدرك الوسائل .... الميرزا النوري
مستدرك الحاكم .... الحاكم النيسابوري
مستند الشيعة .... النراقي
المستطرف .... شهاب الدين
مسند أحمد .... أحمد بن حنبل
مشاهد العترة الطاهرة .... عبدالرزاق كمّونة
مشكل الآثار .... الطحاوي
المصائد والمطارد .... كشاجم
مصباح الزائرين .... السيّد ابن طاووس
مطالع البدور .... عليّ البهائي
المعارف .... ابن قتيبة
معالم العلماء .... ابن شهرآشوب
معاوية أمام محكمة الجزاء .... مهدي القرشي
المعتبر .... المحقّق الحلّي
معجم الأدباء .... الحموي
معجم البلدان .... الحموي
معجم الشعراء .... المرزباني
المغني .... القاضي
مفاتيح الجنان .... الشيخ عبّاس القمّي
مفتاح الجنات .... السيّد محسن العاملي
مقاتل الطالبيّين .... أبو الفرج الاصفهاني

مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين .... عليّ الأشعري
مقدّمة ابن خلدون .... ابن خلدون
المكاسب .... الشيخ الأنصاري
المكافأة .... ابن الداية
الملل والأهواء .... ابن حزم
ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام .... دوزي
المنار .... محمّد عبده
مناقب آل أبي طالب .... ابن شهرآشوب
مناقب مالك .... الزاوي
مناهل الضرب في أنساب العرب .... جعفر الأعرجي
من تاريخ الإلحاد في الإسلام .... عبدالرحمن بدوي
منتخب التواريخ .... ملّا هاشم
منتهى المقال .... أبو عليّ الحائري
منظومة نخبة المقال .... السيّد حسين الحسيني البروجردي
من لا يحضره الفقيه .... الشيخ محمّد بن عليّ القمّي
منهاج السنّة .... ابن تيميّة
منهاج الكرامة .... العلّامة
منهج المقال .... الاسترابادي
مهج الدعوات .... السيّد ابن طاووس

....

ناسخ التواريخ .... محمّدتقي
النبراس .... ابن الخطّاب
النجوم الزاهرة .... جمال الدين الأتابكي

نزهة المجالس .... عبدالرحمن الصفوري
نزهة الناظر في تنبيه الخواطر .... الحلواني
نساء الخلفاء .... ابن الساعي
النظام التربوي في الإسلام .... المؤلّف
نفح الطيب .... أحمد المقري
النفحة العنبريّة في أنساب خير البريّة .... السيّد كاظم اليماني
نور الأبصار .... الشبلنجي
النور الجليّ في نسب النبيّ .... البخشي

....

الوافي .... الفيض الكاشاني
الوجيزة .... الفاضل المجلسي
الوزراء والكتّاب .... للجهشياري
وسائل الشيعة .... الشيخ الحرّ العاملي
وعّاظ السلاطين .... عليّ الوردي
الولاة وكتاب القضاة .... الكندي
وفيات الأعيان .... ابن خلّكان

....

هارون الرشيد .... أحمد أمين
هارون الرشيد .... الجومرد
هارون الرشيد .... عمر أبو النصر
هشام بن الحكم .... عبدالله نعمة

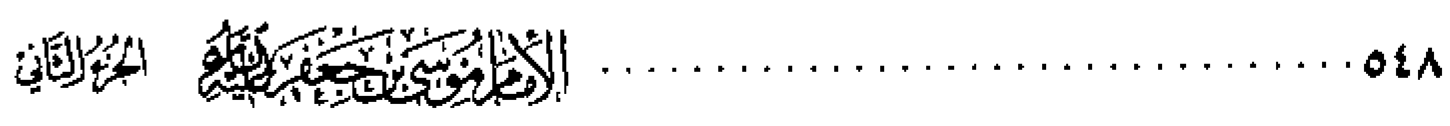
المحتويات

مقدّمة الطبعة الثانية ٧
مقدّمة الطبعة الأولى ١١

عهد الرشيد

٢١ - ١١١

سياسته الماليّة ٢٨
ميزانيّته العامّة ٣١
الهبات للمغنّين ٣٤
هباته للشعراء ٣٩
الإسراف في الموائد ٤٢
الإسراف في الجواري ٤٤
ولعه بالجواهر ٤٩
إسراف زبيدة ٥١
بذخ البرامكة ٥٣
رسالته لسفيان ٥٨
جواب سفيان ٥٩
كلمة ابن خلدون ٦١


دفاع الجومرد ٦٢
ولعه بالغناء ٦٥
شربه للخمر ٧٠
لعبه بالنرد ٧٤
موقف الإمام عليه السلام ٧٧
التنكيل بالعلويّين ٧٩
نفيهم من بغداد ٧٩
انتقاصهم ٨٠
مجزرة رهيبة ٨٦
هدم مرقد الحسين عليه السلام ٨٨
إعدام العلويّين واغتيالهم ٩٠
١ ـ عبدالله بن الحسن ٩٠
٢ ـ العبّاس بن محمّد ٩١
٣ ـ إدريس بن عبدالله ٩٢
٤ ـ يحيى بن عبدالله ٩٣
صفته ٩٣
منزلته العلميّة ٩٤
نشأته ٩٤
اشتراكه في ثورة الحسين ٩٤
هربه إلى الديلم ٩٤
خروج الفضل لحربه ٩٦
تفرّق أصحاب يحيى ٩٦
عقد الصلح ٩٧

قدومه لبغداد ٩٧
مع الإمام موسى عليه السلام ١٠١
نقض الأمان ١٠٣
شهادته ١٠٤
٥ـ محمّد بن يحيى ١٠٦
٦ـ الحسين بن عبدالله ١٠٧
٧ـ إسحاق بن الحسن ١٠٧

عصر الإمام عليه السلام

١١١ـ ٢٢٥

الشعوبيّة ١١٥
تعريف الشعوبيّة ١١٥
نشأتها ١١٦
تطوّرها ١١٧
موقف الإسلام منها ١٢٢
مخاريق أحمد أمين ١٢٥
الإلحاد والزندقة ١٢٧
منشأ الإلحاد ١٢٨
أنواع الإلحاد ١٢٩
في العصر الأموي ١٢٩
في العصر العبّاسي ١٣١
المانوية ١٣١
المزدكيّة ١٣٤

الزرادشتية ١٣٥
دعاة الإلحاد ١٣٧
اضطهاد الملحدين ١٣٩
الإسراف في الاتّهام ١٤١
احتجاجات الأئمة عليهم السلام معهم ١٤٤
احتجاجات الإمام الصادق عليه السلام ١٤٦
الإمام موسى عليه السلام ١٥٠
١ ـ إبطاله لحركة الله ١٥٠
٢ ـ نفي الجسم عن الله ١٥٣
٣ ـ معنى الله ١٥٤
٤ ـ علمه تعالى ١٥٥
٥ ـ إرادة الله ١٥٦
٦ ـ مشيئة الله ١٥٦
٧ ـ الإرادة التكوينيّة والتشريعيّة ١٥٧
تسيّب الأخلاق ١٥٩
بؤس وشقاء ١٦٤
سياسة الحكم العبّاسي ١٦٦
الفِرق الإسلاميّة ١٧٠
معنى الشيعة ١٧٢
نشأتها ١٧٣
اطارها العقائدي ١٨١
الولاء لأهل البيت عليهم السلام ١٨١
الثورة على الظلم ١٨٢

جرأة وإقدام ١٨٥
التنكيل بالشيعة ١٨٨
الصمود الرائع ١٩٢
١ـ الدعاية السريّة ١٩٢
٢ـ تشكيل الخلايا ١٩٣
٣ـ المناظرات ١٩٤
٤ـ الكتابة على الجدران ١٩٥
٥ـ الالتجاء إلى التقيّة ١٩٧
فِرق الشيعة ١٩٩
١ـ الكيسانيّة ٢٠٠
٢ـ الزيديّة ٢٠١
٣ـ الإماميّة ٢٠٣
٤ـ الفطحيّة ٢٠٦
٥ـ السمطيّة ٢٠٧
٦ـ الخطّابيّة ٢٠٧
٧ـ الناووسيّة ٢٠٨
٨ـ الإسماعيليّة ٢٠٨
٩ـ الواقفيّة ٢١٠
سبب الوقف ٢١٠
انتشاره ٢١١
شجب الأئمّة عليهم السلام لهم ٢١٢
١٠ـ القرامطة ٢١٤
مشكلة الغلاة ٢١٥

مشكلة خلق القرآن ٢١٧
نكبة البرامكة ٢١٩
١ـ خيانة جعفر للعباسة ٢١٩
٢ـ الاتّهام بالتشيّع ٢٢١
٣ـ سعة نفوذهم ٢٢٢
إعدام جعفر ٢٢٣

أصحابه ورواة حديثه

٢٢٧ ـ ٣٧٢

حرف الألف ٢٣١
١ـ أبان بن عثمان ٢٣١
٢ـ إبراهيم بن أبي بكر ٢٣٢
٣ـ إبراهيم بن أبي البلاد ٢٣٢
٤ـ ابراهيم بن شعيب ٢٣٢
٥ـ إبراهيم بن عبدالحميد ٢٣٢
٦ـ إبراهيم بن محمّد ٢٣٣
٧ـ إبراهيم بن محمّد الأشعري ٢٣٣
٨ـ إبراهيم بن نصر ٢٣٣
٩ـ إبراهيم بن نعيم ٢٣٣
١٠ـ إبراهيم بن يوسف ٢٣٣
١١ـ أحمد بن أبي بشر ٢٣٤
١٢ـ أحمد بن الحارث ٢٣٤
١٣ـ أحمد بن الحسن ٢٣٤

١٤ـ أحمد بن زياد ٢٢٤
١٥ـ أحمد بن عمرو ٢٢٤
١٦ـ أحمد بن الفضل ٢٢٥
١٧ـ أحمد بن محمّد ٢٢٥
١٨ـ أحمد بن محمّد ٢٢٥
١٩ـ أحمد بن مخلّد النخّاس ٢٢٥
٢٠ـ أحمد بن يزيد ٢٢٥
٢١ـ أسامة بن حفص ٢٢٦
٢٢ـ أسباط بن سالم ٢٢٦
٢٣ـ إسحاق بن جرير ٢٢٦
٢٤ـ إسحاق بن عبدالله ٢٢٦
٢٥ـ إسحاق بن عمّار ٢٢٦
٢٦ـ إسحاق بن عمّار ٢٢٧
٢٧ـ إسحاق بن محمّد ٢٢٧
٢٨ـ إسماعيل بن أبي سمّال ٢٢٧
٢٩ـ إسماعيل بن الحسن ٢٢٨
٣٠ـ إسماعيل بن عبدالخالق ٢٢٨
٣١ـ إسماعيل بن محمّد المنقري ٢٢٨
٣٢ـ أميّة بن عمرو ٢٢٨
٣٣ـ أيمن بن محرز ٢٢٨
٣٤ـ أيّوب بن أعين ٢٢٩
٣٥ـ أيّوب بن الحرّ ٢٢٩
حرف الباء ٢٢٩

٣٦ـ بشير الدهّان ٢٣٩
٣٧ـ بكر بن الأشعث ٢٣٩
٣٨ـ بكر بن صالح ٢٤٠
٣٩ـ بكر بن محمّد ٢٤٠
٤٠ـ بكر بن محمّد ٢٤٠
حرف الثاء ٢٤٠
٤١ـ ثعلبة بن ميمون ٢٤٠
حرف الجيم ٢٤١
٤٢ـ جعفر بن حيّان ٢٤١
٤٣ـ جعفر بن خلف ٢٤١
٤٤ـ جعفر بن سليمان ٢٤٢
٤٥ـ جعفر بن سماعة ٢٤٢
٤٦ـ جعفر بن محمّد ٢٤٢
٤٧ـ جميل بن درّاج ٢٤٢
٤٨ـ جميل بن صالح ٢٤٣
٤٩ـ جندب بن أيّوب ٢٤٣
٥٠ـ جهم بن أبي جهم ٢٤٣
حرف الحاء ٢٤٣
٥١ـ حبيب بن المعلّل ٢٤٣
٥٢ـ حديد بن حكيم ٢٤٣
٥٣ـ حذيفة بن منصور ٢٤٤
٥٤ـ حسان بن مهران ٢٤٤
٥٥ـ الحسن بن أبي العرندس ٢٤٤

٥٦ـ الحسن بن أيّوب ٢٤٤
٥٧ـ الحسن بن بشير ٢٤٥
٥٨ـ الحسن بن الجهم ٢٤٥
٥٩ـ الحسن بن راشد ٢٤٥
٦٠ـ الحسن بن صدقة ٢٤٥
٦١ـ الحسن بن عبدالله ٢٤٥
٦٢ـ الحسن بن عليّ ٢٤٦
٦٣ـ الحسن بن عليّ ٢٤٦
٦٤ـ الحسن بن عمر ٢٤٦
٦٥ـ الحسن بن محبوب ٢٤٦
٦٦ـ الحسن بن محمّد ٢٤٧
٦٧ـ الحسين بن إبراهيم ٢٤٧
٦٨ـ حسين بن بشّار ٢٤٧
٦٩ـ الحسين بن الجهم ٢٤٨
٧٠ـ الحسين بن خالد ٢٤٨
٧١ـ الحسين بن راشد ٢٤٨
٧٢ـ الحسين بن زيد ٢٤٨
٧٣ـ الحسين بن صدقة ٢٤٩
٧٤ـ الحسين بن عثمان ٢٤٩
٧٥ـ الحسين بن القاسم ٢٤٩
٧٦ـ الحسين بن قياما ٢٤٩
٧٧ـ الحسين بن كيسان ٢٤٩
٧٨ـ الحسين بن محمّد ٢٤٩

٧٩ـ الحسين بن المختار ٢٥٠
٨٠ـ الحسين بن موسى ٢٥٠
٨١ـ الحسين بن مهران ٢٥٠
٨٢ـ الحصين بن مخارق ٢٥٠
٨٣ـ حفص بن البختري ٢٥١
٨٤ـ حفص بن سليمان ٢٥١
٨٥ـ حفص بن سوقة ٢٥١
٨٦ـ حفص بن غياث ٢٥١
٨٧ـ الحكم بن أيمين ٢٥١
٨٨ـ حمّاد بن عثمان ٢٥٢
٨٩ـ حمّاد بن عثمان ٢٥٢
٩٠ـ حمّاد بن عيسى ٢٥٢
٩١ـ حمدان بن المعافى ٢٥٢
٩٢ـ حمزة بن اليسع ٢٥٣
٩٣ـ حميد بن المثنّى ٢٥٣
٩٤ـ حنان بن سدير ٢٥٣
حرف الخاء ٢٥٣
٩٥ـ خالد بن زياد ٢٥٣
٩٦ـ خالد بن سعيد ٢٥٣
٩٧ـ خالد بن مادّ ٢٥٤
٩٨ـ خالد بن نجيح ٢٥٤
٩٩ـ خالد بن يزيد ٢٥٤
١٠٠ـ خزيمة بن يقطين ٢٥٤

١٠١ـ خلف بن حمّاد ٢٥٥
١٠٢ـ خلف بن حمّاد ٢٥٥
١٠٣ـ خلف بن خلف ٢٥٥
١٠٤ـ خلف بن سلمة ٢٥٥
حرف الدال ٢٥٥
١٠٥ـ داود بن الحصين ٢٥٥
١٠٦ـ داود بن أبي يزيد ٢٥٦
١٠٧ـ داود بن زربي ٢٥٦
١٠٨ـ داود بن سرحان ٢٥٦
١٠٩ـ داود بن سليمان ٢٥٦
١١٠ـ داود بن عليّ ٢٥٧
١١١ـ داود بن فرقد ٢٥٧
١١٢ـ داود بن كثير ٢٥٧
١١٣ـ داود بن النعمان ٢٥٨
١١٤ـ دُرُست بن أبي منصور ٢٥٨
حرف الذال ٢٥٨
١١٥ـ ذريح بن محمّد ٢٥٨
حرف الراء ٢٥٨
١١٦ـ رِبْعي بن عبدالله ٢٥٨
١١٧ـ رفاعة بن موسى ٢٥٩
١١٨ـ رومي بن زرارة ٢٥٩
١١٩ـ رهم الأنصاري ٢٥٩
حرف الزاي ٢٦٠

١٢٠ـ زرعة بن محمّد ٢٦٠
١٢١ـ زكريّا بن إدريس ٢٦٠
١٢٢ـ زكريّا بن عبدالصمد ٢٦٠
١٢٣ـ زكريّا بن عبدالله ٢٦٠
١٢٤ـ زكريّا بن عمران ٢٦٠
١٢٥ـ زكريّا بن محمّد ٢٦١
١٢٦ـ زياد بن أبي سلمة ٢٦١
١٢٧ـ زياد بن الحسن ٢٦٢
١٢٨ـ زياد بن سلمان ٢٦٢
١٢٩ـ زياد بن مروان ٢٦٢
١٣٠ـ زياد بن الهيثم ٢٦٢
١٣١ـ زيد بن موسى ٢٦٢
١٣٢ـ زيد بن يونس ٢٦٣
١٣٣ـ زيد النّرسي ٢٦٣
حرف السين ٢٦٣
١٣٤ـ سالم بن مكرم ٢٦٣
١٣٥ـ سعدان بن مسلم ٢٦٣
١٣٦ـ سعد بن أبي خلف ٢٦٤
١٣٧ـ سعد بن أبي عمران ٢٦٤
١٣٨ـ سعد بن أبي خلف ٢٦٤
١٣٩ـ سعد بن سعيد ٢٦٤
١٤٠ـ سعد بن عمران ٢٦٤
١٤١ـ سعيد بن أبي الجهم ٢٦٥

١٤٢ـ سعيد بن جناح ٢٦٥
١٤٣ـ سعيد بن يسار ٢٦٥
١٤٤ـ سلمة بن حنان ٢٦٥
١٤٥ـ سلمة بن محمّد ٢٦٦
١٤٦ـ سليم (مولى علي بن يقطين) ٢٦٦
١٤٧ـ سليم الفرّاء ٢٦٦
١٤٨ـ سليمان بن أبي زيد ٢٦٦
١٤٩ـ سليمان بن أبي زينبة ٢٦٦
١٥٠ـ سليمان بن خالد ٢٦٦
١٥١ـ سليمان بن ربعي ٢٦٧
١٥٢ـ سليمان المؤمن ٢٦٧
١٥٣ـ سماعة بن مهران ٢٦٧
١٥٤ـ سنان بن طريف ٢٦٧
١٥٥ـ سندي بن الربيع ٢٦٧
١٥٦ـ سهل بن اليسع ٢٦٧
١٥٧ـ سيّابة بن ناجية ٢٦٨
١٥٨ـ سيف بن عميرة ٢٦٨
حرف الشين ٢٦٨
١٥٩ـ شعيب بن يعقوب ٢٦٨
حرف الصاد ٢٦٩
١٦٠ـ صالح بن خالد ٢٦٩
١٦١ـ صالح بن سعيد ٢٦٩
١٦٢ـ صباح بن موسى ٢٦٩

١٦٣ـ صفوان بن مهران ٢٦٩
١٦٤ـ صفوان بن يحيى ٢٧١
١٦٥ـ صندل بن محمّد ٢٧٢
حرف الضاد ٢٧٢
١٦٦ـ الضحّاك الحضرمي ٢٧٢
حرف العين ٢٧٢
١٦٧ـ عاصم بن الحسن ٢٧٢
١٦٨ـ عبّاس بن عامر ٢٧٢
١٦٩ـ عبدالحميد بن سالم ٢٧٢
١٧٠ـ عبدالحميد بن سعيد ٢٧٣
١٧١ـ عبدالحميد بن عواض ٢٧٣
١٧٢ـ عبدالرحمن بن الحجّاج ٢٧٣
١٧٣ـ عبدالرحمن بن يحيى ٢٧٣
١٧٤ـ عبدالكريم بن عتبة ٢٧٣
١٧٥ـ عبدالكريم بن عمرو ٢٧٤
١٧٦ـ عبدالله بن جبلة ٢٧٤
١٧٧ـ عبدالله بن جندب ٢٧٤
١٧٨ـ عبدالله بن الحارث ٢٧٦
١٧٩ـ عبدالله بن حمّاد ٢٧٦
١٨٠ـ عبدالله بن خداش ٢٧٦
١٨١ـ عبدالله بن سنان ٢٧٦
١٨٢ـ عبدالله بن صالح ٢٧٧
١٨٣ـ عبدالله بن عثمان ٢٧٧

١٨٤ـ عبدالله بن غالب ٢٧٧
١٨٥ـ عبدالله بن القاسم ٢٧٧
١٨٦ـ عبدالله بن محمّد ٢٧٨
١٨٧ـ عبدالله بن محمّد ٢٧٨
١٨٨ـ عبدالله بن المرحوم ٢٧٨
١٨٩ـ عبدالله بن مسكان ٢٧٨
١٩٠ـ عبدالله بن المغيرة ٢٧٩
١٩١ـ عبدالله بن يحيى ٢٧٩
١٩٢ـ عبدالله القصير ٢٨٠
١٩٣ـ عبدالله النخّاس ٢٨٠
١٩٤ـ عبدالملك بن حكيم ٢٨٠
١٩٥ـ عبدالملك بن عُتْبة ٢٨٠
١٩٦ـ عثمان بن عيسى ٢٨١
١٩٧ـ عليّ بن أبي حمزة ٢٨١
١٩٨ـ عليّ بن جعفر ٢٨٣
١٩٩ـ عليّ بن حديد ٢٨٤
٢٠٠ـ عليّ بن الحسن ٢٨٤
٢٠١ـ عليّ بن حمزة ٢٨٥
٢٠٢ـ عليّ بن الخطّاب ٢٨٥
٢٠٣ـ عليّ بن رئاب ٢٨٥
٢٠٤ـ عليّ بن سعيد ٢٨٥
٢٠٥ـ عليّ بن سويد ٢٨٥
٢٠٦ـ عليّ بن سويد ٢٨٦

٢٠٧ـ عليّ بن عبدالحميد ٢٨٦

٢٠٨ـ عليّ بن عبيدالله ٢٨٦

٢٠٩ـ عليّ بن عطيّة ٢٨٦

٢١٠ـ عليّ بن عيسى ٢٨٧

٢١١ـ عليّ بن ميمون ٢٨٧

٢١٢ـ عليّ بن يقطين ٢٨٧

٢١٣ـ عليّ بن يقطين ٢٨٧

٢١٤ـ عمّار بن موسى ٢٩٤

٢١٥ـ عمر بن رباح ٢٩٤

٢١٦ـ عمر بن محمّد ٢٩٥

٢١٧ـ عمرو بن منهال ٢٩٥

٢١٨ـ عيسى بن داود ٢٩٦

٢١٩ـ عيسى بن عبدالله ٢٩٦

٢٢٠ـ عيص بن القاسم ٢٩٧

حرف الغين ٢٩٧

٢٢١ـ غالب بن عثمان ٢٩٧

٢٢٢ـ غياث بن إبراهيم ٢٩٧

حرف الفاء ٢٩٧

٢٢٣ـ فائد الحنّاط ٢٩٧

٢٢٤ـ فضالة بن أيّوب ٢٩٧

٢٢٥ـ الفضل بن سليمان ٢٩٨

٢٢٦ـ الفضل بن يونس ٢٩٨

٢٢٧ـ الفيض بن المختار ٢٩٩

حرف القاف ٢٩٩
٢٢٨ـ القاسم بن محمّد ٢٩٩
٢٢٩ـ قيس بن موسى ٢٩٩
حرف الكاف ٣٠٠
٢٣٠ـ كردويه الهمداني ٣٠٠
حرف اللام ٣٠٠
٢٣١ـ ليث بن البختري ٣٠٠
حرف الميم ٣٠١
٢٣٢ـ محمّد بن إبراهيم ٣٠١
٢٣٣ـ محمّد بن أبي عمير ٣٠١
٢٣٤ـ محمّد بن إسحاق ٣٠٣
٢٣٥ـ محمّد بن إسماعيل ٣٠٤
٢٣٦ـ محمّد بن بشير ٣٠٥
٢٣٧ـ محمّد بن بكر ٣٠٧
٢٣٨ـ محمّد بن ثابت ٣٠٧
٢٣٩ـ محمّد بن جعفر ٣٠٨
٢٤٠ـ محمّد بن الحارث ٣٠٨
٢٤١ـ محمّد بن حكيم ٣٠٨
٢٤٢ـ محمّد بن خالد ٣٠٨
٢٤٣ـ محمّد بن زرقان ٣٠٩
٢٤٤ـ محمّد بن سليمان ٣٠٩
٢٤٥ـ محمّد بن سنان ٣٠٩
٢٤٦ـ محمّد بن الصباح ٣١١

٢٤٧ـ محمّد بن صدقة ٣١٢
٢٤٨ـ محمّد بن عبدالله ٣١٢
٢٤٩ـ محمّد بن عذافر ٣١٢
٢٥٠ـ محمّد بن عليّ ٣١٢
٢٥١ـ محمّد بن عليّ ٣٢٠
٢٥٢ـ محمّد بن عمرو ٣٢٠
٢٥٣ـ محمّد بن عمر ٣٢٠
٢٥٤ـ محمّد بن الفرج ٣٢٠
٢٥٥ـ محمّد بن فُضَيْل ٣٢٠
٢٥٦ـ محمّد بن مسعود ٣٢١
٢٥٧ـ محمّد بن يزيد ٣٢١
٢٥٨ـ محمّد بن يونس ٣٢١
٢٥٩ـ مُرازِم بن حكيم ٣٢١
٢٦٠ـ مسعدة بن صدقة ٣٢١
٢٦١ـ مِسْمَع بن عبدالملك ٣٢٢
٢٦٢ـ مصادف ٣٢٢
٢٦٣ـ معاوية بن عمّار ٣٢٢
٢٦٤ـ معاوية بن وَهْب ٣٢٣
٢٦٥ـ معتب ٣٢٣
٢٦٦ـ المغيرة بن توبة ٣٢٣
٢٦٧ـ المفضل بن صالح ٣٢٣
٢٦٨ـ المفضل بن عمر ٣٢٣
٢٦٩ـ مُنَخَّل بن جميل ٣٢٩

٢٧٠ـ منصور بن أبي بصير ٣٣٠
٢٧١ـ منصور بن حازم ٣٣٠
٢٧٢ـ منصور بن يونس ٣٣٠
٢٧٣ـ موسى بن إبراهيم ٣٣١
٢٧٤ـ موسى بن بكر ٣٣٣
٢٧٥ـ موسى بن الحسن ٣٣٤
٢٧٦ـ موسى بن سعدان ٣٣٤
٢٧٧ـ مهران بن أبي بصير ٣٣٤
حرف النون ٣٣٤
٢٧٨ـ نجية بن الحارث ٣٣٤
٢٧٩ـ نشيط بن صالح ٣٣٥
٢٨٠ـ نصر بن قابوس ٣٣٥
٢٨١ـ النضر بن سويد ٣٣٦
٢٨٢ـ نعيم القابوسي ٣٣٦
حرف الواو ٣٣٦
٢٨٣ـ الوليد بن سعيد ٣٣٦
٢٨٤ـ الوليد بن هشام ٣٣٦
٢٨٥ـ وهيب بن حفص ٣٣٦
حرف الهاء ٣٣٧
٢٨٦ـ هشام بن إبراهيم ٣٣٧
٢٨٧ـ هشام بن أحمر ٣٣٧
٢٨٨ـ هشام بن الحكم ٣٣٧
٢٨٩ـ هشام بن سالم ٣٥٦

٢٩٠ـ هند بن الحجّاج ٣٥٧
٢٩١ـ الهيثم بن عبدالله ٣٥٧
حرف الياء ٣٥٧
٢٩٢ـ ياسين الضرير ٣٥٧
٢٩٣ـ يحيى بن الحسين ٣٥٨
٢٩٤ـ يحيى بن عبدالرحمن ٣٥٩
٢٩٥ـ يحيى بن عبدالله ٣٦٠
٢٩٦ـ يحيى بن عمران ٣٦٠
٢٩٧ـ يحيى بن الفضل ٣٦٠
٢٩٨ـ يحيى بن القاسم ٣٦٠
٢٩٩ـ يحيى الأزرق ٣٦١
٣٠٠ـ يزيد بن خليفة ٣٦١
٣٠١ـ يزيد بن سليط ٣٦٢
٣٠٢ـ يعقوب بن جعفر ٣٦٢
٣٠٣ـ يعقوب بن الفضل ٣٦٢
٣٠٤ـ يوسف بن يعقوب ٣٦٣
٣٠٥ـ يونس بن عبدالرحمن ٣٦٣
٣٠٦ـ يونس بن يعقوب ٣٦٨

٣٠٧ـ أبو جبل ٣٦٩
٣٠٨ـ أبو جعدة ٣٦٩
٣٠٩ـ أبو خالد ٣٧٠
٣١٠ـ أبو خالد ٣٧٠

٣١١ـ أبو زكريّا ٣٧٠
٣١٢ـ أبو سعيد ٣٧٠
٣١٣ـ أبو سلمة ٣٧٠
٣١٤ـ أبو شعيب ٣٧١
٣١٥ـ أبو عامر ٣٧١
٣١٦ـ أبو العلاء ٣٧١
٣١٧ـ أبو المحتمل ٣٧١
٣١٨ـ أبو مصعب ٣٧١
٣١٩ـ أبو يحيى ٣٧٢
٣٢٠ـ أبو يحيى ٣٧٢

أبناء الإمام وعقبه

٣٧٥ ـ ٤٤٠

١ ـ الإمام الرضا عليه السلام ٣٧٩
ولادته عليه السلام ٣٧٩
نشأته عليه السلام ٣٨٠
معالي أخلاقه عليه السلام ٣٨٠
علمه عليه السلام ٣٨١
رواة حديثه عليه السلام ٣٨٢
بعض حكمه وآرائه عليه السلام ٣٨٣
إمامته عليه السلام ٣٨٥
ولاية العهد ٣٨٦
حقد المأمون على الإمام عليه السلام ٣٩١

اغتيال الإمام عليه السلام ٣٩٣
٢ ـ إبراهيم الأكبر ٣٩٥
١ ـ مع الواقفية ٣٩٧
٢ ـ مع الإمام الرضا عليه السلام ٣٩٨
٣ ـ مع أبي السرايا ٣٩٨
انضمام أبي السرايا إلى الثورة ٤٠٠
إعلان الثورة ٤٠١
وفاة محمد ٤٠٣
وفاته ٤٠٨
٣ ـ إبراهيم الأصغر ٤٠٩
٤ ـ أحمد ٤١٠
مكانته عند أبيه ٤١١
تقواه وعبادته ٤١١
علمه ٤١٢
مع أبي السرايا ٤١٢
وفاته ٤١٣
٥ ـ إسحاق ٤١٥
٦ ـ إسماعيل ٤١٦
٧ ـ جعفر ٤١٧
٨ ـ الحسن ٤١٨
٩ ـ الحسين ٤١٨
١٠ ـ حمزة ٤٢٠
١١ ـ زيد ٤٢٠

١ـ مع أبي السرايا ٤٢١
٢ـ مع الإمام الرضا عليه السلام ٤٢٣
٣ـ وفاته ٤٢٥
١٢ ـ العبّاس ٤٢٥
١٣ ـ عبدالله ٤٢٨
١٤ ـ عبيدالله ٤٣٠
١٥ ـ القاسم ٤٣٠
حبّ الإمام عليه السلام له ٤٣٠
هربه من السلطة ٤٣١
وفاته ٤٣٢
مرقده ٤٣٢
استحباب زيارته ٤٣٣
١٦ ـ محمّد ٤٣٤
١٧ ـ هارون ٤٣٦
١٨ ـ عون ٤٣٧
١٩ ـ إدريس ٤٣٧
٢٠ ـ شمس ٤٣٧
٢١ ـ شرف الدين ٤٣٨
٢٢ ـ صالح ٤٣٨
١ـ آمنة ٤٣٨
٢ـ حكيمة ٤٣٩
٣ـ فاطمة ٤٣٩
٤ـ فاطمة الصغرى ٤٤٠

أسباب سجنه عليه السلام

٤٤١ ـ ٤٦٠

١ ـ سموّ شخصيّة الإمام عليه السلام ٤٤٣

٢ ـ حقد هارون ٤٤٩

٣ ـ حرصه على الملك ٤٥٠

٤ ـ بغضه للعلويّين ٤٥٠

٥ ـ الوشاية به ٤٥١

جباية الأموال له ٤٥١

طلبه للخلافة ٤٥٢

٦ ـ احتجاج الإمام عليه السلام ٤٥٦

٧ ـ تعيينه لفدك ٤٥٧

٨ ـ صلابة موقف الإمام عليه السلام ٤٥٨

في ظلمات السجون

٤٦١ ـ ٤٨٢

١ ـ القبض على الإمام عليه السلام ٤٦٤

٢ ـ فزع المسلمين ٤٦٥

٣ ـ اعتقاله عليه السلام في البصرة ٤٦٦

تفرّغه عليه السلام للعبادة ٤٦٦

اتّصال العلماء به ٤٦٧

الايعاز لعيسى باغتياله ٤٦٧

استعفاؤه عن ذلك ٤٦٧

٤ ـ حمله إلى بغداد ٤٦٨
اعتقاله عند الفضل ٤٦٩
انشغاله في العبادة ٤٦٩
إشراف هارون عليه ٤٧١
سأم الإمام عليه السلام ٤٧٢
دعاؤه عليه السلام ٤٧٢
إطلاق سراحه ٤٧٣
٥ ـ عزم هارون على قتله ٤٧٧
٦ ـ اعتقاله عند الفضل ٤٨٠
الترفيه عليه ٤٨٠
الايعاز باغتياله ٤٨٠
التنكيل بالفضل ٤٨١

إلى جنة المأوى

٤٨٣ ـ ٤٨٣

١ ـ محلّ سجنه ٤٨٦
٢ ـ التضييق عليه ٤٨٧
٣ ـ تفرّغه عليه السلام للعبادة ٤٨٩
٤ ـ اتّصال العلماء به ٤٩٠
٥ ـ إرسال الفتاوى إليه ٤٩١
٦ ـ نصب الوكلاء ٤٩٢
٧ ـ تعيينه لولي عهده ٤٩٢
٨ ـ وصيّته عليه السلام ٤٩٣

٩ ـ أوقافه وصدقاته عليه السلام ٤٩٧
١٠ ـ ترفّعه عن المطالبة بإطلاقه ٤٩٩
١١ ـ كتابه عليه السلام لهارون ٤٩٩
١٢ ـ إرسال جارية له ٥٠٠
١٣ ـ فشل اغتياله عليه السلام ٥٠٢
١٤ ـ توسّط يحيى في إطلاقه ٥٠٣
١٥ ـ الإمام ينعى نفسه ٥٠٤
١٦ ـ اغتياله عليه السلام ٥٠٨
١٧ ـ الأقوال في سمّه ٥٠٨
يحيى بن خالد ٥٠٨
الفضل بن يحيى ٥٠٩
السندي بن شاهك ٥١٠
١٨ ـ كيفيّة سمّه ٥١٠
١٩ ـ اضطراب السندي ٥١١
٢٠ ـ مع المسيّب بن زهير ٥١٢
٢١ ـ إلى الرفيق الأعلى ٥١٤
٢٢ ـ زمن شهادته عليه السلام ٥١٦
٢٣ ـ محلّ شهادته عليه السلام ٥١٧
٢٤ ـ تحقيق الشرطة في الحادث ٥١٧
٢٥ ـ وضعه على الجسر ٥٢٠
٢٦ ـ النداء الفظيع ٥٢١
٢٧ ـ أسبابه ٥٢١
معرفة الشيعة ٥٢٢

التشهير بهم ٥٢٢
التقرّب لهارون ٥٢٢
٢٨ ـ بقاؤه ثلاثة أيّام ٥٢٢
٢٩ ـ قيام سليمان بتجهيزه ٥٢٣
١ ـ محو العار عن أُسرته ٥٢٤
٢ ـ الرحم الماسّة ٥٢٥
٣ ـ الخوف من انتفاضة الشيعة ٥٢٥
٣٠ ـ تجهيز الإمام عليه السلام ٥٢٥
٣١ ـ مواكب التشييع ٥٢٦
٣٢ ـ في مقرّه الأخير ٥٢٨

مصادر الكتاب ٥٣١
محتويات الكتاب ٥٤٧